الرَّوْضُ الأُنُفُ

فى شَرح السِّيرة النَّبَوِيَّة لِابن هِشام

الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي
٥٠٨ — ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المتوفى ٢١٨ هـ

الجزء الرابع

تحقيق وتعليق وشرح
عبد الرحمن الوكيل

توزيع
مكتبة العلم بجدة
حي الشغر
ت: ٦٨٧٧٠١٤

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت: ٨٦٤٢٤٠

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأئمة المهتدين .

« وبعد » فهذا هو الجزء الرابع من السيرة وشرحها « الروض الأنف » للامام السهيلى والله وحده أسأل أن يعين على تمامه ؟

عبد الرحمن الوكيل

كفاية الله أمر المستهزئين

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أمر الله تعالى صابرا محتسبا ، مؤدّيا إلى قومه النصيحة على مايلَقى منهم من التكذيب والأذى والاستهزاء . وكان عظماء المستهزئين ـ كما حدثنى يزيد بن رُومان ، عن عُروة بن الزبير خمسةَ نَفَر من قومهم ، وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم .

من بنى أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ بن كِلاب : الأسودُ بن المطلب بن أسد أبو زَمعة ، وكان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنى ـ قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه به ، فقال : اللهمّ أعْمِ بصره وأثْكِله وَلَده .

ومن بنى زُهرة بن كلاب : الأسودُ بن عبدِ يَغوث بن وَهْب بن عبدمناف ابن زُهرة .

ومن بنى مخزوم بن يَقظة بن مُرّة : الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم .

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب : العاصُ بن وائل بن هشام.
قال ابن هشام : العاصُ بن وائل بن هاشم بن سُعَيد بن سَهْم .
ومن بنى خُزاعة : الحارث بن الطُّلاطِلة بن عمرو بن الحارث بن عبد عمرو ابن لُؤَىّ بن مِلْكان .

فلما تمادوا فى الشرّ ، وأكثروا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - الاستهزاء، أنزل الله تعالى عليه: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ الحجر : ٩٣ — ٩٥.

قال ابن إسحاق فحدَّثنى يزيد بن رُومان ، عن عُرْوة بن الزبير ، أو غيره من العلماء أن جبريل أتى رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - وهم يطوفون بالبيت ، فقام ، وقام رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى جَنْبه ، فمرّ به الأسودُ بن المطلب ، فرمى فى وجهه بورقة خضراء ، فعَمِىَ ، ومرّ به الأسودُ بن عبد يغوث ، فأشار إلى بطنه ، فاستسقى فمات منه حَبَنا . ومرّ به الوليدُ بن المغيرة فأشار إلى أثر جُرح بأسفل كعب رجله ، كان أصابه قبل ذلك بسنين ، وهو يجرُّ سَبَله ، وذلك أنه مرّ برجل من خُزاعة وهو يَريش نَبلا له ، فتعلق سهم من نبله بإزاره ، فخدش فى رجله ذلك الخدشَ ، وليس بشىء ، فانتقض به ، فقتله . ومرّ به العاص بن وائل ، فأشار إلى أخمص رجله ، وخرج على حمارٍ له يريد الطائف ، فرَبض به على شُبارقة ، فدخلت فى أخْمَص رجله شوكةٌ ، فقتلته ومرّ به الحارث ابن الطُّلاطِلَة ، فأشار إلى رأسه ، فامتخض قَيْحا فقتله .

الوليد وأبو أزيهر

قال ابن إسحاق : فلما حضرت الوليدَ الوفاةُ دعا بنِيه ، وكانوا ثلاثة : هشام بن الوليد ، والوليد بن الوليد ، وخالد بن الوليد ، فقال لهم : أى بَنِىّ ،

أوصيكم بثلاث ، فلا تضيّعوا فيهن : دَمى فى خُزاعة ، فلا تطُلُّنَّهُ ، والله إنى لأعلم أنهم منه بُرآء ، ولكنى أخشى أن تُسَبُّوا به بعد اليوم ، وربِاى فى ثقيف ، فلا تدعوه حتى تأخذوه ، وعُقْرى عند أبى أُزَيْهر ، فلا يفو تنّكم به . وكان أبو أزيهر قد زوّجه بنتا ، ثم أمسكها عنه فلم يُدخلها عليه حتى مات.

فلما هلك الوليد بن المغيرة ، وثبت بنو مخزوم على خزاعة يطلبون منهم عقل الوليد ، وقالوا : إنما قتله سَهْمُ صاحبكم ـ وكان لبنى كعب حِلْف من بنى عبد المطلب بن هاشم ـ فأبت عليهم خُزاعة ذلك ، حتى تقاولوا أشعاراً ، وغَلُظ بينهم الأمر ـ وكان الذى أصاب الوليدَ سهمُه رجلا من بنى كعب بن عمرو من خزاعة ـ فقال عبدُ الله بن أبى أُمَيَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مَخزوم :

إنى زَعيم أن تَسيرُوا ، فتهرُبوا ... وأن تترُكوا الظَّهْرَان تَعْوى ثعالِبُه
وأن تتركوا ماء بجزْعةِ أطْرِقا ... وأن تسألوا : أىّ الأَراكِ أطايبه؟
فإنّا أناسٌ لاتُطَلّ دماؤُنا ... ولا يتعالى صاعداً مَنْ نحاربه

وكانت الظّهْران والأَراكُ منازلَ بنى كَعْب ، من خُزاعة . فأجابه الجَوْنُ ابن أبى الجَوْن ، أخو بنى كعب بن عَمْرو الخزاعىّ ، فقال :

والله لانُؤْتِى الوليدَ ظُلامةً ... ولمّا تَرَوْا يوما تَزول كَواكبُهْ
ويَصْرَعُ منكم مُسْمِنٌ بعد مُسْمِن ... وتُفْتَح بعد الموْت قَسْراً مَشاربه
إذا ما أكلتم خُبزكم وخَزيرَكم ... فكلُّكم باكى الوليدِ ونادبه

. . . .

ثم إن الناسَ ترادّوا وعَرَفوا أنما يَخْشَى القومُ السُّبة ، فأعطتهم خزاعةُ بعض العَقْل ، وانصرفوا عن بعض . فلما اصطلح القومُ قال الجَوْن بن أبي الجَوْن :

وقائلةٍ لمَّا اصطلحْنا تعجُّبا ... لِما قد حَمَلْنا للوليـد وقائلِ
ألم تُقسموا تُؤتوا الوليدَ ظُلامةً ... ولمّا تَروْا يوما كثيرَ البَلابل
فنحن خَلطنا الحربَ بالسِّلم فاستوتْ ... فأمَّ هواه آمنا كل راحل

ثم لم ينتهِ الجَوْنُ بن أبي الجَوْن حتى افتخر بقَتْل الوليد ، وذكر أنهم أصابوه ، وكان ذلك باطلا . فلحق بالوليد وبولده وقَوْمه من ذلك ما حَذِره ، فقال الجَوْن بن أبي الجَوْن :

ألا زَعَم المُغيرة أنْ كَعْبا ... بمكَّة منهمُ قَدْرٌ كثيرُ
فلا تَفْخر مُغيرةُ أنْ تَراها ... بها يَمْشى المُعَلْهَج والمَهِير
بِها آباؤُنا ، وبهـا وُلِدْنا ... كما أرْسَى بمَثْبَته ثَبيرُ
وما قال المُغيرة ذاك إلا ... ليَعْـلم شأنَنا أوْ يَسْتَثير
فإنّ دمَ الوليـد يُطَلّ إنَّا ... نَطُلّ دِماءَ أنت بها خبيرُ
كساهُ الفاتِكُ الميمونُ سَهْما ... زُعافا وهو ممتلئٌ بَهِيرُ
فخَرّ ببطْن مَكَّة مُسْلَحِبًّا ... كأنَّهُ عنـد وجْبته بَعير
سيَكْفيني مِطالَ أبي هشام ... صغارٌ جَعْـدةُ الأوبار خُور

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحدا أقذع فيه

ثورة لمقتل أبى أزيهر

قال ابن إسحاق : ثم عدا هشامُ بن الوليد على أبى أزَيْهر ، وهو بسُوق ذى المَجَاز ، وكانت عند أبى سُفيان بن حَرْب بنت أُزَيهر ، وكان أبو أُزَيهر رجلا شريفا فِى قومه — فقتله بعُقْر الوليد الذى كان عنده ، لوصيَّة أبيه إيَّاه ، وذلك بعد أن هاجر رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — إلى المدينة ومضى بدرٌ ، وأصيب به مَنْ أُصيب من أشراف قُرَيش من المشركين ؛ فخرج يَزيد بنُ أبى سُفيان ، فجمع بَنى عبد مناف ، وأبو سفيان بذى المَجاز ، فقال الناس : أُخْفِرَ أبو سفيان فى صِهْره ، فهو ثائر به ، فلمَّا سمع أبو سفيان بالذى صَنع ابنُه يزيد — وكان أبو سفيان رجلا حليما مُنْكَراً ، يحبّ قومه حبا شديدا — انحطّ سريعا إلى مكة ، وخشى أن يكون بين قريش حَدَثٌ فى أبى أُزَيهر ، فأتى ابنَه وهو فى الحديد ، فى قَومه من بنى عَبْد مناف والمطيِّبين ، فأخذ الرمحَ من يده ، ثم ضرب به على رأسه ضربةً هدَّه منها ، ثم قال له ؛ قبَّحك الله ! أتريد أن تضرب قُرَيشا بعضَهم ببعض فى رجل من دَوْس . سَنُؤْتيهم العَقْل إن قَبلوه ، وأطْفأ ذلك الأمرَ .

فانبعث حسَّان بن ثابت يُحَرِّض فى دَم أبى أُزَيهر ، ويعيِّر أبا سفيان خُفْرَته ويُجَبِّنه ، فقال :

غدا أهلُ ضَوْجَىْ ذى المجاز كِلَيْهما   وجارَ ابن حَرْب بالمُغَمَّس مايغدو

ولم يمنع العيْرُ الضَّروطُ ذِمارَه   ومامنعت مخزاةَ والِدِها هِنْد

كساكَ هشامُ بنُ الوَليدِ ثيابَهُ فأبْلِ وأخْلِفْ مثلَها جُدُداً بعدُ
قَضى وَطَراً منه فأصْبح ماجداً وأصبحتَ رِخْواً ماتخبُّ وماتعْدُو
فلو أنَّ أشْياخا ببدرٍ تَشاهدوا لَبَلَّ نعالَ القوم مُعْتَبِطٌ وَرْد

فلما بلغ أبا سُفيان قولُ حسَّان قال : يريد حَسان أن يَضرب بعضَنا ببعض فى رجل من دَوس ! بئسَ والله ماظنّ !

آية الربا من البقرة

ولمـا أسلم أهلُ الطَّائف كلَّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خالدُ بن الوليد فى رِبا الوليد ، الذى كان فى ثقيف ، لمـا كان أبوه أوصاه به .

قال ابن إسحاق : فذكر لى بعضُ أهل العلم أن هؤلاء الآيات من تحريم ما بَقى من الربا بأيدى الناس نزلن فى ذلك من طلب خالد الرّبا : (يٰأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ ، وَذَرُوا ما بَقِىَ مِنَ الرِّبا إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) البقرة :٢٧٨ إلى آخر القصة فيها .

الهمّ بأخذ ثأر أبى أزيهر

ولم يكن فى أبى أُزَيهر ثأرٌ نعلمه ، حتى حَجَز الإسلامُ بين الناس ، إلا أن ضِرار بن الخطَّاب بن مِرْداس الفِهْرى خَرج فى نَفَر من قُريش إلى أرض دَوْس ، فنزلوا على امرأة يقال لها أمّ غَيْلان ، مولاة لدَوْس ، وكانت تَمْشُط النِّساء ، وتجهِّز العرائس ، فأرادت دَوْس قتلَهم بأبى أُزَيهر ، فقامت دونهم أمُّ غيلان ونسوةٌ معها ، حتى منعتْهم ، فقال ضرار بن الخطاب فى ذلك :

جَزَى اللهُ عنَّا أمَّ غَيْلان صالحا ... ونسوَتَها إذ هُنَّ شُعْثٌ عَواطلُ
فهنّ دَفَعن الموتَ بعد اقترابه ... وقد بَرَزَتْ للثّائرين المَقاتل
دعتْ دعوةً دَوْساً فسالت شعابُها ... بعزٍّ وأدّتها الشِّراج القَوابل
وَعمْراً جزاه الله خيراً فما وَنى ... وما بردتْ منه لدىّ المَفاصِل
فجرّدتُ سَيْفى ثم قمتُ بنَصْله ... وعن أىّ نَفْس بعد نفسى أقاتل

عمل أم غيلان

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة : أن التى قامت دون ضِرار أمُّ جميل ، ويقال : أمّ غَيلان ، قال : ويجوز أن تكون أمُّ غَيلان قامت مع أمِّ جميل فيمن قام دونه .

فلما قام عمرُ بن الخطّاب أتته أمُّ جميل ، وهى تُرى أنه أخوه : فلما انتسبت له عَرف القِصّة ، فقال : إنى لستُ بأخيه إلا فى الإسلام ، وهو غاز ، وقد عرفتُ مِنَّتَك عليه ، فأعطاها على أنها ابنة سَبيل .

قال الراوى : قال ابن هشام : وكان ضِرار لحق عمرَ بن الخطاب يوم أحد، فجعل يَضرب به بعَرض الرمح ، ويقول : انجُ يابن الخطّاب لا أقتلك ، فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه .

من المؤذين لرسول الله

قال ابن إسحاق : وكان النَّفر الذين يُؤذون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى بيته أبا لَهَب ، والحَكَمَ بن العاص بن أُميَّة ، وعُقْبَة بن أبى مُعَيط ، وعدىّ

ابن حَمْراء الثَّقفىّ ، وابنَ الأصْداء الهُذلىّ ، وكانوا جيرانه لم يُسْلِم منهم أحد إلا الحَكَمَ بن أبى العاص ، فكان أحدهم ـ فيما ذُكر لى ـ يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رَحِمَ الشاة وهو يُصَلِّى ، وكان أحدهم يطرحها فى بُرْمته إذا نُصبت له . حتى اتخذ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حِجْراً يستتر به منهم إذا صلى ، فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا طرحوا عليه ذلك الأذى ، كما حدثنى عمرُ بن عبد الله بن عُروة ابن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، يخرج به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على العود ، فيقف به على بابه ، ثم يقول : يا بَنى عبد مناف ، أىّ جوارٍ هذا ! ثم يُلقيه فى الطريق .

ماعاناه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبى طالب وخديجة

قال ابن إسحاق : ثم إن خديجة بنت خُويلد وأبا طالب هَلَكا فى عام واحد ، فتتابعت على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المصائبُ بهُلْك خَديجة ، وكانت له وَزِيرَ صِدْق على الإسلام ، يشكو إليها ، وبهُلْك عَمّه أبى طالب ، وكان له عضداً وحِرْزاً فى أمره ، ومَنَعَة وناصرا على قومه ، وذلك قبل مُهاجره إلى المدينة بثلاث سنين . فلما هلك أبو طالب ، نالت قريشٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى مالم تكن تَطْمع به فى حياة أبى طالب ، حتى اعترضه سَفِيهٌ من سُفهاء قريش ، فنثر على رأسه ترابا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى هشام بن عُروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، قال : لما نثر ذلك السفيهُ على رأس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك الترابَ

دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيتَه والترابُ على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته ، فجعلت تغسل عنه الترابَ وهى تبكى ، ورسول الله صلى عليه وسلم يقول لها : لاتبكى يا بُنيَّة ، فإن الله مانعٌ أباكِ . قال : ويقول بين ذلك : مانالت منى قريش شيئا أكرهه ، حتى مات أبو طالب .

ماحدث بين النبي صلى الله عليه وسلم

وبين أبى طالب والمشركين

قال ابن إسحاق : ولما اشتكى أبو طالب، وبلغ قريشا ثِقَلُه ، قالت قريش بعضها لبعض : إن حَمْزة وعمر ، قد أسْلما وقد فشا أمرُ محمد فى قبائل قُريش كلها ، فانطلِقوا بنا إلى أبى طالب ، فليأخذ لنا على ابن أخيه ، وليُعطِه منا ، والله ما نأمن أن يَبْتَزُّونا أمرنا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى العبَّاسُ بن عبد الله بن مَعْبد من بعض أهله ، عن ابن عبَّاس ، قال : مَشَوْا إلى أبى طالب فكلَّموه ، وهم أشراف قومه : عُتبة ابن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأُميَّة بن خَلَف ، وأبو سفيان بن حَرْب ، فى رجال من أشرافهم ، فقالوا : يا أبا طالب ، إنك منَّا حيث قد علمتَ ، وقد حَضَرك ماترى ، وتخوّفنا عليك ، وقد علمتَ الذى بيننا وبين ابن أخيك ، فادعُه ، فخُذْ له منَّا ، وخُذْ لنا منه ، ليكف عنا ، ونكفّ عنه ، وليدعنا وديننا ، وندعه ودينَه ، فبعث إليه أبو طالب ، فجاءه فقال : يابن أخى : هؤلاء أشرافُ قومك ، قد اجتمعوا لك ، ليُعطوك ،

وليأخذوا منك . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، كلمة واحدة تُعطونيها تملكون بها العرب ، وتَدين لكم بها العجم . قال : فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وعشر كلمات ، قال : تقولون : لا إله إلا الله ، وتَخْلعون ماتعبدون من دونه . قال : فصفّقوا بأيديهم ، ثم قالوا : أتريد يامحمد أن تجعل الآلهةَ إلٰها واحدا ، إنّ أمرك لعَجب : ثم قال بعضُهم لبعض : إنه والله ماهذا الرجل بمُعْطيكم شيئا مما تُريدون فانطلِقُوا ، وامْضُوا على دين آبائكم ، حتى يحكم الله بينكم وبينه . قال : ثم تفرّقوا .

الرسول يرجو أن يسلم أبو طالب

فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : والله يا ابن أخى ، ما رأيتُك سألتَهم شَطَطاً ؛ فلما قالها أبو طالب طَمِع رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى إسلامه ، فجعل يقول له : أى عمّ ، فأنتَ فقُلها أستحلّ لك بها الشّفاعة يوم القيامة . قال : فلما رأى حرصَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يابن أخى ، والله لولا مخافة السُّبَّة عليك ، وعلى بنى أبيك من بَعدى ، وأن تظنّ قُرَيش إنى قلتها جَزعا من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرّك بها . قال : فلما تقارب من أبى طالب الموتُ ، قال : نظر العباسُ إليه يحرّك شفتيه ، قال : فأصغى إليه بأذنه ، قال : فقال يابن أخى ، والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرتَه أن يقولها ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أسمع .

. . . .

مانزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبي طالب

قال : وأنزل الله تعالى فى الرَّهط الذين كانوا اجتمعوا إليه ، وقال لهم ما قال ، وردّوا عليه ماوردّوا : « ص . والقُرآن ذى الذّكر ، بَلِ الَّذِين كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقاقٍ) . . إلى قوله تعالى : (أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلٰهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَىْءٌ عُجابٌ . وانْطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أن امْشُوا وَاصْبِرُوا على آلِهَتِكُمْ . إنَّ هَذَا لَشَىْءٌ يُرَاد . ما سَمِعْنا بِهَذَا فِى المِلَّة الآخِرَة) يعنون النصارى ، لقولهم : (إنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثةٍ) - (إنْ هَذَا إلاَّ اخْتِلاقٌ) ثم هلك أبو طالب .

عن المستهزئين وملكان

فصل : وذكر حديثَ المستهزئين الذين أنزل الله فيهم : ﴿ إِنا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئين ﴾ الحجر: ٩٥ وذكر فيهم الحارث بن الطُّلَاطِلَة[1]، والطُّلَاطِلَةُ : أُمُّه، قاله أبو الوليد الوقشى ، والطُّلَاطِلَةُ فى اللغة : الداهية ، قال أبو عبيد : كُلُّ داء عُضَال فهو : طُلاطِلَة ، وذكر فى نسبه عبدَ عمرو بن مِلْكان بالضبطين جميعا، وفى حاشية كتاب الشيخ الحافظ أبى بحر ، قال : قد تقدم من قول ابن حبيبَ النحوى أن الناس ليس فيهم مَلْكان بفتح الميم واللام إلا مَلَكَان بن جَرْم بن زَبَّان بن حُلْوان بن عِمْران بن الحَافِ بن قُضَاعَة ، ومَلَكَانُ بن عباد بن عِياض ابن عُقبة بن السَّكُون بن أشرس ، وإخوة عدى هم : تُجِيب عرفوا بأمهم

(١) هو فى تفسير ابن كثير : ابن غيطلة ، وغيطلة أمه

. . . .

تُجِيب بنت دُهْم بن ثوبان ، وهم من كِنْدة ، وكل من فى الناس وغيرهما مِلْكان مكسور الميم ساكن اللام ، وقال مشايخ خزاعة : فى خزاعة مَلَكَان(١) بفتح الميم ، قال القاضى : يعنى ابن حبيب : مَلَكان بن أفصى بن حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر ، وقال غير ابن حبيب كالذى يخرج من عبارته : إن الذى فى خُزَاعة إنما هو مِلْكان بن أفصى مثل مِلْكان بن عدى بن عبد مناة من الرباب الذين منهم ذو الرُّمة الشاعر ، ومثل مِلْكان بن عَبْدمناة من الرباب أيضاً رهط سُفْيان بن سَعِيد الثَّورى . وذكر فى المستهزئين الأسود بن عَبْد يَغُوث الزهرى روى أنه لما أنزل اللهُ تعالى : ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِين﴾ نزل جبريل عليه السلام فحنا ظَهْرَ الأسود ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : خالى خالى(٢) ، فقال له جبريل : خَلِّ عنك ، ثم حناه حتى قتله ، ذكره الدَّارَقُطْنِى :

---

(١) ضبط أبو على القالى نقلا عن ابن الأنبارى ملكان بن حزم بن زبان بفتح الميم وسكون اللام فى ص ١٩٠ ح ٢ وفى ص ٢٠٩ ح ٣ قال : كل ما فى العرب : ملكان » بكسر الميم مع سكون اللام ، إلا ملكان » بفتح الميم وسكون اللام ، بن جرم بن ربان بالجيم والراء فى جرم وبالراء فى ربان . وقال البكرى فى التنبيه على أوهام القالى فى أماليه : » الذى فى جرم بن ربان هو : ملكان بفتح اللام والميم ، وليس هو بإسكان اللام كما أورده ، وكذلك ملكان بن عباد ابن عياض بن عقبة بن السكون ، وهذا باب واسع ، والذى ذكر منه أبو على برض » قليل ، من ثمد ، وغيض من فيض ، ص ١١٦ التنبيه ط ٢

(٢) هو ابن خال النبى صلى الله عليه وسلم لا خاله ، وقد اضطربت الروايات فى مصيره ، فإحداهن ماذكر ابن إسحاق فى السيرة ، والثانية هذه التى نقلها السهيلى عن الدارقطنى . وهى عند ابن أبى حاتم والبلاذرى عن عكرمة ، وأنه حنا ظهره حتى احقوقف صدره ، أى انحنى ، وأخرى أنه خرج من عند أهله حتى فأصابته

. . . .

حديث الوليد بن المغيرة :

فصل : وذكر وفاةَ الوليـــد بن المغيرة ، وقولَه لبنيه : وعُقْرى عند أبى أُزَيْهِر الدَّوْسِى لاتدعوه[1] الْعُقْرُ : دِيَةُ الْفَرْجِ الْمَغْصُوبِ ، وأصلُه فى الْبِكر من أجل التَّدْمِية ، ومنه عَقَر السَّرْجُ الْفَرَسَ : إذا أدماه ، وبَيْضَةُ الْعُقْرِ منه ؛ لأنهم كانوا يقيسون البِكر بالْبَيْضَةِ[2] ، ليعرفوا بكورتها ، وقيل : عُقْر بضم العين ، لأنه بمعنى بِضع .

عن مقتل أبى أزيهر وموقف دوس :

وذكر قَتْل هشامِ بن الوليد لأبى أُزَيْهِر وخبرَ أم غَيْلان مع ضِرَار حين أجارته ، ومن تمام الخبر : أن دَوْسا لما بلغها مقتلُ أبى أزيهر الدوسى ، وثبت على رجال من قريش كانوا عندهم ، فقتلوا منهم بُجَيْر بن الْعَوَّام أخا الزُّبَيْر ، وأرادوا قتلَ ضِرارِ بن الخطاب ، فأجارته أمُّ غَيْلَان وابنُها عوف ، قال ضرار : لقد أدخلتنى بين درعها وبدنها ، حتى إنى لأجد تَسْبِيدَ رُكَبِها ، والتَّسْبيد : موضع الحَلْق من الشعر ، وكان الذى قتل بُجَيْراً صبيحُ بن سعد أو مَليح ابن سَعْد جد أبى هُرَيْرَة لأمه ؛ لأن أمَّه أميمة بنتَ مَليح أو صبيح .

= السموم ، حتى صار حبشيا ، فلم يعرفه أهله ، فصار يطوف بشعاب مكة ، حتى مات عطشا ، وأخرى أنه عطش ، فشرب حتى انشق بطنه ، وأخرى . وأخرى . فهل يسكن قلب إلى مثل هذه المضطربات ؟

(١) الذى فى السيرة : فلا يفوتنكم .

(٢) فى القاموس عن العقر أنه استبراء المرأة ، لينظر أبكر هى أم غير بكر .

. . . .

عن أطرقا ومن أعظامه أثر :

فصل : وذكر شعر عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة وفيه :

وأن تتركوا ماءً بِجِزْعَةِ أَطْرِقا

والجِزْعَةُ والجِزْعُ بمعنى واحد ، وهو معظم الوادى ، وقال ابن الأعرابى: هو ما انثنى منه ، وأطْرِقا اسم عَلَمَ لموضع سمى بفعل الأمر للاثنين ، فهو مَحْكِيٌّ لا يُعْرَبُ ، وقيل : إن أصل تسميته بذلك أن ثلاثةَ نفر مروا بها خائفين ، فسمع أحدهم صوتا ، فقال لصاحبيه : أطْرِقا ، أى : أَنْصتا ، حتى نرى ما هذا الصوت ، فسمى المكان بأطْرِقا[1] ، والله أعلم . وذكَرَ شِعْر الجَوْنِ بن أبى الجَوْن ، وفيه :

ألم تُقسِموا تُؤْتُوا الوليد ظُلامَةً

أراد : أن تؤتوا ، ومعناه : أن لَا تُوتوا كما جاء فى التنزيل : (يُبَيِّنُ اللهُ لكم أن تضِلوا) النساء : ١٧٦ فى قول طائفة ، ومعناه عندى : كره لكم أن تَضِلُّوا[2] ، وقد قدمنا فى الجزء قبل هذا كلام على أن ، ومقتضاها وشيئا من

---

(١) هو كما ذكر فى مراصد الاطلاع ، وفيه أن أطرقا موضع بنواحى مكة من منازل خزاعة وهذيل .

(٢) يقول البيضاوى فى تفسير الآية : « أى يبين الله لكم ضلالكم الذى من شأنكم إذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه ، وتتحروا خلافه ، أو يبين لكم الحق والصواب كراهة أن تضلوا ، وقيل : لئلا تضلوا ، فحذف لا ، وهو قول الكوفيين »

. . . .

أسرارها فيه غنية ، وإذا كان الـكلامُ محمولا على معناها فالنصب جائزٌ ، والرَّفع جائز أيضا ، كما أنشدوا :

ألا أيُّهذَا الزَّاجِرِى أحْضُرَ الْوَغى(١)

بنصب : أحضُرَ ورفعه ، وأنشد سِيبَوَيْه :

وَنَهْنَهْتُ نفسِى بعدما كِدْتُ أفعَلَه(٢)

يريد : أن أفعلَه ، وإذا رفعت فى هذا الموضع لم يُذْهِب الرفعُ معنى أن فقد

---

(١) البيت من معلقة طرفة بن العبد البكرى ، وبقيته :

وأن أشهد اللذات هل أنت مخـــلدى

وبعده :

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتى فذرنى أبادرها بما ملكت يدى

والبيت من شواهد سيبويه فى الكتاب ص ٤٥٢ ج ١ ، ويستدل به الكوفيون على أن أن الناصبة تعمل فى غير المواضع المعدودة ، ودليلهم : أن الشاعر عطف عليه قوله : وأن أشـــهد . ومنع البصريون ذلك بأن عوامل الأفعال ضعيفة لا تعمل مع الحذف ، وإذا حذفت ارتفع الفعل . وقالوا : إن رواية البيت عندهم إنما هى بالرفع . انظر ص ٨٣ ج ١ خزانة الأدب ص ٣٣٨ شرح شواهد ابن عقيل للشيخ عبد المنعم الجرجاوى ط ١٩١٤ ، ص ٤٥٢ ج ١ الكتاب لسيبويه

(٢) هو من شواهد سيبويه . وقد نسبه إلى عامر بن جوين الطائى ، وأوله :

فلم أر مثلها خباسة واحد

وقد عقب عليه سيبويه بقوله : « حمله على أن ؛ لأن الشعر قد يستعملون أن ههنا مضطرين كثيرا » ص ١٥٥ ج ١ الكتاب لسيبويه ، وقال عنه اللسان : هو لعمرو بن جوين ، أو امرىء القيس ، وفيه : واجد بدلا من : واحد . ونقل عن سيبويه ما قاله . والخباسة : المغنم .

. . . .

حكى سيبويه : مره يحفرها(١) ، وقدره تقديرين ، أحدهما : أن يريدَ الحال أى : مُرْه حافِراً لهـا ، والثانى : أن يريد : مُرْه أن يحفرَها ، وارتفع الفعل لما ذهبت أن من اللفظ ، وبَيَّن ابنُ جنى الفرقَ بين التقديرين ، وقال : إذا نويت أن فالفعلُ مستقبل ، وإذا لم تَنْوِها فالفعل حاضر ، وهُهُنا مسألةٌ من العرب ذكرها الطبرى ، قال : العرب تقول لمن توجه فى أمر : تصنع ماذا وتفعل ؟ماذا على تقدير : تريد أن تصنع ماذا ، فإذا قالوا : تريد ماذا لم يكن إلا رفعا ، لأن المعنى الذى يجلب معنى أن الناصبة ليس فى قوله : تريد ؛ إذ لا يستقيم أن تقول : تريد أن تريد ماذا ، يعنى : أن الإرادة لا تُراد .

شعر الجون :

وذكر شعر الجَوْن أيضا ، وفيه :

بهـا يمشى الْمُعَلْهَجُ والْمَهِيرُ

المهير : ابن المهورة الحُرَّة والْمُعَلْهَجُ : المتردد فى الإماء(٢) كأنه منحوت من

---

(١) ورد قوله هذا فى ص ٤٥١ وما بعدها ج ١ الكتاب لسيبويه ، وهو من شواهده المذكورة تحت باب : « هذا باب من الجزاء ينجزم فيه الفعل إذا كان جوابا لأمر أو نهى أو استفهام أو تمن أو عرض »

(٢) فى شرح السيرة لأبى ذر الخشنى : « والمهير : الصحيح النسب ، يريد أن أمه حرة بمهر ، والمعلهج : المطعون عليه فى فيه ، وهو الأحمق أيضاً » وفى اللسان : المعلهج أن يؤخذ الجلد فيقدم إلى النار حتى يلين ، فيمضغ ، ويبلع ، وكان ذلك من مأكل القوم فى المجاعات . . والمعلهج : الذى ولد من جنسين مختلفين ، والذى ليس بخالص النسب .

. . . .

أصلين : من العِلْج لأن الأمة : عِلْجَة ، ومن اللَّهَج(١) ، كأن وَاطِىءَ الأَمَةِ قد لَهِجَ بها ، فَنُحِتَ لفظ المُعَلْهَج من هذين اللفظين .

وفيـــه :

كما أرْسَى بِمَثْبَتِه ثَبِيرُ

كذا صحت الرواية فى أرسى بالتخفيف وهو زِحاف داخلٌ على زحاف : لأن تسكينَ اللام مِن مُفَاعَلَتُن فى الوافر زِحاف ، ولكنه حَسَنٌ كثير ، فلما كثر شَبَّهه هذَا الشاعرُ بمفَاعيل ؛ لأنه على وزنه ، ومَفَاعِيلُنْ يَحْسُن حذفُ الياء منها فى الطويل ، فيصير فَعُولن مَفَاعِلُن فلذلك أَدْخَل هذا الشاعرُ الزحافَ على مُفَاعَلْتُن لأنه بعد السكون فى وزن مفاعيلن التى تحذف ياؤها حذفا مستحسنا ، فتدبره ، فإنه مليح فى علم العروض(٢) .

من أسواق العرب :

فصل : وأنشد لحسَّانِ بن ثابت :

---

(١) من معانى العلج : الرجل من كفار العجم . واللهج : الولوع بالشىء . ولهج به إذا أغرى به ، فثابر عليه ، ومن معانى القصيدة كما ذكر الخشنى . أرسى : استقر وثبت ، والزعاف : الذى فيه السم ، والبهير من البهر وهو انقطاع النفس ، والمسلحب : الممتد وبالحاء المهملة ذكره صاحب كتاب العين لاغير . وعند وجبه : أى سقطته والخوز : العزيزات اللبن

(٢) سبق الكلام عن هذه المصطلحات .

. . . .

غدا أهلُ ضَوْجَىْ ذى المجاز بُسحْرَةٍ(١)

ضَوْجُ الوادى : جانبه ، وذو المجاز : سوقٌ عند عَرَفَةَ كانت العربُ إذا حَجَّت أقامت بسوق عكاظٍ شهرَ شَوَّالٍ ، ثم تنتقل إلى سوق مَجَنَّة(٢) فتقيم فيه عشرين يوما من ذى القَعْدَة ، ثم تنتقل إلى سوق ذى المجاز(٣) فتقيم فيه إلى أيام الحج ، وكانوا يتفاخرون فى سوق عكاظ شهر شوال إذا اجتمعوا ، ويقال : عَكَظَ الرجلُ صاحبَه إذا فاخره وغَلَبَه بالمفاخرة ، فسُميت عُكَاظ لذلك(٤) .

---

(١) السحرة : السحر الأعلى . والبيت فى الفسخ التى بين يدى ، وفى شرح السيرة للخشنى : غدا أهل ضوجى ذى المجاز كليهما .

(٢) فى المراصد عن مجنة : اسم سوق للعرب كانت فى الجاهلية ، قيل : بمر الظهران . قرب جبل يقال له : الأصفر كانت به تقوم العشر الأواخر من ذى القعدة ، وقبلها من أوله عكاظ ، وقيل مجنة : بلد على أميال من مكة ، وقيل : جبيل بجنب طفيل ، وهو لبنى الديل . ويقول ياقوت فى معجمه : وإياه أراد بلال حين كان يتمثل :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد ، وحولى أذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

(٣) ذو المجاز : موضع سوق بعرفه على ناحية كبكب عن يمين الإمام على فرسخ . كانت به تقوم فى الجاهلية ثمانية أيام ، وقيل : هو ماء من أصل كبكب لهذيل خلف عرفة . وكبكب جبل خلف عرفات مشرف عليه . قيل هو الجبل الأحمر الذى يجعله الوائف بعرفة فى ظهره .

(٤) فى القاموس . عكظه يعكظه : حبسه وعركه ، وتهره ورد عليه فخره ، وكغراب : سوق بصحراء بين نخلة والطائف ، كانت تقوم هلال ذى القعدة ، وتستمر عشرين يوما . وتجتمع قبائل العرب ، فيتعاكظون ، أى يتفاخرون ويتناشدون .

. . . .

وذكر :

لَبَلَّ نِعالَ القوم مُغْتَبِطٌ وَرْدُ

يعني : الدَّمَ الْعَبِيطَ(١) .

ما أنزل الله في الربا

فصل : وذكر ما أنزل الله في الربا الآيات من سورة البقرة ، وقد قدمنا في حديث بنيان الكعبة من قولهم : لاتنفقوا فيها رِباً ولا مَهْرَ بغِيٍّ ، وأن في ذلك دليلا على قِدَم تحريمه عليهم في شرع إبراهيمَ عليه السلام ، أوفي غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين(٢) وذلك أنَّه من أقبح الأعمال لما فيه من هَدْم جانب المروءة ، وإيثار الحرص مع بعد الأمل ، ونسيان بَغْتة الأجل ، وترك التوسعة وحسن المعاملة ، ومن تأمل أبوابَ الرِّبا لاح له شر التحريم من جهة الجَشَع المانع من حسن المعاشرة والذَّريعة إلى ترك الْقَرْض ، ومافيه ، وفي التوسعة من مكارم الأخلاق ، ولذلك قال سبحانه : ﴿ فإن لم تفعلوا فأْذَنوا بِحَرْبٍ من الله ورسوله(٣) ﴾ البقرة : ٢٧٩ . غضبا منه على أهله ، ولهذه النُّكتة

---

(١) الخالص الطري .

(٢) ورد في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر الخروج أحد أسفار العهد القديم الذي بيد اليهود والمسيحيين : « إن أقرضت فضة لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكون له كالمرابي لا تضعوا عليه ربا) رقم ٢٦ .

(٣) يقول الإمام ابن القيم حول هذه الآية : ولم يجيء هذا الوعيد في كبيرة سوى الربا ، وقطع الطريق ، والسعي في الأرض بالفساد ، لأن كل واحد منهما مفسد في الأرض ، قاطع الطريق على الناس . هذا بقهره لهم ، وتسلطه عليهم ،=

. . . .

فقالت عائشة لأم محبة مولاة زيد بن أرقم : أبلغي زيداً تعني زَيْدَ بن أرقم أن قد أَبْطَلَ جهادَه مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين ذكرت لها عنه مسألةً من البيوع تشبه الربا ، فقالت : أَبْطَلَ جهادَه ، ولم تقل صَلاتَه ولاصيامه ، لأن السيئات لا تُحْبِط الحَسَناتِ ، ولكن خصَّت الجهادَ بالإبطال ، لأنه حرب لأعداء الله ، وآكلُ الربا قد أذن بحربٍ من الله ، فهو ضده ، ولا يجتمع الضدان ، وهذا معنًى ذكره أبو الحسن بن بطال فى شرح الجامع ، وتلك المسألة مذكورة فى المُدَوَّنة ، لكن إسنادُها إلى عائشة ضعيف .

وفاة أبي طالب ووصيته

ذكر ابن إسحاق وفاة أبي طالب إلى آخر القصة ، وفيها قال العباس : والله لقد قال أخي الكلمة التى أمرته بها ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : لم أسمع .

= وهذا بامتناعه من تفريج كرباتهم إلا بتحميلهم كربات أشد منها ، فأخبر عن قطاع الطريق بأنهم يحاربون الله ورسوله ، وآذن هؤلاء إن لم يتركوا الربا بحربه وحرب رسوله » التفسير القيم لابن القيم ص ١٧٢ ط السنة المحمدية ١٣٦٨ ، ١٩٤٩ . وقد ورد حديث « لعن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — آكل الربا ، وموكله وشاهديه . وكاتبه الخ » وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة . جنبنا الله لعنته .

من معانى قصيدة ضرار بن الخطاب : الشعث : المتغيرات الشعور ، العواطل : اللائى لا حلى لهن . الشعاب : جمع شعبة ، وهو مسيل الماء فى الحرة ، والقوابل : التى تقابل بعضها بعضا ، الشراج : جمع شرج وهو مسيل الماء من الحرة إلى السهل . الونى : الضعف والفتور ، ونصل السيف : حده . « عن شرح السيرة لأبي ذر والقاموس » .

قال المؤلف : شهادة العباس لأبى طالب لو أداها بعد ما أسلم ، لـكانت مقبولةً ، ولم يرد بقوله لم أسمع ، لأن الشاهد العدل إذا قال : سمعت ، وقال من هو أعدل منه : لم أسمع أخِذَ بقول من أثبت السماع ، لأن عدم السماع يحتمل أسبابا منعت الشاهد من السمع ، ولـكن العباس شهد بذلك قبل أن يُسْلِمَ مع أن الصحيحَ من الأثر ، قد أثبت لأبى طالب الوفاةَ على الـكفر والشرك[1] وأثبت نزول هذه الآية فيه : ﴿ ما كان لِلنَّبِيِّ والذين آمنوا أن يَسْتَغْفِروا لِلْمُشْرِكين ﴾ التوبة : ١١٣ وثبت فى الصحيح أيضا أن العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أبا طالب كان يَحُوطك وينصرك ، ويغضب لك ، فهل ينفعه ذلك ؟ قال : « نعم وجدته فى غَمَرَاتٍ من النار، فأخرجته إلى ضَحْضَاح » وفى الصحيح أيضاً من طريق أبى سعيد ، أنه ـ عليه السلام ـ قال : لعله تنفعه شَفَاعَتى يوم القيامة، فيجعل فى ضَحْضَاحٍ من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه» وفى رواية أخرى : كما يغلى الْمِرْجَلُ بالْقُمْقُم ، وهى مُشْكِلة[2] ، وقال بعض أهل العلم :

---

(١) أخرج الإمام أحمد بسنده عن ابن المسيب عن أبيه قال : « لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي — ص — وعنده أبو جهل ، وعبد الله بن أبى أمية . فقال : أى عم ، قل : لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله عز وجل . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال : أنا على ملة عبد المطلب ، فقال النبي - ص - لأستغفرن لك مالم أنه عنك، فنزلت : (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين. ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) قال : ونزلت فيه : (إنك لا تهدى من أحببت ، ولـكن الله يهدى من يشاء) وقد أخرجه البخارى ومسلم

(٢) لأن المرجل : قدر من نحاس ، والقمقم أيضا : ما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره . ويكون ضيق الرأس ، ويقول ابن الأثير فى النهاية تعليقا على هذه

. . . .

القُمْقُم : هو البُسْرُ الأخضر يُطبخ فى المِرْجَل استعجالا لنضجه ، يفعل ذلك أهل الحاجة ، وفى رواية يونس عن ابن إسحاق زيادة ، وهى أنه قال : يغلى منها دماغُه حتى يسيلَ على قدميه ، ومن باب النظر فى حكمة الله ، ومشاكلة الجزاء للعمل أن أبا طالب كان مع رسول الله بجملته مُتحَزِّبا له ، إلا أنه مثبت لقدميه على مِلَّة عبد المطلب ، حتى قال عند الموت : أنا على مِلَّة عبد المطلب ، فسُلِّط العذابُ على قدميه خاصَّةً لتثبيته إياهما على ملة آبائه ، ثبتنا الله على الصراط المستقيم .

وذكر قول الله تعالى : ﴿ ما كان للنَّبىِّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ التوبة : ١٣ وقد استغفر عليه السلام يوم أُحُدٍ فقال : اللهم اغفر لقومى ، فإنهم لايعلمون ، وذلك حين جَرَح المشركون وجهه وقَتلوا عمَّه . وكثيرا من أصحابه ، ولايصح أن تكون الآية نزلت فى عمه ناسخةً لاستغفاره يوم أُحُدٍ ، لأنَّ وفاةَ عمه كانت قبل ذلك بمكة ، ولاينسخ المتقدمُ المتأخرَ ، وقد أجيب عن هذا السؤال بأجوبة : أن قيل : استغفارُه لقومه مشروطٌ بتوبتهم من الشرك ، كأنه أراد الدعاء لهم بالتوبة حتى يغفر لهم ويُقوِّى هذا القول روايةُ من روى : اللهم اهْدِ قومى فإنهم لايعلمون ، وقد ذكرها ابن إسحاق ، رواها عنه بعض رواة الكتاب بهذا اللفظ ، وقيل مغفرة تَصْرف عنهم عقوبة الدنيا من المَسْخ والخَسْف ، ونحو ذلك ، ووجه

= الرواية : « هكذا روى ، ورواه بعضهم : كما يغلى المرجل والقمقم وهو أبين إن ساعدته صحة الرواية »

. . . .

ثالث ، وهو أن تكون الآية تأخر نزولها ، فنزلت بالمدينة ناسخةً للاستغفار للمشركين ، فيكون سبب نزولها متقدما ، ونزولها متأخراً لاسيما ، وهى فى سورة براءة وبراءةُ ، من آخر ما نزل ، فتكون على هذا ناسخةً للاستغفارين جميعا ، وفى الصحيح أن رسولَ الله ـ صلى الله عليه سلم ـ دخل على أبى طالب عند موته ، وعنده أبو جهل ، وعبد الله بن أبى أمية ، فقال : ياعَمٍّ قل : لا إله إلا الله كلمةً أشهد لك بها عند الله ، فقال له أبو جهل وابن أبى أمية : أترغبُ عن مِلَّة عبد المطلب ، فقال : أنا على ملة عبد المطلب ، وظاهر الحديث يقتضى أن عبد المطلب مات على الشرك ، ووجدت فى بعض كتب المسعودى اختلافا فى عبد المطلب ، وأنه قد قال فيه : مات مسلما لما رأى من الدلائل على نُبُّوة محمدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلم أنه لا يبعث إلا بالتوحيد[1] ، فالله أعلم ، غير أن فى مسند البزار ، وفى كتاب النسوى من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لفاطمة ، وقد عَزَّت قوما من الأنصار عن ميِّتهم : لعلك بلغت معهم الْكُدَى ، ويروى الكرى بالراء ، يعنى : القبور ، فقالت : لا ، فقال : لو كنت معهم الْكُدَى[2] أو كما قال ، ما رأيت

---

(١) النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه لم يكن يعلم شيئا عن نبوته قبل المبعث تدبر قول ربنا سبحانه : (ووجدك ضالا فهدى) وقوله : (ماكنت تدرى ماالكتاب ولاالإيمان).

(٢) الرواية لو بلغت معهم الكدى ، أو : لو بلغتها معهم . وقد ورد تفسير الكدى بالقبور عن ربيعة بن سيف من تابعى أهل مصر ، وفيه مقال لا يقدح فى حسن الإسناد ، وفى الرواية أن الرسول «ص» حين سأل فاطمة عن ذلك أنها قالت له : معاذ الله ، وقد سمعتك تذكر فيها ماتذكر . رواه أبوداود والنسائى

. . . .

الجنةَ ، حتى يراها جدُّ أبيك ، وقد أخرجه أبو داود ، ولم يذكر فيه حتى يدخلها جد أبيك ، وكذلك لم يذكر فيه : مادخلت الجنة ، وفي قوله : جد أبيك ، ولم يقل : جدك يعني : أباه توطئة للحديث الضعيف الذي قدمنا ذكره أن الله أحيا أمه وأباه ، وآمنا به ، فالله أعلم ، ويحتمل أن يكون أراد تخويفها بقوله : حتى يدخلها جد أبيك ، فتتوهم أنه الجد الكافر ، ومن جدوده عليه السلام : إسماعيل وإبراهيم ، لأن قوله عليه السلام حق ، وبلوغها معهم الْكُدَى لا يوجب خلودا في النار ، فهذا من لطيف الكناية فافهمه ، وحكى عن هشام ابن السائب أو ابنه أنه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش ، فأوصاهم ، فقال : يامَعْشَرَ قريش ، أنتم صَفْوةُ الله من خلقه ، وقلبُ العرب ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقــدم الشجاع ، والواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحْرَزْتموه ، ولا شَرَفا إلا أدركتموه ، فلكم بذلكم على الناس الفضيلةُ ولهم به إليكم الوسيلة ، والناسُ لكم حِزْب ، وعلى حربكم أَلْبٌ ، وإني أوصيكم بتعظيم هذه الْبَنِيَّة[1] ، فإن فيها مَرْضاةً للرب ، وقواما للمعاش ، وَثَبَاتا لِلْوَطْأة ، صِلوا أرحامكم ولا تقطعوها ، فإن في صلة الرحِمِ مَنْسَأَةً في الأجل ، وسِعةً في العدد ، واتركوا الْبَغْى والْعُقوقَ ، ففيهما هَلَكَة القرون قبلكم ، أجيبوا الداعى ، وأعطوا السائل ، فإن فيهما شرف الحياة والممات ، عليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، فإن فيهما محبةً في الخاص ، ومَكْرُمةً في العامِّ ، وإني أوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين

---

(١) البنية : الكعبة .

. . . .

فى قريش ، والصديق فى العرب ، وهو الجامع لـكل ما أوصيتكم به ، وقد جاء بأمرٍ قبله الجَنَانُ ، وأنـكره اللِّسان مخافةَ الشّنآنِ ، وايم الله كأنى أنظر إلى صَعَاليك[1] العَرب ، وأهل البر فى الأطراف والمُسْتَضْعَفِين من الناس ، قد أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمَته وعظموا أمره ، فخاض بهم غَمَراتِ الموت ، فصارت رؤساء قريش وصناديدُها أذنابا ودورُها خرابا ، وضعفاؤها أربابا ، وإذا أعظمُهم عليه ، أحْوَجهم إليه ، وأبعَدهم منه ، أحظاهم عنده ، قد محَضَتْه العربُ ودادَها ، وأصفَتْ له فُؤادَها ، وأعطته قيادَها ، دونـكم يامعشرَ قريش ابن أبيكم ، كونوا له ولاةً ولحزبه حُمَاةً ، واللهِ لايسلك أحدٌ منكم سبيلَه إلا رَشَد ، ولا يأخذ أحد بهَدْيه إلا سَعِد ، ولو كان لنفسى مدة ، ولأجلى تأخير ، لـكَفَفْتُ عنه الهَزَاهِز[2] ، ولدافعتُ عنه الدَّواهى ، ثم هلك :

تفسير المشى فى سورة ص :

فصل : وذكر ماأنزل الله تعالى فى قولهم : ﴿ أنِ امْشُوا ، واصْبِروا على آلهتِكم ﴾ وذكر بعض أهل التفسير أن قولهم : امُشُوا من المَشَاءِ ، لامن المَشْيِ والمَشَاء : نماء المال وزيادته ، يقال مَشَى الرجلُ ، وأَمْشَى : إذا نما مالُه. قال الشاعر :

وكُلُّ فَتىً وإن أَمْشَى وأثْرَى ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ سَتَخْلِجُه عن الدُّنيا مَنُون[3]

(١) جمع : صعلوك : الفقير

(٢) الهزاهز : الفتن يهتز فيها الناس . وفى الأصل : عند الهزاهر وهو خطأ!

(٣) البيت للنابغة الذبيانى ، وبعده :

وكل فــتى بما عملت يداه ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ وما أجرت عوامــله رهين

. . . .

وقال الراجز :

والشَّاةُ لَا تَمْشِي على الْهَمَلَّعِ(١)

أى : لاتَكْثُر ، والْهَمَلَّعُ : الذئب ، وقاله الخطابى فى معنى الآية ، كأنهم أرادوا أن الْمَشَاءَ والبركة فى صبرهم على آلهتهم ، وحَمْلُهَا على الْمَشْى أظهر فى اللغة ، والله أعلم .

تتابع المصائب بموت خديجة :

وذكر تَتَابُعَ المصائبِ على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بِموت خديجة ثم بموت عمه ، وذكر الزبير فى حديث أسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على خديجةَ ، وهىفى الموت ، فقال: تكرهين ما أرى منك ياخديجة،

---

(١) الرجز غير منسوب فى اللسان إلى أحد فى مادتى هملع ، ومادة مشى ، وهو فى هذه هكذا :

مثلى لا تحسن قولا فعفعى
العير لا يمشى مع الهملع
لا تأمرينى ببنات أسفع

يعنى الغنم ، وأسفع : اسم كبش
وفى مادة هملع :

لاتأمرينى ببنات أسفع
فالشاة لا تمشى مع الهملع

والهملع والسملع : الذئب الخفيف ، وقوله لاتمشى مع الهملع ، أى : لا تكثر مع الذئب .

الرسول يسعى إلى الطائف

قال ابن إسحاق : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله — صلى الله عليه وسلم من الأذى مالم تكن تنال منه فى حياة عمِّه أبى طالب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، يلتمس النُّصرة من ثقيف ، والمَنعة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عزّ وجلّ ، فخرج إليهم وحدَه .

موقف ثقيف من الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظى ، قال : لما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، عَمَد إلى نَفَر من ثقيف ، هم يومئذ سادةُ ثقيف وأشرافهم ، وهم إخوة ثلاثه : عَبْد يالَيْل بن عمرو بن عُمير ، ومسعود بن عَمرو بن عُمير ، وحَبيب بن عمرو بن عُمير بن عوف بن

وقد يجعل الله فى الكره خيرا أشعرت أن الله قد أعلمنى أنه سَيُزَوِّجنى معك فى الجنة مريمَ ابنةَ عِمران ، وكُلْثوم أخت موسى ، وآسية امرأةَ فِرْعَوْن ، فقالت . آلله أعلمَك بهذا يارسول الله ؟ فقال: نعم ، فقالت : بالرفاء والبنين ، وذكر أيضاً فى الحديث أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أطعمَ خديجةَ من عِنَبِ الجنة [1] ؟ .

(١) ليس لهذا سند صحيح

عُقْدة بن غِيَرَة بن عَوْف بن ثقيف ، وعند أحدهم امرأة من قُرَيش من بنى جُمح ، فجلس إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم إلى الله ، وكلَّمهم بما جاءهم له من نُصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه؛ فقال له أحدهم: هو يَمْرُط ثيابَ الكعبة إن كان الله أرسلك ؛ وقال الآخر : أما وجد الله أحداً يُرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً . لئن كنتَ رسولاً من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطرا من أن أرُدّ عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ، ماينبغى لى أن أكلِّمك . فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم — فيما ذُكر لى — : إذا فعلتم مافعلتم فاكتُموا عنى ، وكَره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومَه عنه ، فيُذْئرهم ذلك عليه . قال ابن هشام : قال عَبيد بن الأبرص :

ولقَدْ أتانى عَن تَمــيم أنهُم   ذَئِرُوا لقَتْلَى عامر وتعصّبوا

فلم يفعلوا ، وأغرَوا به سفاءهم وعَبيدَهم ، يسبونه ويَصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجئوه إلى حائط لعُتبة بن ربيعة وشَيْبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعَمَد إلى ظلّ حَبَلة من عنب ، فجلس فيه . وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويَرَيان مالقى من سُفهاء أهل الطائف ، وقد لقى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذُكر لى — المرأةَ التى من بنى جُمَح ، فقال لها : ماذا لَقِينا من أحمائك ؟

فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : فيما ذُكر لى : اللّهمّ إليك أشكو ضَعْف قُوّتى ، وقِلَّة حيلتى ، وهَوانِى على الناس ، يا أرحم الراحمين ،

أنت ربّ المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى مَنْ تَـكِلُنِي ؟ إلى بعيد يتجهّمنى ؟ أم إلى عدوّ مَلَّـكْتَه أمرى ؟ إن لم يكن بك علىّ غَضَب فلا أُبالى ، ولـكن عافيتَك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وَجْهك الذى أشرقتْ له الظُّلمات ، وصَلَح عليه أمرُ الدنيا والآخرة من أنْ تُنزل بى غضبك ، أو يحلّ علىّ سُخْطك ، لك العُتبى حتى تَرْضَى ، ولاحول ولاقوّة إلا بك .

قال : فلما رآه ابنا رَبيعة ، عُتْبةُ وشَيْبةُ ، ومالَقِى ، تحرّكت له رَحِمُهُما فدَعَوا غلاما لهما نَصرانيا ، يقال له عدّاس فقالا له : خذ قِطْفا من العنب ، فضَعْه فى هذا الطَّبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأ كل منه . ففعل عَدّاسٌ ، ثم أقبل به حتى وَضعه بين يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال له : كُل ، فلمّا وضع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيه يَده ، قال : باسم الله ، ثم أ كل ، فنظر عَدّاس فى وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الـكلامَ مايقوله أهلُ هذه البلاد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومِنْ أهل أىّ البلاد أنت ياعَدّاس ، وما دينك ؟ قال : نَصْرَانى ، وأنا رجل من أهل نِينوى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ فقال له عَدّاس : وما يُدْريك ما يونسُ بن متى ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخى ، كان نبيًا وأنا نبى ، فأ كبّ عَدّاس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبِّل رأسَه ويدَيْه وقدَميه .

قال : يقول ابنا ربيعة أحدُهما لصاحبه : أمّا غُلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءهما عَدّاس ، قالا له : ويلك ياعدّاس ! مالك تقبِّل رأسَ هذا الرجلَ ويدَيه وقدميه ؟ قال : ياسيدى مافى الأرض شىء خير من هذا ، لقد أخبرنى

بأمر مايَعلمه إلا نبيّ ، قالا له : ويحك ياعَدّاس ، لا يَصْرفنَّك عن دينك ، فإنّ دينَك خير من دينه .

أمر جن نصيبين

قال : ثم إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — انصرف من الطائف راجعا إلى مكة ، حين يَئِس من خَيْر ثقيف ، حتى إذا كان بنَخلة قام من جَوْف الليل يصلى ، فمرّ به النَّفر من الجنّ الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، وهم — فيما ذكر لى — سبعة نفر من جنّ أهل نَصيبين فاستمعوا له ، فلما فرَغ من صلاته ولّوْا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ماسمعوا . فقصّ الله خبرَهم عليه صلى الله عليه وسلم ، قال الله عزّ وجلّ ﴿ وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنّ يَسْتَمِعونَ القرآنَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ويُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنّ ﴾ إلى آخر القصة من خبرهم فى هذه السورة .

عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل

قال ابن إسحاق : ثم قَدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وقومُه أشد ما كانوا عليه من خِلافه وفراق دينه ، إلا قليلا مُسْتضْعَفين ، ممن آمن به . فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعْرض نفسَه فى المَواسم ، إذا كانت ،

على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ، ويخبرهم أنه نبىّ مُرْسَل ، ويسألهم أن يصدّقوه وَيمنعوه حتى يبين عن الله مابعثه به .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من أصحابنا ، من لاأتهم ، عن زَيد بن أسْلَم عن ربيعة بن عِبَادٍ الدِّيلى أو مَن حدثه أبو الزناد عنه ـ قال ابن هشام : ربيعة ابن عِبَاد .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حُسَين بن عبد الله بن عُبيد الله بن عبّاسٍ ، قال : سمعت ربيعة بن عباد ، يحدثه أبى ، قال : إنى لغلام شاب مع أبى بمِنَى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يابنى فلان ، إنى رسولُ الله إليكم ، يأمركم أن تَعْبُدوا الله ولاتشركوا به شيئا، وأن تَخْلَعُوا ماتعبدون من دونه من هذه الأنْداد ، وأن تؤمنوا بى، وتصدّقوا بى ، وتمنعونى ، حتى أُبيِّن عن الله مابعثنى به . قال : وخَلْفه رجل أحْوَلُ وَضىء ، له غَديرَتان عليه حُلّة عَدَنيّة ، فإذا فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من قوله ، وما دعا إليه ، قال ذلك الرجل : يا بَنى فلان ، إنّ هذا إنما يدعوكم أن تسلُخوا اللات والعُزّى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجنّ من بَنى مالك ابن أُقَيْش ، إلى ماجاء به من البِدْعة والضلالة ، فلاتُطيعوه ، ولاتسمعوامنه .

قال : فقلت لأبى : ياأبت ، مَن هذا الذى يتبعه ويردّ عليه مايقول ؟ قال : هذا عمّه عبد العُزّى بن عبد المطّلب ، أبو لهب .

قال ابن هشام : قال النابغة :

كأنَّك مِنْ جمال بَنِي أُقَيْشٍ ... يُقَعْقَعُ خلفَ رجْلَيه بِشَنِ

قال ابن إسحاق : حدثنا ابنُ شهاب الزهريّ : أنه أتى كِنْدة فى منازلهم، وفيهم سيِّدلهم يقال له : مُلَيح ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرَض عليهم نفسَه، فأبَوْا عليه .

العرض على بنى كلب

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين : أنه أتى كَلْبا فى منازلهم ، إلى بَطْن منهم يقال لهم: بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسَه ، حتى إنه ليقولُ لهم : يابنى عبد الله ، إن الله عزّ وجلّ قد أحسن اسم أبيكم ، فلم يقبلوا منه ماعرض عليهم .

العرض على بنى حنيفة

قال ابن إسحاق: وحدثنى بعضُ أصحابنا عن عبدالله بن كعب بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بنِي حَنيفة فى منازلهم ، فدعاهم إلى الله وعَرض عليهم نفسه ، فلم يكن أحدٌ من العرب أقبحَ عليه ردا منهم .

العرض على بنى عامر

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى أنه أتى بَنى عامر بن صَعْصعة ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعَرَض عليهم نفسَه ، فقال له رجل منهم ـ يقال له :

بَيْحَرة بن فِرَاس. قال ابن هشام: فِراس بنُ عبد الله بن سَلمة بن قُشَير ابن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة: والله، لو أنى أخذت هذا الفتى من قُريش، لأكلتُ به العربَ، ثم قال: أرأيتَ إن نحن تابعناك على أمرك، ثم أظهرك اللهُ على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمرُ إلى الله يَضعه حيث يشاء، قال: فقال له: أفَنُهدِف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمرُ لغيرنا! لاحاجة لنا بأمرك، فأبَوْا عليه.

فلما صدر الناسُ رجعتْ بنو عامر إلى شيخ لهم، قد كانت أدركته السن، حتى لايقدر أن يُوافِيَ معهم المواسمَ، فكانوا إذا رجَعوا إليه حدَّثوه بما يكون فى ذلك المَوْسم، فلما قَدموا عليه ذلك العامَ سألهم عمَّا كان فى مَوْسمهم، فقالوا: جاءنا فَتًى من قُريش، ثم أحَدُ بنى عبد المطَّلب، يزعم أنه نَبيّ، يدعونا إلى أن نمنعه ونقومَ معه، ونخرج به إلى بلادنا. قال: فوضع الشيخ يَدَيْه على رأسه ثم قال: يابَنى عامر، هل لها من تَلاف، هل لِذُنابَاها من مَطْلب، والذى نَفسُ فلان بيده، ما تَقوّلها إسماعيلىّ قطّ، وإنها لحقّ، فأين رأيُكم كان عنكم.

عرض على العرب فى المواسم

قال ابن إسحاق: فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره، كلما اجتمع له الناسُ بالمَوْسم أتاهم يدعو القبائلَ إلى الله وإلى الإسلام، ويَعرِض عليهم نفسَه، وماجاء به من الله من الهُدى والرحمة، وهو لايسمع

بقادم يقدَم مكةَ من العرب ، له اسمٌ وشرف ، إلا تصدّى له ، فدعاه إلى الله ، وعرَض عليه ما عنده .

حديث سويد بن صامت

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عُمر بن قَتادة الأنصاريّ ، ثم الظَّفرىّ ، عن أشياخ من قومه ، قالوا :

قَدم سُويد بن صامت ، أخو بنى عمرو بن عوْف ، مكةَ حاجًّا أو مُعتمرا ، وكان سُوَيد إنما يسمّيه قومُه فيهم : الكاملَ ، لجَلَده وشعره وشَرفه ونَسبه ، وهو الذى يقول :

ألا رُبَّ مَن تدعو صَديقا ولَو تَرى ... مقالَته بالغَيبِ ساءك ما يَفرى
مقالَتُه كالشَّهد ما كان شاهداً ... وبالغَيْب مأثورٌ على ثُغْرة النحر
يَسُرُّك باديه وتحت أديمِه ... نميمةُ غشٍّ تَبْتَرى عَقَبَ الظَّهْر
تُبين لك العَيْنان ماهو كاتمٌ ... من الغِلِّ والبَغْضاء بالنظَر الشزر
فَرِشْنى بخيرٍ طالما قد بَرَيْتَنى ... وخيرُ الموالى من يَريش ولا يَبْرى

وهو الذى يقول : ونافر رجلا من بنى سُلَيم ، ثم أحد بنى زِعْبِ بن مالك مئة ناقة ، إلى كاهنة من كُهَّان العرب ، فقضتْ له . فانصرف عنها هو والسُّلمىّ ليس معهما غيرها ، فلما فرّقت بينهما الطريقُ ، قال : مالى ، يا أخا بنى سُلَيم قال : أبعثُ إليك به ؛ قال : فمن لى بذلك إذا فُتَّنى به ؟ قال : أنا ،

قال : كلا ، والذى نفس سُوَيدٍ بيده ، لاتفارقَنّى حتى أُوَتى بمالى ، فاتّخذا فضرب به الأرضَ ، ثم أوثقه رباطا ثم انطلق به إلى دار بَنى عمرو بن عوف ، فلم يزل عنده حتى بعثتْ إليه سُلَيم بالذى له ، فقال فى ذلك :

لاتحسبَنِّى يابن زُغبٍ بن مالكٍ ... كَمَن كنتَ تُرْدى بالغيوب وتَختِلُ

تحوّلت قِرْنا إذ صُرعتَ بعزّة ... كذلك إنَّ الحازمَ المتحوّل

ضَرَبتُ به إبْط الشمال فلم يَزَل ... على كلّ حال خدّه هو أسفل

فى أشعار كثيرة كان يقولها .

فتصدّى له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام ، فقال له سُوَيد : فلعلّ الذى معك مثلُ الذى معى ، فقال له رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال مَجَلّة لقمان ـ يعنى حكمة لقمان . فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها علىّ فعَرَضها عليه ، فقال له : إن هذا الكلامٌ حَسَنٌ ، والذى معى أفضلُ من هذا ، قرآن أنزله الله تعالى علىّ ، هو هُدًى ونور . فتلا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يَبْعُد منه ، وقال : إن هذا لقولٌ حسن . ثم انصرف عنه ، فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتلته الخزْرج ، فإن كان رجالٌ من قومه ليقولون : إنا لنراه قد قُتل وهو مُسْلم . وكان قَتْله قبل يوم بُعاث .

. . . .

إسلام إياس بن معاذ وقصة أبي الحيسر

قال ابن إسحاق: وحدثني الحُصَين بن عبد الرحمن بن عَمرو بن سعد ابن مُعاذ عن محمود بن لَبيد، قال: لما قَدِم أبو الحَيْسَر، أنسُ بن رافع، مكةَ ومعه فِتْيةٌ من بني عَبْد الأشْهل، فيهم إياس بن مُعاذ، يلتمسون الحِلْف من قريش على قومهم من الخزرج، سَمِعَ بهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: هل لكم في خير مما جئتم له؟ فقالوا له: وماذاك؟ قال: أنا رسولُ الله بعثني إلى العباد، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، وأنزل عليّ الكتاب. قال: ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. قال: فقال إياس ابن مُعَاذ، وكان غلاما حَدثا: أي قوم، هذا والله خيرٌ مما جئتم له. قال: فيأخذ أبو الحَيْسر، أنسُ بن رافع، حَفْنة من تراب البطحاء، فضرب بها وجهَ إياس بن مُعَاذ، وقال: دَعْنا منك، فلَعَمْري لقد جئنا لغير هذا. قال: فصمت إياس، وقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بُعَاث بين الأوس والخزرج.

قال: ثم لم يلبث إياس بن مُعاذ أن هلك. قال محمود بن لبيد: فأخبرني مَنْ حَضَره من قومه عند موته: أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلِّل الله تعالى ويكبِّره ويحمده ويُسَبِّحه حتى مات، فما كانوا يشكون أنْ قد مات مسلما، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس، حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع.

الرسول مع نفر من الخزرج عند العقبة

قال ابن إسحاق : فلما أراد الله عزّ وجلّ إظهارَ دينه ، وإعزاز نبيِّه صلى الله عليه وسلم ، وإنجاز موعده له ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فى المَوْسم الذى لقيه فيه النَّفرُ من الأنصار ، فعرض نفسَه على قبائل العرب ، كما كان يصنع فى كلّ مَوْسم . فبينما هو عند العقبة لَقِى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عُمر بن قَتادة ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : لما لقيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نَفَر من الخزرج ، قال : أمِنْ موالى يَهود ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون أكلِّمكم ؟ قالوا : بلى . فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعَرض عليهم الإسلامَ ، وتلا عليهم القرآن . وكان مما صنع الله لهم به فى الإسلام ، أن يهود كانوا معهم فى بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعِلْم ، وكانوا هم أهلَ شرك وأصحابَ أوثان ، وكانوا قد عزُّوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم : إن نَبيّاً مبعوثٌ الآن ، قد أظل زمانُه ، نتّبعه فنقتلكم معه قتلَ عاد وإرَم . فلما كلَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضُهم لبعض : ياقوم ، تعلَّموا والله إنه للنبىّ الذى توعَّدكم به يهود ، فلا تسبقُنَّكم إليه . فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدّقوه وقَبِلوا منه ما عَرَض عليهم من الإسلام ، وقالوا : إنا قد تركنا قومَنا ، ولاقوم بينهم من العداوة

والشرّ ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدَم عليهم ، فندْعوهم إلى أمرك ، وتَعْرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدّين ، فانْ يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزّ منك .

ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم ، وقد آمنوا وصدّقوا .

أسماء الخزرجيين الذين التقوا بالرسول عند العقبة

قال ابن إسحاق : وهم — فيما ذُكر لى : ستة نفر من الخزرج ، منهم من بنى النجار — وهو تَيْم الله — ثم من بنى مالك بن النجّار بن ثعلبة بن عَمْرو بن الخزرج بن حارثة بن عمرو بن عامر : أسعدُ بن زُرَارةَ بن عُدَس بن عُبيد ابن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجار ، وهو أبو أمامة ، وعوفُ بن الحارث ابن رفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النَّجار ، وهو ابن عَفْراء.

قال ابن هشام : وعَفْراء بنتُ عُبَيد بن ثَعْلبة بن عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم ابن مالك بن النَّجار .

قال ابن إسحاق : ومن بنى زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عَبْد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج : رافعُ بن مالك بن العَجْلان بن عَمْرو بن عامر بن زُرَيق .

قال ابن هشام : ويقال عامر بنُ الأزْرق .

قال ابن إسحاق: ومن بنى سَلِمة بن سَعْد بن علىّ بن ساردة بن تزيد ابن جُشَم بن الخزرج، ثم من بنى سَوَاد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلمة: قُطْبَةُ ابن عامر بن حَدِيدة بن عمرو بن غَنْم بن سَوَاد.

قال ابن هشام: عمرو بنُ سواد، وليس لسَواد ابنٌ يقال له: غَنْم.

قال ابن إسحاق: ومن بنى حَرَام بن كَعْب بن غَنْم بن كَعْب بن سَلَمة: عُقْبَةُ بن عامر بن نابى بن زَيْد بن حَرام.

ومن بنى عُبَيد بن عَدىّ بن غَنْم بن كَعْب بن سلَمة: جابر بن عبد الله ابن رِئاب بن النُّعمان بن سِنان بن عُبَيد.

فلما قَدِمُوا المدينةَ إلى قومهم ذَكَروا لهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ودَعَوهم الى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم يبقَ دارٌ من دُور الأنصار إلا وفيها ذِكْرٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

خروج النبى صلى الله عليه وسلم إلى الطائف

وسنذكر السبب فى تسميتها بالطائف، وأن الدمون!! رجل من الصَّدِف من حَضْرَمَوْتَ نزلها، فقال لأهلها. ألا أبنى لكم حائطا يطيف ببلدتكم فبناه، فسميت: الطائف، وقيل غير ذلك مما سنذكره.

وقوله: فَيُذْئرها عليه، قد فسره ابن هشام، وأنشد:

ذَئِرُوا لقتلَى عامرٍ وتَعصَّبوا

. . . .

وفى الحديث لما نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب النساء قال: ذئِر النساء على أزواجهن، وفسره أبو عبيد بالنُّشُوز على الأزواج ، وأنشد البيت الذى أنشده ابن هشام ، ومعنى كلامهما واحد .

وذكر مالقى من أشراف ثقيفٍ ، وذكر موسى بن عقبة زيادةً فى الحديث حين أَغْرَوْابه سفهاءَهم ، قال : وكان يمشى بين سِماطين منهم ، فكلما نقلوا قدما ، رَجَموا عَراقيبَه بالحجارة ، حتى اختضب نعلاه بالدماء ، وذكر التَّيْمِىُّ كما ذكر ابن عقبة، وزاد قال : كان إذا أَذْلَقَتْه[1] الحجارةُ ، قعد إلى الأرض ، فيأخذون بِعَضِديه[2] ، فيقيمونه فاذا مشى رَجَموه ، وهم يضحكون حتى انتهى إلى الموضع الذى ذكره ابن إسحاق من حائط عُتْبة وشَيْبَة .

قال ابن إسحاق : فجلس إلى ظل حَبَلة ، والحَبَلةُ الكَرْمة ، اشتق اسمُها من الحَبَل ، لأنها تحمل بالعنب ، ولذلك فتح حَمْل الشجرة والنخلة ، فقيل : حَمْل بفتح الحاء تشبيها بحَمْل المرأة ،وقد يقال فيه : حِمْل بالكسر تشبيها بالحِمل الذى على الظهر[3] ، ومن قال فى الكرمة حَبْلة بسكون الباء،فليس بالمعروف ،

---

(١) فى النهاية لابن الأثير : « فى حديث ماعز : فلما أذلقته الحجارة جمز وفر ، أى بلغت منه منتهى الجهد حتى قلق»

(٢) فيها أربع لغات : كسر الضاد وضمها وسكونها مع فتح العين ، وبضم العين مع سكون الضاد

(٣) فى إصلاح المنطق لابن السكيت : الحمل ـ بفتح الحاء ـ ما كان فى بطن ، أو على رأس شجرة ، وجمعه أحمال ، والحمل ـ بكسر الحاء ـ ماحمل على ظهر أو رأس

. . . .

وقد قال أبو الحسن بن كَيْسان في نَهْى النبي صلى الله عليه وسلم عن بَيْع حَبَلِ الحَبَلَةِ[1]، إنه بيع العِنب قبل أن يَطيب ، كما جاء في الحديث الآخر من نَهْيه عن بيع الثمر قبل أن يبدو صلاحُه ، وهو قول غريب لم يذهب إليه أحد في تأويل الحديث ، وقد قال عمر بن الخطاب في الأَرضين التي افتتحت في زمانه — وقد قيل له : قسمها على الذين افتتحوها — فقال : والله لأدعَنَّها حتى يجاهدَ بها حَبَل الحَبَلَة ، يريد : أولادَها في البطون. ذكره أبو عبيد في كتاب الأموال ، والقول الذى ذكره أبو الحسن في حَبَل الحَبَلَة وقع في كتاب الألفاظ ليعقوب. وإنما أشكل عليه وعلى غيره دخولُ الهاء في الحَبَلَة ، حتى قالوا فيه أقوالا كلها هَباء ، فمنهم من قال : إنما قال الحَبَلَة لأنها بَهيمة أو جَنينة ، ومنهم من قال : دخلت للجماعة ، ومنهم من قال : للمبالغة ، وهذا كله ينعكس عليهم بقوله : حَبَل الحَبَلة ، فإنه لم تدخل التاء إلا في أحد اللفظين دون الثانى ، وتبطل أيضاً على من قال أراد : معنى البهيمة بحديث عمر المتقدم ، وإنما النكتة في ذلك أن الحَبَل مادام حَبَلا لايدرى : أذكرٌ هُو أم أنثى ، لمُ يسَمَّ حَبَلاً ، فإذا كانت أنثى ، وبلغت حد الحمل ، فحبلت فذاك الحبل هو الذى نهى عن بيعه ، والأول قد علمت أنوثته بعد الولادة ، فعبر عنه بالحبلة ، وصار معنى الكلام أنه نهى عن بَيْع حَبَل الجَنينَة التى كانت حَبَلاً لايعرف ماهى ، ثم عرف بعد الوضع ، وكذلك في الآدميين ، فإذاً لايقال لها : حبلة إلا بعد المعرفة بأنها أنثى ،

---

(١) في القاموس : الحبلة — بضم الحاء — الكرم أو أصل من أصوله ، والحبل محركة : شجر العنب ، وربما سكن

. . . .

وعند ذكر الحبل الثانى لأن هذه الأنثى قبل أن تحبل ، وهى صغيرة : رِخْلى ، وتسمى أيضا حائلا وأشباه ذلك ،وقد زال عنها اسم الحبل فإذا حبلت ، وذكر حبلها وازدوج ذكره مع الحالة الأولى التى كانت فيها حبلا فُرِّق بين اللفظين بتاء التأنيث ، وخص اللفظ الذى هو عبارة عن الأنثى بالتاء دون اللفظ الذى لايُدرى ماهو : أذكر أم أنثى ، وقد كان المعنى قريبا والمأخذ سهلا لايحتاج إلى هذه الإطالة لولا ماقدمناه من تخاليطهم فى تأويل هذا الكلام الفصيح البليغ الذى لايَقْدُر قَدْرَه فى البلاغة إلا عالم بجوهر الكلام .

نور الله ووجهه

فصل : وذكر دعاءه — عليه السلام — عند الشدة ، وقوله : اللهم إنى أشكو إليك ضَعْفَ قُوَّتى وقلةَ حيلتى إلى آخر الدعاء ، وفيه : أعوذ بنور وجْهك الكريم الذى أشرقت به الظلماتُ ، وصَلَح عليه أمرُ الدنيا والآخرة ، ويُسأل عن النور هنا ، ومعنى الوجه ، وإشراق الظلمات ، أما الوَجْه إذا جاء ذكره فى الكتاب والسنة ، فهو ينقسم فى الذِّكر إلى موطنين : موطن تقرب واسترضاء بعمل ، كقوله تعالى : ﴿ يُريدون وَجْهَه ﴾ وكقوله : ﴿ إلاَّ ابْتِغاء وَجْه رَبِّه الأعلى ﴾ فالمطلوب فى هذا الموطن : رضاه وقُبوله للعمل ، وإقباله على العبد العامل ، وأصله أن من رضى عنك ، أقبل عليك ، ومن غضب عليك أعرض عنك ، ولم يُرِكَ وَجْهَه ، فأفاد قولُه : بوجهك هاهنا معنى الرضى والقبول ، والإقبال ، وليس بصلة فى الكلام كما قال أبو عبيدة لأن قوله ذلك هُراء من القول ، ومعنى الصلة عنده : أنها كلمة لاتفيد إلا تأكيداً للكلام ،

وهذا قولُ من غَلُظ طبعُه وبَعُد بالعُجْمَةِ عن فهم البلاغَةِ قلبُه وكذلك قال هو ومن قَلَّده فى قوله تعالى : ﴿ وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّك ﴾ الرحمن : ٢٧ أى يبقى رَبُّك، وكُلُّ شىء هالك إلا وجهه، أى : إلا إيَّاه ، فعلى هذا قد خلا ذكر الوجه من حِكْمةٍ ، وكيف تخلو كلمة منه من الحكمة ، وهو الكتاب الحكيم ، ولكن هذا هو الموطن الثانى من مواطن ذكر الوجه ، والمعنى به ماظهر إلى القلوب والبصائر من أوصاف جلاله ومجده ، والوَجْهُ لغةً ماظهر من الشىء معقُولاً كان أو محسوسا ، تقول : هذا وجهُ المسألة ، ووجْهُ الحديث ، أى : الظاهر إلى رأيك منه ، وكذلك الثوب ماظهر إلى بصرك منه ، والبصائر لاتحيط بأوصاف جلاله ، ومايظهر لها من ذلك أقل مما يغيب عنها ، وهو الظاهر والباطن ـ تعالى وجَلَّ ـ وكذلك فى الجنة نظر أهلها إلى وجهه سبحانه إنما هو نظر إلى مايَرَوْن من ظاهر جلاله إليهم عند تجليه ، ورفع الحجاب دونهم ، ومالا يدركون من ذلك الجلال أكثر مما أدركوا .

وقوله سبحانه : ﴿كُلُّ مَنْ عليها فانٍ ، ويبقى وَجْهُ ربك ذو الجَلَال والإكرام﴾ الرحمن : ٢٦ ، ٢٧ لما كانت السموات والأرض ، قد أظهرت من قدرته وسلطانه، ما أظهرت أخبر تعالى أن فناءها لا يُغيِّر ما علم من سلطانه وظهر إلى البصائر من جلاله ، فقد كان ذلك الجلالُ قبل أن يخلُقها ، وهو باقٍ بعد فنائها كما كان فى القِدَم، فهو ذو الجلال والإكرام، قال الحسن : معناه : تَجَلَّل بالبهاء وأكرم من شاء بالنظر إلى وجهه أما الأشعرى فذهب فى معنى الوجه إلى ماذهب فيه من معنى العين واليد ، وأنها صِفَاتٌ لله تعالى لم تُعْلَم من جهة

. . . .

المعقول ، ولا من جهة الشرع المنقول ، وهذه عُجْمَةٌ أيضاً فإنه نزل بلسان عربي مبين ، فقد فهمته العربُ لما نزل بلسانها ، وليس في لغتها أن الوجهَ صفةٌ ولا إشكال على المؤمن منهم ، ولا على الكافر في معنى هذه الآى التي احْتِيج آخر الزمان إلى الكلام فيها مع العْجمان ، لأن المؤمن لم يخش على عقيدته شَكاً ولا تشبيها ، فلم يستفسر أحدٌ منهم رسولَ الله عليه السلام ، ولا سأله عن هذه الآية التي هي اليوم مشكلة عند عوام الناس(١) ، ولا الكافر في ذلك

---

(١) كلامه هنا جيد ، ولقد سأل الصحابة عن المحيض ، والأنفال واليتامى ، والقتال في الشهر الحرام ، وعن الخمر والميسر ، وعما ينفقون ، وعن غير ذلك كما بين كتاب الله ، والمتدبر لما أثبته القرآن من أسئلتهم لا يجد من بينها سؤالا عن عين الله أو وجهه أو يديه مما يؤكد أنهم آمنوا بأن لله سبحانه كل هذا الذي ذكر في القرآن ، وأنهم آمنوا بأن ما يضاف إلى الخلاق لا يمكن أن يكون مشبها لما يضاف إلى المخلوق ، لأن الله يقول (ليس كمثله شيء) ولأن العقل الصحيح يحيل ذلك

أما الأشعري فهو علي بن إسماعيل بن إسحاق وكنيته أبو الحسن ولد بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ . أو ٢٦٠ هـ وقد أقام على دين المعتزلة قرابة أربعين عاما ، ثم غاب عن الناس مدة خمسة عشر يوما ، ثم خرج إلى المسجد الجامع بالبصرة . فصعد على منبره ونادى بصوت جهوري : أنا فلان بن فلان ، اشهدوا على أني كنت على غير دين الإسلام ، وأني قد أسلمت الساعة . وأني تائب مما كنت أقول بالاعتزال ، ثم نزل ، ومضى يؤلف الكتب ضد المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج ، ولكن كان لايزال يعاني مسأمن الاعتزال بدا في تأويله لبعض الصفات فكان مذهبه مزيجا من آراء المعتزلة وآراء المحدثين ، ثم انتهى به الأمر إلى تأييد مذهب أهل السنة في الصفات . وإليك ما انتهى إليه أمره في أمر الصفات الإلهية : « إن كثيرا من الزائغين عن الحق من المعتزلة ، وأهل القدر مالت بهم ==

. . . .

= أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ، ومن مضى من أسلافهم ، فتأولوا من القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل الله به سلطانا ، ولا أوضح به برهانا ، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ، ولا عن السلف المتقدمين ، فخالفوا روايات الصحابة عليهم السلام عن نبي الله صلوات الله عليه وسلامه في رؤية الله عز وجل بالأبصار ، ودفعوا أن يكون لله وجه مع قوله عز وجل : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وأنكروا أن يكون له يدان مع قوله : (لما خلقت بيدى) وأنكروا أن يكون له عين مع قوله (تجرى بأعيننا) ، (ولتصنع على عينى)

وبعد أن أصدر حكمه على مؤولة الصفات ومعطلتها بالزيغ قال : « فإن قال لنا قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة . فعرفونا قولكم الذى به تقولون وديانتكم التى بها تدينون ، قيل له : قولنا الذى نقوله به ، وديانتنا التى ندين بها : التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا « ص » ، وماروى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون » ثم فصل معتقده تفصيلا واضحا ، ورد فى قوة على مؤولة الصفات ، وإليك بعض ماقاله : « فمن سألنا ، فقال : أتقولون : إن لله سبحانه وجها ؟ قيل له نقول ذلك خلافا لما قاله المبتدعون . وقد دل على ذلك قول الله عز وجل : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وإن سئلنا : أتقولون إن لله يدين ؟ قيل نقول ذلك ، وقد دل عليه قوله عز وجل : (يد الله فوق أيديهم) وقال عز وجل : (لما خلقت بيـــدى) وقال عز وجل : (بل يداه مبسوطتان) الخ . وقد ذكر كل هذا فى كتابه الإبانة تحت هذا العنوان « باب الكلام فى الوجه والعينين والبصر واليدين » كما فصل معتقده فى كتابه (مقالات الإسلاميين ، وقد ورد معتقده فى كتاب الإبانة من ص ٧ إلى ص ٤١ وهو مطبوع سنة ١٣٤٨ . أما فى مقالات الإسلاميين فقد ورد فى ص ٣٢٠ ومابعدها ح ١ من طبع النهضة . وانظر أيضاً تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى للامام ابن عساكر فقد فصل ماذكره الأشعرى فى الإبانة ، وانظر كتابى « الصفات الإلهية » فقد استقصيت فيه القول عن الصفات عن =

. . . .

الزمان لم يتعلق بها فى معرض المناقضة والمجادلة ، كما فعلوا فى قوله تعالى : ﴿إنكم

=أكثر أئمة الأشاعرة كالباقلانى والجوينى وابن فورك والرازى والغزالى .

هذا وقد فصل الإمام الجليل ابن القيم آراء المؤولة والمعطلة فى الصفات كتابه الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ط السلفية سنة ١٣٤٨ وإليك بعض ما ذكره باختصار « وجه الرب جل جلاله حيث ورد فى الكتاب والسنة ، فليس بمجاز بل على حقيقته ، واختلف المعطلون فى جهة التجوز فى هذا فقالت طائفة : لفظ الوجه زائد ، والتقدير : ويبقى ربك . . وقالت فرقة أخرى منهم الوجه بمعنى الذات ، وهذا قول أولئك وإن اختلفوا فى التعبير عنه ، وقالت فرقة : ثوابه ، وجزاؤه ، فجعله هؤلاء مخلوقا منفصلا ، قالوا : لأن المراد هو الثواب ، وهذه أقوال نعوذ بوجه الله العظيم من أن يجعلنا من أهلها » ثم ذكر الإمام ابن القيم مارد به عثمان بن سعيد الدرامى على بشر المريسى فقال : «لما فرغ المريسى من إنكار اليدين و نفيهما عن الله أقبل قبل وجه الله ذى الجلال والإكرام ، لينفيه عنه ، كما نفى عنه اليدين ، فلم يدع غاية فى إنكار وجه الله ذى الجلال والإكرام والجحود به حتى ادعى أن وجه الله الذى وصفه بأنه ذو الجلال والإكرام مخلوق ، لأنه ادعى أنه أعمال مخلوقه يتوجه بها إليه ، وثواب وإنعام مخلوق يثيب به العامل ، وزعم أنه قبلة الله ، وقبلة الله لاشك مخلوقة » ثم ذكر بالتفصيل مارد به الدارمى على المريسى لإثبات أن لله وجها حقيقة لا مجازا بستة وعشرين وجها منها : أن الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وجميع أهل السنة والحديث والأئمة الأربعة وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم فى الجنة ، وهى الزيادة التى فسر بها النبى « ص » والصحابة : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) فروى مسلم فى صحيحه بإسناده عن النبى «ص» فى قوله : (الذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : النظر إلى وجه الله تعالى ، فمن أنكر حقيقة الوجه ، لم يكن للنظر عنده حقيقة ولاسيما إذا أنكر الوجه والعلو فيعود النظر عنده إلى خيال مجرد» ص ١٧٤ ومابعدها ح ٢ الصواعق المرسلة .

. . . .

وما تَعْبُدُون من دُون الله حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ الأنبياء : ٩٨ ولا قال أحدٌ منهم : يزعم محمد أن الله مايشبهه شيء من خلقه ، ثمَّ يُثْبِت له وجها ويدين إلى غير ذلك فدل على أنهم لم يَرَوْا فى الآية إشكالا ، وتلقَّوا معانيها على غير التشبيه، وعرفوا من سَمَانَةِ الكلام ، ومَلَاحة الاستعارة أنهُ مُعْجِزٌ ، فلم يَتَعَاطَوْا له مُعَارضة ، ولا توهَّموا فيه مُناقضة ، وقد أملينا فى معنى اليدين والدين مسألةً بديعة جدا ، فلتنظر هنالك .

وأما النورُ فعبارة عن الظهور وانكشاف الحقائق الإلٰهية ، وبه أشرقت الظلمات ، أى أشرقت محالها وهى القلوب التى كانت فيها ظلماتُ الجهالة والشكوك ، فاستنارت القلوبُ بنور الله ، وقد قال المفسرون فى قوله تعالىٰ : ﴿ مَثَلُ نورِه ﴾ أى : مَثَلُ نورِه فى قلب فى المؤمن كَمِشْكَاة ، فهو إذاً نور الإيمان والمعرفة : الْمُجْلِى لكل ظلمةٍ وشك ، قال كعب : الْمِشْكَاةُ مَثَلٌ لِفَمِه ، والمصباحُ مَثَلٌ للسانه ، والزجاجة : مثلٌ لصَدْرِه ، أو لقلبه أى : قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال أعوذ بنور وجهك ، ولو قال : بنورك لحسُن ، ولكن توسل إليه بما أودع قلبه من نوره ، فتوسل إلى نعمته بنعمته وإلى فَضْله ورحمته بفضله ورحمته ، وقد تكون الظلماتُ هاهنا أيضاً الظلمات المحسوسة وإشراقها جلالتها على خالقها ، وكذلك الأنوار المحسوسة ، الكلُّ دالٌّ عليه فهو نور النور ، أى : مظهره مُنوِّر الظلمات ، أى جاعلها نوراً فى حكم الدلالة عليه سبحانه وتعالى(١) .

---

(١) الله نور : رد الإمام ابن القيم على من زعم أن هذا الاسم مجاز فى كتابه =

. . . .

«الصواعق» ردا عظيما ، وإليك بعض ما ذكره «إن النور جاء فى أسمائه تعالى، وهذا الاسم مما تلقته الأمة بالقبول ، وأثبتوه فى أسمائه الحسنى . . ومحال أن يسمى نفسه نورا ، وليس له نور ولاصفة النور ثابتة له ، كما أن من المستحيل أن يكون عليما قديرا سميعـــا بصيرا ، ولا علم له ولا قدرة بل صحة هذه الأسماء عليه مستلزمة لثبوت معانيها له ، وانتفاء حقائقها عنه مستلزم لنفيها عنه ، والثانى باطل قطعا فتعين الأول» ثم يقول : «إن النبى «ص» لما سأله أبو ذر هل رأيت ربك ، قال : «نور أنى أراه» رواه مسلم فى صحيحه ، وفى الحديث قولان : أحدهما : أن معناه : ثم نور ، أى : فهناك نور منعنى رؤيته ، ويدل على هذا المعنى شيئان أحدهما : قوله فى اللفظ الآخر فى الحديث . رأيت نورا ، فهذا النور الذى رآه ، هو الذى حال بينه وبين رؤية الذات . الثانى : قوله فى حديث أبى موسى : «إن الله لا ينام ، ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ، ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور ، لو كشفه ، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» رواه مسلم فى صحيحه . . المعنى الثانى فى الحديث أنه سبحانه نور ، فلا يمكننى رؤيته ، لأن نوره الذى لو كشف الحجاب عنه لاحترقت السموات والأرض وما بينهما مانع من رؤيته ، فان كان المراد هو المعنى الثانى ، فظاهر ، وإن كان الأول فلا ريب أنه إذا كان نور الحجاب مانعا من ذاته ، فنور ذاته سبحانه أعظم من نور الحجاب ، بل الحجاب إنما استنار بنوره ، فإن نور السموات إذا كان من نور وجهه — كما قال عبد الله بن مسعود — فنور الحجاب الذى فوق السموات أولى أن يكون من نوره ، وهل يعقل أن يكون النور حجاب من ليس له نور ؟ ! هذا أبين المحال ، وعلى هذا ، فلا تناقض بين قوله : «ص» : رأيت نورا، وبين قوله : «نور أنى أراه» فإن المنفى مكافحة الرؤية للذات المقدسة ، والمثبت : رؤية ماظهر من نور الذات» ثم يقـــول : «ما ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس أن النبى «ص» كان يقول إذا قام من الليل : «اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض» الحديث وهو يقتضى أن كونه

= نور السموات والأرض مغاير لكونه رب السموات والأرض ، ومعلوم أن إصلاحه السموات والأرض بالأنوار وهدايته لمن فيها هى ربوبيته ، فدل على أن معنى كونه نور السموات والأرض أمر وراء ربوبيتهما، ثم ذكر مانقله ابن فورك عن مذهب الأشعرى فى هذا ، فقال : « إن المشهور من مذهبه - يعنى مذهب الأشعرى - بأن الله سبحانه نور لا كالأنوار حقيقة لا بمعنى أنه هاد ، وعلى ذلك نص — أى الأشعرى — فى كتاب التوحيد فى باب مفرد لذلك تكلم فيه على المعتزلة ، إذ تأولوا ذلك على معنى أنه هاد ، فقال : إن سأل عن الله عزوجل أنور هو ؟ قيل له : كلامك يحتمل وجهين إن كنت تريد أنه نور يتجزأ يجوز عليه الزيادة والنقصان ، فلا وهذه صفة النور المخلوق ، وإن كنت تريد معنى ما قاله الله سبحانه : (الله نور السموات والأرض) فالله سبحانه نور السموات والأرض على ماقال ، فإن قال : فما معنى قولك : نور ؟ قيل له : قد أخبرناك مامعنى النور المخلوق ، وما معنى النور الخالق ، وهو سبحانه الذى ليس كمثله شيء . ومن تعدى أن يقول : الله نور ، فقد تعدى إلى غير سبيل المؤمنين ، لأن الله لم يكن يسمى نفسه لعباده بماليس هو به ، فإن قال لا أعرف النور إلا هذا النور المضيء المتجزيء ، قيل له : فإن : كان لايكون نور إلا كذلك ، فكذلك لا يكون شيئا إلا وحكمه حكم ذلك الشيء ، ثم قال ابن فورك : فإذا قال الله عز وجل : إنى نور ، قلت : أنا هو نور على ما قال سبحانه وتعالى ، وقلت أنت ليس هو نورا ، فمن المثبت له على الحقيقة : أنا أو أنت ؟ وكيف يتبين الحق فيه إلا من جهة ما أخبر الله سبحانه ، والدافع لما قال الله كافر بالله » ثم ذكر ابن القيم ما يأتى : « وقال أبو بكر بن العربى : قد اختلف الناس بعد معرفتهم بالنور على ستة أقوال . الأول : معناه : هاد ، قاله ابن عباس ، والثانى معناه : منور ، قاله ابن مسعود . : . والثالث ، مزين ، وهو يرجع إلى معنى منور قاله أبى بن كعب ، الرابع : أنه ظاهر ، الخامس : ذو النور . السادس : أنه نور لا كالأنوار ، قاله أبو الحسن الأشعرى قال : وقالت المعتزلة : لا يقال له نور إلا بإضافة ، قال : الصحيح عندنا أنه نور ، لا كالأنوار ، لأنه حقيقة ، =

. . . .

خبر عداس

فصل : وذكر خبر عَدَّاس غلام عُتْبَةَ وشَيْبَةَ ابنى ربيعة حين جاء بالقِطْف من عندهما إلى آخر القصة ، وفيه قبولُ هدية المشرك ، وأن لايتَوَرَّع عن طعامه ، وسيأتى استقصاء ذلك إن شاء الله تعالى ، وزاد التَّيْمِيُّ فيها أن عَدَّاساً حين سمعه يذكر يُونُسَ بن مَتىَّ قال : والله لقد خَرَجْتُ منها يعنى : نِينَوى[1] ، وما فيها عَشْرةٌ يعرفون : مامَتَّى ، فمن أين عرفت أنت مَتَّى ، وأنت أمى ، وفى أمة أُمِّيَّةٍ ؟ فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : هو أخى ، كان نبيا ، وأنا نبى ، وذكروا أيضاً أن عَدَّاساً لما أراد سيداه الخرُوج إلى بدر أمراه بالخروج معهما فقال لهما : أقتال ذلك الرجل الذى رأيته بحائط كما تريدان ، والله ماتقوم له الجبال ، فقالا له : وَيْحَكَ ياعَدَّاس : قد سَحَرَكَ بلسانه ، وعند مالقى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — من أهل الطائف ، مالقى ، ودعا بالدعاء[2] المتقدم ، نزل عليه جبريلُ ومعه ملَك الجبال كما رَوى البخارى عن عبد الله بن يوسف ، عن يونس ، عن ابن شهابٍ قال : حدثنى عُرْوَةُ أن عائشةَ زوج النبى — صلى الله عليه وسلم — حدثته أنها قالت للنبى عليه السلام : هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ

والعدول عن الحقيقة إلى أنه هاد ومنور ، وماأشبه ذلك هو مجاز من غير دليل لا يصح ، ثم ضعف مانقل عن ابن عباس ، لأنه منقطع — راجع الجزء الثانى من الصواعق المرسلة من ص ١٨٨ إلى ص ٢٠٥ .

(١) تروى بضم النون أيضا والفتح أشهر . الخشنى .

(٢) لم يخرج حديث هذا الدعاء سوى الطبرانى عن عبد الله بن جعفر .

. . . .

عليك من أُحُدٍ ؟ فقال : لقد لقيتُ من قومك ، وكان أشدَّ مالقيت منهم يوم الْعَقَبة إذ عَرَضْتُ نفسى على ابن عَبْدِ ياليلَ بن عَبْدِ كُلَالٍ ، فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت على وجهى ، وأنا مهموم ، فلم أَسْتَفِقْ إلا وأنا بقَرْنِ الثَّعَالِبِ(١) ، فرفعت رأسى ، فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتنى ، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ ، فنادانى فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، ومارَدُّوا عليك، وقد بعث إليك مَلَكَ الجبال ، لتأمرَه بما شئت فيهم ، فنادانى مَلَكُ الجبال ، فسَلَّمَ عَلَيَّ فقال : يامحمد ذلك لك ، إن شئت أطبق عليهم الأَخْشَبَيْنِ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج اللهُ من أصلابهم مَنْ يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئاً . هكذا قال فى الحديث : ابن عَبْدِ كُلَالٍ ، وهو خلاف مانسبه ابن إسحاق .

جن نصيبين :

فصل : وذكر حديث وفد جنِّ نَصِيبِين ، وماأنزل الله فيهم ، وقد أملينا أول المبعثين من هذا الكتاب طرفا من أخبارهم وبيَّنا هنالك أسماءَهم . ونَصِيبِين مدينةٌ بالشام أثنى عليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . رُوِى أنه قال : رفعت إلىّ نصيبين حتى رأيتُها فدعوت الله أن يَعْذُب نَهْرُها ، ويَنْضُر شجرُها ، ويطيبَ ثمرُها أو قال : ويَكْثُر ثمرُها ، وتقدم فى أسمائهم ماذكره ابن دُرَيْد قال : هم : منشى وماشى وشاصر وماصر والأَحقب ، ولم يزد عليه

---

(١) هى ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة .

. . . .

تسمية هؤلاء ، وقد ذكرنا تمام أسمائهم فيما تقدم ، وفى الصحيح أن الذى أذن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجن ليلة الجن شجرة ، وأنهم سألوه الزاد ، فقال: كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسم الله عليه يقع فى يد أحدهم . أوفر مايكون لحمًا ، وكل بَعْرٍ علفٌ لدَوابِّهم . زاد ابن سلام فى تفسيره أن البَعْر يعود خَضِرًا لدوابهم ، ثم نهى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يُسْتَنْجى بالعظم والرَّوْث ، وقال: إنه زاد إخوانكم من الجن ، ولفظ الحديث فى كتاب مسلم كما قدمناه : « كل عظمٍ ذُكِرَ اسمُ الله عليه » ، ولفظه فى كتاب أبى داود : « كل عظم لم يُذْكر اسم الله عليه » ، وأكثر الأحاديث تدل على معنى رواية أبى داود ، وقال بعضُ العلماء روايةُ مُسْلم فى الجن المؤمنين ، والرواية الأُخرى فى حق الشياطين منهم ، وهذا قول صحيح تعضده الأحاديث إلا أنا نكره الإطالة ، وفى هذا رَدٌّ على من زعم أن الجنَّ لا يأكل ولا يشرب ، وتأولوا قوله ـ عليه السلام إن الشيطان يأكل بِشِماله ، ويشرب بِشِمالِه على غير ظاهره ، وهم ثلاثة أصناف كما جاء فى حديث آخر : صِنْفٌ على صُوَرِ الحيَّات ، وصِنْفٌ على صُوَر الكلاب سُودٌ وصِنْفٌ رِيحٌ طَيَّارة أو قال : هَفَّافَة ذَوُوا أجنحةٍ ، وزاد بعضُ الرواة فى الحديث : وصِنْف يَحُلُّون ويَظْعَنُون ، وهم السَّعَالَى ، ولعل هذا الصِّنف الطَّيَّارَ هو الذى لايأكل ، ولا يَشْرب إن صح القول المتقدم والله أعلم . وروينا فى حديث سمعتُهُ يقرأ على الشيخ الحافظ أبى بكر بن العربى بسنده إلى جابر بن عبد الله ، قال : بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نمشى إذ جاءت حَيَّةٌ ، فقامت إلى جنبه ، وأدنت فاها من أذنه ، وكانت تناجيه ، أو نحو هذا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : نعم فانصرفت ، قال جابر : فسألته ، فأخبرنى أنه

. . . .

رجل من الجن ، وأنه قال له : مُرْ أمتَك لايستنجوا بالرَّوْثِ ، ولا بالرِّمَّة ، فإن الله جعل لنا فى ذلك رزقا .

ذكر عرضه نفسه على القبائل :

فصل : وذكر عَرْضَه نفسَه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على القبائل ، ليؤمنوا به ، ولينصروه قبيلةً قبيلةً ، فذكر بنى حنيفة ، واسم حنيفَة : أُثَال بن لُجَيْم ، ولجيم : تصغير اللُّجْمِ ، وهى دُوَيْبَةٌ ، قال قُطْرُب ، وأنشد :

لهـا ذَنَبٌ مثلُ ذَيْلِ العروس إلى سَبَّةٍ مثل جَحْرِ اللُّجَمْ

ابن صَعْب بن على بن بكر بن وائل ، وسمى حَنيفة لحَنَفٍ كان فى رجليه ، وقيل : بل حنيفة أمهم ، وهى بنت كاهل بن أسد عُرِفوا بها ، وهم أهل اليمامة ، وأصحاب مُسَيْلمة الكذّاب ، وقد أملينا فى أول الكتاب سببَ نزولهم اليمامةَ وأول من نزلها منهم .

وذكر بَيْحَرة بن فراس العامرى ، وقولَه لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أَفَنُهْدِفُ نُحورَنا ، للعرب دونك . نُهْدِف أى : نجعلها هَدَفًا لسهامهم ، والهَدَفُ : الغرض .

وذكر قولَ الشيخ : هل لها من تَلَافٍ ، أى : تَدارُك ، وهو تَفاعُل من : تَلَافَيْتُهم ، وهل لذناباها من مطلب : مَثَلٌ ضُرِب لما فاته منها ، وأصله : من ذُنَابَى الطائر : إذا أفلت من الحِبَالَة ، فطلبت الأخذ بِذُنَابَاه ، وقال : ما تقوّلها إسماعيلى قط. أى : ما ادعى النبوة كاذبا أحدٌ من بنى إسماعيل

. . . .

عرضه نفسه على كندة :

فصل : وذكر عرضه نفسه على كِنْدَةَ ، وهم بنو ثَوْر بن مُرَّة بن أُدَد بن زَيْد بن ميسع بن عَمْرو بن عَرِيب بن زَيْد بن كَهْلان بن سبأ[(١)] على أحد الأقوال بين النسابين فى كِنْدَة ، وسمى كِنْدة لأنه كَنَد أباه ، أى عَقَّه[(٢)] ، وسمى ابنه مُرْتِعًا لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مَرْتَعًا ، فهم بنو مُرْتِع ابن ثور ، وقد قيل إن ثوراً هو مُرْتِع ، وكندة أبوه[(٣)] .

فى هذا الكتاب تتمة لفائدته

فصل : وذكر غير ابن إسحاق مالم يذكر ابنُ إسحاق مما رأيت إملاء بعضِه فى هذا الكتاب تتمة لفائدته . ذكر قاسمُ بن ثابت والخطابى عرضَه

---

(١) نسب ثور فى جمهرة ابن حزم هكذا : وهؤلاء بنو كندة ، وهو ثور ابن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب ابن زيد بن كهلان بن سبأ ص ٣٩٤ ، ٣٩٩ وهو فى قلائد الجمان للقلقشندى أبى العباس أحمد بن على ص ٧١ كما فى الجمهرة .

(٢) فى الاشتقاق لابن دريد : ومن قبائل زيد بن كهلان : كندة ، وهو كندى ، واسمه : ثور وكندة من قولهم : كند نعمة الله عز وجل ، أى كفرها ، ومن قول الله جل ثناؤه : إن الإنسان لربه لكنود ص٣٦٢ وقال صاحب حماة ، وسمى كندة لأنه كند أباه أى كفر نعمته ص ٧١ قلائد الجمان .

(٣) فى جمهرة ابن حزم « ولد كندة بن عفير : معاوية وأشرس ، ثم يقول : من بطون كندة : معاوية ووهب وبدار والرائش بطون كبار ، وهم بنوالحارث ابن معاوية بن ثور بن مرتع ، وهو عمرو بن معاوية بن كندة ، ص ٣٩٩ وعلى هذا يكون مرتع هو ابن ابن كندة .

. . . .

نفسه على بنى ذُهْلِ بن ثَعْلبة ، ثم على بنى شَيْبان بن ثَعْلبة ، فذكر الخطَّابى وقاسم[1] جميعا ما كان من كلام أبى بكر مع دَغْفَل بن حَنْظَلَة الذُّهلى زاد قاسم تكملة الحديث فرأينا أن نذكر زيادة قاسم ، فإنها مما تليق بهذا الكتاب قال : ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينةُ والوقار ، فتقدم أبو بكر ، فسلم قال على : وكان أبو بكر مُقدَّما فى كل خير ، فقال مِمَّن القومُ ، فقالوا : من شَيْبان بن ثَعْلَبة ، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: بأبى أنت وأمى ، هؤلاء غُرَرٌ فى قومهم ، وفيهم مَفْرُوقُ بن عمرو وهانىء بن قَبِيصَة ، ومُثَنَّى بن حارثة ، والنعمان بن شَرِيك ؛ وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جَمالا ولِساَنا[2] وكانت له غَدِيرَتان تسقطان على تَرِيبَتَيْه[3] ، وكان أدنى القوم مجلسا من أبى بكر ، فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ قال له مَفْروق إنا لنزيد على الألف ، ولن تُغْلَب ألفٌ من قِلَّة فقال أبو بكر : كيف المَنَعَة

---

(١) ذكر الزرقانى فى شرحه على المواهب ص ٣٠٩ ج١ شرح المواهب أن هذا الحديث أخرجه الحاكم وأبو نعيم والبيهقى بإسناد حسن عن ابن عباس . واقرأ فى الأمالى صفحتى ٢٨٤ ج٢ ، ص٢٥ ج ٣ الأمالى ج٢ وفى حاشية الاشتقاق بقلم الأستاذ عبد السلام هارون : « بخط مغلطاى : دغفل هذا لقى النبى عليه السلام ، وهو ابن ثلاث وستين سنة قاله البخارى . وقال : لا يعرف له إدراك النبى عليه السلام وتابعه على القول جماعة منهم : ابن حبان والزهرى وابن سعد وابن أبى حاتم ، والعسكرى » ص٣٥١ الاشتقاق .

(٢) انظر الاشتقاق ص ٣٥٨ ، وفيه عن هانىء : وكان شرفيا عظيم القدر . وكان نصرانيا ، وأدرك الإسلام فلم يسلم ، ومات بالكوفة .

(٣) التريبة : واحدة الترائب ، وهى عظام الصدر .

. . . .

فيكم؟ فقال مَفْروق: علينا الجهد، ولكل قوم جد، فقال أبو بكر: كيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا لأشدُّ ما نكون غَضَباً لحين نلقى، وإنا لأشد ما نكون لقاءً حين نغضب، وإنا لنؤثر الجيادَ على الأولاد، والسلاحَ على اللِّقَاح[1]، والنصرُ من عند الله، يُديلنا مَرَّةً ويُديل عَلَيْنا، لعلك أخو قريش؟ فقال أبكر أَوَقَدْ بلغكم أنه رسول الله، فهاهو ذا، فقال مَفْروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك، فإلى م تدعو إليه ياأخا قريش؟ فتقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأنى رسولُ الله، وإلى أن تُؤْوُونى، وتَنْصرونى، فإن قريشا قد ظاهرت على أمر الله، وكذبت رسولَه، واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد، فقال مفروق: وإلى م تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فتلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ماحَرَّم رَبُّكم عليكم أَلاَّ تُشْرِكوا به شَيْئاً، وبالوالدين إحسانا، ولاَتقْتلوا أولادَكم من إمْلَاقٍ، نحن نرزقكم وإيَّاهُمْ، ولاَتقْربوا الفواحشَ ماظَهر منها وما بَطَن، ولا تقتلوا النفسَ التى حرّم الله إلا بالحق، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) الأنعام: ١٥١ فقال مفروق: وإلى مم تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فتلا رسولُ الله ـ صلى الله عليه سلم ـ (إنَّ اللهَ يأمر بالعَدْلِ والإحسانِ، وإيتاءذى القُربى، وَيَنْهَى عن الْفَحْشاء والْمُنْكر والْبَغْى، يَعِظُكمُ لَعَلَّكم تَذَكَّرُون﴾ النحل: ٩٠ فقال مفروق: دعوتَ والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، والله لقد أُفِكَ قومٌ كذَّبوك، وظاهروا عليك، وكأنه أراد أن يَشْرَكَه

---

(١) اللقاح: الإبل.

. . . .

فى الكلام هانىء بن قَبِيصة ، فقال : وهذا هانىءبن قَبِيصة شيخُنا ، وصاحب دينِنا ، فقال هانىء : قد سَمِعت مقالتَك يا أخا قريش ، وإنى أرى أنَّ تَرْكَنا دينَنَا واتباعنا إيَّاكَ على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر زَلَّة فى الرأى ، وقِلَّة نظرٍ فى العاقبة ، وإنما تكون الزَّلَّة مع العَجَلة ، ومِنْ ورائنا قومٌ نكره أن نعقد عليهم عَقْدا ، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر ، وكأنه أحب أنَ يَشْرَكه فى الكلام المُثَنَّى ، فقال : وهذا المُثَنَّى بن حارثة شيخنا وصاحب حَرْبنا ، فقال المثنى : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش ، والجوابُ : هو جوابُ هانىء بن قَبِيصَة فى تركنا ديننا ، واتباعنا إيَّاكَ لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر ، وإنا إنما نزلنا بين صَرَيان اليمامة والسَّمَاوة[1] ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ماهذان الصَّرَيان ؟ فقال أنهار كسرى ، ومياه العرب ، فأما ما كان من أنهار كسرى ، فذنبُ صاحبيه غيرُ مغفور ، وعُذْرُهُ غير مقبول ، وأما ما كان من مياه العرب ، فذنبهُ مغفور وعذره مقبول ، وإنما نزلنا على عهدٍ أخذه علينا كِسْرى أن لا نُحْدِث حَدَثاً ولا نُؤوى مُحْدِثا ، وإنى أرى هذا

(١) فى النهاية لابن الأثير ، وإنما نزلنا الصريين ، وهو الصواب ، ثم قال اليمامة والسمامة ، وقال عن المصرى : وهو الماء المجتمع ، وذكرها مرة أخرى فى مادة صير ، وفى حديث عرضه على القبائل : قال له المثنى بن حارثة : إنا نزلنا بين صيرين : اليمامة والسمامة . فقال رسول الله ص ، : وما هذان الصيران ؟ فقال : مياه العرب . وأنهار كسرى

الصير : الماء الذى يحضره الناس ، وقد صار القوم يصيرون إذا حضروا الماء . ويروى : بين صيرتين وهى فعلة منه ، ويروى بين صريين تثنية صرى ، وقد تقدم النهاية مادة صرى وصير لابن الأثير . والصواب : السمادة ، وهى بادية بين الكوفة والسماء . أدماءة لكلب .

. . . .

الأمرَ الذى تدعونا إليه هو مما تكرهه الملوكُ ، فإن أحببتَ أن نُؤْويك ونَنصرك مما يلى مياه العَرب ، فَعَلنا فقال رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — ما أسأتم فى الرد ، إذْ أفصحتم بالصِّدق ، وإن دين الله لن ينصره إلا من حَاطَه من جميع جوانبه أرَأيْتُم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضَهم وأموالَهم ويفرشكم نساءهم ، أتُسَبِّحون الله وتُقَدِّسونه ، فقال النعمان بن شَريك : اللهم لك ذا ، فتلا رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم : ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومُبَشِّراً ونذيرا . وداعياً إلى الله بإذنه وسِرَاجًا منيرا ﴾ ثم نهض النبى — صلى الله عليه وسلم — فأخذ بيدى ، فقال : يا أبا بكر يا أبا حسن أية أخلاق فى الجاهلية ، ما أشرَفها بها يدفع الله بأْس بعضهم عن بعض ، وبها يتحاجزون فيما بينهم قال : ثم دفعنا إلى مجاس الأوْس والخَزْرَج ، فما نهضنا حتى بايعوا النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، وكانوا صُدَقاء صُبَراءَ ، وروى فى حديثٍ مُسْنَدٍ إلَى طارق ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : رأيته بسوقِ ذى الْمَجَازِ يعرضِ نفسه على القبائل ، يقول : يا أيها الناسُ قولوا : لا إلَه إلا الله تُفْلِحوا ، وخَلْفَه رجلٌ له غديرتان يَرْجُمه بالحجارة ، حتى أدْمَى كَعْبيه ، يقول : يا أيها الناسُ لا تسمعوا منه ، فإنه كذَّاب ، فسألت عنه ، فقيل : هو غلام عبد المطلب ، قلت ومن الرجل يرجمه ؟ فقيل لى : هو عمه عَبْدُ الْعُزَّى أبو لهب ، وذكر الحديثَ بطوله . خَرَّجه الدَّارَقُطْنِى ، ووقع أيضا فى السيرة من رواية يونس .

. . . .

حديث سويد بن صامت:

فصل : ذكر حديث سُوَيد بن صامت وشعره ، وفى الشعر :

وبالغَيْبِ مأثورٌ على ثُغْرَةِ النَّحْرِ

يعنى السيفَ ، ومأثورٌ : من الإِأَثر وهو : فِرِنْدُ[1] السيف ، ويقال فيه : أَثْر وإِثْر . قال الشاعر :

جلاها الصَّيْقَلون فَأَخْلَصُوها
خِفَاقًا كُلُّها يَتْقِي بأَثْرِ[2]

أراد : يَتَّقِي ، وسُوَيد : هو : الكامل ، وهو ابن الصَّامِتِ بن حَوْط

---

(١) جوهر السيف ووشيه والسيف نفسه

(٢) البيت أنشده عيسى بن عمر لخفاف بن ندبة .

وقبل البيت :

ولم أر قبلهم حياً لقاحا أقاموا بين قاصية وحجر
رماح مثقف حملت نصالا يلحن كأنهن نجـــوم بدر

انظر ص ١٢٥ جـ ٢ الأمالى للقالى ط ٢ ، ص ٧٥٢ سمط اللآلى للقالى

والمعنى : إذا نظر الناظر إليها اتصل شعاعها بعينه ، فلم يتمكن من النظر إليها فذلك اتقاؤها بأثرها والأصمعى لا يعرف فى الأثر إلا الفتح يقال : سيف مأثور أى فى متنه أثر ، وقيل هو الذى يقال إنه يعمله الجن ، وليس من الأثر الذى هو الفرند . قال ابن سيدة : وعندى أن المأثور مفعول لا فعل له كما ذهب إليه أبو على فى المفئود الذى هو الجبان

. . . .

ابن حَبِيب بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن مالكِ بن الأَوْسِ[1] وأمه لَيْلَى بنت عمرو النجارية أخت سَلْمَى بنت عمرو [بن زيد بن لبيد بن خِداش بن عامر ابن غنم بن عدى بن النجار[تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج]أم عبد المطلب ابن هاشم ، فَسُوَيْدٌ هذا ابن خالة عبد المطلب ، وبنتُ سويد هى أمُّ عاتِكَة أخت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل امرأة عمر بن الخطاب ، فهو جدُّها لأمِّها واسم أمها: زينب، وقيل: جليسة بنت سُوَيد، هكذا ذكره الزُّبَيْر بن أبى بكر[2] .

ذكر مجلة لقمان :

فصل : وذكرَ مَجلَّة لقُمان ، وهى الصحيفة ، وكأنها مفعلة من الجَلاَل والجَلاَلَة ، أما الجَلاَلَةُ فمن صفة المخلوق ، والجلال من صفة الله تعالى ، وقد أجاز بعضُهم أن يقال فى المخلوق جَلاَلٌ وجَلاَلَةٌ وأنشد :

---

(١) نسبه فى جمهرة ابن حزم هكذا : « سويد بن الصامت بن خالد بن عطية ابن خوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوسى » ، وقد تقدم نسبه فى السيرة كما ذكر ابن حزم ، ولكن فيها حوط بالحاء المهملة ، وفى الإصابة : سويد بن الصامت بن خالد بن عقبة الأوسى ذكره ابن شاهين وقال : شك فى إسلامه ، وقال أبو عمر : أنا أشك فيه كما شك غيرى . . ويعلق ابن حجر على ماروى ابن إسحاق بقوله : فإن صح ما قالوا لم يعد فى الصحابة لأنه لم يلق النبى « ص » مؤمنا .

(٢) يقول الخشنى فى شرح السيرة ص ١١٧ عن بنى زعب إنها بفتح الزاى وضمها وكسرها والعين المهملة . وزغب بالزاء المكسورة والغين المعجمة قيده الدارقطنى ، وذكر أن الطبرى حكاه كذلك

. . . .

فَلَاذَا جَلَالٍ هِبْنَه لِجَلَالَةٍ ولاذا ضَيَاع هنَّ يتْرُكْنَ لِلفَقْرِ[1]

ولُقْمَانُ كان نوبيا من أهل أيْلَةَ وهو لقمان بن عَنْقَاء بن سرور[2] فيما ذكروا وابنه الذى ذُكِرَ فى القرآن هو ثاران فيما ذكر الزَّجَّاج وغيره ، وقد قيل فى اسمه غير ذلك ، وليس بلقمان بن عاد الحِمْيَرِىّ .

ذكر قدوم أبي الحيسر :

فصل : وذكر قدوم أبى الحَيْسَرِ أنس بن رافع بن يطلب الخِلْف ، وذلك

---

(١) البيت لهدبة بن خشرم بن كرز : بن حجر بن أبى حية الكاهن صاحب العزى وسادنها أحد بنى سعد هذيم من قضاعة . وهدبة : شاعر إسلامى يكنى أبا عمير : وقبل البيت :

رأيت أخا الدنيا ، وإن كان خافضا أخا سفر يسرى به ، وهو لا يدرى

والأرض كم من صالح قد تكمأت عليه فوارته بلماعة القفر

ويروى البيت الأول هكذا :

ألا يالقوم للنوائب والدهر وللحر يأتى حتفه وهو لا يدرى

انظر ص ٢٤٦ حـ ١ الأمالى للقالى ط ٢ ، ص ٥٥٦ ، ٦٣٩ سمط اللآلى للبكرى ومرجع السهيلى فى هذا هو الأمالى ، ورأى الأصمعى أن الجلال لا يقال إلا فى الله عز وجل ، وقال أبو حاتم وقد يقال :

ويعقب البكرى فى السمط على رأى القالى فى كلمة مجلة بفتح الجيم : إنما هو مجلة — بكسر الجيم . قال أبو عبيدة : كل كتاب عند العرب مجلة بكسر الجيم ، وقد روى غيره فيه الفتح

(٢) فى تفسير ابن كثير : سدوس ، وفيه يذكر أن الأكثرين من السلف على أن لقمان كان عبداً صالحاً من غير نبوة . وفيه وفى غيره تفصيلات كثيرة عنه .

. . . .

بسبب الحرب التي كانت بين الأوْس والخَزْرَج ، وهى حرب بُعاث المذكورة ، ولهم فيها أيام مشهورة هلك فيها كثيرٌ من صَنَادِيدهم وأشرافهم ، وبُعاث اسم أرضٍ بها عرفت[1] .

بدء إسلام الأنصار

ولم يكن الأنصار اسما لهم فى الجاهية ، حتى سَمَّاهم الله به فى الإسلام ، وهم : بنو الأوْسِ والخَزْرَجِ ، والخزرجُ : الريح الباردة[2] وقال بعضهم : وهى الجَنُوبُ خاصَّةً ، ودخول الألِف واللام فى الأوس على حد دخولها فى التَّيْم جمع : تَيْمِيٍّ وهو من باب : رُومِيّ ورُوم،لأن الأَوْسَ هى العطِيَّة أو العِوض، ومثل هذا إذا كان عَلَماً لايدخله الألف واللام ، ألا ترى أنّ كل أَوْسٍ فى العرب غير هذا ، فإنه بغير ألف ولام كأوس بن حارثة الطَّائِّىّ وغيره

---

(١) يقول الخشنى « ويروى هنا : بغاث بالغين المعجمة أيضاً ، ويصرف ولايصرف» ويقول البكرى فى معجم ما استعجم « ذكر عن الخليل : بغاث ولم يسمع من غيره »

هذا ويقال إن القبائل التى عرض نفسه عليها أيام المواسم هى بنو عامروغسان وبنو فزارة ، وبنو مرة وبنو حنيفة ، وبنو سليم ، وبنو عبس ، وبنو نصر ، وثعلبة بن عكابة ، وكندة ، وكلب ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو عذرة وقيس ابن الخطيم، وأبو الحيسر أنس بن أبى رافع « هكذا فى إمتاع الأسماع لتقى الدين أحمد بن على المقريزى حـ ١ ط ١٩٤١ ص ٣٠ ، وفيه أنه بدأ بكندة ، ثم أتى كلبا ثم بنى حنيفة ، ثم بنى عامر .

(٢) فى الاشتقاق لابن دريد : الخزرج : الريح العاصف ص ٤٢٧ .

. . . .

وكذلك ، أوس[1] وأُوَيْس: الذئب قال الراجز :

يا لَيتَ شِعْرِى عَنْه والأَمْرُ عمم ... مافعل اليومَ أُوَيْسٌ بالْغَنَم[2]

وأبوهم[3] حارثة بن ثعلبة [بن عمرو مُزَيْقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطْريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأَزدى] ، وهو أيضاً : والدُخُزَاعةَ على أحد القولين ، وأمهم[4] : قَيْلَةُ بنت كاهل بن عُذْرَةَ قُضَاعِيَّة ويقال : هى بنت جَفْنَة ، واسمه عَلْبَةُ بن عَمْرو بن عامر ، وقيل : بنت سَيْع[5] ابن الْهَوْن بن خُزَيْمَةَ بن مدركة، قاله الزبير بن أبى بكر فى كتاب أخبار المدينة.

والأنصار : جمع ناصِر على غير قياس فى جمع فاعل[6] ، ولكن على

---

(١) أوس بن حارثة بن لام رأس طيء ، عاش — كما قيل — مائتى سنة، وهناك أوس بن حجر الشاعر الجاهلى ، وأوس بن حذيفة من فرسان ثقيف الذى أدرك الإسلام وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأوس بن المعلى ، وأوس مغراء وأوس مناة الحنيك من خثعم ، ولكن هناك الأوس من صعب بن همان.

(٢) البيت للهذلى ، و هو فى اللسان :

ياليت شعرى عنك ، والأمر أمم ... مافعل اليوم أويس فى الغنم

(٣) أى والد الأوس والخزرج .

(٤) أى أم الأوس والخزرج ، ونسبها فى جمهرة ابن حزم هكذا . « قيلة بنت الارقم بن عمرو بن جفنة بن عمرو مزيقياء » ص ٣١٢ ط ١ والزيادة التى زدتها من الجمهرة .

(٥) اسمه فى نسب قريش . يثيع .

(٦) إذا كان فاعل وصفا دالا على غريزة وسجية أو أمر فطرى فإنه يجمع

. . . .

تقدير حذف الألف من ناصر ، لأنها زائدة ، فالأسم على تقدير حذفها : ثُلَاثِي والثلاثي يجمع على أفعال ، وقد قالوا فى نحوه صاحب وأصحاب وشاهد وأشهاد .

وذكر قول النبى – صلى الله عليه وسلم – لِلنَّفَر من الأنصار : أمن موالى يهود أنتم أى من حلفائهم ، والمولى يجمع :الحليفَ وابن العم والمُعْتِق والمُعْتَق لأنه مَفْعَلٌ من الولاية ، وجاء على وزن مفعل ، لأنه مَفْزَع ومَلْجَأ لوليِّه فجاء على وزن ماهو فى معناه .

وذكر النفر القادمين فى العام الثانى الذين بايعوه بَيْعَةَ النساء ، وقد ذكر الله تعالى بَيْعَةَ النساء فى القرآن فقال : ﴿ يُبَايِعْنَكَ على أن لا يُشْرِكْنَ بالله شَيْئًا ﴾ الممتحنة ٣١ ع الآية ، فأراد ببيعة النساء أنهم لم يبايعوه على القتال ، وكانت مبايعته للنساء أن يأخُذَ عليهن العهد والميثاق ، فإذا أقررن بألسنتهنَّ قال : قد بايعتكُنَّ ، وما مست يدُه يدَ امرأة فى مبايعة[1] كذلك قالت

على فعلاء مثل شاعر وشعراء ، وعاقل وعقلاء ، وكذلك إذا كان دالا على مايشبه الغريزة والسجية فى طول بقائها مثل صالح وصلحاء ، وإذا كان فاعل دالا على وصف يدل على آفة طارئة من ألم أو عيب ، أو نقص ، أو موت جمع على فعلى مثل هالك وهلكى .

(١) فى حديث رواه البخارى عن عائشة أنها قالت : « ولا والله ما مست يده يد امرأة فى المبايعة قط ، ما يبايعهن إلا بقوله : قد بايعتكن على ذلك » وفى حديث آخر رواه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجة من حديث سفين ابن عيينة ، والنسائى أيضاً من حديث الثورى ومالك بن أنس كلهم عن محمد

بيعة العقبة الأولى

حتى إذا كان العامُ المُقْبِل وافَى المَوْسم من الأنصار اثنا عشَر رجلا ، فلقوه بالعقبة ؛ وهى العقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على بَيْعة النساء ، وذلك قبل أن تُفترض عليهم الحرب .

منهم من بَنى النجَّار ، ثم بنى مالك بن النجَّار : أسعدُ بن زراة بن عُدَس ابن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار ، وهو أبو أُمامة ؛ وعَوْف ، ومعاذ ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سَواد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجَّار ، وهما ابنا عفراء .

عائشة ، وقد روى أنهن كن يأخذْن بيده فى البيعة من فوق ثَوْبٍ ، وهو قول عامر الشعبى ، ذكره عنه ابن سلام فى تفسيره ، والأول أصح وقد ذكر أبو بكر محمد بن الحسن المقرى النقاش فى صفة بيعة النساء وجها ثالثا أورد فيه آثارا ، وهو أن رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — كان يغمس يده فى إناء وتغمس المرأة يدها فيه عند المبايعة ، فيكون ذلك عقداً للبيعة ، وليس هذا بالمشهور ، ولا هو عند أهل الحديث بالثبت ، غير أن ابن إسحاق أيضاً قد ذكره فى رواية عن يونس عن أبَان ابن أبى صالح ، وذكر أنسابَ الذين بايعوه ، وسنعيده فى بيعة العقبة وغَزَاة بدر ، وهناك يقع التنبيه على مايحتاج إليه بعون الله .

ابن المنكدر ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، لا نعرفه إلا من حديث محمد ابن المنكدر . فى هذا الحديث ورد « قلنا يارسول الله : ألا تصافحنا ؟ قال إنى لا أصافح النساء ، إنما قولى لامرأة واحدة قولى لمائة امرأة »

ومن بنى زرَيق بن عامر : رافعُ بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر ابن زريق ، وذَكْوان بن عبد قَيْس بن خَلَدة بن مُخَلِد بن عامر بن زُرَيق .

قال ابن هشام : ذَكْوان ، مهاجرىّ أنصارىّ .

ومن بنى عَوْف بن الخزرج ، ثم من بنى غَنْم بن عــوف بن عمرو بن عَوْف بن الخزرج ، وهُم الْقَوَاقِلُ : عُبَادَة بن الصامت بن قَيْس بن أصْرم ابن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم ؛ وأبو عبد الرحمن ، وهو يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة ابن أصْرم بن عمرو بن عَمَّارة ، من بنى غُصَينة ، من بَلِىّ ، حليف لهم .

قال ابن هشام : وإنما قيــل لهم : القواقل ، لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهما ، وقالوا له : قَوْقِلْ به بِيَثْرِبَ حيث شئت .

قال ابن هشام : الْقَوْقَلَةُ : ضرب من المشى .

وقال ابن إسحاق : ومن بَنى سالم بن عَوْف بن عمرو بن الخزرج ، ثم من بنى العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم : العباس بن عُبادة بن نَضَلة بن مالك ابن العَجْلان .

ومن بنى سَلِمة بن سَعْد بن علىّ بن أسد بن ساردَة بن تَزِيد بن جُشَم ابن الخزرج ، ثم من بنى حَرام بن كعب بن غَنْم بن سَلمة : عُقْبة بن عامر ابن نابى بن زَيْد بن حَرام .

ومن بنى سواد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلمة قُطْبة بن عامر بن حَديدة بن عمرو بن غَنْم بن سَواد .

. . . .

رجال العقبة من الأوس

وشَهِدها من الأوس بن حارثة بن ثَعْلَبة بن عَمْرو بن عامر ثم من بنى عَبْد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزْرج بن عَمْرو بن مالك بن الأوس: أبو الهيثم بن التَّيِّهان، واسمه مالك.

قال ابن هشام: التَّيْهان: يخفف ويثقل، كقوله ميت وميِّت.

رجال العقبة الأولى من بنى عمرو

ومن بنى عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس: عُوَيم بن ساعِدة.

بيعة العقبة

قال ابن إسحاق: وحدثنى يزيد بن أبى حَبيب، عن (أبى) مَرْثد ابن عبد الله اليزنى، عن عبد الرحمن بن عُسَيلة الصُّنابحى، عن عُبادة بن الصامت، قال: كنت فيمن حَضَر العقبةَ الأولى، وكنَّا اثْنَىْ عَشَر رجلا، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بَيعْة النساء، وذلك قبل أن تُفترض الحرْب، على أن لا نُشرك بالله شيئا، ولا نَسْرق، ولا نَزْنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتىَ ببهتان نَفْتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعْصيَه فى معروف. فان وَفَّيتم فلكم الجنة. وإن غَشِيتم من ذلك شيئاً فأمرُكم إلى الله عَزّ وجلّ إن شاء عذّب وإن شاء غَفر.

قال ابن إسحاق وذكر ابنُ شهاب الزهرىّ، عن عائذ الله بن عَبد الله

الخولانى أبى إدريس أنّ عُبادة بن الصامت حدّثه أنه قال : بايعنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ العَقَبَة الأولى على أن لا نُشْرِكَ بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى بِبُهْتَانٍ نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف ، فإن وَفَيتم فلكم الجنّة ، وإن غَشِيتم من ذلك فأُخِذتم بحَدّه فى الدنيا ، فهو كفّارة له ، وإن سُتِرْتم عليه إلى يوم القيامة فأمرُكم إلى الله عزّ وجلّ ، إن شاء عذّب ، وإن شاء غَفَر .

مصعب بن عمير ووفد العقبة

قال ابن إسحاق : فلما انصرف عنه القومُ ، بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معهم مُصعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مَناف بن عَبْد الدار بن قُصَىّ ، وأمره أن يُقْرِئهم القرآن ، ويعلّمهم الإسلام ، ويفقّههم فى الدين ، فكان يُسَمَّى المُقْرِئ بالمدينة : مُصْعَبٌ . وكان مَنْزَله على أسْعد بن زُرارة بن عُدَس ، أبى أُمامة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عُمر بن قتادة : أنه كان يصلى بهم ، وذلك أن الأوسَ والخزْرَج كَره بعضُهم أن يَؤُمّه بعضٌ .

أول جمعة أقيمت بالمدينة

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن أبى أُمامة بن سَهل بن حُنيف ، عن أبيه أبى أُمامة ، عن عبد الرحمن بن كَعْب بن مالك ، قال : كنت قائدَ أبى ،

كَعب بن مالك ، حين ذهبَ بَصره ، فكنتُ إذا خرجتُ به إلى الجُمْعة ، فسمع الأذان بها صلى على أبي أُمامة ، أسعد بن زُرَارَة . قال : فمكث حينا على ذلك : لا يَسْمع الأذان للجُمعة إلا صلى عليه واستغفر له . قال : فقلت في نفسي : والله إن هذا بي لَعَجْز ، ألا أسأله ماله إذا سَمِع الأذان للجمعة صلى على أبي أُمامة أسعد بن زُرَارَة ؟ قال : فخرجت به في يوم جُمعة كما كنت أخرج ، فلما سَمِعَ الأذانَ للجمعة صلى عليه واستغفر له . قال : فقلت له : يا أَبتِ ، مالك إذا سمعتَ الأذان للجمعة صلّيت على أبي أُمَامَةَ ؟ قال : أَيْ بُنيّ ، كان أوّل من جَمّع بنا بالمدينة في هَزْم النَّبيت ، من حَرّة بني بَياضَة ، يقال له : نَقِيع الخَضِمَات ، قال قلت : وكم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلا .

إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير

قال ابن إسحاق : وحدثني عبيد الله بن المُغيرة بن مُعَيْقِب ، وعبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم : أن أسْعد بن زُرَارَةَ خرج بمُصْعَب ابن عُمَيْر يريد به دارَ بني عَبْد الأَشْهَل ، ودارَ بني ظَفَر ، وكان سعدُ بن مُعاذ ابن النعمان بن امرئ القيس بن زَيْد بن عبدالأشهل ابن خالة أسعد بن زُرارة ، فدخلَ به حائطا من حَوائط بني ظَفَر .

قال ابن هشام: واسم ظَفَرٍ : كَعْب بن الحارث بن الخزْرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس - قالا : على بِئْر يقال لها : بئر مَرَق ، فجلسا في الحائط ، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ ، وأُسَيْد بن حُضَيْر ، يومئذ سيدًا قومهما من بني عبد الأشهل ، وكلاهما مُشْرك على دين قومه ، فلمّا سمعا به

قال سعدُ بن مُعَاذٍ لأُسَيْد بن حُضَيْر : لا أبالك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارَينا ليسفِّها ضُعفاءنا ، فازجُرْهما وانْهَهُما عن أن يَأْتيا دارَيْنا ، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت كفيتُك ذلك،هو ابن خالتى ، ولا أجد عليه مقدّما ، قال : فأخذ أسيد بن حُضَير حَرْبته ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعدُ بن زُرَارَةَ ، قال لمصعب بن عمير :هذا سيِّد قومه قد جاءك ، فاصدُق الله فيه ، قال مصعب : إن يجلسْ أكلمه . قال : فوقف عليهما مُتَشَتِّماً ، فقال : ماجاء بكما إلينا تسفِّهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ،فقال له مصعب : أوَ تجلسُ فتسمعَ ، فإن رضيتَ أمراً قبلته ، وإن كرهته كُفّ عنك ماتكره ؟ قال : أنصفتَ ، ثم رَكَزَ حَرْبَته وجلس إليهما ، فكلَّمه مُصْعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ؛ فقالا : فيما يذكر عنهما : والله لَعرَفْنَا فى وجهه الإسلامَ قبل أن يتكلّم فى إشراقه وَتَسَهُّله ، ثم قال : ماأحسنَ هذا الكلامَ وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تَشهد شهادة الحقّ ، ثم تصلى . فقام فاغتسل وطَهَّر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحقّ ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إنّ ورائى رجلا إن اتبعكما لم يتخلّف عنه أحد من قومه ؛ وسأرسله إليكما الآن، سعدَ بن معاذ،ثم أخذ حَرْبته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم،فلما نظر إليه سَعْد بن معاذ مُقْبلا ، قال : أحلف بالله لقد جاءكم أُسَيْدٌ بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، فلما وقف على النادى قال له سعد : مافعلت ؟ قال : كلَّمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأساً،وقد نهيتُهما فقالا : نفعل ما أحببتَ،

وقد حُدّثت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زُرَارَة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك، ليُخفروك قال: فقام سعد مُغْضَبا مبادراً، تخوّفا للذى ذُكر له من بنى حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئا، ثم خرج إليهما؛ فلما رآهما سعدٌ مطمئنين، عرف سعدٌ أن أُسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتّما، ثم قال لأسعد بن زُرارة: يا أبا أمامة، لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رُمْت هذا منى، أتغشانا فى دارينا بما نكره — وقد قال أسعدُ بن زرارة لمصعب بن عُمير: أى مُصْعب، جاءك والله سيِّد مَنْ وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلّف عنك منهم اثنان — قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتَسمع، فإن رضيتَ أمراً ورَغبت فيه قَبِلْته، وإن كرهته عزَلنا عنك ماتكره؟ قال سعد. أنصفْت ثم ركز الحربةَ وجلس، فعرض عليه الإسلامَ، وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم، لإشراقه وتسهُّله؛ ثم قال لهما: كيف تَصْنَعُون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطهّر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحقّ، ثم تصلى ركعتين، قال. فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه، وتشهّد شهادة الحقّ، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عامداً إلى نادى قومه ومعه أُسَيد بن حُضَير.

قال: فلما رآه قومُه مقبلا، قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعدٌ بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يابنى عبد الأشهل، كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلُنا رأيا، وأيْمننا نقيبةً؛ قال: فإن

. . . .

كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله .

قالا : فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة ، ورجع أسعد ومُصْعب إلى منزل أسعد بن زُرارة ، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بنى أميَّة بن زيد ، وخطْمة ووائل وواقف ، وتلك أوس الله ، وهم من الأوس بن حارثة ؛ وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت ، وهو صيفى ، وكان شاعراً لهم قائدا يستمعون منه ويُطيعون ، فوقف بهم عن الإسلام ، فلم يزل على ذلك حتى هاجَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدرٌ وأُحد والخندق ، وقال فيما رأى من الإسلام ، وما اختلف الناس فيه من أمره :

أرَبَّ النَّاسِ أشياءٌ ألَمَّتْ ... يُلَفُّ الصَّعْبُ منها بالذَّلولِ

أربَّ النَّاسِ أمَّا إذْ ضَلِلْنا ... فَيَسِّرْنا لِمَعْروفِ السَّبيلِ

فلولا رَبُّنا كُنَّا يَهُوداً ... وما دِين اليهود بذى شُكولِ

ولولا رَبُّنا كنَّا نَصارَى ... مع الرُّهْبان فى جَبَل الجَليلِ

ولَكِنَّا خُلِقْنا إذْ خُلِقْنا ... حَنِيفاً دِينُنا عن كُلِّ جِيلِ

نسوق الهَدْى ترسُف مُذْعنات ... مكشفةَ المَناكب فى الجُلُولِ

قال ابن هشام : أنشدنى قوله : فلولا ربنا ، وقوله : لولا ربنا ، وقوله : مكشفة المناكب فى الجلول ، رجل من الأنصار ، أو من خزاعة .

أمر العقبة الثانية

قال ابن إسحاق : ثم إن مُصْعب بن عُمير رجَع إلى مكة ، وخرج مَنْ خرج من الأنصار المسلمين إلى المَوْسم مع حُجَّاج قومهم من أهل الشِّرك ، حتى قَدموا مكة ، فواعدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم العقبةَ ، من أوسط أيام التشريق ، حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته ، والنصر لنبيِّه ، وإعزاز الإسلام وأهله ، وإذلال الشرك وأهله .

البراء بن معرور وصلاة الكعبة

قال ابن إسحاق : حدثنى مَعْبد بن كَعْب بن مالك بن أبي كعب بن القَيْن ، أخو بنى سلمة ، إن أخاه عبد الله بن كعب ، وكان من أعلم الأنصار ، حدثه أن أباه كعبا حدثه ، وكان كعبٌ ممن شَهِد العقبة وبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بها ، قال : خرجنا فى حُجَّاج قومنا من المُشْركين ، وقد صلَّينا وفَقِهنا ، ومعنا الْبَرَاء بن مَعْرُور ، سيِّدُنا وكبيرنا ، فلما وَجَّهنا لِسَفَرِنا ، وخَرَجْنا من المدينة ، قال البَرَاء لنا : ياهؤلاء ، إنى قد رأيت رأيا ، فوالله ما أدْرى ، أتوافقوننى عليه ، أم لا ؟ قال : قلنا : وماذاك ؟ قد رأيت أنْ لا أدع هذه البَنِيَّة منى بظَهْرٍ ، يعنى : الكعبة ، وأن أُصَلِّى إليها . قال : فقلنا ، والله ما بلَغنا أن نبيَّنا صلى الله عليه وسلم يصلى إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه . قال : فقال : إنى لمصلّ إليها قال : فقلنا له : لكنَّا لا نفعل . قال : فكنا إذا حضرت الصلاةُ صلَّينا إلى الشام ، وصلى إلى الكعبة ، حتى قَدِمنا مكةَ . قال : وقد

كنا عِبْنَا عليه ما صنع ، وأَبَى إلا الإقامة على ذلك . فلما قَدمنا مكة قال لى : يا ابن أخى ، انطلقْ بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نسأله عما صنعتُ فى سَفرى هذا ، فإنه والله لقد وَقَع فى نفسى منه شىء ، لِما رأيتُ من خِلافكم إيّاى فيه . قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنّا لا نعرفه ، ولم نَرَه قبل ذلك فلقينا رجلا من أهل مكة ، فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا ؛ قال : فهل تعرفان العبّاس بن عبد المطّلب عَمَّه ؟ قال : قلنا : نعم — قال : وقد كنّا نعرف العبّاس ، كان لا يزال يقدَم علينا تاجراً — قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجلُ الجالسُ مع العبّاس . قال : فدخلنا المسجد فإذا العبّاس جالسٌ ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ معه ، فسلّمنا ثم جلسنا إليه . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للعبّاس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفَضْل؟ قال : نعم ، هذا البَرَاء بن مَعْرور ، سيِّد قومه ، وهذا كعب بن مالك . قال : فوالله ما أنسى قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشاعر ؟ قال : نعم . فقال البَرَاء بنُ مَعْرور : يا نبىّ الله ، إنى خرجتُ فى سفرى هذا ، وقد هدانى الله للإسلام ، فرأيت أن لا أجعل هذه البَنِيَّة منى بظَهْر ، فصلّيتُ إليها ، وقد خالفنى أصحابى فى ذلك ، حتى وقع فى نفسى من ذلك شَىء ، فماذا ترى يا رسول الله؟ قال : قد كنتَ على قِبْلة لو صبرتَ عليها . قال : فرجع البَرَاء إلى قِبْلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معنا إلى الشام . قال : وأهلُه يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

قال ابن هشام : وقال عَوْن بن أيوب الأنصاريّ :

ومِنَّا المُصَلِّي أوّلَ الناسِ مُقْبِلاً   على كَعْبَةِ الرَّحْمن بين المَشَاعِرِ

يعنى البَرَاءَ بن مَعْرور . وهذا البيت فى قصيدة له .

إسلام عبد الله بن عمرو بن حرام

قال ابن إسحاق : حدثنى مَعْبد بن كَعْب ، أن أخاه عبد الله بن كعب حَدّثه أن أباه كعب بن مالك حدثه ، قال كعب : ثم خرجنا إلى الحجّ ، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة من أوسط أيام التشريق . قال فلما فرغنا من الحجّ ، وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، ومعنا عبدُ الله بن عمرو بن حَرام أبو جابر ، سيِّد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، أخذناه معنا ، وكنّا نكتم مَن معنا من قومنا من المشركين أمرَنا ، فكلّمناه وقُلْنا له : يا أبا جابر ، إنك سيِّد من ساداتنا ، وشَريف من أشرافنا ، وإنّا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حَطَباً للنار غدا ، ثم دَعَوْناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة . قال : فأسلم وشَهِد معنا العَقَبة ، وكان نقيبا .

أمر أنان فى البيعة

قال : فنِمْنا تلك الليلة مع قومنا فى رِحالنا ، حتى إذا مضَى ثلثُ الليل خَرَجْنا من رحالنا لمعاد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، نتسلّل تسلُّلَ القَطا

. . . .

مُسْتخفِين ، حتى اجتمعنا فى الشِّعْب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نسائنا نُسَيبة بنت كعب ، أمّ عُمارَة ، إحدى نساء بنى مازن ابن النجَّار ، وأسماء بنت عَمْرو بن عدىّ بن نابى ، إحدى نساء بنى سلمة ، وهى أم مَنِيع .

العباس والأنصار

قال : فاجتمعنا فى الشِّعب ننتظر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جاءنا ومعه العبَّاسُ بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحَبّ أن يحضُر أمرَ ابن أخيه ويتوثّق له . فلما جلَس كان أوّل متكلِّم العبَّاس بن عبد المطلب ، فقال : يامعشر الخزرج — قال ، وكانت العرب إنما يسمُّون هذا الحىَّ من الأنصار ، الخزرج ، خزرجها وأوْسها — : إن محمداً منّاً حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عزّ من قومه ومَنعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحيازَ إليكم ، واللُّحوقَ بكم ، فإن كنتم تَرَوْن أنكم وافُون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحمَّلتم من ذلك ، وإن كنتم ترَوْن أنكم مُسْلِموه وخاذِلوه بعد الخروج به إليكم ، فمِن الآن فدَعُوه ، فإنه فى عِزٍّ ومَنَعَة من قومه وبلده . قال ، فقلنا له ، قد سَمعنا ما قلت ، فتكلم يارسول الله ، فخذْ لنفسك ولربِّك ماأحببتَ .

عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصار

قال ، فتكلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ورغَّب فى الإسلام ، ثم قال ، أُبايعكم على أن تمنعونى مما تَمنعون منه نساءَكم وأبناءَكم .

قال، فأخذ البَراء بن مَعْرور بيده ، ثم قال ، نعم ، والذى بعثك بالحقّ ، لنمنعنَّك مما نَمْنع منه أُزُرَنا فبايِعنا يارسول الله ، فنحن والله أهل الحروب ، وأهل الحَلْقة ، وَرِثناها كابراً [عن كابر]. قال ، فاعترض القول،والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو الهيثم بن التيهان فقال يارسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبالاً ، وإنَّا قاطِعوها - يعنى اليهود - فهل عسيتَ إن نحن فَعَلْنا ذلك ، ثم أظهرَك اللهُ أن ترجعَ إلى قومك وتَدَعنا؟ قال: فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بل الدم الدم ، والهَدْم الهَدْم ، أنا منكم وأنتم منى ، أحارب مَنْ حاربتم ، وأسالِم من سالمتم . .

قال ابن هشام . ويقال : الهَدَم الهَدَم : أى ذِمّتي ذمّتكم وحُرْمتى حُرْمتُكم .

قال كعب : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلىّ منكم اثنى عشر نقيبا ، ليكونوا على قومهم بما فيهم . فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا ، تسعةً من الخزرج ، وثلاثةً من الأَوْسِ .

أسماء النقباء الاثنى عشر وتمام خبر العقبة

النقباء من الخزرج

قال ابن هشام : من الخزرج - فيما حدثنا زيادُ بن عبد الله البكّائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى - : أبو أُمامةَ أسعَد بن زُرارَة بن عُدَس بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجَّار ، وهو : تَيْمُ الله بن ثَعلبة عمرو بن الخزرج [بن حارثة] ، وسَعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زُهير بن مالك بن

أمرئ القيس بن مالك بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ابن الخزرج، وعبدالله بن رَوَاحَة بن ثعلبـــة امرئ القيس بن عَمرو بن امرئ القيس بن مالك [الأغر] بن ثَعْلَبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ابن الخزرج ، ورافع بن مالك بن الْعَجْلَانِ بن عمرو بن عامر بن زُرَيقِ بن عَبْد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الْخَزْرَجِ ؛ والْبَرَاءبن مَعْرور بن صخر بن خَنْساء بن سِنَانِ بن عُبَيْد بن عَدِيّ بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمَة ابن سَعْد بن عليّ بن أسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج ، وعبد الله ابن عمرو بن حَرام بن ثَعْلَبة بن حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمَة ابن سَعْد بن عليّ بن أسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج ، وعُبَادة ابن الصامت بن قَيْسِ بن أَصْرَم بن فِهْر بن ثَعْلَبة بن غَنْم بن سالم بن عَوْف ابن عَمرو بن عوفِ بن الخزرج .

قال ابن هشام : هو غَنْم بن عوف ، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف ابن الخزرج .

قال ابن إسحاق : وسعد بن عُبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي خُزَيْمَةَ ابن ثعلبة بن طَرِيف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، والمنذر ابن عمرو بن خُنَيْسِ بن حارثة بن لَوْذان بن عبدوَدٍّ بن زيد بن ثعلبة بن الخَزْرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ـ قال ابن هشام : ويقال : ابن خنيش .

النقباء من الأوس

ومن الأوس أُسَيْد بن حُضَير بن سِمَاك بن عَتِيك بن رَافِع بن امرئ القيس بن زَيْد بن عبد الأشهل [بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة ، وسعد بن خَيْثَمة بن الحارث بن مالك بن كَعْب بن النَّحَّاط بن كَعْب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلْم بن امْرِئ القيس [بن ثعلبة بن عمرو بن عوف] بن مالك بن الأوس [ابن حارثة] ورِفَاعَةُ ابن عبد المُنْذِر بن زبير بن زيد بن أُمَيَّة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو ابن عوف بن مالك بن الأوس .

شعر كعب بن مالك عن النقباء

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدّون فيهم أبا الهيثم بن التَّيِّهان ، ولا يعدّون رفاعة . وقال كعب بن مالك يذكرهم ، فيما أنشدنى أبو زيد الأنصارى :

أبلغ أُبَيًّا أنَّه فال رأيُه ... وحان غداة الشِّعب والحينُ واقعُ
أبى اللهُ ما مَنَّتك نفسُك إنَّه ... بمِرْصاد أمرِ النَّاسِ راءٍ وسامعُ
وأبلغ أبا سُفيان أنْ قد بدا لنا ... بأحمدَ نورٌ من هُدَى الله ساطِع
فلا تَرْغبَن فى حَشْد أمرٍ تُريده ... وألِّب وَجَمِّع كُلَّ ما أنت جامع
ودُونَك فاعلم أنَّ نقضَ عُهودِنا ... أباه عليك الرَّهْطُ حين تبايعوا
أباه البَرَاء وابنُ عمرٍو كلاهما ... وأسعدُ يأباه عليك ورَافع

وَسَعْدٌ أباه السَّاعدىُّ ومُنْذِرٌ ... لأنفك إن حاولت ذلك جادِع
وما ابنُ رَبيع إن تناولت عهدَه ... بمُسْلِمِه لا يطمعنْ ثَمَّ طامع
وأيضا فلا يُعْطِيكه ابنُ رَوَاحَة ... وإخفارُه مِنْ دُونه السمُّ ناقع
وفاءً بِهِ والقَوْقَلِىّ بنُ صامت ... بمَنْدُوحَةٍ عما تحاول يافع
أبو هَيْثم أيضا وفِىٌّ بمثلها ... وفاءً بِمَا أعطَى من العهد خانع
وما ابن حُضَير إن أردت بمَطْمَع ... فهل أنت عن أُحْمُوقةِ الغَىّ نازع؟
وَسَعْدٌ أخو عَمْرِو بن عَوْف فإنه ... ضَرُوحٌ لما حاولتَ مِ الأَمْرِ مانع
أُولاكَ نجومٌ لا يُغِبُّكَ منهمُ ... عليك بنَحْسٍ فى دُجَى الليل طالع

فذكر كَعْب فيهم أبا الْهَيْثَمِ بن التَّيِّهان ، ولم يذكر رفاعة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنُّقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كُفَلاء ، كَكَفالة الحواريِّين لعيسى بن مَرْيم ، وأنا كَفِيل على قَوْمى — يعنى المسلمين — قالوا : نعم .

ما قاله العباس بن عبادة للخزرج قبل المبايعة

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصمُ بن عمر بن قَتادة : أن القوم لمَّا اجتمعوا لبَيْعة رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — قال العبَّاس بن عُبادة بن نَضْلة الأنصارىّ ، أخو بنى سالم بن عَوْف : يامعشر الخزرج ، هل تدرُون علامَ تُبايعون هذا الرجلَ ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تُبايعونه على حَرْب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم تَرَوْن أنكم إذا نُهِكَتْ أموالكم

مُصِيبة ، وأشرافُكم قتلاً أسلَمتموه ، فمن الآن ، فهو والله - إن فعلتم خِزْىُ الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترَوْن أنكم وافون له بما دَعَوْتموه إليه على نَهْكَةِ الأموال ، وقَتْل الأشراف ، فخُذُوه ، فهو والله خَيْرُ الدنيا والآخرة ، قالوا : فإنَّا نأخُذه على مُصيبة الأموال ، وقَتْل الأشراف ، فما لنا بذلك يارسول الله إن نحن وفّينا ؟ قال : الجنَّة . قالوا : أبسُط يدَك ، فبَسَط يدَه فبايعوه .

وأما عاصم بن عُمر بن قَتَادَة فقال : والله ما قال ذلك العبَّاس إلا ليَشُد العَقْدَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أعناقهم .

وأما عبدُ الله بن أبى بكر فقال : ماقال ذلك العبَّاس إلا ليؤخِّر القوم تلك الليلة ، رجاء أن يحضرها عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُولٍ ، فيكون أقوى لأمر القوم. فالله أعلم أىّ ذلك كان .

قال ابن هشام : سَلُول : امرأة من خُزاعة ، وهى أم أُبَىّ بن مالك بن الحارث .

أول صحابى ضرب على يد الرسول
فى بيعة العقبة الثانية

قال ابن إسحاق : فبنو النجَّار يزعُمون أن أبا أمامة ، أسعد بن زُرارة ، كان أوّلَ من ضرب على يَده ، وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهَيْثم بن التَّيهان .

قال ابن إسحاق: قال الزهرى: حدثنى معبد بن كَعب بن مالك، فحدثنى فى حديثه، عن أخيه عبد الله بن كَعْب، عن أبيه كَعْب بن مالك، قال: كان أوّل من ضَرب على يد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم البَرَاء بنُ مَعْرور، ثم بايع بعدُ القومُ.

الشيطان و بيعة العقبة

فلمّا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العَقَبة بأنفذ صوت سمعتُه قطُّ: يا أهل الجَبَاجِبِ — والجَباجِبُ: المنازل — هل لكم فى مُذَمَّم والصُّباة معه، قد اجتمعوا على حَرْبكم. قال: فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: هذا أَزَبُّ العقبة، هذا ابن أَزْيَب — قال ابن هشام: ويقال ابن أَزْيَب استمع أى عدوّ الله، أمَا والله لأفرغنّ لك.

الرسول لا يستجيب لطلب الحرب من الأنصار

قال: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارفضُّوا إلى رِحالكم. قال: فقال له العبّاسُ بن عُبادة بن نَضْلة: والله الذى بعثك بالحقّ: إن شئتَ لنميلنّ على أهْل مِنى غداً بأسْيافنا؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم نُؤْمَر بذلك، ولكن ارجعُوا إلى رحالكم. قال: فرَجعنا إلى مَضاجعنا، فنِمْنا عليها حتى أصْبحنا.

مجادلة جلة قريش للأنصار فى شأن البيعة

فلما أصبحنا غدت علينا جِلّة قُرَيش ، حتى جاءونا فى مَنازلنا ، فقالوا : يامعشر الخَزْرج ، إنه قد بَلَغنا أنكم قد جِئْتم إلى صاحبنا هذا تَسْتَخْرِجُونه من بين أظْهُرِنا ، وتُبايعونه على حَرْبنا ، وإنه والله ما مِن حَىٍّ من العرب أبْغَضُ إلينا ، أن تَنشَب الحربُ بيننا وبينهم ، منكم . قال : فانبعث مَنْ هناك مِنْ مُشْركى قَوْمنا يَحْلفون بالله ما كان مِن هذا شىء ، وما عَلِمْناه . قال : وقد صدَقوا ، لم يَعْلَموه . قال : وبعضُنا ينظُر إلى بعض . قال : ثم قام القومُ، وفيهم الحارث بنُ هشام بن المُغيرة المَخْزومىّ ، وعليه نَعْلان له جَديدان . قال : فقلتُ له كلمةً — كأنى أريد أن أُشْرِكَ القومَ بها فيما قالوا — : يا أبا جابر، أما تستطيع أن تتَّخذ ، وأنت سيِّد من ساداتنا ، مثلَ نَعْلَىْ هذا الفتى من قُريش ؟ قال : فسمِعها الحارث ، فخَلَعهما من رِجْليه ثم رمى بهما إلىّ ، وقال : والله لتَنْتَعِلَنَّهما . قال : يقول : أبو جابر : مَهْ ، أحْفَظْتَ والله الفتى ، فاردُد إليه نَعْلَيه . قال : قلت لا : والله لاأردّهما ، فألٌ والله صالح ، لئن صدق الفألُ لأسْلُبَنَّه .

قال ابن إسحاق : وحدثنا عبد الله بن أبى بكر : أنهم أتَوا عبدَ الله بن أبىّ بن سَلُول ، فقالوا له مثل ما قال كَعب من القول ، فقال لهم : إنَّ هذا الأمر جَسيم ، ما كان قومى ليتفوَّتوا علىّ بمثل هذا ، وما علمته كان . قال : فانصرفوا عنه .

. . . .

قريش تطلب الأنصار وتأسر سعد بن عبادة

قال : ونَفَر الناسُ من مِنىً ، فتَنَطَّس القومُ الخبَر ، فوجدوه قد كان ، وخَرجوا فى طلب القوم ، فأدركوا سَعْد بن عُبادة بأذَاخِر ، والمُنْذِرَ بن عمرو ، أخا بنى ساعدة بن كَعْب بن الخزْرج ، وكلاهما كان نقيبا . فأما المُنْذِرُ فأعْجَز القومَ ، وأما سَعْد فأخَذُوه ، فرَبطوا يدَيْه إلى عُنقه بِنِسْع رَحْله ، ثم أقْبَلوا به حتى أدْخلوه مكّة يَضْرِبونه ، ويَجْذِبونه ، بجُمَّتِه ، وكان ذا شَعْرٍ كَثِير .

خلاص سعد بن عبادة

قال سعد : فوالله إنى لفى أيْديهم إذ طَلع علىّ نَفرٌ من قُرَيش ، فيهم رَجُلٌ وَضِيء أبيضُ ، شَعْشَاع ، حلو من الرجال قال ابن هشام : الطويل الحسن قال رؤبة : يمطُوه من شَعْشاَع غيرِ مُودَن . يعنى عنق البعير غير قصير يقول مودن اليد أى : ناقص اليد يمطوه من السير شمشاع : حلو من الرجال .

قال : قلت فى نفسى : إن يكُ عند أحدٍ من القوم خَير ، فعند هذا ، قال فلما دنا منى رفع يدَه فلَكَمنى لَكْمةً شديدة . قال : قلت فى نفسى ، لا والله ماعندهم بعد هذا من خَيْر . قال : فوالله إنى لفى أيديهم يَسْحبونى إذ أوَى لِى رَجُلٌ مِمَّنْ كان معهم ، فقال : وَيْحَك ! أما بينك وبين أحد من قُرَيش جوار ولا عَهْد ؟ قال : قلت : بلى ، والله لقد كنت أجير لجُبَير بن مُطْعِم ابن عدىّ بن نَوْفَل بن عَبد مناف تجارة ، وأمنعهم ممن أراد ظُلْمَهُم ببلادى ،

وللحارث ابن حَرْب بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، قال : ويحك ! فاهتِف باسم الرّجلين ، واذكر ما بينك وبينهما . قال . ففعلتُ ، وخرج ذلك الرجلُ إليهما ، فوجدَهما فى المَسجِْد عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلاً من الخزْرج الآن يُضْرَب بالأبطَح لَيَهْتِف بكما ، ويذكر أن بينه وبينكما ، جواراً ، قالا : مَنْ هو ؟ قال سعد بن عُبادة ، قالا : صدق والله ، إن كان لَيُجير لنا تِجارَنا ، وَيمْنعهم أن يُظلَموا ببلده : قال : فجاءا فخلّصا سعداً من أيديهم فانطلق. وكان الذى لَكَمَ سعداً ، سُهَيلُ بن عمرو ، أخو بنى عامر بن لُؤَىّ .

قال ابن هشام : وكان الرجلُ الذى أوَى إليه ، أبا البَخْتِرِىّ بن هشام .

قال ابن إسحاق : وكان أوَّل شعر قيل فى الهجرة بيتَيْن ، قالهما ضِرَارُ ابن الخطَّاب بن مِرْداس ، أخو بنى محارب بن فهر :

تداركتَ سَعْداً عَنْوَةً فأخَذْتَه   وكان شِفاءً لو تداركتَ مُنْذِرا

ولو نِلْتَه طُلَّت هناك جِراحُه   وكانت حَرِيًّا أن يُهانَ ويُهْدَرا

قال ابن هشام : ويروى :

وكان حقيقا أن يُهانَ ويُهْدَرا

قال ابن إسحاق : فأجابه حَسَّان بن ثابت فيهما فقال ،

لستَ إلى سَعْدٍ ولا المرء مُنْذِرٍ   إذا مامَطايا القوْم أصبحْنَ ضُمَّرَا

فلولا أبو وَهْبٍ لَمرّت قصائدٌ   على شرَف البَرْقاء يَهْوِينَ حُسَّرا

أَتَفْخَرُ بالكَتَّان لَمَّا لَبِسْتَه ... وقد تلْبَس الأنباطُ رَيْطاً مُقَصَّرا
فَلا تكُ كالوَسْنان يَحلُم أنه ... بقَرْيَة كِسْرَى أو بقَرْيَة قَيْصَر
ولاتكُ كالثَّكْلَى وكانت بمَعزل ... عن الثُّكْل لو كان الفُؤادُ تفَكَّرا
وَلاتكُ كالشَّاةِ التى كان حَتْفها ... بحَفْر ذِراعَيْها فلم تَرْضَ مَحْفَرا
وَلاتكُ كالعاوِى فأقبل نَحْرَه ... ولم يَخْشَه سَهْماً من النَّبْل مُضْمَرا
فإنَّا وَمَنْ يُهْدِى القَصائد نحْوَنا ... كمُسْتَبْضِعٍ تَمْراً إلى أهل خَيْبَرا

وذكر فى أنساب المبايعين له فى العَقَبَة الأولى فى بَنِى سَلِمَة منهم : سادِرَة ابن تَزِيد بن جُشَم ، وتَزِيد بتاء منقوطة باثنتين من فوق ، ولايعرف فى العرب تَزِيد إلا هذا ، وتَزِيد بن الحافِ بن قُضَاعَة ، وهم الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية ، وأما سَلِمَة بكسر اللام ، فهم من الأنصار سمى بالسَّلِمَة واحدة السِّلَام ، وهى الحجارة ، قال الشاعر :

ذَاكَ خَلِيلى وذو يُعَاتِبنِى ... يَرْمِى ورائى بالسَّهْمِ والسَّلِمَة(١)

وفى جُعْفِىّ : سلمة بن عمرو بن دهل بن مروان بن جُعْفِىٍّ وفى جُهَيْنَةَ سَلِمَةُ

---

(١) فى اللسان : أنشد أبو عبيد فى السلمة :

ذاك خليلى وذو يعاتبنى ... يرمى ورائى بامسهم وامسلمة

وأراد : والسلمة ، وهى من لغات حمير قال ابن برى هو : البجير بن عفة الطائى ، قال : وصوابه :

وإن مولاى ذو يعاتبنى ... لاإحنة عنده ، ولا جرمـــة
ينصرنى منك غير معتذر ... يرمى ورائى بامسهم وامسلمه

. . . .

ابن نَصْر بن غَطَفَان قاله ابن حبيب النسابة[١] وفي الصحابة عَمْرو بن سَلِمَة أبو بُرَيْدة الجَرْمِيّ الذي أمّ قومَه ، وهو ابن ست سنين أو سبع ، وفي الرُّواة عبدالله بن سَلِمة وينسب إلى بنى سَلِمَة هؤلاء سَلَمِيّ بالفتح ، كما ينسب إلى بنى سَلَمَة ، وهم بطنان من بنى عامر يقال لهم : السَّلَمات ، يقال لأحدهم سَلَمَة الخَيْر ، والآخر سَلَمَة الشرّ ابنا قصير بن كعب بن ربيعة بن عامر ، وأما بنو سَلِيمَة بياء ففي دَوْسٍ ، وهم بنو سَلِيمَة بن مالك بن فَهْمِ بن غَنْم بن دَوْس ، وسَلِيمَةُ هذا هو أخو جَذِيمة الأَبْرش ، وهو الذي قتل أخاه مالكا بسهم[٢] قَتْل خَطأٍ ، ويقال في النسب إليه : سَلَمِيٌّ أيضا وهو القياس، وقد قيل : سَلِيمِيٌّ كما قيل في عُمَيْرة عُمَيْرِيٌّ .

وذكر بنى جِدَارة من بنى النجار ، وجِدَارة وخُدَارة : أخوان ، وغيره

---

(١) في القاموس : « وبنو سلمة بطن من الأنصار ، وابن كهلاء في بجيلة ، وابن الحارث في كندة ، وابن عمرو بن ذهل وابن غطفان بن قيس، وعميرة بن خفاف بن سلمة ، وعبد الله بن سلمة البدرى الأحدى ، وعمرو بن سلمة الهمدانى ، وعبد الله بن سلمة المرادى وأخطأ الجوهرى في قوله : وليس سلمة في العرب غير بطن الأنصار » وذكر أيضاً في الصحابة سلمة بن حنظلة السحيمى وابن قيس الجرمى .

(٢) في الاشتقاق : وسليمة الذى رمى أباه بسهم ، فقتله وله يقول مالك .

أعلمه الرماية كل يوم   فلما اشتد ساعده رمانى

ويروى : استد . وفي مادة سدد في اللسان يذكر ابن برى أنه رآه في شعر عقيل بن علفة يقول في ابنه عملس حين رماه بسهم ، ونسبه الجاحظ في البيان والتبيين ص ٢٣١ – ٣ إلى معد بن أوس انظر ص ٤٩٧ ، ٥٤٣ الاشتقاق لابن دريد « ط » السنة المحمدية ص ٢٦٨

. . . .

يقول فى جِدارة : خُدَارة بالخاء المضمومة ، وهكذا قيده أبو عمرو ، كذلك ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ، وهو أشبه بالصَّواب لأنه أخو خِدْرَة[١] وكثيرا ما يجعلون أسماء الإخوة مُشْتَقَّةً بعضها من بعض .

وذكر الْقَوَاقِل وهم بنو عمرو بن غَنْم بن مالك ،وذكر تسميتهم الْقَوَاقِل، وأن ذلك لقولهم إذا أجاروا أحدا : قَوْقِل حَيْث شئت ، وفى الأنصار : القواقِل والْجَعَادِرُ[٢] وهما بطنان من الأوس،وسبب تسميتهما واحد فى المعنى ، أما الْجَعَادِرُ فكانوا إذا أجاروا أحدا أعطوه سهما ، وقالوا له : جَعْدِرْ به حيث شئت ، كما كانت القواقل[٣] تفعل ، وهم بنو زَيْد بن عمرو بن مالك بن ضُبَيْعَةَ [بن زيد] يقال لهم كسر الذهب ، وهما جميعاً من الْأَوْس .

قال الشاعر :

فإن لنا بين الجوارى وليدةً ... مُقَابَلَة بين الْجَعَادِر[٤] والكَسْر
متى تدع فى الزيدين زيدِ بن مالك ... وزيدِ بن عمرو تأتِها عِزَّةُ الْخَفْرِ

وذكر فيهم أبا الهيثم بن التَّيْهان ، ولم ينسبه ، ولا نسبه فى أهل العقبة الثانية ، ولا فى غزوة بدر ، وهو مالك بن التَّيْهان ، واسم التيهان أيضاً مالكُ

---

(١) انظر ص ٤٥٥ الاشتقاق ط السنة المحمدية .

(٢) فى الاشتقاق : « ومرة ، وهم الجعادرة » ص٤٣٧ وقد جلعهم ابن دريد بطنا من الأوس وكذلك ابن حزم ص ٣٢٥ أما القواقل ، فهم من الخزرج .

(٣) القوقلة عند ابن دريد : التغلغل فى الشىء والدخول فيه ص ٤٥٦ .

(٤) الجعادرة هم بنو مرة بن مالك بن الأوس .

. . . .

ابن عَتِيكِ بن عَمْرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زَعْوَرَ[1] ، بن جُشَم بن الحارث بن الخَزْرَج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري حليف بني عبد الأشْهَلِ كان أحد النُّقَباء ليلة العقبة ، ثم شهد بدرا ، واختلف في وقت وفاته ، فأصح ماقيل فيه إنه شهد مع عليٍّ صِفِّين[2] ، وقتل فيها رحمه الله ، وأحسب ابن إسحاق وابنَ هشام تركا نسبه على جلالته في الأنصار وشهوده هذه المشاهد كلها مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لاختلافٍ فيه ، فقد وجدت في شعر عبد الله بن رَوَاحَة حين أضاف أبو الهيثم رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — في منزله ومعه أبو بكر وعمر ، فذبح لهم عَنَاقًا[3] وأتاهم بِقِنْوٍ من رُطَبَ الحديث بطوله ، فقال ابن رَوَاحة في ذلك :

فلم أر كالإسلام عِزًّا لأهله ولا مثلَ أضيافِ الأَرَاشِيِّ مَعْشَرا

فجعله إرَشِيًّا كما ترى ، والأَرَاشِيُّ منسوب إلى إراشَةَ في خُزَاعَةَ ، أو إلى إراش بن لِحْيَانِ بن الغَوْثِ فالله أعلم : أهُو أنصاري بالحِلْفِ أم بالنَّسَبِ المذكور ، قبل هذا ، ونقلته من قول أبي عُمرَ في الاستيعاب ، وقد قيل : إنه

---

(١) في الأصل: زعور والتصويب من الإصابة ونسبه فيها كما في الروض وفي الإصابة : والروايات عن أبي الهيثم كلها فيها نظر ، وليست تأتي من وجه يثبت .

(٢) وهذا ساقه أبو بشر الدولابي من طريق صالح بن الوجيه ، وعبد الرحمن بن بديل وآخرون . وصفين أرض فوق بالس بمقدار نصف مرحلة ، وهما غربي الفرات بها كانت الوقعة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، وبالس هي أول مدن الشام من العراق وهي فرضة الفرات لأهل الشام

(٣) العناق : الأنثى من ولد المعز

. . . .

بلوىٌّ من بنى إراشة بن فاران بن عمرو بن بلىّ ، والهيثم فى اللغة : فرخ [النسر ، أو] العقاب ، والهيثم أيضاً ضربٌ من العشب فيما ذكر أبو حنيفة ، وبه سمى الرجل هيثماً أو بالمعنى الأول وأنشد :

رعت بقران الحزن روضاً منوّراً عميماً من الظلاع والهيثم الجعد

ذكر بيعتهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بيعة النساء ألا يسرقوا ، ولا يزنوا إلى آخر الآية ، وقيل فى قوله عز وجل خبرا عن بيعة النساء : ﴿ ولا يأتين ببهتان ﴾ أنه الولد تنسبه إلى بعلها ، وليس منه ، وقيل : هو الاستمتاع بالمرأة فيما دون الوطء كالقبلة والجسة ونحوها ، والأول يشبه أن يبايع عليه الرجالُ ، وكذلك قيل فى قوله تعالى : ﴿ ولا يعصينك فى معروف ﴾ أنه النوح ، وهذا أيضا ليس من شأن الرجال ، فدل على ضعف قول من خصه بالنوح ، وخص البهتان بإلحاق الولد بالرجل ، وليس منه ، وقيل : يفترينه بين أيديهن يعنى : الكذب وعيبَ الناس بما ليس فيهم ، وأرجلهن يعنى : المشى فى معصية ، ولا يعصينك فى معروف ، أى : فى خير تأمرهنّ به ، والمعروف: اسم جامع لمكارم الأخلاق ، وماعرف حسنه ولم تنكره القلوبُ ، وهذا معنى يعم الرجالَ والنساءَ ، وذكر ابن إسحاق فى رواية يونس فيما أخذه عليه السلام عليهن : أن قال: ولا تغششن أزواجكن ، قالت : إحداهن وماغشُّ أزواجنا فقال : أن تأخذى من ماله

. . . .

فَتُحَابَى به غيرَه (١) .

هجرة مصعب بن عمير

فصل : وذكر هِجْرَةَ مُصْعَب بن عُمَيْرٍ وهو الْمُقْرِئ ، وهو أول من سُمِّيَ بهذا ، أعنى الْمُقْرِئ يُكْنَى أبا عبد الله ، كان قبل إسلامه من أنعَم قريشٍ عَيْشًا وأعطرهم ، وكانت أمه شديدة الْكَلَفِ به ، وكان يبيت وقَعْبُ الْحَيْسِ (٢) عند رأسه ، يستيقظ فيأكل ، فلما أسلم أصابه من الشِّدَّة ما غيَّر لونه وأذهب لحمه ، ونَهَكَتْ جسمَه حتى كان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينظر إليه ، وعليه فروة قد رقعها ، فيبكى لما كان يعرف من نَعْمته ، وحلفت أمُّه حين أسلم وهاجَر ألاّ تأكلَ ولا تشربَ ولا تَسْتَظِلَّ بظل حتى يرجع إليها ، فكانت تقف للشمس حتى تسقط مَغشِيًّا عليها ، وكان بنوها يَحْشُون فاها بِشِجَارٍ (٣) ، وهو عود فيصبُّون فيه الْحَسَاءَ لئلا تموتَ ، وسنذكر اسمَها ونسبَها عند ذكره فى الْبَدْرِيِّين إن شاء الله تعالى ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يذكره ، فيقول : ما رأيت بمكة أحسن لِمَّةً ، ولا أَرَقَّ حُلَّةً ولاَ أَنْعَمَ نَعْمَةً من مُصْعَبِ بن عُمَيْر ذكره الواقدى . وذكر أيضا بإسنادٍ له ، قال : كان

---

(١) فى حديث رواه أحمد بسنده عن سلمى بنت قيس إحدى خالات الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) القعب : القدح الضخم الجافى ، والحيس : تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ، ثم يندر منه نواه ، وربما جعل فيه سويق .

(٣) أصله : عود يجعل فى فم الجدى لئلا يرضع . وحديث بكاء الرسول «ص» حين كان يرى مصعبا رواه الترمذى بسند فيه ضعف .

. . . .

مُصْعب بن عمَير فتى مكة شَبَابًا وجمالا وسِنًّا وكان أبواه يحبانه ، وكانت أمه تكسوه أحسن مايكون من الثياب ، وكان أعطَر أهلِ مكة يلبس الحَضْرَمِيَّ من النِّعال(١)

وذكر أنَ مَنْزَلَه كان على أسْعَدِين زُرَارةَ ، مَنزلٌ بفتح الزاى ، وكذلك كل ماوقع فى هذا الباب من مَنْزَل فلان على فلان ، فهو بالفتْح ، لأنه أراد المصدر ، ولم يُرِد المكان ، وكذا قيده الشيخ أبو بحر بفتح الزاى ، وأما أُمّ قَيْس بنت مُحْصِن المذكورة فى هجرة بنى أسد ، فاسمها آمنة وهى أخت عكاشة، وهى التى ذكرت فى المُوَطأ وأنها أتت بابن لهــا صغير لم يأ كل الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أول جمعة :

فصل : وذكر أولَ من جَمَّع بالمدينة ، وهو أبو أمَامة ، وذكر غيره أن أن أولَ من جَمَّع بهم مُصْعَبُ بن عُمَيْر، لأنه أول من قدم المدينة من المهاجرين، ثم قدم بعده ابنُ أمِّ مَكْتُوم،وقد ذكرنا فى أول الكتاب مَنْ جمع فى الجاهلية بمكة نخطب وذكَّر وبَشَّر بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، وحَضَّ على اتباعه، وهو كَعْب بن لُؤَىّ(٢) ويقال : إنه أول من سمى العَرُوبة الجمعة،ومعنى العَرُوبة الرحمة فيما بلغنى عن بعض أهل العلم، وكانت قريش تجتمع إليه فيها فيما حكى الزبير ابن بكار ، فيخطبهم ، فيقول : أما بعد فاعلموا وتعلَّموا إنما الأرضُ لله مهادٌ ،

(١) نسبة إلى حضرموت ، وهى نعال ملسنة .
(٢) وسبق تعليق على ذلك .

. . . .

والجبالُ أَوْتاد، والسماء بناء، والنجُوم سملا[١]، ثم يأمرهم بصلَةِ الرَّحِم، ويبشرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم[٢]، ويقول : حَرَمُكُمْ ياقوم عظِّمُوه، فسيكون له نبأٌ عظيم، ويخرج منه نبى كريم، ثم يقول فى شعر ذكره :

على غَفْلة يأتى النبى محمدٌ فيخبر أخباراً صَدُوقٌ خبيرُها
صُروفٌ رأينا ها تُقلِّب أهلَها لهـا عُقَدٌ مايستحيل مريرها

ثم يقول :

ياليتنى شاهدٌ فَحْوَاءَ دَعْوتِهِ إذا قُرَيْش تبغِّى الحقَّ خِذْلانا[٣]

وأما أول من جمع فى الإسلام فهو مَنْ ذكرنا .

نقيع الخضمات :

وذكر ابن إسحاق أنه جمع بهم أبو أمامة عند هَزْم النَّبِيتِ فى بَقِيع يقال له بقيع الخَضِماتِ. بقيع بالباء وجدته فى نسخة الشيخ أبى بحر ، وكذلك

---

(١) هكذا بالأصل ، ولم أهتد إلى صوابها .

(٢) النبى نفسه لم يكن حتى ليلة المبعث يعرف شيئا عن نبوته . يجوز أن نفهم على فرض صحة النقل — أنه كان يبشرهم بمبعث نبى ، ويقول عنه الجاحظ « ومن الخطباء القدماء : كعب بن لؤى ، وكان يخطب على العرب عامة ، ويحض كنانة على البر ، فلما مات أكبروا موته ، فلم تزل كنانة تؤرخ بموت كعب إلى عام الفيل » ص ٣٥ جـ١ البيان والتبيين بتحقيق عبد السلام هارون .

(٣) فى الأصل . لجراء ، وهو خطأ . وللكلمة روايتان إحداهما: فحواء أى : معنى ، ونجواء ، والمد للضرورة وهو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف أى دعوته السر . وقد سبق التعليق على البيت فى الجزء الأول .

. . . .

وجدته فى روَاية يونس عن ابن إسحاق ، وذكره البكرى فى كتاب مُعْجَم ماستَعْجَم من أسماد البُقَع أنه نَقِيعٌ بالنون ، ذكره فى باب النون والقاف[١]، وقال : هَزْم النَّبيت : جَبَلٌ على بريد من المدينة ، وفى غريب الحديث : أنه عليه السلام حمى غرز النقيع. قال الخطابى : المقيعُ : القاعُ ، والْغَرَزُ شبه الثُّمام[٢] وسيأتى تفسيرُه فيما بعد إن شاء الله تعالى، ومعنى الْخِضِمَاتِ من الْخَضْم، وهو الأَكْل بالفم كله ، والْقَضْمُ بأطراف الأسنان ، ويقال : هو أكل اليابس ، والْخَضْمُ : أكل الرطب ، فكأنه جمع خَضِمَة ، وهى الماشية التى تَخْضَم ، فكأنه سمى بذلك لخصب كان فيه ، وأما البقيع بالباء فهو أقرب إلى المدينة منه بكثير ، وأما بقيع الْخَبْجَبَة بخاء وجيم وباءين ، فجاء ذكره فى سُنَنِ أبى داود[٣] : والْخَبْجَبَةُ : شَجَرَةٌ عُرِف بها .

الجمعة :

فصل : وتجميع أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجمعةَ وتسميتُهم إيَّاها بهذا الأسم وكانت تسمى الْعَرُوبَةَ ـ كان عن هِدايةٍ من الله تعالى لهم

---

(١) يقول الخشنى فى شرح السيرة عن نقيع الخضمات : « وقع فى الرواية هنا بالباء والنون ، والصواب بالنون ، وهو موضع يستنقع فيه الماء ،والنقيع : البئر » ص ١١٨ . وهو فى معجم ياقوت : نقيع . وكذلك صاحب المراصد .

(٢) فى القاموس عن الغرز : ضرب من الثمام أو نباته كنبات الإذخر من شر المرعى .

(٣) رواه فى باب الركاز بسنده عن ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، وخلاصته أن المقداد وجد ببقيع الخبجبة حجرا وجد به عدة دنانير ، وأن النبى دعا له بالبركة فيها بعد أن علم أنه لم يهو إلى الحجر بيديه .

. . . .

قبل أن يُؤْمَروا بها ، ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فاستقر فرضُها واستمر حكمُها ، ولذلك قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى يوم الجمعة : أَضَلَّتْه اليهودُ والنصارى ، وهدا كم الله إليه .

ذكر الكَشِّى ، وهو عَبْدُ بن حميد قال : نا عبد الرزاق عن مَعْمَر عن أيوب عن ابن سيرين قال : جمع أهلُ المدينة قبل أن يَقْدَم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ، وقبل أن تنزل الجمعة ، وهم الذينَ سَمَّوا الْجُمْعَة ، قال الأنصار : لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام ، وللنصارى مثل ذلك ، فَهَلُمَّ ، فلنجعلْ يوما نجتمع فيه ، ونذكر الله ، ونصلى ونشكر ، أو كما قالوا ، فقالوا : يوم السبت لليهود ، ويوم الأحد للنصارى ، فاجعلوا يوم الْعَرُوبة ، كانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة ، فاجتمعوا إلى أسعد بن زُرَارَة ، فصلى بهم يَوْمئذٍ ركعتين ، فذكرهم ، فسموا الجمعة حين اجتمعوا إليه ، فذبح لهم شاةً فتغدَّوا وتعشَّوْا من شاةٍ ، وذلك لقلتهم ، فأنزل الله ـ عز وجل ـ فى ذلك : ﴿ إذا نُودِى للصلاةِ مِنْ يَوم الْجُمعة فاسعَوْا إلى ذكر الله ﴾ الجمعة : ٩ .

قال المؤلف : ومع توفيق الله لهم إليه ، فيبعد أن يكونَ فعلُهم ذلك عن غير إذن من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهم ، فقد روى الدَّارَقُطْنِىُّ عن عُثْمان ابن أحمد بن السَّماك ، قال : نا أحمد بن محمد بن غالب الباهِلِىّ ، قال : نا محمد ابن عبد الله أبو زيد الْمَدَنِى ، قال : نا المُغِيرَةُ بن عبد الرحمن ، قال : حدثنى مالك عن الزُّهْرِىِّ عن عُبَيْدِ الله بن عَبْـد الله عن ابن عباس ، قال : أذن النبىُّ صلى الله عليه وسلم بالجمعة قبل أن يهاجر ، ولم يستطع رسولُ الله صلى الله

. . . .

عليه سلم ـ أن يجمع بمكة ، ولايُبدى لهم ، فكتب إلى مُصْعب بن عُمَيْر : أما بعد : فانظر اليوم الذى تَجْهَر فيه اليهود بالزَّبُور لِسَبْتهم ، فاجْمَعُوا نساءكم وأبناءكم ، فإذا مال النهارُ عن شَطْرِه عند الزَّوال من يوم الجمعة ، فتقربوا إلى الله بركعتين قال : فأول من جَمَّع : مُصْعَبُ بن عُمَيْر ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ، فجمع عند الزوال من الظهر ، وأظهر ذلك ، ومعنى قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أضلَّته اليهودُ والنصارى ، وهدا كم الله إليه فيما ذكر أهل العلم أن اليهود أُمِرُوا بيوم من الأسبوع ، يعظِّمون الله فيه ، ويتفرغون لعبادته ، فاختاروا من قِبَلِ أنفسهم السبت فأُلزِمُوه فى شرعهم ، كذلك النصارى أُمِرُوا على لسان عيسى بيوم من الأسبوع ، فاختاروا من قِبَل أنفسهم الأحدَ ، فأُلزِموه شرعاً لهم .

قال المؤلف : وكان اليهودُ إنما اختاروا السبتَ ، لأنهم اعتقدوه اليومَ السابعَ ، ثم زادوا الكفرهم أن الله استراح فيه ، تعالى الله عن قولهم ، لأن بَدْء الخَلْق عندهم الأحد ، وآخر الستة لأيام التى خلق الله فيها الخلق الجمعة ، وهو أيضاً مذهب النصارى ، فاختاروا الأحدَ ، لأنه أول الأيام فى زعمهم ، وقد شهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للفريقين بإضلال اليوم ، وقال فى صحيح مُسْلِم إن الله خلق التربة يوم السبت ، فبيَّن أن أول الأيام التى خلق الله فيها الخلقَ السبت ، وآخر الأيام الستة إذاً الخميس ، وكذلك قال ابن إسحاق فيما ذكر عنه الطبرى ، وفى الأثر أن يوم الجمعة سُمِّى الجمعة ، لأنه جُمع فيه خَلْقُ آدم ، روى ذلك عن سَلْمان وغيره ، وقد قدمنا فى حديث

. . . .

الـكَـتَّى أن الأنصار سَمَّوْه جُمْعَةً لاجتماعهم فيـه ، فهداهم الله إلى التسمية ، وهداهم إلى اختيار اليوم ، وموافقة الحـكمة أن الله تعالى لما بدأ فيه خَلْقَ أبينا آدمَ ، وجعل فيه بَدْء هذا الجنس ، وهو البشر ، وجعل فيه أيضا فناءهم وانقضاءهم إذ فيه تقوم الساعةُ ، وجب أن يكون يومَ ذِكْرٍ وعبادة ، لأنه تذكرة بالمبدأ ، وتذكرة بالمعاد ، وانظر إلى قوله تعالى : ﴿ فاسعَوْا إلى ذكرِ اللهِ وذَرُوا الْبَيْع ﴾ الجمعة : ٩ وخص البيعَ لأنه يومٌ يُذَكِّر باليوم الذى لاَ بَيْعٌ فيه ولا خُلَّة مع أنه وِتْرٌ للأيام التى قبله فى الأصح من القول ، والله يحب الْوِتْر ، لأنه من أسمائه فـكان من هُدَى الله لهذه الأمة أن أُلْهِمُوا إليه ثم أُقِرُّوا عليه لَمَّا وافقوا الحـكمة فيه ، فهم الآخِرون السابقون يوم القيامة، كما قال عليه السلام ، كما أن اليومَ الذى اختاروه سابقٌ لما اختارته اليهود والنصارى ، ومتقدم عليه ، ولذلك كان يقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة السجدة فى صبح يوم الجمعة رواه سَعِيد بن إبراهيم عن الأعرج عن أبى هريرة ، ورواه مُسْلِم الْبَطِينُ عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس كلاهما عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورواه عن سعيد بن جبير أيضاً عُرْوَةُ بن عبد الرحمن ذكره البزار ، ورواه الترمذى فى كتاب العلل له عن الأحوص ، ورواه أيضا عن أبى الأحوص ، وعن عَلْقَمَةَ عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فيه من ذكر الستة الأيام واتباعها بذكر خلق آدم من طين ، وذلك فى يوم الجمعة تنبيها منه عليه السلام على الحـكمة ، وتذكرة للقلوب

. . . .

بهذه الموعظة[1] .

(١) أخرج البخارى ومسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام ابن منبه قال: هذا ماحدثنا به أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، ثم إن هذا يومهم الذى فرض الله عليهم ، فاختلفوا فيه ، فهدانا الله له ، فالناس لنا فيه تبع . اليهود غدا ، والنصارى بعد غد » لفظ البخارى ، وفى لفظ لمسلم : أضل الله عن الجمعة من كان قبلنـــا ، فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا ، فهدانا الله ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة . نحن الآخرون من أهل الدنيا ، والأولون يوم القيامة ، المقضى بينهم قبل الخلائق » والمسلم لا يطمئن قلبه فيما يتعلق بالعبادة إلا لما نقل نقلا صحيحاً يغمر القلب بالسكينة : والروح بالولاء له ، ولن تطمئن نفس مسلم إلى أن الجمعة كانت صلاة ابتدعها الأنصار من عندهم . والقارىء المتدبر لآية الجمعة فى سورة الجمعة يؤمن أن صلاة الجمعة مفروضة من عند الله ، لا من عند الأنصار ، ولا من عند النبى « ص » فالنبى لا يفرض أمرا ، وإنما الذى يفرض هو ربنا سبحانه وتعالى .

أما زعم اليهود عن السبت ، فقد ورد عندهم فى سفر التكوين ما يأتى : « فأكملت السموات والأرض ، وكل جندها ، وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل ، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ، وبارك الله اليوم السابع ، وقدسه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا » الإصحاح الثانى الفقرات : ١ ، ٢ ، ٣ . والقرآن الكريم يدفع زورهم هذا بأنه بهتان أثيم . وتدبر قول الله سبحانه(ولقد خلقنا السماوات والأرض ، وما بينهما فى ستة أيام ، وما مسنا من لغوب) ق : ٢٨ واللغوب : التعب والاعياء ، هكذا اليهود لا يسكن حقدهم إلا أن يسبوا الله جل جلاله . ثم تدبر عن أيام الخلق هذه الآية البينة : (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين ، وتجعلون

. . . .

وأما قراءته : ﴿ هَلْ أتى على الإنسان حينٌ من الدَّهْرِ ﴾ في الركعة الثانية ، فلمَا فيها من ذكر السَّعْيِ وشكر الله لهم عليه يقول: ﴿وكان سَعْيُكم مَشْكورا﴾ مع ما في أولها من ذكر بَدْءِ خلق الإنسان ، وأنه لم يكن قبل شيئاً مذكوراً ، وقد قال في يوم الجمعة ﴿ فاسعَوْا إلى ذكرِ الله ﴾ فنبه بقراءته إياها على التأهب للسعي المشكور عليه والله أعلم ، ألا ترى أنه كان كثيراً ما يقرأ في صلاة الجمعة أيضا بهَلْ أتاكَ حديثُ الغاشِيةِ ، وذلك أن فيها : ﴿لِسَعْيِها راضِيةٌ﴾ كما في سورة الجمعة ، ﴿ فاسْعَوْا إلى ذكر الله ﴾ فاستَحَبَّ عليه السلام أن يقرأ في الثانية ما فيه

له أنداداً ، ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام ، سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء ، وهى دخان ، فقال لها ، وللأرض : ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سماوات في يومين ، وأوحى في كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم) فصلت : ٩ - ١٢ هذا هو الهدى الذى يتلألأ فيه الحق ، يشرق منه نور الله . وأما حديث أبى هريرة « أخذ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بيدى ، فقال : خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل » أما هذا فقد رواه مسلم والنسائى فى كتابيهما من حديث ابن جريج ، وهو — كما قيل — من غرائب الصحيح ، وقد علله البخارى فى التاريخ ، فقال رواه بعضهم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن كعب الأحبار !! وهنا تتجلى لنا حكمة الهداية الإلهية فى قوله سبحانه : (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ، ولا خلق أنفسهم ، وما كنت متخذ المضلين عضداً) الكهف : ٥١ فلا يجوز لمسلم أن يقول عن خلق السموات والأرض شيئاً غير ما قال الله سبحانه .

. . . .

رضاهم بسعيهم المأمور به فى السورة الأولى .

لفظ الجمعة :

ولفظ الجمعة مأخوذ من الاجتماع ، كما قدمنا وكان على وزن فُعْلَة وفُعُلَة لأنه فى معنى قُرْبَة ، وقُرُبَة والعرب تأتى بلفظ الكلمة على وزن ما هو فى معناها ، وقالوا : عُمْرَة ، فاشتقوا اسمها من عِمَارة المسجد الحرام ، وبنوه على فُعْلَة لأنها وُصْلَة وقُرْبَة إلى الله ، ولهذا الأصل فروعٌ فى كلام العرب ، ونظائر لهذين الأسمين يفيدُنا تتبعُه عما نحن بسبيله ، وفيما قدَّمناه ماهو أكثر من لمحةٍ دالة ، وقالوا فى الجمعة جَمَّع بتشديد الميم كما قالوا عَيَّد إذا شهد العيد ، وعرَّف إذا شهد عَرَفة ، ولا يقال فى غير الجُمُعَة إلا جَمَع بالتخفيف ، وفى البخارى : أول من عَرَّف بالبَصْرَة : ابنُ عباس ، والتعريف إنما هو بعرَفات ، فكيف بالبصرة ، ولكن معناه أنه رضى الله عنه إذا صلى العصر يوم عرَفَة أخذ فى الدعاء والذكر والضراعة إلى الله تعالى إلى غروب الشمس ، كما يفعل أهلُ عرَفة[1] .

ايام الاسبوع :

وليس فى تسميته هذه الأيام والإثنين إلى الخميس ما يشد قول من قال : إن أول الأسبوع : الأحدُ وسابعُها السبت ، كما قال أهل الكتاب لأنها تسمية طارئة ، وإنما كانت أسماؤها فى اللغة القديمة شِيَار وأوّل وأهْوَن وجُبَار ودُبَار ومُؤْنِسُ والعَرُوبَةُ[2] ، وأسماؤها بالسريانية قبل هذا

---

(١) وفيها أيضاً جمعه إذ ذهبوا بها إلى صفة اليوم أنه يجمع الناس كما يقال رجل همزة لمزة ضحكة .

(٢) سبق الكلام عنها ، وقد جمعها الشاعر فى قوله :

أؤمل أن أعيش . وأن يومى ... بأول ، أو بأهون أو جبار
أو التالى : دبار ، فإن أفته ... فؤنس أو عروبة أو شيار

. . . .

أبو جاد هوّز حُطّى إلى آخرها، ولو كان الله تعالى ذكرها فى القرآن بهذه الأسماء المشتقة من العدد ، لقلنا : هى تسمية صادقة على المسمَّى بها ، ولكنه لم يذكر منها إلا الجُمُعَة والسَّبْت (١)، وليسا من المُشْتَقَّة من العَدَدِ ، ولم يُسَمِّها رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بالأحد والاثنين إلى سائرها إلا حاكيا للغة قومه لا مُبْتَدِئاً لتسميتها ، ولعل قومَه أن يكونوا أخذوا معانى هذه الأسماء من أهل الكتاب المجاورين لهم ، فألقوا عليها هذه الأسماء اتباعا لهم ، وإلَّا فقدْ قدمنا ماورد فى الصحيح من قوله عليه السلام : إن الله خلق التُّرْبَةَ يَوْمَ السبت والجبَال يوم الأحد، الحديث ، والعجب من الطَّبَرِىِّ على تَبَحره فى العلم كيف خالف مقتضى

أراد : فبمؤنس ، وترك صرفه على اللغة القديمة ، وإن شئت جعلته على لغة من رأى ترك صــرف ما ينصرف . . . قال أبو موسى الحامض : قلت لأبى العباس : هذا الشعر موضوع، قال : لم ؟ قلت : لأن مؤنساً وجباراً ودباراً وشياراً تنصرف ، وقد ترك صرفها ، فقال : هذا جائز فى الكلام فكيف فى الشعر ؟ . . وقال اللحانى : كان أبو زياد وأبو الجراح يقولان : مضت الجمعة بما فيها ،فيوحدان ويؤنثان ، وكانا يقولان : مضــى السبت بما فيه فيوحدان ويذكران ، وكذلك الأحد ، ثم اختلفا فيما بعد ، فكان أبو زياد يقول : مضى الاثنان بما فيه وكذلك يفعل فى الثلاثاء والأربعاء والخميس . أما أبو الجراح فكان يقول : مضى الاثنان بما فيهما ، ومضى الثلاثاء بما فيهن، ومضى الأربعاء بما فيهن، ومضى الخميس بما فيهن ، فيجمع ويؤنث يخرج ذلك مخرج العدد . اللسان مادة جمع وعرب .

(١) ورد ذكر الجمعة مرة واحدة فى القرآن فى سورة الجمعة الآية رقم ٩ ، أما السبت فذكر ست مرات فى القرآن فى البقرة والنساء والأعراف والنحل ، وجاء الفعل : يسبتون مرة واحدة فى الأعراف .

. . . .

هذا الحديث ، وأَغنَقَ فى الرد على ابن إسحق وغيره ، ومال إلى قول اليهود فى أن الأحد هو الأول ويومَ الجمعة سادسٌ لا وتر وإنما الوتر فى قولهم يوم السبت مع ماثبت من قوله عليه السلام : أضلّه اليهودُ والنصارى ، وهدانا الله إليه ، وما احتج به بالطبرى[1] من حديث آخر ، فليس فى الصحة كالذى قدمناه ، وقد يمكن فيه التأويل أيضا ، فقف بقلبك على حكمة الله تعالى فى تعبد الخلق به لما فيه من التذكرة بإنشاء هذا الجنس ومبدئه ، كما قدمنا ، ولما فيه أيضاً من التذكرة بأحديّة الله سبحانه ، وانفراده قبل الخلق بنفسه ، فإنك إذا كنت فى الجمعة ، وتفكرت فى كل جمعة قبله حتى يترقى وهمُك إلى الجمعة التى خُلِق فيها أبوك آدم ثم فكرت فى الأيام الستة التى قبل يوم الجمعة ،

---

(١) اختلاف لاطائل تحته . ولنتدبر دعا ماذكرت به من قبل من قول الله سبحانه (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ، ولاخلق أنفسهم) هذا وقد ورد فى سفر التكوين أول أسفار التوراة كما يقول النصارى واليهود ، أن الله خلق الليل والنهار فى اليوم الأول ، وخلق السماء فى اليوم الثانى ، وخلق الأرض بنباتها وشجرها فى اليوم الثالث ، وخلق أنوار السماء ونجومها فى اليوم الرابع ، وخلق ما فى البحر من زحافات ، ومافى الأرض من طير ، وكل ذوات الأنفس الحية - ماعدا الإنسان - فى اليوم الخامس ، ثم عمل وحوش الأرض وبهائمها ودباباتها ، ثم قال « نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ، فيتسلطون على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى البهائم ، وعلى كل الأرض ، وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض ، فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ذكروأنثى خلقهم » كل هذا فى اليوم السادس ، ثم يقول السفر « وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل » فلنتدبر مايروى لنا من غير القرآن ، فقد يكون من هذه الأسفار ، ونحن لا ندرى .

. . . .

وجدت فى كل يوم منها جنساً من المخلوقات موجوداً إلى السَّبت ، ثم انقطع وهُلك فلم تجد فى الجمعة التى تلى ذلك السبتَ وجوداً إلا للواحد الصَّمَدِ الوتر ، فقد ذكَّرت الجمعةُ مَنْ تفكر بوَحْدانية الله وأوَّليته ، فوجب أن يُؤَكَّد فى هذا اليوم توحيدُ القلب للربِّ بالذكر له ، كما قال تعالى : ﴿فاسعَوْا إلى ذِكْرِ اللهِ وذَرُوا البيعَ﴾ الجمعة . وأن يتأكد ذلك الذكرُ بالعمل ، وذلك بأن يكون العملُ مشاكلا لمعنى التوحيد ، فيكون الاجتماع فى مسجد واحدٍ من المساجد ، وإلى إمام واحد من الأئمة ، ويخطب ذلك الإمام ، فيذكِّر بوحدانية الله تعالى وبائمانه ، فيشاكل الفعـــل القول ، والقول المعتقد ، فتأمل هذه الأغراض بقلبك ، فإنها تذكرة بالحق ، وقد زدنا على ماشرطنا فى أول الكتاب معانى لم تكن هنالك ، وعدنا بها ، ولكن الكلامَ يفتح بعضُه بابَ بعض ، ويحدو المتكلم قصد البيان إلى الإطالة ، ولا بأس بالزيادة من الخير ، والله المستعان .

إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير

وسمع أهلُ مكة هاتفا يهتف ، ويقول قبل إسلام سعد :

فإن يسلم السَّعْدان يصبح محمدٌ   بمكةَ لايخشى خلافَ المُخالِفِ

فَحسِبوا أنه يريد بالسَّعْدين : القبيلتين سعد هُذَيم من قُضاعة ، وسَعْد بن زَيْد مَناة بن تميم ، حتى سمعوه يقول :

. . . .

فيا سَعْدُ سَعْدَ الأوسِ كن أنت ناصرا
ويا سَعْدُ سعد الخَزْرَجين الغطارِف
أجِيبا إلى داعى الهدى ، وَتَمَنَّيا على الله فى الفِرْدَوْسِ مُنْيَةَ عارِف[1]

فعلموا حينئذ أنه يريد سعدَ بن مُعاذٍ وسَعْدَ بن عُبادَةَ .

هل يغتسل الكافر إذا أسلم ؟

وذكر فيه اغتسالهما حين أسلما بأمر مُصْعَبِ بن عُمَيْر لهما بذلك ، فذلك السُّنَّةُ فى كل كافر يسلم ، ثم اختلف فى نية الكافر إذا أسلم باغتساله ، فقال بعضهم ينوى به رفع الجَنَابة عن نفسه ، وقال بعضهم: ينوى التعبُّد ، ولا حُكْم للجَنَابةِ فى حقِّه ، لأن معنى الأمر به استباحةُ الصلاةِ ، والكافرُ لا يُصَلِّى ، وإن كان مخاطَباً فى أصح القولين ، ولكنه أمر مشروط بالإيمان ، فإذا لم يكن الإيمان ـ وهو الشرط الأول ـ فأجْدِرْ بأن يكون ـ الشرط الثانى ـ وهو الغسل من الجنابةِ غيرَ مُقَيَّدٍ بشىء ، فإذا أسلم هدَم الإسلامُ ما كان قبلَه ، فلم يجب عليه إعادةُ صلاةٍ مضت ، وإذا سقطت الصلواتُ سقطت عنه شروطُها ، واستأنف الأحكام الشرعية ، فتجب عليه الصلواتُ من حين يسلم بشروط

---

(١) هذا الصائح أو الهاتف هو أحد الشعراء ، ولهذا يقول ابن حجر فى فتح البارى عن السعدين ، وإياهما أراد الشاعر بقوله ، ثم روى البيت : فإن يسلم ص ٩٧ فتح البارى حـ ٧ وبعد البيت الأخير :

فإن ثواب الله للطالب الهدى جنان من الفردوس ذات رفارف

وقد رواه البخارى فى التاريخ الأوسط ولكن لم يخرجه فى الصحيح

. . . .

أدائها من وضوء وغسل من جنابة ، إذا أجنب بعد إسلامه ، وغير ذلك من شروط صحة الصلاة ، ورأيت لبعض المتأخرين أن اغتساله سُنَّةٌ لافريضة وليس عندى بالبيِّن لأن الله سبحانه يقول : ﴿ إنما المشركون نَجَسٌ ﴾ التوبة : ٢٨ وحكم النجاسة إنما يُرفع بالطهارة ولم يحكم عليهم بالتَّنْجِيس لموضع الجَنَابة ؛ لأنه قد علق الحكم بصفة الشِّرك ، والحكم المعلَّل بالصفة مرتبطٌ بها فإذا ارتفع حكمُ الشِّرْكِ بالإيمان لم يبق للجنابة حكم كما إذا كان المسلمُ جُنُباً ، ثم بال فالطهور من الجنابة ، يرفع عنه حكم الحَدَث الأصغر ، وهو حَدَثُ الوُضُوء ، لأن الطهارةَ الصُّغْرى داخلةٌ فى الكبرى ، وتطهُّره من تنجيس الشرك بإيمانه هو أيضاً بالإضافة إلى الطهر من الجنابة ، الطهارة الكبرى ، فينبغى أن تكون مُغْنِية عنها ، كما كانت الطهارةُ من الجنابة مُغْنِيةً عن الطهارة من الحَدَث ؛ إذ ليست واحدةٌ من هذه الطهارات مزيلةً لِعَيْنِ نجاسة فيها ، فينبغى بعد هذا أن أمره بالاغتسال تعبُّد ، والحُكم بأنه غير فرض تحكُّمٌ والله أعلم ، غير أن الترمذى خرج حديثَ قيسِ بن عاصم حين أسلم فأمره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يغتسل . قال الترمذى : وعلى هذا العمل عند أهل العلم يَسْتحِبُّون للكافر إذا أسلم أن يغتسل ، ويغسل ثيابه ، فقال : يستحِبُّون ، وجعلها مسألة استحباب .

من شرح شعر ابن الأسلت :

فصل : وذكر شعر أبى قيس بن الأسْلَت ، وفيه قوله :

ولولا رَبُّنا كُنَّا يَهُوَداً   وما دينُ اليهود بذى شُكُول

. . . .

أراد جمع : شَكْل ، وشَكْلُ الشيء - بالفتح[1] - هو مثله ، والشِّكل بالكسر الدَّلُّ والحُسْنُ ، فكأنه أراد أنَّ دينَ اليهود بِدْعٌ ، فليس له شُكول أى : ليس له نظير فى الحقائق ، ولا مثيل يعضُدُه من الأمر المعروف المقبول ، وقد قال الطائى :

وقلت :أخى ، قالوا : أخٌ من قرابةٍ   فقلت لهم : إن الشُّكولَ أقاربُ

قَريبىَ فى رَأيى ودِينى ومَذْهبى   وإن باعدتنا فى الخطوب المناسب

وقال فيه : مع الرهبان فى جَبَلِ الجليل . الجليلُ بالجيم الشّمامَ ، وهذا الجبل من جبال الشام معروف بهذا الاسم[2] .

ذكر البراء بن معرور ، وصلاته إلى القبلة

ذكر حديث كعبِ بنِ مالك حين حَجَّ فى نَفَرٍ من قومه مع البَراء بن مَعْرُورٍ ، فكانوا يُصلون إلى بيت المَقْدِس ، وكان البَراء يصلى إلى الكعبة

---

(١) فى القاموس أنه يكسر أيضاً

(٢) فى المراصد : جبل الجليل : فى ساحل الشام ممتد إلى قرب مصر . قيل هو جبل يقبل من الحجاز ، فما كان بفلسطين فهو جبل الحمل ، وما كان بالأردن فهو جبل الجليل ، وهو بدمشق : لبنان وبحمص : سنير . وفى قاموس الدكتور بوست : أن الجليل كانت القسم الشمالى لفلسطين ، ويحدها من الشمال نهر القاسمية ، ومن الشرق : الأردن وبحر الجليل ،ومن الجنوب : السامرة ، ومن الغرب فينيقية الممتدة من الكوامل إلى صور ، وكانت الجليل قسمين العليا ويسكنها السوريون والفينيقيون ، والعرب ، والسفلى . فكانت بقرب بحر طبرية ، وكان يسكنها أسباط بساكروزبولون وغيرهم .

. . . .

الحديث ـ إلى قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : قد كنت على قِبلة لو صبرت عليها فِقْهُ قولِه : لو صبرت عليها : أنه لم يأمره بإعادة ماقد صلَّى ؛ لأنه كانُ مُتأوِّلاً .

قبلة الرسول صلى الله عليه وسلم :

وفى الحديث : دليلٌ على أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يصلى بمكة إلى بيت المقدس ، وهو قول ابن عباس ، وقالت طائفة : ماصلى إلى بيت المقدس إلا مذ قدِم المدينة سَبْعَةَ عشر شهرا أو ستة عشر شهراً[1] ، فعلى هذا

---

(١) روى البخارى بسنده عن البراء رضى الله عنه أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا ، أو سبعة عشر شهرا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان صلى معه ، فمر على أهل المسجد ، وهم راكعون ، قال : أشهد بالله : لقد صليت مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل مكة ، فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذى قد مات على القبلة ، قبل أن تحول قبل البيت رجالا قتلوا لم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله : (وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم) . أقول: لعل الراوى يريد أنه بهذا الجزء من الآية اطمأن كل امرىء مسلم إلى هذا المعنى ، أو لعله أراد الآية كلها ، إذ لا يعقل تأخر جزء من آية هذا شأنه وارتباطه الوثيق بما قبله عن جزئه الأول المتمم لمعناه ! ! وقد انفرد البخارى به من هذا الوجه ، ورواه مسلم من وجه آخر وورد فى البخارى أيضاً « بينا الناس يصلون الصبح فى مسجد قباء إذ جاء جاء فقال : أنزل الله على النبى قرآنا أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها ، فتوجهوا إلى الكعبة » وأخرجه مسلم أيضاً . وإليك ما قاله ابن كثير فى تفسيره « وقد جاء فى هذا الباب أحاديث كثيرة ، وحاصل الأمر أنه قد كان رسول الله ـ صلى الله

. . . .

يكون فى القبلة نسخان نَسْخُ سُنَّةٍ بسُنَّةٍ ، ونسخ سُنَّةٍ بقرآن ، وقد بيَّنَ حديثُ ابن عباس منشأ الخلاف فى هذه المسألة ، فروى عنـــه من طرق صحاحٍ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا صلى بمكة استقبل بيت المقـدس ، وجعل الـكعبةَ بينه وبين بيت المقدس ، فلما كان عليه السلام يتحرَّى القبلتين جميعا لم يَبِنْ توجُّهه إلى بيت المقدس للناس ، حتى خرج من مكة والله أعلم. قال الله تعالى له فى الآية الناسخة : ﴿ومِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وجهَكَ شَطْرَ

عليه وسلم ـ أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس ، فـكان يصلى بين الركنين ، وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما ، فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس ،قاله ابن عباس والجمهور ، ثم اختلف هؤلاء ، هل كان الأمر به بالقرآن ، أو بغيره ؟ على قولين ، وحكى القرطبى فى تفسيره . . أن التوجه إلى بيت المقدس كان باجتهاده عليه السلام ، والمقصود أن التوجه إلى بيت المقدس بعد مقدمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ، واستمر الأمر على ذلك بضعة عشر شهرا ، وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه إلى الـكعبة التى هى قبلة إبراهيم عليه السلام ، فأجيب إلى ذلك وأمر بالتوجه إلى البيت العتيق . فخطب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس ، فأعلمهم بذلك ، وكان أول صلاة صلاها إليها صلاة العصر ، كما تقدم فى الصحيحين من رواية البراء ، ووقع عند النسائى من رواية أبى سعيد بن المعلى أنها الظهر . . . وذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن تحويل القبلة نزل على رسول الله ، وقد صلى ركعتين من الظهر ، وذلك فى مسجد بنى سلمة ، فسمى مسجد القبلتين : وفى حديث نويلة بنت مسلم أنهم جاءهم الخبر بذلك ، وهم فى صلاة الظهر ، قال : فتحولت الرجال مكان النساء ، والنساء مكان الرجال ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمرى ، وأما أهل قباء ، فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من اليوم الثانى كما جاء فى الصحيحين ، وهى محاولة للجمع بين التى تروى أنها صلاة العصر ، وبين التى تروى أنها صلاة الصبح . .

. . . .

﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ البقرة : ١٥٠ أى : من أى جهـــة جئت إلى الصلاة ، وخرجت إليها فاستقبل الـكعبة كنتَ مُسْتَدْبِراً لبيت المقدس ، أو لم تـكن ، لأنه كان بمكة يتحرَّى فى استقباله بيتَ المقدِس أن تـكون الـكعبةُ بين يديه ، وتدبر قوله تعالى : ﴿ ومِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وجهَك ﴾ وقال لأمته : ﴿ وحَيْثُ مَا كُنتُم فَوَلُّوا وجوهَـكم شَطْرَه﴾ ولم يقل : حيثما خَرَجْتُم ، وذلك أنه كان عليه السلام إمامَ المسلمين ، فكان يخرج إليهم إلى كل صلاة ليصلى بهم، وكان ذلك واجبا عليه إذ كان الإمام المقتدَى به فأفاد ذكرُ الخروج فى خاصَّته فى هذا المعنى ، ولم يكن حكم غيره هـكذا ، يقتضى الخروج ، ولاسيَّما النساء ، ومن لاجماعة عليه ، وكرر البارى تعالى الأمر بالتوجُّه إلى البيت الحرام فى ثلاثِ آياتٍ ، لأن الْمُنْـكِرين لتحويل القبلة ، كانوا ثلاثة أصنافٍ من الناس اليهود، لأنهم لايقولون بالنسخ فى أصل مذهبهم ، وأهلُ الرَّيْب والنِّفاق اشتد إنـكارهم له أنه كان أولَ نسخ نزل ، وكفار قُريش قالوا : ندِم محمد على فِراق ديننا فسيرجع إليه كما رجع إلى قِبْلَتنا ، وكانوا قبل ذلك يحتجُّون عليـه ، فيقولون : يزعم محمد أنه يدعونا إلى ملة إبراهيم وإسماعيل ، وقد فارق قِبلة إبراهيم وإسماعيل ، وآثر عليها قِبلة اليهود ، فقال الله له حين أمره بالصلاة إلى الـكعبة ﴿ لِئَلَّا يكونَ للناس عليكم حجةٌ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ البقرة : ١٥٠ على الاستثناء المنقطع ، أى: لـكن الذين ظلموا منهم لايرجعون ولايهتدون(١)

---

(١) يرى بعض المفسرين أنه غير منقطع ، لأن هذا لا يرد فى الـكلام البليغ الفصيح . يقول البيضاوى عن الاستثناء هنا « إلا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس ، أى لئلا يكون لأحد من الناس حجة إلا للمعاندين منهم فإنهم يقولون

. . . .

وقال سبحانه : ﴿الْحَقُّ من ربك فلا تَكُونَنَّ من الْمُمْتَرِين﴾ البقرة : ١٤٧ أي: من الذين شكُّوا وامْتَرَوْا ، ومعنى : الحق من ربك أي الذي أمرتك به من التوجه إلى البيت الحرام ، هو الحق الذي كان عليه الأنبياء قبلك فلاَ تَمْتَرِ في ذلك وقال : ﴿ وإن الذين أوتوا الكتابَ لَيَعْلَمُون أنه الحق ﴾ البقرة : ١٤٤ وقال : ﴿ وإنَّ فريقا منهم لَيَكْتُمُون الْحَقَّ ، وهم يَعْلَمُون ﴾ البقرة : ١٤٦ أي يكتمون ماعلموا من أن الكعبة هي قبلة الأنبياء ، وروى أبو داود السنجري في كتاب الناسخ والمنسوخ له وهو في روايتنا عنه بسند رفيع حدَّثنا الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي قال : أنا أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أيوب البزار ، قال : أنا أبو علي بن شاذان قال : أنا أبو بكر الفقيه النجّار أحمد بن

ما تحول إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه ، وحبا لبلده ، أو : بداله فرجع إلى قبلة آبائه ، ويوشك أن يرجع إلى دينهم ، وسمى هذه حجة كقوله تعالى : (حجتهم داحضة عند ربهم) لأنهم يسوقون مساقها وقيل : الحجة بمعنى الاحتجاج ، وقيل: الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة رأسا . . وقرىء (إلا الذين ظلموا منهم) على أنه استئناف بحرف التنبيه » : وفي تفسير الجلالين : « إلا الذين ظلموا منهم بالعناد ، فإنهم يقولون : ما تحول إليها إلا ميلا إلى دين آبائه ، والاستثناء متصل ، والمعنى : لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء » ويقول ابن كثير « إلا الذين ظلموا منهم يعني : مشركي قريش ، ووجه بعضهم حجة الظلمة — وهي داحضة — أن قالوا : هذا الرجل يزعم أنه على دين إبراهيم ، فإن كان توجهه إلى بيت المقدس على ملة إبراهيم ، فلم رجع عنه ؟ والجواب : أن الله تعالى اختار له التوجه إلى البيت المقدس أولا لما له تعالى في ذلك من الحكمة ، فأطاع ربه تعالى في ذلك ، ثم صرفه إلى قبلة إبراهيم ، وهي الكعبة ، فامتثل أمر الله في ذلك أيضاً »

. . . .

سُفْيان عنه ، قال : نا أحمد بن صالح ، قال : نا عَنْبَسَة عن يونس عن ابن شهاب قال : كان سليمانُ بن عبدالملك لا يعظم إيلياءَ كما يعظمها أهلُ بيته ، قال: فسرت معه ، وهو ولى عهد ، قال : ومعه خالد بن يزيد بن معاوية ، قال سليمان : وهو جالس فيه : والله إن فى هذه القبلة التى صلى إليها المسلمون والنصارى لَعَجَباً ، قال خالد بن يزيد : أمَا والله إنى لأَقرأ الكتابَ الذى أنزله الله على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأقرأ التوراة ، فلم يجدها اليهود فى الكتاب الذى أنزله الله عليهم ، ولكن تابوت السَّكِينَةِ كان على الصخرة ، فلما غضب الله تعالى على بنى إسرائيل رفعه ، فكانت صلاتهم إلى الصَّخْرة عن مُشَاوَرة منهم ، وروى أبو داود أيضاً أن يهوديا خاصم أبا العالية فى القِبلة ، فقال أبو العالية : إن موسى عليه السلام كان يصلى عند الصخرة ، ويستقبل البيتَ الحرام ، فكانت الكعبةُ قبلةً ، وكانت الصخرة بين يديه ، وقال اليهودى : بينى وبينك مسجدُ صالحٍ النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو العالية : فإنى صليت فى مسجد صالح وقبلتُه الكعبة ، وأخبر أبو العالية أنه رأى مسجدَ ذى القَرْنَيْنِ وقبلته الكعبة ، وروى أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان يقول لجبريل : وَدِدْتُ أن الله حَوَّلنى عن قبلة اليهود ، فيقول له جبريل : إنما أنا عبدٌ مأمور ، وروى غيره أنه كان يُتْبِعُه بصرَه إذا عَرَجَ إلى السماء حِرْصاً على أن يأمره بالتوجه إلى الكعبة ، فأنزل الله تعالى ﴿ قد نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فى السماء ﴾ الآية : البقرة ١٤٤ .

. . . .

أم عمارة وأم منيع في بيعة العقبة الأخرى :

وذكر بيعة العقبة ، وذكر عِدَّة أصحاب بَيْعَةِ العقبة ، وأنهم كانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين ، وهما : أم عُمَارَة وهى نُسَيْبَة بنت كعب امرأة زيد بن عاصم شهدت بيعة العقبة وبيعة الرضوان ، وشهدت يوم اليمامة ، وباشرت القتال بنفسها ، وشاركت ابنها عبدَ الله فى قتل مُسَيْلِمَة ، فقُطِعتْ يدُها ، وجُرِحَت اثنا عشر جُرْحا ، ثم عاشت بعد ذلك دَهْراً ، وكان الناس يأتونها بمرضاهم ، لِتَسْتَشْفِي لهم ، فتمسح بيدها الشَّلَّاء على العليل ، وتدعو له ، فَقَلَّ مامَسَحَتْ بيدِها ذا عاهَةٍ إلَّا بَرِىء[1] .

والأخرى : أسماء بنت عَمْرو أم مَنِيع ، وقد رفع فى نسبها ونسب الأخرى ابن إسحاق ، ويُرْوى أن أم عُمَارَة قالت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما أرى كلَّ شيء إلا للرجال ، وما أرى للنساء شيئا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إن المسلمين والمسلمات ﴾[2] الآية .

---

(١) المسلم يدين بأن الشفاء بيد الله وحده . تدبر ما قص الله عن إبراهيم من قوله : (وإذا مرضت فهو يشفين) وليس من أسباب الشفاء أن تمسح امرأة بيدها جسم إنسان ، ولكن من أسبابه الدعاء ، وما أحل الله من دواء يصفه الطبيب .

(٢) المشهور — كما روى الإمام أحمد والنسائى وابن جرير — أن أم سلمة رضى الله عنها هى التى قالت للنبى «ص» : ما لنا لا نذكر فى القرآن ، كما يذكر الرجال؟ فنزلت الآية .

. . . .

قول البراء بن معرور :

وذكر قول الْبَرَاءِ بن مَعْرُور ، وهو أول من ضَرَبَ بيده على يد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، بالبيعة على اختلافٍ فى ذلك قد ذكره ابن إسحاق ، فقال : نبايعك على أن نمنعك مما نمنع منه أُزُرَنَا ، أراد : نساءنَا ، والعربُ تَـكْنِي عن المرأة بالإزَار ، وتَـكْنى أيضاً بالإزار عن النفس ، وتجعل الثوبَ عبارةً عن لابسه كما قال :

رَمَوْها بأثوابٍ خِفَافٍ فلا تَرَى   لها شَبَهاً إلا النَّعامَ المُنفَّرا[1]

أى : بأبدانٍ خِفَافٍ ، فقوله مما نمنع أُزُرَنا يحتمل الوجهين جميعا ، وقد قال الفارسى فى قول الرجل الذى كتب إلى عُمر من الغزو يذكره بأهله :

ألا أَبْلِغْ أبا حفص رَسُولاً   فِدًى لكَ من أخِى ثِقَة إزَارى

قال : الإزارُ : كناية عن الأهل ، وهو فى موضع نصب بالإغراء أى : احْفَظْ إزارى ، وقال ابن قتيبة : الإزار فى هذا البيت كناية عن نفسه ، ومعناه فدًا لك نفسى ، وهذا القول هو الْمَرْضِىُّ فى العربية ، والذى قاله الفارسى بعيد عن الصواب ، لأنه أضمر المبتدأ ، وأضمر الفعلَ الناصبَ للإزار ، ولادليل عليه لبعده ، عنه ، وبعد البيت مايدل على صحة القول المختار وهو :

قلائِصنَا هَداك الله مهـــلاً   شُغِلْنَا عنكم زَمَنَ الحِصَارِ[2]

---

(١) البيت لليلى الأخيلية ص ٩٢٢ سمط اللآلى .

(٢) أصل القصة أن نفيلة الأكبر الأشجعى — وكنيته أبو المنهال — كتب إلى عمر أبياتا من الشعر يشير فيها إلى رجل كان واليا على مدينتهم يخرج الجوارى

. . . .

إلى سلع عند خروج أزواجهن إلى الغزو ، فيعقلهن ، ويقول : لا يمشى فى العقال إلا الحصان ، فربما وقعت ، فتكشفت ، وكان اسم هذا الرجل جعدة بن عبد الله السلمى ، فقال ما ذكر السهيلى وبعدهما :

فما قلص وجدن معقلات قفا سلع بمختلف النجار
قلائص من بنى كعب بن عمرو وأسلم أو جهينة أو غفار
يعقلهن جعدة من سليم غوى يبتغى سقط العذارى
يعقلهن أبيض شيظمى وبئس معقل الذود الخيار

وفى وفاء الوفا للسمهودى : « من بنى سعد بن بكر ، أو أسلم » بدلا مما ذكر فى البيت الثالث :

وكنى بالقلاص عن النساء ، ونصبها على الإغراء ، فلما وقف عمر - رضى الله عنه - على الأبيات عزله ، وسأله عن ذلك الأمر ، فاعترف ، فجلده مائة معقولا ، وأطرده إلى الشام ، ثم سئل فيه ، فأخرجه من الشام ، ولم يأذن له فى دخول المدينة ، ثم سئل فيه أن يدخل ليجمع ، فكان إذا رآه عمر توعده ، فقال :

أكل الدهر جعدة مستحق أبا حفص اشتم أو وعيد
فما أنا بالبرىء براه عذر ولا بالخالع الرسن الشرود

وقول جعدة : فدا لك الخ : أى أهلى ونفسى . وقال الجرمى : يريد بالإزار ههنا : المرأة . والقصة مشهورة ، وقد رويت لغيره ، ورواها الآمدى فقال عن جعدة : كان غزلا صاحب نساء يحدثهن ويضحكهن ، ويمازحهن ، فكن يجتمعن عنده ، فيأخذ المرأة فيعقلها ، ثم يأمرها أن تمشى فتتعثر ، فتقع ، فتنكشف ، فيتضاحكن من ذلك إلخ وقد ذكر ابن حجر ترجمته فى الإصابة فى القسم الثالث فيمن أدرك الجاهلية والإسلام ، ولم يرد أنه رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم . ونفيلة فى الإصابة : بقيلة الأكبر الأشجعى من بنى بكر ابن أشجع ، وهو بقاف مصغر ، ذكره الآمدى فى حرف الموحدة . وقال الزبير ابن بكار : سمعت العتبى يصحفه ، فيقول : نفيلة ، وقد شهد نفيلة أو بقيلة القادسية مع عمر . أنظر اللسان مادة أزر ، والإصابة ترجمة بقيلة ، وجعدة ح ١ .

. . . .

فنصب فلانفعاً بالإضمار الذى جعله الفارسى ناصبا للإزار .

ترجمة البراء :

والْبَرَاء بن مَعْرور يُكْنَى أبا بشر بابنه بِشْر بن الْبَرَاء ، وهو الذى أكل مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من الشاة المسمومة[1] ، فمات ومعرور اسمُ أبيه ، معناه : مَقْصُود يقال : عَرّه واعْتَرّه إذا قَصَدَ[2] ، والبراء هذا ممن صَلَّى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — على قبره[3] بعد موته وكبَّر أربعاً ، وفى هذا الحديث الصلاةُ على القبر ، وقد رُوِيت من سِتِّ طُرُق عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قاله أحمد بن حنبل ، وذكرها كلَّها أبو عُمَر فى التمهيد ، وزاد ثلاث طرق لم يذكرها ابنُ حنبل ، فهى إذاً تُروى من — تسع طُرُق أعنى أن — تِسْعَةً من الصحابة رَوَوْا صلاتَه عليه السلام على القبر ، فمنهم ابن عباس ، وأنس ابن مالك وبُرَيْدَة ، وأبو هريرة ، وزيد بن ثابت ، وعامر بن فُهَيْرة وأبو قَتَادَة الأنصارى ، وسَهْل بنُ حُنَيْفٍ ، وعُبَادَة بن الصامت ، وحديثه مُرْسَلٌ ، وأصحها إسناداً حديثُ ابن عباس وأبى هريرة .

والهدم الهدم

وذكر قولَ النبى — صلى الله عليه وسلم — للمبايعين له : بل الدَّمُ الدَّمُ والْهَدْمُ الْهَدْمُ ، وقال ابن هشام : الْهَدَم بفتح الدال . قال ابن قُتَيْبَة : كانت

---

(١) شهد بشر العقبة وبدراً وما بعدها ، ومات بعد خيبر .
(٢) فى اللسان: عره يعره عرا واعتره، واعتر به : إذا أتاه ،فطلب معروفه .
(٣) هذا لأنه مات — كما قيل — قبل قدوم النبى « ص » بشهر .

. . . .

العرب تقول عند عقد الحلف والجوار : دمى دمُك وهَدْمى هَدْمك ، أى : ما هَدَمْتَ من الدماء ، هَدَمْته أنا ، ويقال أيضاً : بل اللَّدْمُ اللَّدْمُ والْهَدْمُ الْهَدْم ، وأنشد :

ثم الْحَقِى . بِهَدَمِى ولَدَمِى

فاللَّدَمُ : جمع لادم ، وهم أهلُه الذين يَلْتَدِمُون عليه إذا مات ، وهو من لَدَمْتُ صدره : إذا ضَرَبته. والهدم قال ابنُ هِشَامٍ : الْحُرْمَة ، وإنما كنى عن حُرْمَة الرجل وأهلِه بالْهَدْم ، لأنهم كانوا أهلَ نُجْعة وارتحال ، ولهم بيوت يستخفونها يوم ظَعْنهم ، فكلما ظَعَنُوا هَدَمُوها ، والْهَدَمُ بمعنى الْمَهْدُوم كالْقَبَض بمعنى الْمَقْبُوض ، ثم جعلوا الْهَدَم وهو البيت المهدوم عبارة عما حَوَى ، ثم قال : هَدَمى هَدَمُك أى : رحلتى مع رحلتك أى لا أظعن وأدعك وأنشد يعقوب :

تَمْضى إذا زُجِرَتْ عن سَوْأةٍ قدُماً كأنها هَدَمٌ فى الْجَفْرِ مُنْقاضُ(١)

---

(١) إذا حركت دال الهدم ، فهى القبر ، فيكون المعنى : أقبر حيث تقبرون ، وقيل : هو المنزل : أى منزلكم : منزلى ، وبالفتح أيضاً والسكون : إهدار دم القتيل ، فيكون المعنى : إن طلب دمكم ، فقد طلب دمى وإن أهدر دمكم ، فقد أهدر دمى لاستحكام الألفة . وفسرها ابن الاعرابى عند التحريك بقوله : إن ظلمتم فقد ظلمت ، فسر أبو عبيدة : اللدم اللدم والهدم الهدم بقوله : حرمتى مع حرمتكم ، وبيتى مع بيتكم ، وفسر الحقى بهدمى ولدمى بقوله : بأصلى وموضعى ، وفسر أبو الهيثم : الدم الدم الخ بقوله إن قتلنى إنسان طلبت بدمى كما تطالب بدم وليك ، ومن هدم لى عزا وشرفا فقد هدمه

. . . .

من ولي النقباء:

فصل: وذكر الاثنى عشر نقيبا، وشعر كعب فيهم إلى آخره، وليس فيه مايشكل، وإنما جعلهم عليه السلام إثْنَيَ عَشَر نقيبا اقْتِداءً بقوله تعالى فى قوم موسى ﴿وَبَعَثْنَا منهم اثْنَي عَشَرَ نَقِيباً﴾ وقد سمينا أولئك النقباء بأسمائهم[١] فى كتاب التعريف والإعلام، فلينظر هنالك.

منك، وكل من قتل ولي، فقد قتل وليك، ومن أراد هدمك، فقد قصدنى بذلك. وقال الأزهرى: ومن رواه الهدم الهدم والهذم بسكون الذال - فهو على قول الحليف: تطلب بدمى، وأنا أطلب بدمك، وما هدمت من الدماء هدمت أى: ما عفوت عنه، وأهدرته، فقد عفوت عنه، وتركته. وقال الفراء: عن دخول أل على الهدم والدم واللدم: «العرب تدخل الألف واللام اللتين للتعريف على الاسم، فتقومان مقام الإضافة كقول الله عز وجل: (فأما من طغى، وآثر الحياة الدنيا، فإن الجحيم هى المأوى). أى: الجحيم مأواه، أما الزجاج فقدرها بقوله فإن الجحيم هى المأوى له. وقال ابن الأثير فى رواية الدم الدم: هو أن يهدر دم القتيل المعنى: إن طلب دمكم، فقد طلب دمى. ويرى ابن الأعرابى فى اللدم أنها الحرم جمع لادم فالمعنى: حرمكم: حرمى. ويقول أبو عبيدة: اللدم: الحرم. جمع لادم سمى نساء الرجل وحرمه لدماً لأنهن يلتدمن عليه إذا مات.. واللدم: ضرب المرأة صدرها وقيل: اللطم والضرب بشىء ثقيل انظر اللسان والنهاية لابن الأثير فى مادتى: لدم وهدم

(١) فى نسب عبد الله بن رواحة، زدت ثعلبة، والأغر من الجمهرة لابن حزم ص ٣٤٤ط ١ ومن الإصابة: لقب امرؤ القيس بأنه الأغر وفى نسب سعد بن عبادة يقول الخشنى ص ١١٩ ابن حزيمة بدلا من خزيمة وقال: بالحاء المهمله المفتوحة والزاء المكسورة هو الصواب كذا قيده الدارقطنى. وورد كذلك فى ص ٢٦٩ من المحبر لمحمد بن حبيب: وفى نسب رافع بن مالك

. . . .

وروى عن الزُّهْرِى أنه قال : قال النبي عليه السلام للأوس والخزرج حين قدم عليهم النقباء : لايغضبَنَّ أحدكم فإنى أفعل ما أومر ، وجبريلُ عليه السلام إلى جنبه يشير إليهم واحدا بعد واحد ، وروى فى المُعَيْطِىِّ عن مالك بن أنس أنه روى حديث النقباء عن شيخ من الأنصار ، قال مالك : وكنت أعجب كيف جاء هذا رجلان من قبيلة ، ورجل من أخرى حتى حُدِّثت بهذا الحديث ، وأن جبريلَ هو الذى ولّاهم ، وأشار على النبى – صلى الله عليه وسلم – بهم .

ابن العجلان زادت جمهرة ابن حزم بعد زريق : بن عامر بن زريق ، وفى نسب رفاعة ابن زنبر ، وهى فى الإصابة والجمهرة : زر ص ٣١٤ وفى إمتاع الأسماع : زنبر وفى بعض نسخ السيرة : زبير ، وقد اختلف فى اسمه فقيل ، بشير وقيل مروان وقيل يشير ، وكنيته : أبو لبابة

وسقطت . مالك التى قبل : ابن الأوس من الإصابة ، كما سقط من نسبه فى الجمهرة بن عمرو ، عوف . ومازدته فى السيرة من الأنساب أخذته من كتاب المجد لابن حبيب ص ٢٦٨ ومابعدها . وإليك ماشرح به الخشنى بعض كلمات قصيدة كعب بن مالك :قال رأيه : بطل . فلا ترعين أى لاتبعين ، ألب : جمع . جادع : قاطع ، إخفاره : نقض عهده ، نافع : ثابت ، بمندوحة : بمتسع ، يافع: موضع مرتفع ، ومن رواه : باقع فمعناه : بعيد وهو مأخوذ من بقع الأرض ، وخانع : مقر متذلل . ضروح: مانع ودافع عن نفسه من قولهم: ضرحت الدابة برجلها إذا ضربتها . وهنا لك بين القصيدة فى ابن هشام وبينها فى المجد بعض اختلافات يسيرة . فى البيت الثالث : أضالنا أى أضاء لنا بدلا من : بدالنا . ولاترعين بدلا من: لاترغبن. ولاتطمعنك المطامع بدلا من :لايطمعن ثم طامع. ومن ألحيه خانع بدلا من : العهد خانع . وم الأمر صانع بدلا من م الأمر مانع . وإن يغبك بدلا من : لايغبك .

. . . .

تفسير بعض ماوقع فى وجره

وذكر أن الشيطانَ صَرَخَ من رأس العَقَبة بأَنْفذ صوت . قال الشيخ أبو بحر : هكذا وقع فى الأمهات ، وأصلحناه عن القاضى أبى الوليد : بأبعد ، قال المؤلف : ولا معنى لهذا الإصلاح ، لأن وصف الصوتِ بالنفاذِ صحيحٌ هو أفصح من وصفه بالبعد ، وقد مضى فى حديث عُمَر مع الكاهن ، قال : لقد سمعت من صوت العجل صوتا ماسمعت أنفذَ منه ، وفى الصحيح : أن الله تعالى يَحْشُر الخلقَ يوم القيامة فى صَرْدَحٍ (١) واحد ، فَيَنْفُذُهم البصرُ ويسمعهم الداعى وكذلك وجدته فى رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق : بأنفذ صوت كما كان فى الأصل .

وقوله : يا أهْلَ الجُباجِبِ ، يعنى : منازلَ مِنًى ، وأصله : أن الأوعية من الأَدَم كالزَّبِيل ونحوه يسمى : جَبْجَبَة ، فجعل الخيام والمنازل لأهلها كالأوعية ، وقوله عليه السلام حين صرخ إبليس : يا أهل الجُباجِبِ ، هذا أَزَبُّ الْعَقَبةِ ، هذا ابن أَزْيَب . قال ابن هشام : ويقال : ابن أَزْيَب كذا تقيد فى هذا الموضع أَزَبُّ الْعقَبةِ وقال ابن ماكولا : أم كُرْز بنت الأَزَبِّ بن عمرو بن بَكِيل من هَمْدَان جدة العباس ، أم أمه : سيلة ، وقال : لايعرف الْأَزَبُّ فى الأسماء إلا هذا ، وَأَزَبُّ الْعَقَبَةِ ، وهو اسم شيطان ، ووقع فى هذه النسخة فى غَزْوَة أُحُدٍ إِزْبُ الْعَقَبَةِ بكسر الهمزة وسكون الزاى ، وفى حديث ابن الزبير مايشهد له

(١) صردح وصرداح : المكان المستوى

. . . .

حين رأى رجلا طوله شِبْرَانِ على بَرْدعَةِ رَحْلِهِ [فأخذ السوط فأتاه] ، فقال : ما أنت ؟ فقال أزَبٌّ ، قال : وما أزَبٌّ ؟ قال : رجل من الجن؛ فضربه على رأسه بعود السوط ، حتى باص ، أى هَرَبَ ، وقال يعقوب فى الألفاظ : الأزَبٌّ : القصير . وحديث ابن الزبير ذكره الْعتَبِيُّ فى الغريب ، فالله أعلم أى اللفظين أصح ؟ وابن أزيب فى رواية ابن هشام يجوز أن يكون فَعْيَلاً من الْإزْب[١] أيضاً ، والأَزْيَبُ : البخيل ، وأزْيَبُ : اسم ريح من الرياح الأربع[٢] ، والأَزْيَبُ الفزَع أيضا[٣] ، والأَزْيَب : الرجل المتقارب المشى[٤] ، وهو على وزن أفْعَل ، قاله صاحب العين ، ويحتمل أن يكون ابن أزْيَب من هذا أيضاً ، وأما البخيل فأزْيَبُ على وزن فَعْيَل لأن يعقوبَ حكى فى الألفاظ : امرأة أزْيَبَة[٥]

---

(١) الإزب فى اللسان فى مادة أزب فتكون على وزن فعل : ومعناها اللئيم والدقيق المفاصل الضاوى يكون ضئيلا . والإزب من الرجال : القصير الغليظ والقصير الدمم . وقد جعل اللسان أزب فى ماده أزب ، وقال عن الإزب فى الحديث : هو الشيطان اسمه ؛ أزب العقبة ، وهو الحية أما عن الأزب فى مادة زبب ، فهو الكثير الشعر .

(٢) جعلها القاموس واللسان وابن فارس فى معجمه فى مادة زيب فتكون على وزن أفعل ، وقال عنها إنها الجنوب فى لغة هذيل : أو هى الريح النكباء التى تجرى بين الصبا والجنوب .

(٣) فى مادة زيب فى القاموس واللسان فوزنها : أفعل .

(٤) هى كالتى قبلها فى المادة والوزن .

(٥) جعلها اللسان فى مادة زيب وهى إزيبة فتكون : إفعلة بكسر الهمزة وسكون الفاء وفتح العين وتضعيف اللام مع فتح ، وهكذا ضبطها اللسان والقاموس ، وفى معجم مقاييس اللغة لابن فارس : « وقال الخليل : الإزب : الدقيق المفاصل ، ويقال هو البخيل »

. . . .

ولو كان عن وزن أَفْعَل فى المذكر لقيل فى المؤنث زَيْبَا إلا أن فَعْيَلاً فى أبنية الأسماء عزيز ، وقد قالوا فى ضَهْيَاء ، وهى التى لا تحيض من النساء ، فعلى جعلوا الهمزة زائدة وهى عندى فَعْيَل لأن الهمزة فى قراءة عاصم لام الفعل فى قوله تعالى (يُضَاهُون) والضَّهْيأ من هذا لأنها تُضَاهِى الرجل أى : تُشْبِهه ويقال فيه: ضَهْيَاء[1] بالمد ، فلا إشكالَ فيها أنها للتأنيث على لغة من قال ضَاهَيْت بالياء ، وقد يجوز

---

(١) فى اللسان « وضهيأ : فعلأ الهمزة زائدة كما زيدت فى « شمأل ، وغرقىء البيض ، قال : ولا تعلم الهمزة زيدت غير أول إلا فى هذه الأسماء ، ويجوز أن تكون الضهيأ بوزن الضهيع . فعيلا ، وإن كانت لا نظير لها فى الكلام ، فقد قالوا : كنهبل - شجر عظام - ولا نظير له . قال ابن سيدة : الضهيا والضهياء على فعلاء . . وقال بعضهم الضهياء ممدود التى لا تحيض وهى حبلى . قال ابن جنى : امرأة ضهيأة وزنها : فعلأة لقولهم فى معناها : ضهياء . . وأجاز أبو إسحاق فى همزة : ضهيأة أن تكون أصلا ، وتكون الياء هى الزائدة ، فعلى هذا تكون الكلمة : فعيلة ، وذهب فى ذلك مذهبا من الاشتقاق حسنا لولا شىء اعترضه ، وذلك أنه قال : يقال : ضاهيت زيدا وضاهأت زيدا بالياء والهمزة ، قال : والضهيأة هى التى لا تحيض ، وقيل هى التى لا ثدى لها ، قال فيكون ضهيأة : فعيلة من ضاهأت . وقال ابن جنى عن هذا إنه حسن إلا أنه ليس فى الكلام فعيل بفتح الفاء إنما فعيل بكسرها نحو حذيم ، وطريم ، وغرين « القاطع ، والطريم العسل أو السحاب الكثيف ، والغرين أو الغرين : الطين يحمله السيل ، وغير ذلك ، ولم يأت الفتح فى هذا الفن ثبتا ، إنما حكاه قوم شاذا . . . وحكى أبو عمرو : امرأة ضهيأة وضهياه بالتاء والهاء التى لا تطمث . . وهذا يقتضى أن يكون الضهيا مقصورا. وقال غيره الضهواء من النساء التى لم تنهد . . والضهيا مقصور : الأرض التى لا تنبت ، وحكى الجوهرى أن الضهياء ممدود شجر ، واحدته : ضهياءة »

. . . .

أن يكون أَزْيَب وأَزْيَبَة مثل أَرْمَل وأَرْمَلَة فلا يكون فَعْيَـــلاً . وروى أبو الأشهب عن الحسن قال لما بويع لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بِمِنًى صرخ الشيطان ، فقال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا أَبو لُبَيْنَى[1] قد أَنذَرَ بكم ، فتفرَّقوا .

تذكير فعيل وتأنيثها :

فصل : وذكر الحارثَ بن هشام حين رمى بنعليه إلى جابر : قال : وكان عليه نَعْلاَن جديدان ، والنعل : مؤنثة ، ولـكن لا يقال : جَدِيدَةٌ في الفصيح من الكلام ، وإنما يُقال : مِلْحَفَةٌ جديد لأنها في معنى مَجْدُودَة أي : مقطوعة، فهي من باب كَفٌّ خضِيب ، وامرأة قَتِيل ، قال سيبويه : ومن قال جَدِيدَة ، فإنما أراد معنى حديثَة ، أراد سيبويه أن حديثةً ، بمعنى حادثة وكل فعيل بمعنى فاعِل يدخله التاء في المؤنث[2]

(١) هي ـ كما في القاموس اسم ابنة إبليس لعنه الله تعالى . . وأبو لبين : الذكر .

(٢) في إصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن السكيت ما يأتي : « تقول : هذه ملحفة جديد ، وهذه ملحفة خلق ، ولا تقل : جديدة ، ولا خلقة ، وإنما قيل جديد بغير هاء ؛ لأنها في تأويل مجدودة أي : مقطوعة حين قطعها الحائك . . . وإذا كان فعيل نعتا لمؤنث ، وهو في تأويل مفعول ، كان بغير هاء نحو : لحية دهين ، لأنها في تأويل مدهونة ، وكف خضيب ، لأنها في تأويل مخضوبة ، وملحفة غسيل وامرأة لديغ ، ودابة كسير ، وركية دفين إذا اندفن بعضها ، وركايا دفن ، وتقول : هذا فرس جواد بهم ، وهذه فرس جواد بهم ، . . وعين كحيل ، وناقة بقير إذا شق بطنها عن ولدها ، وامرأة لعين وجريح وقتيل ، فإذا

. . . .

من ألقاب الطويل :

وذكر قول سعد حين أسرته قريش : فَإِنِّى رجل وضىء شَعْشَعْ . والشَّعْشَعُ والشَّعْشَعَانِىُّ والشَّعْشَعَانُ[(١)] : الطويل من الرجال، وكذلك السَّلْهَبُ والصَّقْعَبُ

لم تذكر المرأة قلت : هذه قتيلة بنى فلان ، وكذلك : مررت بقتيلة ، وقد تأتى فعيلة بالهاء ، وهى فى تأويل مفعول بها تخرج مخرج الأسماء ، ولا يذهب بها مذهب النعوت ، نحو : النطحية والذبيحة والفريسة وأكيلة السبع والجنايبة والعليقة ، وهما البعير يوجهه الرجل مع القوم يمتارون ، فيعطيهم دراهم ، ليمتاروا له معهم عليه . . والسريبة من الغنم ، والعليقه : الداهية والفريقة التمر والحلبة جميعا تجعل للنفساء ، وذكر ابن السكيت غيرها كالنقيعة والنخيسة والقطيبة والتريكة والنجيرة والبسيسة والرجيعة ص ٣٧٧ ط دار المعارف ١٩٤٩ م وفى أدب الكاتب لابن قتيبة « وما كان على فعيل نعتا للمؤنث ، وهو فى تأويل مفعول كان بغير هاء نحو : كف خضيب وملحفة غسيل ، وربما جاء بالهاء يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة والفريسة ، وأكيلة السبع . . . وتقول : هذه ذبيحتك ، وذلك أنك لم ترد أن تخبر أنها قد ذبحت ألا ترى أنك تقول : هذا وهى حية ، وإنما هى بمنزلة : ضحية ، وكذلك شاة رمى ، وتقول بئس الرمية الأرنب ، إنما يريد : بئس الشىء مما يرمى الأرنب ، فهذا بمنزلة الذبيحة فاذا لم يجز فيه مفعول ، فهو بالهاء نحو : مريضة وكبيرة وصغيرة وطريقة ، وجاءت أشياء شاذة قالوا : ناقة سديس وريح خريق ، وكتيبة حصيف ، وإن كان فعيل فى تأويل فاعل كان مؤنثه بالهاء نحو رحيمة وعليمة وكريمة » ص ٢٨٩ ط أولى ١٣٥٥ هـ

(١) الزيارة من القاموس . والرجز الذى وردت فيه كلمة « شعشاع » هو لرؤبة انظر ديوان رؤبة ص ١٦٢ طبع برلين ، ص ١٢٠ شرح السيرة للخشنى . وقد شرحه بما يأتى : « يمطوه : يمده ، يعنى : طول عنق البعير ، وعير مودن أى قصير ويروى : غير . . وكذلك وقع فى رجز رؤبة ، ووقع هنا بالعين مهملة » ص ١٢٠ .

. . . .

والشَّوْقَب و[الشَّرْعَبُ] والشَّرْجَبُ والخِبقُ والشَّوْذَبُ الطويل مع رقة فى أسماء كثيرة .

معانى الكلمات :

وقوله أوى إليه رجل أى رق له ، يقال أَوَى إِيَةً [وأَوْيَةً] مَأْوِيَةً .

وقوله فَتَنَطَّس القومُ الخبرَ أى : أكثروا البحثَ عنه ، والتَّنَطُّسُ تدقيق النظر . قال الراجز : [رؤبة بن العَجَّاج]

وقد أكون عندها نِقْرِيساَ طِبًّا بأدواء النِّسَا نِطِّيسا(١)

وذكر قول ضِرار بن الخطاب :

وكان شِفاءً وتداركتَ مُنْذِرَا

وضرار بن الخطاب : وضِرارٌ كان شاعرَ قُريش وفارسَها ، ولم يكن فى قريش أشعرُ منه ، [عبد الله] ثم ابن الزِّبَعْرَى بن قيس بن عدى ، وكان جدُّه مِرْدَاسُ رئيسَ بنى مُحَارِب بن فِهْر فى الجاهلية يسير فيهم بالمِرْبَاع ، وهو رُبْعُ الغَنِيمة ، وكان أبوه أيام الفِجَار رئيسَ بنى مُحاربِ بن فِهْر أسلَم ضرار عام الفتح .

---

(١) الرجز لرؤبة بن العجاج يمدح به أبان بن الوليد البجلى . ورواية الديوان هكذا :

وقد أكون مرة نطيساً بخبء أدواء الصبا نقريسا

ص ٧٠ الديوان طبع برلين . ورواه الخشنى فى شرح السيرة كما رواه السهيلى ولكنه ذكر الصبا بدلا من النسا

. . . .

حول قصيدة حسان :

وذكر قول حسان يجيبه :

لستَ إلى عَمْرٍو(١) ولا المرء مُنْذِرٍ   إذَ ما مَطَايَا القَوْمِ أَصْبَحْنَ ضُمَّرا

يعني بعمرو عَمْرو بن خُنَيْسٍ والد المنذِر . يقول : لستَ إليه ولا إلى ابنه المنذِر أي: أنت أقل من ذلك ،والمنذر بن عمرو هذا يقال له : أَعْنَق لِيَمُوتَ(٢)، هو أحــد النقباء كما ذكر ابن إسحاق ، وذكر ابن إسحاق في المواخاة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ آخى بينه ، وبين أبي ذَرٍّ الغِفَارِي،وأنــكر ذلك الواقدي محمدُ بن عمر ، وقال : إنما آخى بينه وبين طُلَيْب بن عَمْرو(٣) . قال : وكيف يواخي بينه وبين أبي ذَرٍّ ، والمواخاة كانت قبل بدر ، وأبوذر كان إذ ذاك غائبا عن المدينة ، ولم يقدم إلا بعد بدر ، وقد قطعت بدر المواخاةَ ونسخها قوله سبحانه : ﴿ وأولو الأَرْحَام بعضُهم أَوْلَى بِبَعْضٍ [في كتاب الله ، إن الله بكل شيء عليم] ﴾ الأنفال:٧٥ والمنذر بن عَمْرو حديثٌ واحد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس له غيره ، يرويه عبد المهيمن بن عباس ابن سهل بن سعد عن أبيه عن جده عن المنذِر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد عن السهو قبل التسليم ،وعبد المهيمن ضعيفٌ . وقول حسان :

---

(١) الذي في السيرة : لست إلى سعد

(٢) في الإصابة « وكان يلقب بالمعنق ليموت ، وقال موسى بن عقبة في مغازيه « وهو الذي يقال له أعنق ليموت » .

(٣) وقيل هو : ابن عمير ، أمه : أروى بنت عبد المطلب .

. . . .

ولا تكُ كالشاة التى كان حتفُها … بحَفْرِ ذراعيها ، فلم ترض محفرا

تقوله العرب فى مثل قديم فيمن أثار على نفسه شرا كالباحث عن المُدْية(١)

وأنشد أبو عثمان [الجاحظ] عمرو بن بحر . [للفرزدق] :

وكان يُجير الناسَ من سَيْفِ مالكٍ … فأصبح يَبغى نفسه مَنْ يُجيرُها

وكان كعَنْزِ السُّوءِ قامت بظِلْفِها … إلى مُدْيةٍ تحت التراب تُثيرُها

(١) قال البحترى فى حماسته : « يروى عن بعض العرب أنه أصاب نعجة ، فأراد ذبحها ، ولم يكن معه شىء يذبحها به ، فبينا هو يفكر فى ذلك ، وأى ذلك يصنع إذ حفرت النعجة بأظلافها الأرض ، فأبرزت عن سكين كانت مندفنة فى التراب ، فذبحها بها ، وضرب العرب بها المثل والبيتان بعدهما :

ستعلم عبد القيس إن زال ملكها … على أى حال يستمر مريرها

وهما فى البيان والتبيين ص ١٥٩ جـ ٣ للجاحظ بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، وأنشدهما أيضا فى كتابه الحيوان ، وهما أيضاً فى ديوان الفرزدق ص ٢٤٩ . ومن معانى قصيدة حسان كما بين الخشنى : البرقاء : موضع . حسر : معيية . الربط : الملاحف البيض ، واحدتها : ريطة . الأنباط : قوم من العجم . والوسنان النائم . كسرى : ملك الفرس ، وقيصر : ملك الروم . الثكلى : المرأة الفاقدة ولدها . والنحر : الصدر.

قصة صنم عمرو بن الجموح

فلما قَدِموا المَدينة أظهروا الإسلامَ بها ، وفى قومهم بقايا من شُيوخ لهم على دينهم من الشِّرك ، منهم عَمْرو بن الجَمُوح بن زَيْد بن حَرام بن كعب بن غَنْم ابن كعب بن سلمة ، وكان ابنه مُعاذ بن عمرو شَهِدَ العقبة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، وكان عمرو بن الجَمُوح سيداً من سادات بنى سَلِمة ، وشريفا من أشرافهم ، وكان قد اتخذ فى داره صَنَماً من خَشَب ، يقال له : مَنَاة ، كما كانت الأشراف يصنعون ، تتخذه إلٰها تعظِّمه وتُطَهِّره ، فلماَّ أسلم فِتْيان بَنى سَلِمة : مُعاذ بن جَبل ، وابنه مُعاذ بن عمرو ، فى فتْيان منهم مِّمن أسلم وشَهِد العقبة ، كانوا يُدْلِجون بالليل على صنم عَمْرو ذلك ، فيحْملونه فيَطْرحونه فى بعض حُفَر بنى سَلِمة ، وفيها عِذَر الناس ، مُنَكَّساً على رأسه ، فاذا أصبح عمرو ، قال : ويلكم ! مَنْ عَدا على آلهتنا هذه الليلة ؟ قال : ثم يغدو يلتمسه ، حتى إذا وجدَه غسلَه وطهَّره وطَيَّبَه ، ثم قال : أما والله لو أعلم مَنْ فعل هذا بكَ لأُخْزِيَنَّهُ . فإذا أمسى ونام عمرو ، عَدَوْا عليه ، ففعلوا به مثل ذلك ، فيغدو فيجِده فى مثل ما كان فيه من الأذى ، فيَغْسله ويطهِّره ويُطَيِّبه ، ثم يغدون عليه إذا أمسى ، فيفعلون به مثلَ ذلك . فلما أكثروا عليه ، استخرجه من حيث ألقَوْه يوما ، فغسله وطهَّره وطيَّبه ، ثم جاء بسيفه فعلَّقه عليه ، ثم قال : إنى والله ما أعلم مَنْ يصنع بك ما ترى ، فإن كان فيك خيرٌ فامتنعْ ، فهذا السيفُ معك . فلما أمسى ونام عمرو ، غَدَوْا عليه ، فأخذوا السيفَ من عنقه ، ثم أخذوا كَلْبا ميتا فقرنُوه به بحبل ، ثم ألقَوْه فى بئر من آبار

سَلِمَة ، فيها عِذَرٌ من عِذَر الناس ، ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يجِدْه فى مكانه الذى كان به .

إسلام عمرو بن الجموح

فخرج يتبعه حتى وجده فى تلك البئر مُنَكَّسا مَقْرُونا بكلب ميت ، فلما رآه وأبصر شأنه ، وكلَّمه مَنْ أسْلَم من قومه ، فأسلم برَحْمة الله ، وحَسُن إسلامُه . فقال حين أسلم ، وعرَف من الله ماعرَف ، وهو يذكر صَنمه ذلك وماأبصر من أمره، ويشكُر الله تعالى الذى أنقذه ممَّا كان فيه من العمَى والضلالة:

والله لو كنْتَ إلهًا لم تَكُنْ أنت وكلبٌ وَسْط بئرٍ فى قَرَنْ
أفٍّ لمَلْقاك إلها مُسْتَدَنْ الآنَ فتَّشْناك عن سُوء الغَبَنْ
الحَمْدُ لِلهِ العَلِيِّ ذى المِنَنْ الواهبِ الرَّزّاق ديَّان الدِّيَنْ
هو الذى أنقَـذنى من قبل أنْ أكونَ فى ظُلْمَة قبرٍ مُرْتَهَنْ
بأحمدَ المهـدى النبيِّ المُرْتهنْ

شروط البيعة فى العقبة الأخيرة

قال ابن إسحاق : وكان فى بيعة الحرْب ، حين أذِن اللهُ لرسوله فى القتال شروطا سوى شَرْطه عليهم فى العَقبة الأولى ، كانت الأولى على بيْعة النِّساء ، وذلك أن الله تعالى لم يكن أذِن لرَسوله صلى الله عليه وسلم فى الحرب ، فلما أذِن الله له فيها ، وبايَعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة الأخيرة

على حرب الأحمر والأسود ، أخذ لنفسه واشترط على القوم لربه ، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنّة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت ، عن أبيه الوليد ، عن جدّه عبادة بن الصامت ، وكان أحدَ النقباء ، قال :

بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعةَ الحرب — وكان عُبادة من الإثنى عشر الذين بايعوه فى العقبة الأولى على بَيْعة النساء — على السَّمْع والطاعة ، فى عُسْرنا ويُسْرنا ومَنْشَطِنا ومَكْرَهنا ، وأَثَرَةٍ علينا ، وأن لا ننازع الأمرَ أهلَه ، وأن نقول بالحقّ أينما كُنا ، لانخاف فى الله لومةَ لائم .

أسماء من شهد العقبة

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من شَهِد العقبة ، وبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بها من الأوس والخزرج ، وكانوا ثلاثةً وسَبْعين رجلا وامرأتين .

شهدها من الأوس ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى عبد الأشهل ابن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس أُسَيْد ابن حُضَير بن سِماك بن عَتِيك بن رافع بن امرئ القيس بن زَيد بن عَبْد الأشهل ، نقيب لم يشهد بدرا . وأبو الهيثم بن التَّيِّهان ، واسمه مالك ، شهد بدراً . وسَلَمة بن سلامة بن وَقْش بن زُغْبَة بن زَعُوراء بن عبد الأشهل ، شهد بدراً ، ثلاثة نفر . قال ابن هشام . ويقال : ابن زَعَوراء بفتح العين .

قال ابن إسحاق : ومن بنى حارثة ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو

ابن مالك بن الأوس : ظُهَيْر بن رافع بن عَدِىّ بن زيد بن جُشَم بن حارثة. وأبو بُرْدة بن نِيار ، واسمه هانىء بن نِيَارِ بن عمرو بن عبيد بن كِلاب بن دُهْمان، ابن غَنْم بن ذُبْيان بن هُمَيم بن كاهَل بن ذُهْل بن دهى بن بَلِىّ بن عمرو بن الحافِ ابن قُضاعة ، حليف لهم ، شهد بدراً ونُهَيْر [أو بهير] بن الهَيْثَم ، من بنى نابى بن مَجْدعة بن حارثة . ثلاثة نفر .

ومن بنى عمرو بن عوف مالك بن الأوس : سعدُ بن خَيْثمة بن الحارث ابن مالك بن كعب بن النَّحَّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلْم بن امرئ القيس بن مالك بن الأَوْسِ ، نقيب ، شهد بدراً ، فقُتل به مع رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — شهيداً .

قال ابن هشام : ونسبه ابنُ إسحاق فى بنى عمرو بن عوف ، وهو من بنى غَنْم ابن السَّلْم ، لأنه ربما كانت دعوة الرجل فى القوم ، ويكون فيهم فيُنْسب إليهم .

قال ابن إسحاق : ورفاعة بن عبد المُنْذر بن زَنْبر بن زيد بن أُميَّة بن زَيْد ابن مالك بن عوف بن عمرو ، نقيب ، شهد بدراً . وعبدُ الله بن جُبير بن النعمان بن أميَّة بن البُرَك — واسم البُرَك : امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو شهد بدراً ، وقُتِل يوم أحد شهيداً أميراً لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم على الرُّماة ؛ ويقال : أميَّة بن البَرْك ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ومعنُ بن عدىّ بن الجد بن العَجْلان بن [حارثة]

. . . .

ابن ضُبَيْعة [بن حرام] لهم من بَلِيّ ، شهد بدرا وأُحُداً والخندق ، ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، قُتِل يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وعُوَيم بن ساعدة ، شهد بدرا وأحداً والخندق .

خمسة نفر .

فجميع من شهد العقبة من الأوس أحدَ عشرَ رجلا .

وشهدها من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى النَّجَّار ، وهو تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج : أبو أيوب ، وهو خالد ابن زيد بن كُلَيب بن ثعلبة بن عَبْد بن عوف بن غَنْم بن مالك بن النَّجَّار شهد بَدْراً وأُحداً والخَنْدقَ ، والمشاهد كلها ، مات بأرض الروم غازيا فى زمن معاوية ابن أبى سفيان . ومُعاذ بن الحارث بن رِفَاعَة بن سَواد بن مالك بن غَنْم بن مالك ابن النَّجَّار ، شهد بدراً وأُحداً والخندق ، والمشاهد كلها ، وهو ابن عَفْرَاء . وأخوه : عوف بن الحارث ، شهد بدراً وقُتل به شهيداً ، وهو الذى قتل أباجهل بن هشام بن المغيرة ، وهو لعفراء — ويقال : رفاعة بن الحارث بن سَوَاد ، فيما قال ابن هشام — وعُمارة بن حزم بن زيد بن لَوْذان بن عمرو ابن عبد عوف بن غَنْم بن مالك بن النجار . شهد بدراً وأُحداً والخندق ، والمشاهد كلها ، قُتل يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه وأسْعَدُ بن زُرَارَة بن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار ، نقيب ، مات قبل بدر ومسجدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبنى ، وهو أبو أُمَامة . ستة نفر

ومن بنى عمرو بن مَبْذول — ومبذول : عامر بن مالك بن النجار : سَهل بن عَتِيك

ابن نُعْمان بن عمرو بن عَتيك بن عمرو ، شهد بدراً . رجل .

ومن بنى عمرو ابن مالك بن النجّار ، وهم بنو حُدَيْلة – قال ابن هشام : حُدَيْلَة : بنت مالك بن زيد مناة بن حبيب بن عبدحارثة بن مالك بن غَضْب ابن جُشَم بن الخزرج – أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو ابن زيد مناة بن عدىّ بن عمرو بن مالك ، شهد بدراً . وأبو طلحة ، وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدىّ بن عمرو ابن مالك ، شهد بدراً . رجلان .

ومن بنى مازن بن النجّار : قيسُ بن أبى صَعْصعة ، واسم أبى صعصعة : عَمْرو بن زيد بن عوف بن مَبْذُول بن عمرو بن غَنْم بن مازن ، شهد بدراً ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جعله على الساقة يومئذ . وعمرو بن غُزَيَّة ابن عمرو بن ثعلبة بن خَنْساء بن مَبْذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن . رجلان . فجميع من شهد العقبة من بنى النجّار أحَدَ عَشَر رجلا .

قال ابن هشام : عمرو بن غُزَيَّة بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء ، هذا الذى ذكره ابن إسحاق ، إنما هو غُزَيَّة بن عَطِيَّة بن خَنْساء .

من شهدها من بلحارث بن الخزرج

قال ابن إسحاق : ومن بَلْحارث بن الخزرج : سعدُ بن الربيع بن عمرو ابن أبى زُهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك [الأغر] بن ثَعْلَبَة بن كَعْب بن الخزرج بن الحارث ، نقيب ، شهد بدراً وقُتل يوم أحد شهيداً .

وخارجةُ بن زيد بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك [الأغر] ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، شهد بدراً وقُتل يوم أحد شهيداً وعبدُ الله بن رواحة [بن ثعلبة] بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس ابن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، نقيب ، شهد بدراً وأحداً والخندق ومشاهدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، إلا الفتحَ ومابعده ، وقُتل يوم مُؤتة شهيداً أميراً لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبشيرُ بن سعد بن ثعلبة بن الجُلاسَ بن زيد بن مالك [الأغر] بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج بن الحارث ، أبو النعمان ابن بشير شهد بدراً . وعبدُ الله بن زَيْدَ بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد [مناة] بن الحارث بن الخزرج [بن حارثة] شهد بدراً ، وهو الذى أرِى النداء للصلاة ، فجاء به إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم فأمر به . وخلاَّد بن سُوَيْدِ بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس بن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث [ابن الخزرج] شهد بدراً وأحدا والخندق وقُتِل يوم بنى قُرِيْظة شهيداً ، طُرِحَت عليه رحَى من أُطُمِ من آطامِها فَشَدَخَتْه شَدْخاً شديدا ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيما يذكرون — إنّ له لأجْرَ شهيدين . وعقبةُ بن عمرو ابن ثعلبة بن أُسَيْرة بن عُسَيرة بن جَدَارة بن عوف بن الحارث [بن الخزرج] وهو أبو مسعود وكان أحدَث من شهد العقبة سناً ، مات فى أيام معاوية ، لم يشهد بدراً سبعة نفر .

ومن بنى بياضَة بن عامر بن زُرَيْقِ بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْبِ

ابن جُشَم بن الخزرج : زيادُ بن لَبِيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدىّ ابن أُمَيَّة بن بياضة ، شهد بدراً . وفَرْوَةُ بن عمرو بن وَذْفَة بن عبيد بن عامر بن بَياضة ، شهد بدراً . قال ابن هشام : ويقال وَدْفة .

قال ابن إسحاق : وخالد بن قيس بن مالك بن العَجْلان بن عامر بن بياضة ، شهد بدراً . ثلاثة نفر .

ومن بنى زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب ابن جُشَم بن الخزرج : رافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق ، نقيب . وذَكْوان بن عبد قيس بن خَلْدَة بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق [بن عامر بن زريق بن عبد حارثة] ، وكان خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان معه بمكة وهاجر إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى ؛ شهد بدراً وقُتل يوم أُحد شهيدا . وعباد بن قيس ابن عامر بن خَلْدة بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق ، شهد بدراً . والحارث بن قيس بن خالد بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق ، وهو أبو خالد شهد بدراً . أربعة نفر .

ومن بنى سَلِمة بن سعد بن علىّ بن أسد بن ساردة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج ؛ ثم من بنى عُبَيْد بن عَدِىّ بن غَنْم بن كَعْب بن سلمة : الْبَرَاء بن مَعْرُور بن صَخر بن خَنْساء بن سِنَان بن عُبَيْدِ بن عَدِىّ بن غَنْم ، نقيب ، وهو الذى تزعُم بنو سَلِمَة أنه كان أوّل من ضَرب على يد رسول الله صلى الله

. . . .

عليه وسلم وشَرَط له ، واشترط عليه ، ثم تُوفى قبل مَقْدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ . وابنه بِشْر بن البَرَاء بن مَعرور ، شهد بدراً وأُحداً والخندق ، ومات بخيبر من أكلة أكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الشاة التى سُمّ فيها - وهو الذى قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حين سأل بنى سلمة : من سيِّدكم يابنى سلِمة ؟ فقالوا : الجَدُّ بن قَيْس ، على بُخْلِه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وأى داء أكبر من البُخل ! سيدُ بنى سلِمَة الأبيض الجَعْد بِشْرُ بن البَرَاء بن مَعْرور . وسِنان بن صَيْفِى بن صَخْر بن خَنْساء بن سِنان بن عُبَيْد ، شهد بدرا ، والطُّفَيل بن النُّعْمان بن خَنْساء بن سِنان ابن عُبَيْد ، شَهِد بدراً ، وقُتِل يوم الخَنْدَق شَهِيداً . ومَعْقِل بن المُنْذر بن سَرْح ابن خُنَاس بن سِنَان بن عُبَيْد ، شهد بدراً . ويزيد بن المنذر بن سَرْح ابن خُنَاس بن سنان بن عُبَيْد شهد بدرا . ومَسْعُودُ بن يزيد بن سُبَيْع بن خَنْسَاء بن سِنَان بن عُبَيْد . والضَّحَّاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد ، شهد بدراً ، ويزيد بن خِدَام أو [بن حرام أو خدارة] بن سَبِيْع بن خَنْسَاء ابن سِنَان بن عُبَيْد . وجُبَار بن صَخْر بن أُمَيَّة بن خنساء بن سِنان بن عُبَيْد [بن عَدِىّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة] ، شهد بدرا .

قال ابن هشام : ويقال : جَبَّار بن صَخْرِ بن أُمَيَّة بن خُنَاس :

قال ابن إسحاق : والطُّفَيْل بن مالك بن خنساء بن سنان بن عبيد [وهو ابن عم الطُّفَيْل بن النعمان بن خنساء بن سِنان] ، شهد بدرا . أحد عَشَرَ رجلا .

ومن بنى سَوَاد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَة ، ثم من بنى كعب بن سواد :

. . . .

كعب بن مالك بن أبي كعب بن الْقَيْن بن كَعْب . رجل .

ومن بني غَنْم بن سَواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَة : سُلَيْم بن عُمْرو بن حَدِيدة ابن عمرو بن غنم ، شهد بدرا . وقُطْبة بن عامر بن حَدِيدة بن عَمْرو بن غَنْم ، شهد بدراً . ويزيد بن عامر بن حَدِيدة بن عمرو بن غَنْم ، وهو أبو المنذر ، شهد بدراً . وأبو الْيَسَر ، واسمه : كعب بن عمرو بن عَبَّاد بن عمرو بن غَنْم [بن سَوادِ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة] ، شهد بدراً . وصَيْفِيّ بن سَواد بن عبَّاد بن عمرو بن غَنْم . خمسة نفر .

قال ابن هشام : صَيْفِيّ بن أسود بن عباد بن عمرو بن غَنْم بن سواد ، وليس لسواد ابن يقال له : غَنْم .

قال ابن إسحاق : ومن بني نابي بن عمرو بن سَواد بن غَنْم بن كعب ابن سَلمة : ثعلبة بن غَنَمَة بن عَدِيّ بن نابي ، شهد بدراً ، وقُتِل بالخندق شهيدًا . وعمرو بن غَنَمَة بن عديّ بن نابي ، وعَبْس بن عامر بن عديّ بن نابي ، شهد بدراً . وعبدُ الله بن أُنَيْس ، حليف لهم من قُضاعة . وخالد بن عمرو بن عديّ بن نابي . خمسة نفر .

قال ابن إسحاق : ومن بني حَرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلمة : عبدُ الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ، نقيب ، شهد بدراً ، وقُتل يوم أُحد شهيداً ، وابنه جابر بن عبد الله . ومعاذُ بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، شهد بدراً . وثابت بن الجِذْع ـ والجِذع : ثَعْلَبَة بن زيد بن الحارث

ابن حرام ــ شهد بدرا ، وقُتِل بالطائف شهيدا . وعمير بن الحارث بن ثعلبة ابن زيد بن الحارث بن حرام ، شهد بدراً . قال ابن هشام : عمير بن الحارث ابن لَبْدة بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وخَدِيج بن سَلامة بن أوْس بن عمرو بن الفُرافِر [أو القرافر] حليف لهم من بَلِيّ . ومُعاذُ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ ابن عَدِي بن كعب بن عمرو بن أُدَىّ بن سَعْد بن علىّ بن أسَد ، ويقال : أسَد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج ، وكان فى بنى سلمة ، شهد بدراً والمشاهد كلها ومات بعَمْوَاس ، عام الطاعون بالشام ، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وإنما ادعته بنو سلمة أنه كان أخا سهل بن محمد بن الجدّ بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدىّ بن غَنْم بن كعب بن سلمة لأمه . سبعة نفر .

قال ابن هشام : أوْسُ : ابن عباد بن عدىّ بن كعب بن عمرو بن أُدَىّ ابن سعد .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عوف بن الخزرج ، ثم من بنى سالم بن عوف ابن عمرو بن عوف بن الخزرج : عُبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم ابن فِهر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عوف ، نقيب ، شهد بدراً والمشاهد كلها .

قال ابن هشام : هو غَنْم بن عوف ، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج .

. . . .

قال ابن إسحاق : والعباس بن عُبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فأقام معه بها فكان يقال له : مهاجرىّ أنصارىّ وقُتل يوم أحد شهيدا . وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثَعْلَبة بن خَزْمة بن أصرم بن عمرو ابن عَمَّارة ، حليف لهم من بنى غُصَينة من بَلِىّ . وعَمْرو بن الحارث بن لَبْدة ابن عمرو بن ثعلبة : أربعة نفر ، وهم القواقل .

ومن بنى سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج ، وهم بنو الحُبْلَى — قال ابن هشام : الحُبلى : سالم بن غَنْم بن عوف ، وإنما سمى : الحُبْلَى — لعظم بطنه : رفاعةُ بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم ، شهد بدراً ، وهو أبو الوليد .

قال ابن هشام : ويقال : رفاعة : ابن مالك ، ومالك : ابن الوليد بن عبد الله بن مالك بن ثعلبة بن جُشم بن مالك بن سالم .

قال ابن إسحاق: وعُقبة بن وَهْب بن كَلَدة بن الجَعْد بن هِلال بن الحارث ابن عمرو بن عدىّ بن جشم بن عوف بن بُهْثة بن عبد الله بن غطفان بن سعد ابن قيس بن عيلان ، حليف لهم ، شهد بدراً ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا من المدينة إلى مكة ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى .

قال ابن هشام : رجلان .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : سعد بن عُبادة ابن دُلَيْم بن حارثة بن أبى خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ، نقيب؛ والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس بن حارثة بن لَوْذان بن عَبْدِ وُدّ بن زيد ابن ثعلبة بن جُشَم بن الخزرج بن ساعدة ، نقيب ، شهد بدراً وأحداً ، وقُتل يوم بئر معونة أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى كان يقال له : أعنق ليموت . رجلان .

قال ابن إسحاق : فجميع من شَهِد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان منهم ، يزعمون أنهما قد بايعتا ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لايصافح النساء ، إنما كان يأخذ عليهن ، فإذا أقررن ، قال : اذهبن فقد بايعتكن .

ومن بنى مازن بن النجّار : نُسَيْبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْذُول بن عمرو بن غنم بن مازن [بن النَّجّار] ، وهى أم عُمَارة ، كانت شهدت الحرب مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وشهدت معها أختها . وزوجُها زيد بن عاصم بن كعب . وابناها : حبيب بن زيد ، وعبد الله بن زيد ، وابنها حبيب الذى أخذه مُسَيْلِمَةُ الكذّاب الحنفى ، صاحب اليمامة ، فجعل يقول له : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ فيقول : نعم ، فيقول : أفتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع ، فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات فى يده ، لايزيده على ذلك ، إذا ذُكِر له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم آمن به وصلى عليه ، وإذا ذُكر له مُسيلمة قال لا أسمع — فخرجتْ إلى اليمامة مع المسلمين ، فباشرت

. . . .

الحربَ بنفسها . حتى قتل الله مُسيلمةَ ، ورجعت وبها اثنا عشر جرحا ، من بين طعنة وضربة .

قال ابن إسحاق : حدثنى هذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حبَّان ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صَعْصعة .

ومن بنى سلمة : أم مَنيع ؛ واسمها : أسماء بنت عمرو بن عدىّ بن نابى ابن عمرو بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلمة .

نزول الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى القتال

بسم الله الرحمن الرحيم . قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البَكَّائىّ ، عن محمد بن إسحاق المُطَّلِبىّ : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يُؤذن له فى الحرب ولم تُحلل له الدماء ، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى ، والصفح عن الجاهل وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم و نَفَوْهم من بلادهم ، فهم من بين مَفْتون فى دينه ، ومن بين معذَّب فى أيديهم ، وبين هارب فى البلاد فراراً منهم ، منهم مَنْ بأرض الحبشة ، ومنهم مَن بالمدينة ، وفى كل وجه ؛ فلما عَتَتْ قريش على الله عزّ وجلّ ، وردّوا عليه ما أرادهم به من الكرامة ، وكذّبوا نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، وعذَّبوا و نَفَوْا مَن عَبَده ووحَّده وصدّق نبيه ، واعتصم بدينه ، أذن الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلم فى القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم ، فكانت أوّل آية

أنزلت فى إذنه له فى الحرب ، وإحلاله له الدماء والقتال ، لمن بغى عليهم ، فيما بلغنى عن عُروة بن الزبير وغيره من العلماء ، قولُ الله تبارك وتعالى ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ، وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ : أى أنّى إنما أحْللت لهم القتالَ لأنهم ظُلِموا ، ولم يكن لهم ذَنْب فيما بينهم وبين الناس ، إلا أن يعبدوا الله ، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاةَ ، وآتوا الزكاة ، وأمَروا بالمعروف ، ونَهَوْا عن المنكر ، يعنى النبىّ — صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين ؛ ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه : ﴿ وقَاتِلُوهُمْ حتى لاتَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ : أى : حتى لا يُفْتَن مؤمن عن دينه : ﴿ ويَكُونَ الدينُ لِلَّهِ ﴾ : أى حتى يُعبد الله ، لا يُعبد معه غيره .

الإذن لمسلمى مكة بالهجرة

قال ابن إسحاق : فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم فى الحرب، وبايعه هذا الحىُّ من الأنصار على الإسلام والنُّصْرة له ولمن اتبعه ، وأوَى إليهم من المُسلمين ، أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من المسلمين ، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللحوق

بإخوانهم من الأنصار ، وقال : إن الله عزّ وجلّ قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها . فخرجوا أرسالا ، وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربُّه فى الخروج من مكة ، والهجرة إلى المدينة .

المهاجرون إلى المدينة

هجرة أبى سلمة وزوجه ، وحديثها عما لقيا

فكان أوّل من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش ، من بنى مَخْزوم : أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، واسمه : عبد الله ، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة ، وكان قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من أرض الحبشة فلما آذته قريش وبلغه إسلامُ من أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مهاجرا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبى إسحاقُ بن يسار ، عن سلمة بن عبد الله ابن عمر بن أبى سلمة ، عن جدّته أمّ سلمة ، زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروجَ إلى المدينة رحَل لى بعيرَه ثم حَمَلنى عليه ، وحمل معى ابنى سلمةَ بن أبى سلمة فى حجرى ، ثم خرج بى يقودُ بى بعيرَه ، فلما رأته رجالُ بنى المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه ، فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتك هذه ؟ علامَ نتركك تسير بها فى البلاد ؟ قالت : فنزعوا خطام البعير من يده ، فأخذونى منه . قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد ، رهْط أبى سلمة ، فقالوا : لا والله ، لا نترك ابننا

عندها إذا نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا بُنَيَّ سلمَةَ بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسنى بنو المُغيرة عندهم ، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة . قالت : ففرّق بينى وبين زوجى وبين ابنى . قالت : فكنت أخرج كلّ غداة فأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكى ، حتى أمسى سنةً أو قريبا منها حتى مرّ بى رجلٌ من بنى عمِّى ، أحدُ بنى المغيرة ، فرأى مابى فرحمنى فقال لبنى المغيرة : ألا تُخْرِجون هذه المسكينة ، فرّقتم بينها وبين زوجها وبين وَلدها ! قالت : فقالوا لى : الحقِى بزوجك إن شئتِ . قالت : وردّ بنو عبد الأسد إلىّ عند ذلك ابنى . قالت : فارتحلتُ بعيرى ثم أخذتُ ابنى فوضعته فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة . قالت : وما معى أحد من خَلْق الله . قالت : فقلت : أتبلّغ بمن لقيتُ حتى أقْدَم على زوجى ، حتى إذا كنت بالتَّنْعيم لَقِيتُ عثمانَ بن طَلْحة بن أبى طلحة ، أخا بنى عبد الدار فقال لى : إلى أين يابنت أبى أميَّة ؟ قالت : فقلت : أريد زوجى بالمدينة . قال: أوَ مامعك أحد ؟ قالت : فقلت : لا والله ، إلا الله وبُنَىَّ هذا . قال : والله مالك من مَتْرك ، فأخذ بخِطام البعير ، فانطلق معى يَهْوِى بى ، فوالله ماصحبت رجلاً من العرب قطّ ، أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ، ثم استأخر عنى ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى ، فحطّ عنه ، ثم قيَّده فى الشجرة ، ثم تنحّى إلى شجرة ، فاضطجع تحتها ، فاذا دنا الرَّواح ، قام إلى بعيرى فقدّمه فرَحله ، ثم استأخر عنى ، وقال : اركبى. فاذا ركبتُ واستويتُ على بعيرى أتى فأخذ بخطامه ، فقاده ، حتى ينزل بى . فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة ، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقُباء ، قال : زوجك

فى هـــذه القرية -- وكان أبو سلمة بها نازلا — فادخُلِها على بركة الله ، ثم انصرف راجعا إلى مكة .

قال : فكانت تقول والله ما أعلم أهلَ بيت فى الإسلام أصابهم ماأصاب آلَ أبى سلمة ، وما رأيت صاحبا قطّ كان أكرم من عثمان بن طلحة .

هجرة عامر وزوجه وهجرة بنى جحش

قال ابن إسحاق : ثم كان أوّل من قَدِمها من المهاجرين بعد أبى سَلمة : عامر بن ربيعة ، حليف بنى عدىّ بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمة ابن غانم بن عبد الله بن عَوْف بن عُبيد بن عدىّ بن كعب . ثم عبدُ الله بن جحش بن رئاب بن يَعمر بن صَبرة بن مرّة بن كثير بن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خُزيمة ، حليف بنى أمية بن عبد شمس ، احتمل بأهله وبأخيه عبد ابن جَحْش ، وهو أبو أحمد ـ وكان أبو أحمد رجلا ضرير البصر ، وكان يطوف مكة ، أعلاها وأسفلها ، بغير قائد ، وكان شاعرا ، وكانت عنده الفَرْعة بنت أبى سفيان بن حرب ، وكانت أمه أُميمةَ بنت عبد المطلب بن هاشم ـ فغُلِّقت دارُ بنى جحش هجرةً ، فمرّ بها عُتبة بن ربيعة والعبّاس بن عبد المطلب ، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة ، وهى دار أبَان بن عثمان اليوم التى بالردم ، وهم مُصْعِدون إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عُتْبَةُ بن ربيعة تَخْفُق أبوابُها يَباباً ليس فيها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفَّس الصُّعَداء ، ثم قال :

وكلّ دار وإن طالت سلامتُها ... يوما ستُدركها النَّكْباء والحُوب

. . . .

قال ابن هشام : وهذا البيت لأبى دُؤاد الإيادى فى قصيدة له . والحوب : التوجع .

قال ابن إسحاق : ثم قال عتبةُ : أصبحت: دارُ بَنى جحش خلاءً من أهلها! فقال أبو جهل : وما تبكى عليه من قُلِّ بنِ قُلٍّ .

قال ابن هشام القُلّ : الواحد . قال لبيد بن ربيعة :

كلّ بنى حرّةٍ مصيرُهم قُلّ وإن أكثرتْ من العَددِ

قال ابن إسحاق : ثم قال : هذا عمل ابن أخى هذا ، فرّق جماعتنا ، وشتَّت أمرنا وقطَع بيننا فكانَ منزِلُ أبى سَلَمة بنِ عبدِ الأسَدِ ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الله بن جحش ، وأخيه أبى أحمد بن جحش ، على مبشّر بن عبد المنذر بن زنبر بقُباء ، فى بنى عمرو بن عوف ، ثم قدم المهاجرون أرْسالا ، وكان بنو غَنْم بن دُودان أهلَ إسلام ، قد أوْعبوا إلى المدينة مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم هجرةً رجالهم ونساؤهم : عبد الله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد ابن جحش ، وعُكّاشة بن مِحْصَن ، وشجاع ، وعقبة ، ابنا وهب وأرْبَد ابن جُمَيْرة .

قال ابن هشام : ويقال ابن حُمَيْرة .

قال ابن إسحاق: ومُنْقِذ بن نُباتة ، وسعيدُ بن رُقَيش ، ومُحْرِز بن نَضْلة ، ويزيد بن رُقَيْش ، وقيس بن جابر ، وعمرو بن مِحْصَن ، ومالك بن عمرو ، وصَفْوان بن عمرو ، وثَقْف بن عمرو ، وربيعة بن أكْثم ، والزبير بن عبيد ،

وتَمَّام بن عبيدة ، وسَخْبرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش .

ومن نسائهم : زينب بنت جحش ، وأمّ حَبيب بنت جحش ، وجُذَامة بنت جَنْدل ، وأمّ قَيْس بنت مِحْصَن ، وأمّ حبيب بنت ثُمَامَة ، وآمنة [أو أميمة] بنت رُقَيش ، وسَخْبرة بنت تميم ، وحَمْنة بنت جحش .

وقال أبو أحمد بن جحش بن رئاب ، وهو يذكر هجرة بنى أسد ابن خزيمة من قومه إلى الله تعالى وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإيعابهم فى ذلك حين دُعوا إلى الهجرة :

ولو حلفتْ بين الصَّفا أمّ أحمد ومَرْوتها بالله برّت يمينُها
لَنحْنُ الألَى كنَّا بها ، ثم لم نزل بمكّة حتى عاد غَثًّا سَمِينُها
بها خيَّمت غَنْم بن دودان وابتنتْ وما إنْ غَدَت غَنْمٌ وخَفّ قَطِينُها
إلى الله تغْدو بين مَثْنى وواحد ودين رسول الله بالحقّ دينُها

وقال أبو أحمد بن جَحْشٍ أيضا :

لمَّا رأتنى أمُّ أحمد غاديا بذِمَّة مَن أخشى بغَيْبٍ وأَرْهَب
تقول : فإما كنتَ لا بدّ فاعلاً فيَمِّم بنا البلدان ولْتَنْأ يَثْرِبُ
فقلت لها : بل يَثْرِبُ اليومَ وجْهُنا وما يَشإِ الرَّحمن فالعبدُ يركب
إلى الله وَجهى والرسول ومن يُقِم إلى الله يوما وجهَه لا يُخَيَّب

فكم قد تركنا من حميم مُناصِح ... وناصحةٍ تبكى بدمع وتندب

ترى أن وِتْراً نأيُنا عن بلادنا ... ونحن نرى أنّ الرغائب نطلُب

دعوْت بنى غَنْم لِحَقْن دمائهم ... وللحقّ لمّا لاحَ للناس مَلْحَب

أجابوا بحمدِ الله لمّا دعاهُم ... إلى الحقّ داعٍ والنجاح فأوْعبوا

وكنّا وأصحابا لنا فارقوا الهُدَى ... أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا

كفَوْجَيْن : أمّا منهما فمُوفَّقٌ ... على الحقّ مهدىّ ، وفوج معذّب

طغَوْا وتمنَّوا كذبة وأزلَّهم ... عن الحقّ إبليس فخابوا وخُيِّبوا

ورُعْنَا إلى قول النبىّ محمّـــد ... فطاب وُلاة الحقّ منا وطُيِّبوا

نَمُتّ بأرْحام إليهم قريبةٍ ... ولا قرب بالأرحام إذ لا نُقرَّب

فأىّ ابن أخت بعدنا يأمَنَنَّكم ... وأيّة صِهْر بعد صهرى تُرقب

ستعلم يوما أيُّنا إذ تزايلوا ... وزُيِّل أمر الناس للحقّ أصوب

قال ابن هشام : قوله « ولْتَنْأَ يثرب » ، وقوله « إذ لا نقرب » ، عن غير ابن إسحاق. قال ابن هشام: يريد بقوله: « إذ» إذا ، كقول الله عزّ وجلّ: « إذ الظّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ » قال أبو النجم العجلىّ :

ثم جزاهُ الله عنّا إذْ جَزَى ... جنّات عدنٍ فى العلالىِّ والعُلا

. . . .

إسلام عمرو بن الجموح وصنمه :

فصل فى إسْلام عمْرو بن الجُمُوح ، وذكر صنَمه الذى كان يعبده ، واسمه مَنَاة ، وزنه فَعْلَة من منيت الدم وغيره : إذا صَبَبْته ، لأن الدماء كانت تُمْنَى عنده تَقَرُّباً إليه ، ومنه سُمِّيَتْ الأصنامُ الدُّمَي ، وفى الحديث : لا والدُّمَى لا أرى بما تقول بأسا ، وكذلك مَنَاةُ الطاغيةالتى كانوا يُهِلُّون إليهابقُدَيْد والحَظُّ من من هذا المطلع مافى قوله تعالى ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ﴾ النجم ، من الفائدة جعلها ثالثة للَّاتَ والْعُزَّى ، وأخرى بالإضافة إلى مناة التى كان يعبدها عَمْرُو ابن الجُمُوح وغيره من قومه ، فهما مَنَاتَان ، وإحداهما عن الأخرى بالإضافة إلى صاحبتها .

وقوله :

الآن فَتَّشْنَاكَ عن سُوء الْغَبَنْ

الغبن فى الرأى يقال غَبِن رَأْيَه كما يقال سَفِه نَفْسَه ، فنصبوا ، لأن المعنى: خَسِر نَفْسَه ، وأَوْبَقها وأفسد رأيَه ونحو هذا .

وقوله إلْها مُسْتَدَنْ من السَّدَانة ، وهى خِدمة البيت وتعظيمه .

وقوله دَيَّان الدِّيَن : الدِّيَنُ جمع دِينة ، وهى العادة ، ويقال لها دِينٌ أيضا ، وقال ابنُ الطَّثْرِيَّة ، واسمه يزيد[٢] :

---

(١) ولهذا فسرها الخشنى بقوله : مستذل مستعبد .

(٢) اختلف فى نسبه ، فهو عند أبى عمرو والشيبانى : أبو المكشوح يزيد

أرى سَبْعَةً يَسْعَوْنَ للوصل كُلُّهم له عند لَيْلَى دِينَةٌ يَسْتَدِينُها
فألقيتُ سَهْمِى بَيْنَهم حين أَوْخَشُوا فما صَار لى فى القَسْم إلا ثَمِينُها(١)

ويجوز أن يكون أراد بالدِّين : الأديان أى هو دَيَّان أهلِ الأَدْيان ، ولكن جمعها علَى الدِّين ، لأنها مِلَلٌ ونِحَل ، كما قالوا فى جمع : الْحُرَّة : حرائر ، لأنهن فى معنى الْكَرَائم والعقائل ، وكذلك مَرائر الشجر ، وإن كانت الواحدة مُرَّة ، ولكنها فى معنى فعيلة ، لأنها عَسِيرة فى الذَّوْق ، وشديدة على الآكل ، وكريهة إليه .

تفسير بعض الأنساب :

فصل : وذكر ابن إسحاق تسمية من حَضَر الْعَقَبَة ، وذكر أنسابَهم إلا

ابن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وقيل : إنه يزيد بن المنتشر بن سلمة ، وذكر ابن الكلبى أنه يزيد بن الصمة أحد بنى سلمة الخير بن قشير، وذكر البصريون أنه من ولد الأعور بن قشير . يقول عنه أبو الحسن على بن عبدالله الطوسى : «كان ابن الطثرية شاعرا مطبوعا عاقلا فصيحا كامل الأدب وافر المروءة لايعاب ، ولايطعن عليه ، والطثرية أمه ،وهى من بنى طثر بن عنز بن وائل . وقد ضبطها ابن خلكان بفتح الطاء وسكون الثاء، وضبط فى القاموس واللسان بفتح الثاء : وهو من شعراء الحماسة لأبى تمام والبيت الثانى فى اللسان فى مادة ثمن .

(١) أوخش القوم : ردوا والسهام فى الربابة مرة أخرى ، والثمين : جزء من الثمانية ، وفى اللسان : وسطهم بدلا من : بينهم لأن فعله غالبا يجمع على فعل، مثل غرفة وغرف ومدية ومدى ، وأما فعائل فقيس فى كل رباعى — اسم أوصفة — مؤنث لفظيا أو معنويا ثالثه مده سواء أكانت ألفا أم ياء أم واوا.

. . . .

أبا الْهَيْثَم بن التَّيِّهان ، وقد ذكرنا اسمَه واسمَ أبيه ، وماقيل فى نسبه فى ذكر الْعقَبة الأولى[١].

وذكر قُطْبَة بن عامر ، والْقُطْبَة فيما ذكر أبو حنيفة واحدة القُطَب ، وهى شوكة[٢]. مدحرجة فيها ثلاث شُوَيْكَات ، وهى تشبه حَسك السَّعْدَان، وقد بان بِنَعْتِ أبى حنيفة له أنه الذى نسميه ببلادنا حِمَّص الأمير . والقُطْبَة: طَرَف النَّصْل .

وذكر ذكْوان بن عَبْدِ قيس ، ونسبه إلى عامر بن زُرَيْق بن عامر بن زُرَيْق بن رَوَاحَة بن غَضْب بن جُشَم ،والغَضْبُ فى اللغة : الشَّديد الحمرة[٣]، وجُشَمُ مَعْدُولٌ عن جَاشم ، وهو من جَشِمْتُ الأمر [تـكلفته على مشقة] كما عَدَلوا عُمر عن عامر[٤] وقد أملينا جُزْءًا فى أسرار ماينصرف ، ومالا ينصرف.

---

(١) مازدته فى السيرة من نسب معن بن عدى وغيره من الإصابة .
(٢) القطبة ضرب من النبات يذهب حبالا على الأرض طولا ، وله زهرة صفراء ، وشوكته إذا أحصد ويبس يشق على الناس أن يطئوها ، مدحرجة كأنها حصاة .والحسك : نبات له ثمرة خشنة تتعلق بأصواف الغنم وأوبار الإبل، ومنه حسك السعدان ، والسعدان : نبت من أفضل مراعى الإبل ، ومنه : مرعى ، ولا كا لسعدان ، وله شوك تشبه به حلمة الثدى . وهذا المثل يضرب للشيء يفضل على أقرانه

(٣) فى الاشتقاق : الغضب : الأحمر الغليظ ، والغضبة الصخرة الخشنة ص ٤٦١ .

(٤) فى الاشتقاق : ومن قولهم : جشمت إليك هذا الأمر ، أى : تحملته ثقلة ، وجشم البعير : صدره وكلكله ، ص ٢٥٢ .

. . . .

شَرَحْنا فيه فائدة العدل عن فاعل إلى فُعَل ، وماحقيقة العَدْل والمَقْصُود به ، ولم لَمْ يُعْدَل عن أسماء الأجناس ، ولم لَمْ يكن إلا فى الصفات ولِم لَمْ يكن من الصفات إلا فى مثل عامر وزَافِر وقاثم(١) ، ولم يكن فى مالك وصالح وسالم ، ولِمَ خص فعل هذاالبناء بالعَدْل إليه ، وهل عُدِل إلى بناء غيره ، أم لا ولِمَ منع الخَفْض والتَّنْوين إذاكان مَعْدولا إلى هذا البناء ، فمن اشتاق إلى معرفة هذه الأسرار فَلْيَنْظُرْها هُنالِك ، فإن ابنَ جنى قد حام فى كتاب الخصائص على بعضها ، فما وَرَدَ ، وصَأْصَأَ فما فَقَّحَ (٢).

وذكر فى بنى بَياضَة عَمْروَ بن وَذَفَة بذال مُعْجَمة ، وقال ابن هشام : وَدْفَة بدال مهملة ، وهو الأصح ، والوَدْفَة : الرَّوْضَة الناعمة سُمِّيت بذلك ، لأنها تقطر ماء من نعمتها ، والأُدَافُ الذَّكَر ، وأصله : وُدَافٌ ، سُمِّى بذلك الموضع قطر الماء والمنى منه(٣) ، ويقال للروضة النَّاعمة : الدَّقَرَى ، وعمرو بن

---

(١) قثم ـ فى القاموس ـ الكثير العطاء معدول عن قاثم ، والجموع للخير والعيال ، وزفر : الأسد والشجاع ،والبحر والنهر الكثير الماء ، الذى يحمل الأثقال ، أى : القوى على حمل القرب ، والجمل الضخم ، والكتيبة إلخ .

(٢) فقح الجرو ،فتح عينيه أول مايفتح ،وهو صغير، وصأصأ الجرو: حاول النظر ولما تنفتح عيناه ، ويقال : فقحنا ، وصأصأتم : أبصرنا الحق ، ولم تبصروه .

(٣) العبارة مضطربة ولعلها : لقطر الماء .. الخ . وفى القاموس عن وداف: «وكغراب: الذكر لمايدف منه من المنى وغيره » وفى اللسان: « والأداف:الذكر القطراشه الهمزة فيه : بدل من الواو ، وهو مما لزم فيه البدل ، إذ لم تسمعهم قالوا : وداف . وفى الحديث : فى الأداف الدية يعنى الذكر ، قال ابن الأثير :

. . . .

وَدْفَة هذا هو الْبَيَاضِيُّ الذى روى عنه مالك فى كتاب الصلاة ، ولم يُسَمِّه ، وفى الأنصار [من قبائل الخزرج] بنو النَّجَّار ، وهم تَيْمُ الله بن ثَعْلَبَة ، سمى النَّجَّار فيما ذكروا لأنه نَجَرَ وَجْهَ رجل بقَدُومٍ وقيل : كان نَجَّاراً ، وثعلبة فى العرب كثير فى الرجال ، وقلَّ مايُسَمُّون بثَعْلَب ، وإن كان ذلك هو القياس كما يَسَمُّون بنَمِرٍ وسَبُعٍ وذِئْبٍ[1] ، ولكن الثعلب اسمٌ مشترك ، إذ يقال ثَعْلَبُ الرُّمْحِ ، وثَعْلَبُ الْحَوْضِ[2] ، وهو مخرج الماء منه ، وفى الحديث حتى قام أبو لبابة يسد ثَعْلَب مِرْبَدِه بردائه[3] ، فكأنهم عَدَلوا عن التسمية

سماد بما يقطر منيا مجازا ، وفى اللسان عن الودفة : الودفة — بسكون الدال — الوديفة : الروضة الناضرة المتخيلة ، وقال أبو حازم : الودفة بفتح الدال : الروضة الخضراء من نبت .

(١) يقول ابن دريد عن مذاهب العرب فى التسمية : « ومنها أن الرجل كان يخرج من منزله وامرأته تمخض ، فيسمى ابنه بأول مايلقاه من ذلك ، نحو : ثعلب وثعلبة ، وضب وضبة ، وخزر وضبيعة ، وكلب وكليب ، وحمار وقرد وخنزير . . وكذلك أيضاً تسمى بأول ما يسنح أو يبرح لها من الطير نحو : غراب وصرد وما أشبه ذلك » ص ٦ الاشتقاق ، ولم أجد فيه سوى بطن واحد من قبائل قضاعة سمى بثعلب بينما وجدت ثمانية عشر سموا بثعلبة وهناك اثنان وعشرون صحابيا كلهم تسمى باسم ثعلبة .

(٢) ثعلب الرمح : طرفه الداخل فى جبة السنان

(٣) فى النهاية لابن الأثير « فى حديث الاستسقاء : اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة يسد ثعلب مربده بإزاره » . المربد : موضع يجفف فيه التمر ، وثعلبة ثقبه الذى يسيل منه ماء المطر ، وفى مكان آخر يقول : يعنى موضع ثمره .. أنظر مادتى ثعلب وربد فى النهاية . وفى الروض : يشد ثعلب وهو خطأ .

. . . .

بثعلب لهذا الاشتراك ، مع أن الثَّعْلَبَةَ أحمى لأَدْرَاصِها(١) وأَغْيَرُ على أَجْرَائِها من الثَّعلب .

وذكر قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لبنى سَلِمَةَ مَن سيدكم ؟ فقالوا جَدُّ بن قَيْس على بُخْل فيه ، فقال : وأىُّ داء أَكْبَرُ من البُخْلِ ؟ ! بل سيدكم الأبيض الجَعْدُ : بِشْر بن الْبَرَاء ، وروى عن الزُّهْرِى وعامر الشَّعْبِىِّ أنهما قالا فى هذا الحديث عن النبى عليه السلام : بل سَيِّدُكم عَمْرو بن الجَمُوح ، وقال شاعر الأنصار فى ذلك :

وقال رَسُولُ اللهِ ، والحق قولُه ... لِمَنْ قال منا مَنْ تَعُدُّونَ سَيِّدَا
فقالوا له : جَدُّ بن قَيْسٍ عَلَى الَّتِى ... نُبَخِّلُه فيها ، وما كان أَسْوَدَا
فَسَوَّدَ عَمْرَو بن الجَمُوح لجودِه ... وحُقَّ لِعَمْرٍو عندنَا أَنْ يُسَوَّدَا

ذكر خديج بن سلامة البلوى :

فصل : وذكر خَدِيجَ بن سلامة الْبَلَوِىّ ، وهو : خَدِيج بخاء منقوطة مفتوحة ودال مكسورة ، كذا ذكره الدَّارَقُطنى وغيره ، وذكره الطبرى ، وقال : شهد العَقَبة ، ولم يشهد بدرا ، وقال : يُكْنَى أبا رشيد :

وذكر مُعَاذَ بن جَبَلٍ ونسبه إلى أُدَىّ بن سعد بن على أخى سلمة ، وقد

(١) أدراص جمع درص بفتح الدال وكسرها : ولد القنفذ والأرنب واليربوع والفأرة والهرة ونحوها ، وبالكسر جنين الأتان . والجمع أيضاً درصة ودرصان ، ودروص وأدرص . والجرو مثلثة ـ أى بكسر الجيم وفتحها وضمها ـ صغير كل شىء حتى الحنظل والبطيخ ونحوه ج أجر وجراء وولد الكلب والأسد ج أجر وأجرية وأجراء وجراء .

انفرض عقِبَ أُدَىٍّ ، وآخرُ من مات منهم عبدُ الرحمن بن مُعَاذ بن جَبَل ، وقد يقال فى أُدَىٍّ أيضا : أُذُن فى غير رواية ابن إسحاق وابن هشام .

وذكر أن مُعَاذَ بن جَبَلٍ مات فى طاعون عَمْوَاس، هكذا تقيد فى النسخة عِمواس بسكون الميم (١) ، وقال فيه البكرى فى كتاب المعجم من أسماء البقع: عَمَوَاسَ بفتح الميم والعين ، وهى قرية بالشام عُرِف الطاعون بها لأنه منها بدأ وقيل : إنما سمى : طاعون عِمْوَاس لأنه عَمّ وآسى أى جعل بعض الناس أسْوَة بعض .

وذكر يَزِيد بن ثعلبة بن خَزْمة بسكون الزاى كذا قال فيه ابن إسحاق وابن الكَلْبِي ، وقال الطبرى فيه خَزَمة بتحريك الزاى ، وهو بَلَوِىٌّ من بنى عَمَّارَة بفتح العين وتشديد الميم ، ولا يعرف عِمَّارَة فى العرب إلا هــذا ، كما لا يُعْرَفُ عمارة بكسر العين إلا أُبَىّ بن عِمَارة الذى يَروى حديثا فى المسح على الخفين ، وقد قيل فيه عُمارة بضم العين ، وأما سوى هذين فعُمَارة بالضم ، غير أن الدَّارَقُطْنِي ذكر عن مُحَمدٍ بن حبيب عن ابن الكلبى فى نسب قُضاعة: قال مُدرك بن عبد الله القَمْقَام بن عمارة بن ذُوَيْد بن مالك . وفى النساء عُمَارة

---

(١) فى المراصد : رواه الزمخشرى بكسر أوله وكسر ثانيه ،وغيره بفتح أوله وثانيه : كورة من فلسطين قرب بيت المقدس وكانت عمواس قصبتها قديما ، وهى ضيعة جليلة على ستة أميال من بيت المقدس ، منها كان ابتداء الطاعون المنسوب إليها فى زمن عمر . قيل : مات فيه خمسة وعشرون ألفا ، وفى ياقوت أن عمواس بكسر العين وسكون الميم .

. . . .

بنت نافع ، وهى أم محمد بن عبد الله بن عبد الرزاق ، وفى الأنصار خَزَمة سوى هذا المذكور بفتح الزاى كثير .

وذكر بنى الحُبُلى والنسب إليه حُبُلِىٌّ بضم الحاء والباء قاله سيبويه على غير قياس النَّسب ، وتوهم بعض من ألف فى العربية أن سِيبَويهِ قال فيه : حُبَلِىٌّ بفتح الباء لمَّا ذكره مع جُذَمِىٌّ فى النسب إلى جَذِيمة ولم يذكره سيبويه معه ، لأنه على وزنه ، ولكن لأنه شاذ مثله فى القياس الذى ذكرناه عن سيبويه من تقييده بالضمّ ، ذكره أبو عَلِىّ القَالِى فى البارع ، وقال هكذا تقيد فى النسخ الصحيحة من سيبويه ، وحَسْبُك من هذا أن جميع المحدثين يقولون : أبو عبد الرحمن الحُبُلِىّ بضمتين ، لايختلفون فى ذلك ، فدل هذا كله على غلط من نسب إلى سيبويه أنه فتح الباء[1] .

متى أسلم عثمان بن أبى طلحة :

فصل : وذكر هجرة أم سَلَمَة وصُحْبَةُ عثمان بن طَلْحة لها ، وهو يومئذ

---

(١) فى القاموس : « الحبلى ، بضم الحاء وسكون الباء وفتح اللام ، لقب سالم بن غنم بن عوف لعظم بطنه من ولده : بنو الحبلى بطن من الأنصار ، وهو حبلى بضم الحاء وسكون الباء - وبضمتين ، وكجهنى » .

وفى اللباب لابن الأثير الحبلى بضم الحاء والباء ونقل عن السمعانى : وذكر سيبويه النحوى : الحبلى بفتح الباء وقال : هو منسوب إلى بنى الحبلى ، وقال : الحبلى بضم الحاء وسكون الباء وإمالة اللام لقب سالم بن غنم بن عوف ابن الخزرج بن حارثة قال ابن الكلبى : إنما سمى الحبلى لعظم بطنه . وانظر ص ٤٥٩ الاشتقاق .

. . . .

على كُفره ، وإنما أسلم عثمان فى هُدْنة الحُدَيْبِيَة(١) ، وهاجر قبل الفتح مع خالد ابن الوليد ، وقتل يوم أُحُدٍ إخوتَه مُسَافِع ، وكِلاب والحارث ، وأبوهم وعمه عثمان بن أبى طلحة قتل أيضا يوم أحد كافرا وبيده كانت مفاتيح الكعبة ودفعها رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — عام الفتح إلى عثمان بن طلحة بن أبى طلحة، وإلى ابن عمه شَيْبَةَ بن أبى عثمان بن أبى طلحة ، وهو جد بنى شَيْبَة حَجَبة الكعبة ، واسم أبى طلحة جدهم : عبد الله بن عبد العُزَّى ، وقُتِل عثمان رحمه الله شهيدا بأَجْنَادَيْن فى أول خلافة عمر .

هجرة بنى جحش :

وذكر هجرة بنى جَحْش ، وهم : عبد الله وأبو أحمد واسمه : عبد ، وقد كان أخوهم عُبَيْد الله أسلم ثم تنصر بأرض الحبشة ، وزينب بنت جحش أم المؤمنين التى كانت عند زيد بن حارثة ونزلت فيها ﴿ فلما قَضَى زيد منها وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ الأحزاب وأم حبيب بنت جَحْش التى كانت تُسْتَحَاض ، وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف، وحَمْنَة بنت جحش التى كانت تحت مُصْعَب بن عُمَيْر ، وكانت تُسْتَحَاضُ أيضا ، وقد روى أن زينب استُحيضت أيضاً ،ووقع فى المُوَطَّأ أن زينب بنت جَحْش التى كانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، وكانت تُسْتَحَاضُ ، ولم تك قَطُّ زينب عند عبد الرحمن بن عَوْف ، ولا قاله أحد والغَلَط لايسلم منه بشر ، وإنما كانت تحت عبد الرحمن أختها أم حبيب ،

(١) بتخفيف الياء الثانية مع فتحها ، وقيل : أهل المدينة يثقلونها ، وأهل العراق يخففونها .

. . . .

ويقال فيها أم حبيبة ، غير أن شيخنا أبا عبد الله محمد بن نجاح ، أخبرني أن أم حبيب كان اسمها : زينب فهما زَينبان غلبت على إحداهما الكُنية ، فعلى هذا لا يكون في حديث المُوطّأ وَهْمٌ ولا غلط والله أعلم. وكان اسم زينب بنت جحش: بَرّة فسماها رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زينبَ ، وكذلك زينبُ بنت أم سَلَمة رَبيبته عليه السلام ، كان اسمها بَرّة ، فسماها زينبَ كأنه كره أن تُزَكّيَ المرأةُ نفسَها بهذا الاسم ، وكان اسم جَحش بن رِئاب : بُرّة بضم الباء، فقالت زينب لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : يارسول الله لو غيرت اسم أبي، فإن البُرّة صغيرة ، فقيل : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لها : لو أبوك مُسْلِما لسمّيته باسم من أسمائنا أهل البيت ، ولكني قد سميته جَحْشاً والجحْشُ أكبر من البُرّةِ . ذكر هذا الحديث مُسْنَداً في كتابَ المؤتلف والمختلفِ أبو الحسن الدارقطني .

الشعر الذي تمثل به أبو سفيان :

فصل : ذكر البيت الذي تمثل به أبو سفيان حين مَرّ بدار بني جحش تخْفِقُ أبوابُها ، وهو قوله :

وكل بَيْتٍ وإن طالت سلامَتُه ... يوما ستدركه النَّكْباء والحُوب
كل امرىء بلقاءِ الموت مرتهن ... كأنه غَرَضٌ للموت مَنْصُوب

والشعر لأبي دُؤادِ الإيادِيِّ واسمه : حَنظَلَة بن شرقي ، وقيل جارية بن الحجاج ذكر دار بني جحش ، وأنها عند دار أبان بن عثمان بالرَّدْم ، والرَّدْمُ

. . . .

حَفْرِ رُدِم بالقتلى فى الجاهلية ، فسمى : الرِّدْم ، وذلك فى حرب كانت بين بنى جُمَح ، وبين بنى الحارث بن فهر ، وكانت الدَّبَرةُ فيها على بنى الحارث ، ولذلك قلَّ عددُهم ، فهم أقل قريش عدداً .

وذكر ابن إسحاق شعر أبى أحمد بن جَحْش وفيه :

إلى الله وجهى والرسول ومن يُقِمْ إلى الله يوما وَجْهَه لايُخَيَّبِ

هكذا يروى بكسر الباء على الإقواء، ولو روى بالرفع لجاز على الضرورة ويكون تقديره : فلا يُخَيَّبُ بإضمار الفاء فى مذهب أبى العباس ، وفى مذهب سيبويه : يجوز أيضاً لا على إضمار الفاء ، ولكن على نية التقديم للفعل على الشرط كما أنشدوا :

إنك إن يُصْرَعْ أخوك تُصْرَعُ[1]

وهو مع إن أحسن ، لأن التقدير إنك تُصْرَعُ إنْ يُصْرَعْ أخوك ، وأنشدوا أيضاً :

مَنْ يَفْعَلِ الحسناتِ اللهُ يَشْكُرُه[2]

---

(١) البيت لجرير بن عبد الله البجلى ، وقد سبق . وهو فى كتاب سيبويه ص ٤٣٦ ج ١ ط أولى والشاهد ـ فيه كما يقول السيرافى ـ على مذهب سيبويه : تقديم تصرع فى النية ، وتضمنه الجواب فى المعنى . والتقدير : إنك تصرع إن يصرع أخوك ، وهذا من ضرورة الشعرا لأن حرف الشرط قد جزم الأول ، لحكم أن يجزم الآخر وهو عند المبرد على حذف الفاء . والاقرع من بنى تميم .

(٢) هو من شواهد سيبويه أيضاً فى الكتاب ص ٤٣٥ ج ١ ط ١

. . . .

على هذا التقدير ، وفى الشعر أيضاً :

ولا قرب بالأرحام إذ لا تُقرّب

وتأول ابن هشام إذ هنا بمعنى : إذا وهو خطأ من وجهين ، أحدهما : أن الفعل المضارع لا يحسُن بعد إذا مع حرف النفى ، وإنما يحسُن بعد إذ كقوله سبحانه : ﴿ إذ يقول المنافقون ﴾ ولو قلت : سآتيك إذا تقول كذا ، كان قبيحاً إذا أخرتها ، أو قدمت الفعل لما فى إذا من معنى الشرط ، وإنما يحسن هذا فى حروف الشرط مع لفظ الماضى ، تقول : سآتيك إن قام زيد وإذا قام زيد ، ويقبح :سآتيك إن يقم زيدٌ لأن حرف الشرط إذا أخر ألغى، وإذا ألغى لم يقع الفعل المعرب بعده ، غير أنه حسن فى كيف نحو قوله سبحانه ﴿ يُنْفِقُ كيف يشاء ، ويَبْسُطه فى السماء كَيْفَ يَشَاء ﴾ لِسِرٍّ بديع لعلنا نذكره إن وجدنا لِشَفْرَتِنا مَحَزًّا ، ويحسن الفعل المستقبل مع إذا بعد القَسَم كقوله تعالى : ﴿ والليل إذا يَسْرى ﴾ لانعدام معنى الشرط فيه ، فهذا وجه ، والوجه الثانى : أن إذ بمعنى إذا غير مَعْروفٍ فى الكلام،ولا حكاه ثَبتٌ ، ومااستشهد به من قول رُؤْبَةَ ليس على ماظَنّ إنما معناه : ثم جزاه الله ربى إن جزى ، أى من أجل أن نفعنى وجزى عنى ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لاتَجْزِى نفسٌ عن نَفْسٍ شيئاً ﴾ ففاعل جزى:مضمر عائد على الرجل الممدوح ، وإذ بمعنى أن المفتوحة كذا قال سيبويه

والشاهد فيه : حذف الفاء من الجواب ضرورة ، والتقدير : فالله يشكره وفى الكتاب : يشكرها ، وزعم الأصمعى أن النحويين غيروه ، وأن الرواية : من يفعل الخير ، فالرحمن يشكره .

. . . .

فى سواد الكتاب ، ويشهد له قوله سبحانه : ﴿ بعد إذ أنتم مُسْلِمون ﴾ وعليه يحمل قوله سبحانه ﴿ ولن يَنْفَعَكُمُ اليومَ إذْ ظَلَمْتُم ﴾ وغفل النسوى عما فى الكتاب من هذا ، وجعل الفعل المستقبل الذى بعد لن عاملا فى الظرف الماضى ، فصار بمنزلة من يقول : سآتيك اليوم أمس ، وهذا هراء من القول ، وغفلة عما فى كتاب سيبويه ، ولَيْتَ شِعْرِى مايقول فى قوله سبحانه : ﴿ وإذ لم يَهْتَدُوا به فَسَيَقُولون : هذا إفْكٌ قديم ﴾ فإن جوّز وقوع المستقبل فى الظرف الماضى على أصله الفاسد ، فكيف يعمل ما بعد الفاء فيما قبلها لا سِيَّما مع السين ، وهو قبيح أن تقول : غدا سآتيك ، فكيف إن قلت : غدا فسآتيك ، فكيف إن زدت على هذا وقلت : أمسِ فسآتيك ، وإذ على أصله بمنزلة أمسِ ، فهذه فضائح لاغطاء عليها .

فإن قال قائل : فكيف الوجه فى قوله سبحانه ﴿ ولو ترى إذْ وُقِفُوا ﴾ وكذلك : ﴿ ولو تَرَى إذ المجرمون ناكسو رُءوسِهم ﴾ أليس هذا كما قال ابن هشام بمعنى إذا التى تعطى الاستقبال ؟

قيل له : وكيف تكون بمعنى إذا ، وإذا لا يقع بعدها الابتداء والخبر ، وقد قال سبحانه : ﴿ إذ المجرمون نَاكِسُو رُءوسهم ﴾ وإنما التقدير : ولو ترى نَدَمهم وحُزْنَهم فى ذلك اليوم بعد وقوفهم على النار ، فإذْ ظرفٌ ماض على أصله ، ولكن بالإضافة إلى حزنهم وندامتهم ، فالحزن والندامة واقعان بعد المعاينة والتوقيف ، فقد صار وقت التوقيف ماضيا بالإضافة إلى ما بعده ، والذى بعده هو مفعول ترى ، وهذا نحو مما يتوهم فى قوله سبحانه : ﴿ فانْطلقا حتى إذا

. . . .

رَكبا فى السفينة خرَقَها ﴾ فيتوهم أن إذا هٰهنا بمعنى إذ ، لأنه حديث قد مضى، وليس كما يتوهم ، بل هى على بابها، والفعل بعدها مُستقبَل بالإضافة إلى الإنطلاق، لأنه بعده ، والإنطلاق قبله، ولولا حتى ، ما جاز أن يقال إلا انطلقا إذ ركِبا ، ولكن معنى الغاية فى حتى دل على أن الركوب كان بعد الإنطلاق وإذا كان بعده ، فهو مستقبل بالإضافة إليه ، وكذلك مسألتنا الحزن ، وسوء الحال الذى هو مفعول لترى ، وإن كان غير مذكور فى اللفظ ، فهو بعد وقت الوقوف ، فوقت الوقوف ماض بالإضافة إليه ، وإذ لم يكن بدمن حذف ، فكذلك نقدر حذفا فى قوله تعالى : ﴿ وإذْ لم يَهتَدوا به ﴾ ونحوه لأنها وإن كانت بمعنى أن، فلابد لها من تَعلُّقٍ ، كأنه قال : جُزيتم بهذا من أجل أن ظلمتم ، أو من أجل أن لم يَهتَدُوا به ضَلُّوا .

وذكر فى نساء بنى جَحْش : جُذَامة بنت جَنْدلَ ، وأحسبه أراد جُذَامَة بنت وَهب بن مِحْصَن ، وهى المذكورة فى حديث الرضاع فى المُوَطَّأ ، وقال فيها خلف بن هشام البزار : جُذَامة بالذال المنقوطة هكذا ذكر عنه مُسْلِم بن الحجاج ، والمعروف : جُدَامة بالدال[1] ، وقد يقال فيها جُدَّامة بالتشديد ،

---

(١) فى القاموس : « وجدامة كثمامة بنت وهب، وبنت جندل ، وبنت الحارث صحابيات وهى ما يستخرج من السنبل بالخشب . وفى الإصابة عن جدامة بنت جندل بعد أن ذكر ما قاله ابن إسحاق عنها : وذكر الطبرى فى الذيل أنها هى بنت وهب . وقال ابن سعد : كانت تحت أنيس بن قتادة الأنصارى . كما جاء فى الإصابة عن جدامة بنت وهب الأسدية : ويقال بالخاء المعجمة روت عن النبى « ص » فى رضاع الحامل ، روت عنها أم المؤمنين عائشة ، أخرج حديثها فى الموطأ،

. . . .

والجُدَامة قصب الزرع ، وأملى علينا أبو بكر الحافظ ، وكتبت عنه بخط يدى قال المبارك بن عبد الجبار عن أبى إسحاق البَرْمَكِيِّ عن محمد بن زكريا بن حبويه عن أبى عمر الزاهد المطرز قال : الجُدَّامة : بتشديد الدال طَرَف السَّعَفَة وبه سميت المرأة ، وكانت جُدَامَةُ بنت وَهْب تحت أُنَيْسِ بن قتادة الأنصارى . وأما جُدَامة بنت جَنْدَلٍ ، فلا تُعرف فى آل جحش الأسديين ، ولا فى غيرهم . ولعله وَهْمٌ وقع فى الكتاب ، وأنها بنت وهب بن مِحْصَن بنت أخى عُكَّاشة ابن مِحْصَن ، كما قدمنا والله أعلم .

وذكر فى بنى أسد ثَقْفَ بن عمرو ، ويقال فيه : ثِقَافٌ شهد هو وأخوه مِدْلاج [أو مدلج] بدرا وقتل يوم أحد شهيدا وقال موسى بن عقبة قتل يوم خَيْبر قتله أسير [بن رزام] اليهودى[1] .

وذكر فيهم أم حَبيب بنت ثُمامة ، وهى مما أغفله أبو عُمَر فى كتابه ، وأغفل أيضاً ذكر ثُمَام بن عبيدة[2] ، وهو ممن ذكره ابن إسحاق فى هذه الجملة المذكورين من بنى أسد .

ولفظه : عن جدامة الأسدية أنها سمعت النبى « ص » يقول : لقد هممت أن أنهى عن الغيلة . . الحديث ، وفى بعض طرقه عند مسلم : عن جدامة بنت وهب أخت عكاشة بن وهب قالت : حضرت عند النبى « ص » فى أناس ، وهو يقـــول : فذكر الحديث . . وأورده ابن مندة بلفظ الموطأ فى جدامة ابن جندل .

(١) ويقول الواقدى عن مدلاج إنه شهد المشاهد كلها ، ومات سنة خمسين » . وتبعه ابن عبد البر فى ذلك « الإصابة » أما ثقف ، فكما قال .

(٢) ترجم ابن حجر لأم حبيب فى سطرين فقط ، ولم يترجم لثمام .

. . . .

وذكر ابن إسحاق فى هذه الجملة أَرْبَدَ بن جميرة الأسدى بالجيم ، وقاله ابن هشام: حُمَيْرة بالحاء ، ورواه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق بخلاف مارواه البكّائى وابن هشام ، فقال فيه ابن حُمَيِّر بتشديد الياء ، كأنه تصغير حمار .

وذكر فيهم مُحْرِز بن نَضْلَة ، ولم يرفع نسبه ، وهو ابن نَضْلَة بن عبد الله ابن مُرَّة بن غَنْم[1] بن دُودَان بن أَسَد [بن خزيمة] قتل فى غزوة ذى قَرَد شهيداً[2] ، وكان قد شهد بدرا ، وكان يعرف بالأخرم ، ويلقب : فُهَيْرة ، وقال فيه موسى بن عقبة مُحْرِز بن وَهْبٍ ، ولم يقل ابن نَضْلَة .

وذكر ابن إسحاق أيضاً يزيد بن رُقَيْش ، وبعضهم يقول فيه : أَرْبَد ولا يصح ، وهو ابن رُقَيْش بن رِئاب بن يَعْمَر بن كَبِيْر بن غَنْم بن دُودَان ، وذكر فيهم رَبِيعة بن أَكْثَم ، ولم ينسبه وهو ابن أكثم بن سَخْبَرَة بن عمرو ابن نُفَيْر بن عامر بن غَنْم بن دُودَان بن أسد يكنى : أبا يزيد ، وكان قصيرا دَحْدَحاً قُتِل يوم خيبر بالنَّطَاةِ قتله الحارث اليهودى[3] .

(١) فى الإصابة بن مرة بن كثير بن غنم ، وفى إمتاع الأسماع مرة بن كبير ابن غـــنم .

(٢) ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر . خرج إليه النبى « ص » فى طلب عيينة بن حصن قال حسان :

كانوا بدار ناعمين فبـــدلوا أيام ذى قرد وجـــوه عباد

(٣) نطاة : اسم لأرض خيبر ، وقيل حصن بخيبر أو عين بها يسقى بعض نخيل قراها ، وهى وبئة ، وفى القاموس تطلق أيضاً على حمى خيبر . وبالألف واللام : الشمروخ .

هجرة عمر وقصة عياش معه

قال ابن إسحاق : ثم خرج عمر بن الخطّاب ، وعيّاش بن أبي ربيعة المخزومي حتى قدما المدينة . فحدثني نافع مَوْلى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله ابن عمر ، عن أبيه عمر بن الخطاب ، قال : اتّعدتُ ، لما أردنا الهجرةَ إلى المدينة ، أنا وعَيَّاش بن أبي رَبيعة [واسمه : عمرو ويلقب ذا الرمحين] ، وهشام ابن العاصي بن وائل السهميّ التّناضبَ من أضاة بني غِفَار ، فوق سَرِف ، وقلنا: أيُّنا لم يُصْبِح عندها فقد حُبِس فَلْيَمْضِ صاحباه . قال : فأصبحت أنا وعيَّاش ابن أبي ربيعة عند التَّناضب ، وحُبس عنا هشام ، وفُتن فافتتن .

فلما قدمنا المدينةَ نزلنا في بني عمرو بن عوف بقُباء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارثُ بن هشام إلى عَيَّاش بن أبي ربيعة ، وكان ابنَ عمهما وأخاهما لأمهما ، حتى قَدِما علينا المدينةَ ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فكلَّماه وقالا : إنّ أُمَّك قد نذرت أن لا يمس رأسَها مُشْطٌ حتى تراك ، ولا تستظلّ من شمس حتى تراك ، فرقّ لها ، فقلت له : ياعَيَّاش ، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرْهم ، فوالله لو قد آذى أمَّك القملُ لامتشطت ، ولو قد اشتدّ عليها حرُّ مكةَ لاستظلّت . قال : فقال : أَبَرُّ قَسَمَ أُمّي ، ولي هنالك مالٌ فآخذه . قال : فقلت : والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً ، فلك نصفُ مالي ولا تذهبْ معهما . قال : فأبى عليّ إلا أن يخرج معهما ؛ فلما أبى إلا ذلك ؛ قال: قلت له : أمَّا إذ قد فعلتَ مافعلت ، فخُذْ ناقتي هذه ، فإنها ناقةٌ نجيبة ذَلول فالْزَمْ ظهرها ، فإن رابك من القوم ريبٌ ، فانجُ عليها :

فخرج عليها معهما ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل : ياابن أخى ، والله لقد استغلظتُ بعيرى هذا ، أفلا تُعقِبنى على ناقتك هذه ؟ قال : بلى . قال : فأناخ ، وأناخا ليتحوّل عليها ، فلما استوَوْا بالأرض عدَوَا عليه ، فأوثقاه وربطاه ، ثم دخلا به مكة ، وفتناه فافتتن .

قال ابن إسحاق : فحدثنى به بعض آل عيّاش بن أبى ربيعة : أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهارا موثقا ، ثم قالا : ياأهل مكة ، هكذا فافعلوا بسُفهائكم ، كما فعلنا بسفيهنا هذا .

كتاب عمر إلى هشام بن العاصى

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن عمر فى حديثه ، قال : فكنّا نقول : ماالله بقابلٍ ممن افتتن صَرْفا ولا عَدْلا ولاتوبة، قوم عَرفوا الله ، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم ! قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم . فلما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، أنزل الله تعالى فيهم ، وفى قولنا وقولهم لأنفسهم: ﴿ قُلْ ياعِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعا ، إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ . وأَنِيبُوا إلى رَبِّكُمْ وأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ ثُمَّ لاتُنْصَرُونَ . واتَّبِعُوا أَحْسَنَ ماأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وأَنْتُمْ لاتَشْعُرُونَ ﴾ الزمر : ٥٣ .

قال عمر بن الخطاب . فكتبتها بيدى فى صحيفة ، وبعثت بها إلى هشام ابن العاصى قال : فقال هشام بن العاصى : فلما أتتنى جعلت أقرؤها بذى طُوَى ،

صعّد بهـا فيه وأصَوِّب ولا أفهمها ، حتى قلت اللهمّ فَهِّمْنيها . قال : فألقى الله تعالى فى قلبى أنها إنما أُنزلت فينا ، وفيما كُنَّا نقول فى أنفسنا ويقال فينا . قال : فرجعت إلى بعيرى ، فجلست عليه ، فلحقتُ برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو بالمدينة .

الوليد بن الوليد وعياش وهشام

قال ابن هشام : فحدثنى من أثق به : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، وهو بالمدينة : مَنْ لى بعيَّاش بن أبى ربيعة ، وهشام بن العاصى ؟ فقال الوليد بن الوليد بن المُغيرة : أنا لك يارسول الله بهما ، فخرج إلى مكة ، فقَدِمها مستخفيا ، فلقى امرأة تحمل طعاما ، فقال لها : أين تريدين يا أمة الله ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين ـ تَعْنيهما ـ فتبعها حتى عرف موضعهما ، وكانا محبوسين فى بيت لا سَقْف له ؛ فلما أمسى تسوّر عليهما ، ثم أخذ مَرْوة . فوضعها تحت قَيْدَيْهما ، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه : « ذو المَرْوة » ، لذلك ، ثم حملهما على بعيره ، وساق بهما ، فعثر فدَميت أصبعُه ، فقال :

هل أنتِ إلا أصبعٌ دَميتِ   وفى سبيلِ اللهِ ما لَقِيتِ

ثم قدم بهما على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم المدينة .

منازل المهاجرين بالمدينة

قال ابن إسحاق : ونزل عمر بن الخطَّاب حين قدم المدينةَ ، ومَنْ لحق به من أهله وقومه ، وأخوه زيد بن الخطَّاب ؛ وعمرو وعبد الله ابنا سُرَاقة ابن المعتمر وخُنَيس بن حُذافة السّهمىُّ ـ وكان صهرَه على ابنته حَفْصَة بنت

عمر ، فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده — وسعيدُ بن زيد بن عمرو ابن نُفَيل ، وواقد بن عبد الله التَّميمى ، حليف لهم ؛ وخَوْلِىّ بن أبى خَوْلِىٍّ ، ومالك بن أبى خَوْلِىّ حليفان لهم .

قال ابن هشام : أبو خَوْلِىّ : من بنى عجل بن لُجَيم بن صَعْب بن علىّ ابن بكر بن وائل .

قال ابن إسحاق : وبنو البُكَير أربعتهم : إياس بن البُكَير ، وعاقل ابن البُكَير ، وعامر بن البُكَير ، وخالد بن البُكَير ، وحلفاؤهم من بنى سعد ابن ليث ، على رفاعة ابن عبد المنذر بن زَنْبَر ، فى بنى عمرو بن عوف بقباء ، وقد كان منزل عيَّاش بن أبى ربيعة معه عليه حين قدما المدينة .

ثم تتابع المهاجرون ، فنزل طَلْحةُ بن عبيد الله بن عثمان ، وصُهَيب بن سِنان على خُبَيب بن إساف أخى بَلْحارث بن الخزرج بالسُّنْح . قال ابن هشام : ويقال : يساف فيما أخبرنى عنه ابن إسحاق . ويقال : بل نزل طلحة بن عُبيد الله على أسعد بن زُرَارة ، أخى بنى النَّجَّار .

قال ابن هشام : وذُكر لى عن أبى عثمان النَّهدىّ ، أنه قال : بلغنى أن صُهَيبا حين أراد الهجرة قال له كفَّار قريش : أتيتنا صُعْلوكا حقيراً ، فكثُر مالُك عندنا ، وبلغتَ الذى بلغتَ ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك ، فقال لهم صُهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى ؟ قالوا : نعم . قال : فإنى جعلت لكم مالى . قال : فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رَبِح صُهيب رَبِح صُهيب .

منزل حمزة وزيد وأبى مرثد وابنه وأنسة وأبى كبشة

قال ابن إسحاق : ونزل حمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، وأبو مَرْثد كنَّاز بن حِصْن .

قال ابن هشام : ويقال ، ابن حُصَين – وابنه مرثد الغنويان ، حليفا حمزة ابن عبد المطلب ، وأَنَسَة ، وأبو كَبْشة ، موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على كُلثوم بن هِدْم ، أخى بنى عمرو بن عوف بقُباء : ويقال : بل نزلوا على سعد بن خَيْثمة ؛ ويقال . بل نزل حمزةُ بن عبد المطلب على أسعد بن زُرارة ، أخى بنى النجَّار . كلّ ذلك يقال :

ونزل عُبيدة بن الحارث بن المطلب ، وأخوه الطُّفيل بن الحارث ، والُحصين ابن الحارث ؛ ومِسْطَح بن أُثاثة بن عبَّاد بن المطلب ، وسُويبط بن سعد بن حُريملة ، أخو بنى عبد الدار ، وطُلَيب بن عُمير ، أخو بنى عبد بن قُصَيّ ، وخبَّاب مولى عُتبة بن غَزْوان ، على عبد الله بن سلمة ، أخى بَلْعجلان بقُباء .

ونزل عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أخى بَلْحارِث بن الخزرج ، فى دار بَلْحارِث بن الخزرج .

ونزل الزبير بن العوّام ، وأبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العُزّى ، على مُنْذِر بن محمد بن عُقبة بن أُحَيْحَة بن الُجلَاح بالعُصْبة ، دار بنى جَحْجَبَى .

ونزل مُصْعَب بن عُمَير بن هاشم ، أخو بنى عبد الدار على سعد بن مُعَاذ ابن النّعمان ، أخى بنى عبد الأشهل ، فى دار بنى عبد الأشهل .

ونزل أبو حُذَيفة بن عُتْبة بن ربيعة ، وسالم مولى أبى حُذيفة .

قال ابن هشام : سالم مَوْلَى أبى حُذيفة سائِبةً ، لثُبَيْتة [أو نُبَيْتَة] بنت يَعار بن زيد بن عُبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوْسِ ، سَيَّبته فانقطع إلى أبى حُذَيفة بن عتبة بن ربيعة فتَبَنَّاه ، فقيل : سالم مَوْلِى أبى حذيفة ويقال : كانت ثُبَيتة بنت يَعار تحت أبى حُذيفة بن عُتبة فأعتقت سالما سائبةً . فقيل : سالم مولى أبى حُذيفة .

قال ابن إسحاق : ونزل عُتْبة بن غَزْوان بن جابر على عبَّاد بن بشرا بن وقَشْ أخى بنى عبد الأشهل فى دار عبد الأشهل .

ونزل عثمان بن عفَّان على أوس بن ثابت بن المُنذِر ، أخى حسَّان بن ثابت فى دار بنى النجَّار ، فلذلك كان حسَّان يحبّ عثمان ويبكيه حين قُتل .

وكان يقال : نزل الأعزاب من المهاجرين على سعد بن خَيْثمة ، وذلك أنه كان عَزَبا ، فالله أعلم أىّ ذلك كان .

خبر الندوة وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤذَن له فى الهجرة ، ولم يتخلّف معه بمكة أحدٌ من المهاجرين إلا من حُبس أو فُتن ، إلا علىّ بن أبى طالب ، وأبو بكر بن أبى قُحافة الصدّيق رضى الله عنهما ، وكان أبو بكر كثيرا مايستأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل لعلّ الله يجعل لك صاحبا ، فيطمع أبو بكر أن يكونه .

الملأ من قريش يتشاورن فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : ولمّا رأت قريش أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد صارت له شِيعةٌ وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروجَ أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم مَنَعة ، فحَذِرُوا خروجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنهم قد أجمع لحربهم . فاجتمعوا له فى دار النَّدوة ـ وهى دار قصىّ بن كلاب التى كانت قريش لا تَقْضى أمرا إلا فيها ـ يتشاورون فيها مايصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين خافوه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبى نَجِيح ، عن مجاهد بن جَبْر أبى الحجَّاج ، وغيره ممن لا أتهم ، عن عبد الله ابن عبَّاس رضى الله عنهما قال : لمَّا أجمعوا لذلك ، واتَّعدوا أن يدخلوا فى دار النَّدوة ليتشاوروا فيها فى أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غدَوا فى اليوم الذى اتَّعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى يومَ الزَّحْمة ، فاعترضهم إبليس فى هيئة شيخ جليل ، عليه بَتْلة ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفا على بابها ، قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد سَمع بالذى اتعدتم له ، فحضر معكم ليسمع ماتقولون ، وعسى أن لا يُعْدِمكم منه رأيا ونُصحا ، قالوا : أجل ، فادخل ، فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشراف قُرَيش ، من بنى عبد شمس : عُتبة بن رَبيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب . ومن

بنى نَوْفل بن عبد مناف : طُعَيمة بن عدىّ ، وجُبير بن مُطْعِم ، والحارث بن عامر بن نوفل : ومن بنى عبد الدار بن قصىّ : النضرُ بن الحارث بن كَلَدة . ومن بنى أسد بن عبد العزّى : أبو البَخْتَرِىّ بن هشام ، وزَمْعَة بن الأسود ابن الْمُطَّلِب ، وحكيم بن حزَام . ومن بنى مخزوم : أبو جهل بن هشام . ومن بنى سَهْم : نُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجّاج ، ومن بنى جُمَح : أُمَيَّة بن خَلَفٍ ، ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يُعَدُّ من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجلَ قد كان من أمره ما قد رأيتم ، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمِعوا فيه رأيا . قال : فتشاوروا ثم قال قائل منهم : احبسوه فى الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ، ثم تَرَبَّصوا به ما أصاب أشباهَه من الشعراء الذين كانوا قبله ، زُهيراً والنابغة ، ومن مضى منهم ، من هذا الموت ، حتى يُصيبَه ما أصابهم ، فقال الشيخ النَّجْدىّ : لا والله ، ماهذا لكم برأى . والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجَنَّ أمرُه من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فَلَأَوْشَكوا أن يثِبوا عليكم ، فينزِعوه من أيديكم ، ثم يُكاثروكم به ، حتى يغلبوكم على أمركم ، ماهذا لكم برأى ، فانظروا فى غيره ، فتشاوروا . ثم قال قائل منهم : نُخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فاذا أُخرج عنَّا فوالله مانُبالى أين ذهب ، ولا حيث وقع ، إذا غاب عنّا وفرغنا منه ، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت . فقال الشيخ النجدِىّ : لا والله ، ماهذا لكم برأى ، ألم تَرَوْا حُسْن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ، والله لو فعلتم ذلك ماأمنتم

. . . .

أن يحلّ على حيّ من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم ، حتى يطأكم بهم فى بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، دبِّروا فيه رأيا غير هذا . قال : فقال أبو جهل ابن هشام : والله إن لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وماهو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كلّ قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطى كلّ فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمِدوا إليه ، فيضربوه بها ضربةَ رجل واحد ، فيقتلوه ، فنستريح منه . فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه فى القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعَقْل ، فَعَقَلْناه لهم . قال : فقال الشيخ النجدىّ : القول ما قال الرجل ، هذا الرأى الذى لا رأى غيره ، فتفرّق القوم على ذلك وهم مجمعون له .

مما يقال عن ليلة الهجرة

فأتى جبريلُ عليه السلام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا تَبِتْ هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه . قال : فلمّا كانت عَتْمة من الليل اجتمعوا على بابه يَرْصُدُونه متى ينام فيثِبون عليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلىّ بن أبى طالب : نمْ على فراشى وتَسجّ بِبُرْدى هذا الحَضْرمىّ الأخضر ، فَنَمْ فيه ، فانه لن يَخْلُص إليك شىء تكرهه منهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى بُرْده ذلك إذا نام .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القُرَظِىّ

. . . .

قال : لما اجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره ، كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، فجُعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تُحرقون فيها .

قال : وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حَفْنة من تراب في يده ، ثم قال أنا أقول ذلك ، أنت أحدُهم . وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يَرَوْنه ، فجعل ينثر ذلك الترابَ على رءوسهم ، وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس: ﴿ يس * والقُرآنِ الحَكِيمِ * إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ * على صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلَ العَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ . . إلى قوله : ﴿ فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴾ حتى فرغ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من هؤلاء الآيات، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ، فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم ، فقال : ما تنتظرون هاهنا ؟ قالوا : محمدا ، قال : خَيَّبكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ماترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ، أفما ترون مابكم ؟ قال : فوضع كُلُّ رجل منهم يدَه على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلّعون ، فيرَوْن عليًّا على الفراش مُتَسَجِّيًا بِبُرْدِ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : والله إن هذا لمحمدٌ نائما، عليه بُرْدُه . فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام عليّ ـ رضي الله عنه ـ عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذى حدثنا .

. . . .

الآيات التى نزلت فى تربص المشركين بالنبي

قال ابن إسحاق : وكان مما أنزل الله عزّ وجلّ من القرآن فى ذلك اليوم، وما كانوا أجمعوا له : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ ، وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ ﴾ ، وقول الله عزّ وجلّ : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ . قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ المُتَرَبِّصِينَ ﴾ .

قال ابن هشام : المنون : الموت . وريب المنون : ما يَرِيبُ ويعرض منها . قال أبو ذُؤَيْبٍ الهذلى :

أمِنَ المَنُونِ ورَيْبِها تَتَوَجَّعُ والدهر ليس بمُعْتِبٍ من يجزعُ

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وأذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك فى الهجرة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر رضى الله عنه رجلا ذا مال ، فكان حين استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل ، لعلّ الله يجد لك صاحبا ، قد طمع بأن يكون رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، إنما يعنى نفسه ، حين قال له ذلك ، فابتاع راحلتين ، فاحتبسهما فى داره ، يعلفهما إعدادا لذلك .

الهجرة إلى المدينة

قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أمّ المؤمنين أنها قالت : كان لايخطىء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار ، إما بكرة ، وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذى أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، والخروج من مكة من بين ظهرى قومه ، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة ، فى ساعة كان لايأتى فيها . قالت : فلما رآه أبو بكر ، قال : ماجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدَث . قالت : فلما دخل ، تأخَّر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخْرِج عنى مَنْ عندك : فقال : يارسول الله ، إنما هما ابنتاى ، وما ذاك؟ فداك أبى وأمى ! فقال : إن الله قدأذن لى فى الخروج والهجرة . قالت : فقال أبو بكر ، الصحبةَ يارسول الله ؛ قال : الصحبةَ . قالت : فوالله ماشَعَرْت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ ، ثم قال : يانبىّ الله ، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا . فاستأجَرا عبدَالله بن أُرَيْقط ـ رجلا من بنى الدِّيل بن بكر [وهو من بنى عبد بن عدى ـ هاديا خِرِّيتا ـ والخريت : الماهر بالهداية ـ قد غَمَس حلفا فى آل العاصى بن وائل السَّهْمِى ـ عن البخارى] ، وكانت أمه امرأة من بنى سَهْم بن عمرو ، وكان مشركا ـ يدلهما على الطريق ، فدفعا إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .

. . . .

الذين كانوا يعلمون بالهجرة

قال ابن إسحاق : ولم يَعلم فيما بلغنى ، بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد ، حين خرج ، إلا علىّ بن أبى طالب ، وأبو بكر الصدّيق، وآل أبى بكر. أما علىّ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما بلغنى – أخبره بخروجه ، وأمره أن يتخلّف بعده بمكة ، حتى يؤدّىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع ، التى كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحدٌ عنده شىء يخشى عليه إلا وضعه عنده ، لما يُعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم .

الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فى الغار

قال ابن إسحاق : فلما أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الخروج ، أتى أبا بكر بن أبى قُحافة ، فخرجا من خَوْخَةٍ لأبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عَمَدَا إلى غارٍ بِثَوْرٍ – جبل بأسفل مكة – فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنَه عبدَ الله بن أبى بكر أن يتسمّع لهما ما يقول الناس فيهما نهارَه ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامرَ بن فُهَيْرة مولاه أن يرعى غنمَه نهاره ، ثم يُرِيحها عليهما ، يأتيهما إذا أمسى فى الغار . وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يُصلحهما .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن الحسن بن أبى الحسن

. . . .

البصرى قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلا ، فدخل أبو بكر رضى الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلمس الغار ، لينظر أفيه سبع أو حيَّة ، يَقِي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .

الذين قاموا بشئون الرسول فى الغار

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثا ومعه أبو بكر ، وجعلت قُريش فيه حين فقدوه مائة ناقة ، لمن يردّه عليهم . وكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قريش نهاره معهم ، يسمع ما يأتمرون به ، وما يقولون فى شأن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر . وكان عامر بن فُهيرة ، مولى أبى بكر رضى الله عنه ، يرعى فى رُعْيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا عبد الله بن أبى بكر غدا من عندهما إلى مكة ، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفِّى عليه ، حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذى استأجراه ببعيريهما وبعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما بسُفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عِصاما فلما ارتحلا ذهبت لتعلّق السفرة ، فإذا ليس لها عصام ، فتحلّ نطاقها فتجعله عصاما ، ثم علقتها به.

لم سميت أسماء بذات النطاقين

فكان يقال لأسماء بنت أبى بكر : ذات النطاق ، لذلك .

قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين .

. . . .

وتفسيره : أنها لما أرادت أن تعلّق السفرة شقّت نطاقها باثنين ، فعلّقت السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخر .

راحلة النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فلما قرّب أبو بكر ، رضى الله عنه ، الراحتلين إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قدّم له أفضلهما ، ثم قال : اركب ، فداك أبي وأمي ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لا أركب بعيراً ليس لى ، قال : فهى لك يارسول الله ، بأبى أنت وأمى ، قال : لا ، ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به؟ قال : كذا وكذا ، قال : قد أخذتها به ، قال : هى لك يارسول الله . فركبا وانطلقا . وأردف أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه عامرَ بن فُهيرة مولاه خلفه ، ليخدِمهما فى الطريق .

أبو جهل يضرب أسماء بنت أبى بكر

قال ابن إسحاق : فحُدثت عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه ، أتانا نفر من قُرَيش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجتُ إليهم ؛ فقالوا : أين أبوك يابنتَ أبى بكر ؟ قالت : قلت : لا أدرى والله أين أبى . قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشا خبيثا ، فلطم خدّى لطمة طرح منها قُرطى .

خبر الجنى الذى تغنى بمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم

قالت : ثم انصرفوا . فمكثنا ثلاث ليال ، وماندرى أين وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبل رجلٌ من الجنّ من أسفل مكة ، يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وإن الناس ليتبعونه ، يسمعون صوته وما يَرَوْنه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزَى الله ربُّ الناس خيرَ جَزائه رفيقَيْن حلاَّ خَيْمَتَىْ أمّ مَعْبَدِ
هُما نَزَلا بالبَرِ ثُمَّ تَرَوَّحا فأفلح من أمسى رفيقَ محمد
ليهنِ بَنى كَعْب مكانُ فتاتِهم ومقعدها للْمُؤْمنين بمرصد

نسب أم معبد

قال ابن هشام : أمّ معبد بنت كَعْب ، امرأة من بنى كَعْب ، من خُزاعة . وقوله « حلا خيمتى » و « هما نزلا بالبرّ ثم تروّحا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : قالت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وَجْه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن وجهه إلى المدينة وكانوا أربعة : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصدّيق رضى الله عنه، وعامر بن فُهيرة مولى أبى بكر ، وعبد الله بن أرقط دليلهما .

قال ابن هشام : ويقال : عبد الله بن أُرْيقِط .

آل أبي بكر بعد هجرته

قال ابن إسحاق: فحدثني يحيي بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير أن أباه عبّادا حدّثه عن جدته أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر مالَه كله ، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه . قالت : فدخل علينا جدّي أبو قحافة، وقد ذهب بصره ، فقال : والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه . قالت : قلت : كلا يا أبتِ ! إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا . قالت : فأخذت أحجارا فوضعتها في كوّة فِي البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبت ، ضَعْ يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه ، فقال : لا بأس ، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحْسَن ، وفي هذا بلاغ لكم . ولا والله ماترك لنا شيئا ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك .

خبر سراقة بن مالك

قال ابن إسحاق وحدثني الزهري أن عبد الرحمن بن مالك بن جُعْشُم حدثه . عن أبيه ، عن عمه سُراقة بن مالك بن جُعْشُم ، قال . لما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من مكة مُهاجرا إلى المدينة ، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن ردّه عليهم . قال : فبينا أنا جالس في نادي قومي إذ أقبل رجلٌ

منا ، حتى وقف علينا ، فقال : والله لقد رأيت رَكَبة ثلاثة مرّوا علىّ آنفا ، إني لأراهم محمداً وأصحابه ، قال : فأومأت إليه بعيني : أن اسكت ثم قلت قليلا ، إنما هم بنو فلان ، يبتغون ضالة لهم ، قال : لعله؛ ثم سكت . قال ثم مكثت ثم قمت فدخلت بيتي ، ثم أمرت بفرسي ، فقيد لي إلى بطن الوادي ، وأمرت بسلاحي ، فأُخرج لي من دُبُر حجرتي ، ثم أخذت قِداحي التي أستقسم بها ، ثم انطلقت ، فلبست لَأْمَتِي ثم أخرجت قِداحي ، فاستقسمت بها ؛ فخرج السهم الذي أكره « لا يضرّه » قال : وكنت أرجو أن أردّه على قريش ، فآخذ المائة الناقة . قال : فركبت على أثره ، فبينما فرسي يشتدّ بي عثر بي ، فسقطت عنه . قال : فقلت : ما هذا ؟ قال ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره « لا يضرّه » . قال : فأبيت إلا أن أتبعه. قال : فركبت في أثره ، فبينا فرسي يشتدّ بي ، عثر بي ، فسقطت عنه . قال : فقلت : ماهذا ؟ ، قال : ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره « لا يضرّه » قال : فأبيت إلا أن أتبعه ، فركبت في أثره . فلما بدا لي القوم ورأيتهم ، عثر بي فرسي ، فذهبت يداه في الأرض ، وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبعهما دخان كالإعصار . قال : فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنع مني ، وأنه ظاهر . قال: فناديت القوم: فقلت : أنا سُراقة بن جُعْشُم : انظروني أكلمكم ، فوالله لا أريبكم ، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : قل له : وما تبتغي منا ؟ قال فقال ذلك أبو بكر ، قال : قلت : تكتب لي كتابا يكون آية بيني وبينك . قال : اكْتُبْ له يا أبا بكر.

. . . .

فكتب لى كتابا فى عَظْم ، أو فى رقعة ، أو فى خَزَفة ، ثم ألقاه إلىّ ، فأخذته ، فجعلته فى كنانتى ، ثم رجعت ، فسكتّ فلم أذكر شيئا مما كان حتى إذا كان فتحُ مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرغ من حُنين والطائف ، خرجت ومعى الكتاب لألقاه ، فلقيته بالجِعرانة . قال : فدخلت فى كَتِيبة من من خيل الأنصار . قال : فجعلوا يقرعوننى بالرماح ويقولون : إليك إليك ، ماذا تريد ؟ قال : فدنوت من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته والله لكأنى أنظر إلى ساقه فى غَرْزه كأنها جُمَّارة . قال : فرفعت يدى بالكتاب ، ثم قلت : يارسول الله ، هذا كتابك لى ، أنا سُراقة بن جُعْشُم ؛ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يوم وفاء وبرّ ، ادْنُهْ . قال : فدنوت منه ، فأسلمت . ثم تذكرت شيئا أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره ، إلا أنى قلت : يارسول الله ، الضالة من الإبل تَغْشَى حياضى ، وقد ملأتها لإبلى ، هل لى من أجر فى أن أسقيها ؟ قال : نعم ، فى كلّ ذات كبد حرّى أجر . قال : ثم رجعت إلى قومى ، فسقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صَدَقتى . قال ابن هشام : عبد الرحمن بنُ الحارث بن مالك بن جُعْشُم .

هجرة عمر وعياش

ذكر فيها تواعدهم التناضب بكسر الضاد ، كأنه جمع تَنْضُبْ [واحدته تَنْضُبة] وهو ضَرْب من الشجر ، تألفه الحِرْباء . قال الشاعر :

إنّى أُتِيح له حِرْباء تَنْضُبَةٍ   لايُرْسِلُ الساقَ إلّا مُمْسِكاً ساقا

. . . .

ويقال لثمره الممتع وهو فُنْعَلِل أدغمت النون فى الميم وظاهر قول سيبويه : أنه فعلل وأنه مما لحقته الزيادة بالتضعيف ، والقول الأول يقوّيه أن مثله الْهُنْدَلِع (١) ، وهو نبت وتتخذ من هذا الشجر القِسِىُّ كما تتخذ من النَّبْع والشوط والشريان والسراء والأشكل ، ودخان التنضب ، ذكره أبو حنيفة فى النبات .

وقال الجَعْدِىُّ :

كأَنَّ الْغُبَارَ الذى غادرت ضحَيا دَوَاخِنُ من تَنْضُبِ

شبه الغبار بدخان التنضب لبياضه. وقال آخر [عُقَيْل بن عُلفة المُرِّى] :

---

(١) اسم بقلة ، ويقول ابن جنى فى المنصف إن الأسماء الخماسية تجىء على أربعة أمثلة وخامس لم يذكره سيبويه « فعلل وفعلل وفعللل وفعلل . . . والخامس الذى لم يذكره سيبويه فعللل ، وهو هندلع ، وقالوا : هو اسم بقلة ، ومن ادعى ذلك احتاج أن يدل على أن النون من الأصل » ص ٣٠ ح ١ . وفى شرح الشافية عن أوزان الاسم الخماسى : « وزاد محمد بن السرى فى الخماسى خامسا ، وهو الهندلع لبقلة ، والحق : الحكم بزيادة النون لأنه إذا تردد الحرف بين الأصالة والزيادة والوزنان باعتبارهما نادران فالأولى : الحكم بالزيادة لكثرة ذى الزيادة كما يجىء ، ولو جاز أن يكون هندلع فعللا لجاز أن يكون كنهبل فعللا وذلك خرق لا يرقع فتكثر الأصول » ص ٤٩ ح ١ . والكنهبل بفتح الباء وضمها : شجر عظام وهو من العضاه ويقول سيبويه إن النون فيه زائدة لأنه ليس فى الكلام على مثال سفرجل بضم الجيم .

ويقول الخشنى : « التناضب بضم الضاد . يقال : هو اسم موضع ، ومن رواه بالكسر ، فهو جمع تنضب ، وهو شجر واحدته : تنضبة ، وقيده الوقشى : التناضب بكسر الضاد » .

. . . .

وَهَلْ أَشْهَدَنْ خَيْلاً كأنَّ غُبارَها ... بأسْفَلِ عِلْـكَدٍ دواخِنُ تَنْضُبِ

وأَضَاةُ بنى غِفَارٍ على عشرة أميال من مَـكَّة ، والأَضاةُ الْغَدِيرُ ، كأنها مقلوب من وَضْأة على وزن فَعْلَة ، واشتقاقه من الْوَضَاءَةِ بالمد وهى النظافة ، لأن الماء ينظف ، وجمع الأَضاة إضاء وقال النابغة [فى صفة الدروع] :

عُلِين بِكَدْيَوْنٍ وأُبْطِنَّ كُرَّةً ... وهُنَّ إضاءٌ صافيات الْغَلَائِلِ

[وأَضَيَات ، وأضواتٌ وأضاً وإِضُون]. وهذا الجمع يحتمل أن يكون غير مقلوب ، فتكون الهمزة بدلا من الواو المكسورة فى وِضاء ، وقياس الواو المكسورة تقتضى الهمز على أصل الاشتقاق ، ويكون الواحد مقلوبا لأن الواو المفتوحة لاتهمز ، مع أن لام الفعل غير همزة ، وقد يجوز أن يكون الجمع محمولا على الواحد فيكون مقلوبا مثله(١) ، ويقال أضاءه بالمد ، وقد يجمع أضَاة على إضين ، قاله أبو حنيفة وأنشد :

مَحَافِرُ كَأَسْرِيَة الإِضِينا

الأَسْرِيَةُ : جمع سَرِيٍّ ، وهو الجَدْوَل ، ويقال له أيضاً : السَّعِيد .

---

(١) ومثلها : إساد فى : وساد وإشاح ، فى وشاح ، وإعاء فى وعاء . وفى اللسان : « قال أبو الحسن : هذا الذى حكيته من حمل أضاه على الواو بدليل : أضوات حكاية جميع أهل اللغة ، وقد حمله سيبويه على الياء ، قال : ولا وجه له عندى البتة لقولهم أضوات وعدم ما يستدل به على أنه من الياء . قال والذى أوجه كلامه عليه أن تكون أضاه قلعة من قولهم : آض يئيض على القلب ، لأن بعض الغدير يرجع إلى بعض ، ولاسيا إذا صفقته الريح .

. . . .

قول هشام بن العاص :

فصل : وذكر نزول الآية : ﴿ قُلْ ياعِبَادِيَ الذين أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِم لاَ تَقْنَطُوا من رَحْمَة الله ﴾ الزمر ٥٣ الآية فى المستضعفين بمكة ، وقول هشام ابن العاص : ففاجأتنى وأنا بذى طُوًى . طَوًى[١] : مقصور موضع بأسفل مكة ، ذكر أن آدم لما أهبط إلى الهند ، ومشى إلى مكة ، وجعل الملائكةُ ، تنتظره بذى طِوًى ، وأنهم قالوا له : يا آدمُ مازلنا ننتظرك هاهُنا منذ ألفى سنة[٢] ، وروى أن آدم كان إذا أتى البيتَ خلع نعليه بذى طُوًى ، وأما ذو طُوَاء بالمد ، فموضع آخر بين مكة والطائف هكذا ذكره الْبَكْرِى ، وأما طوًى بضم الطاء والقصر المذكور فى التنزيل ، فهو بالشام اسم للوادِى الْمُقَدَّس ، وقد قيل : ليس باسم له ، وإنما هو من صفة التَّقْدِيس ، أى : الْمُقَدَّس مرتين .

نزول طلحة وصهيب علي خبيب بن إساف :

فصل : وذكر نزول طلحةَ وصهيب على خُبَيْبِ بن إسَاف ويقال فيه يَسَاف بياء مفتوحة فى غير رواية الكتاب ، وهو إساف بن عِنَبَة ، ولم يكن

---

(١) مثلثة الطاء وتنون ولا تنون . فمن نونه فهو اسم للوادى أو الجبل ، وهو مذكر اسمى بمذكر على فعل كحطم وصرد ومن لم ينونه جعله معدولا عن طاو ، أو باعتباره اسما للبقعة . وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب الحضرمى : طوى غير منون ، وقرأها الكسائى وعاصم وحمزة وابن عامر : طوى منونا فى السورتين . ويقول ابن الأثير : وذو طوى : موضع عند باب مكة .

(٢) كلامه لا مسند له .

. . . .

حين نزول المهاجرين عليه مُسلما فى قول الواقدى بل تأخر إسلامه ، حتى خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بدر ، قال خُبَيْبٌ : فخرجت معه أنا ورجل من قومى ، وقلنا له : نكره أن يشهدَ قومُنا مشهداً لا نشهده معهم ، فقال : أسلمتما ؟ فقلنا : لا ، فقال : ارجعا ، فإنا لا نستعين بمشرك .

وخُبَيْبٌ هو الذى خلف على بنت خارجة بعد أبى بكر الصديق ، واسمها : حَبِيَبةُ ، وهى التى يقول فيها أبو بكر عند وفاته : ذو بطن بنت خارجة أراها جارية(١) ، وهى : بنت خارجة بن أبى زُهير(٢) ، والجارية : أم كُلثُوم بنت أبى بكر ، مات خُبَيْبٌ فى خلافة عثمان ، وهو جَدُّ خُبَيْبِ بن عبد الرحمن ، الذى يروى عنه مالكٌ فى مُوَطَّئِه .

أبو كبشة

وذكر أَنَسَةَ وأبا كَبْشَةَ فى الذين نزلوا على كُلثُوم بن الِهدْم ، فأما أَنَسَةُ مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، فهو من مُوَلَّدِى السَّرَاة ، ويُكنى : أبا مَسْروح ، وقيل : أبا مِشْرَح شهد بدرا والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله

---

(١) فى الإصابة : ما أظنها إلا أنثى . غير أن إيمان أبى بكر ، وتدبره العظيم للقرآن يمنعان من أن نظن بأبى بكر مثل هذا فالقرآن يقول عن الله سبحانه فى أمور الغيب التى يعلمها : (ويعلم ما فى الأرحام) .

(٢) فى الإصابة : بنت خارجة بن زيد أو بنت زيد بن خارجة . وفى ترجمته هو ذكر : زيد بن خارجة بن زيد بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج .

. . . .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومات فى خلافة أبى بكر ، وأبو كَبْشة اسمه : سليم يقال إنه من فارس ، ويقال : من مُوَلَّدِى أرضِ دَوْس ، شهد بدرا والمشاهد كلَّها مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومات فى خلافة عمر فى اليوم الذى ولد فيه عُرْوةُ بن الزُّبير ، وأما الذى كانت كفار قريش تذكره وتنسب النبى عليه السلام إليه ، وتقول : قال ابن أبى كَبْشَةَ وفعل ابن أبى كَبْشَة ، فقيل فيه أقوال : قيل : إنها كُنْية أبيه لأمه وَهْبِ بن عبد مناف ، وقيل : كُنْية أبيه من من الرضاعة الحارث بن عبد العُزَّى ، وقيل : إن سَلْمى أخت عبد المطلب كان يكنى أبوها أبا كَبْشَة ، وهو عمرو بن لَبِيد ، وأشهر من هذه الأقوال كلها عند الناس أنهم شبهوه برجل كان يعبد الشِّعْرى وحده دون العرب ، فنسبوه إليه لخروجه عن دين قومه[1] .

وذكر الدارَقُطْنى اسم أبى كَبْشَة هذا فى المؤتلف والمختلف ، فقال : اسمه وَجْزُ ابن غالب ، وهو خُزَاعِىٌّ[2] ، وهو من بنى غُبْشَانَ[3] .

---

(١) سبق هذا ، وقد نقلته عن صاحب نسب قريش ، وقد ذكر ابن حبيب فى كتابه المحبر أن وهبا جد النبى « ص » لأمه كان يكنى أبا كبشة ، وكذلك عمرو ابن زيد البخارى ، وهو أبو سلمى أم عبد المطلب ، وكذلك وجز بن غالب ، وهو جد النبى « ص » من قبل أمه أم وهب بن عبد مناف ، وكذلك غبشان بن عمرو ابن لؤى وهو الذى كان يعبد الشعرى ، وكذلك حاضن الرسول « ص » الحارث ابن عبد العزى ص ١٢٩ .

(٢) يقول ابن دريد ، فى الاشتقاق وهو يتحدث عن خزاعة « ومنهم : أبو قيلة ، وهو وجز بن غالب ، وفد إلى النبى صلى الله عليه وسلم » ص ٤٨٠ .

(٣) فى الأصل : وغمشان ، وهو خطأ . أبو غبشان : خزاعى كان يلى سدانة

. . . .

وذكر نزولهم بقُباء ، وهو مسكن بنى عمرو بن عوف وهو على فرسخ من المدينة ، وهو يُمَد ويُقْصَر ويُؤَنَّث ويذَكَّر ، ويُصرْف ولا يُصرَف ، وأنشد أبو حاتم فى صَرْفه :

وَلأَبغِيَنَّكُمْ قُباً [و] عُوَارِضاً ولأُقبِلَنَّ الخيلَ لاَبةَ ضَرْغَدِ(١)

وكذلك أنشده قاسم بن ثابت فى الدلائل قُبا بضم القاف و [فتح] الباء وهو عند أهل العربية تصحيف منهما جميعاً ، وإنما هو كما أنشده سيبويه : قَنَاً وعُوارِضاً ، لأن قَناً جَبَلٌ عند عُوارِض يقال له ، والجبل آخر معه قَنَوان(٢).

الكعبة قبل قريش ، فاجتمع مع قصى فى شرب بالطائف ، فأسكره قصى ثم اشترى المفاتيح منه بزق خمر ، وأشهد عليه ، ودفعها لابنه عبد الدار وطير به إلى مكة ، فأفاق أبو غبشان أندم من الكسعى ، فضربت به الأمثال فى الحمق والندم ، وخسارة الصفقة « القاموس » وقد سبق رأى ابن هشام فيه .

(١) أنشده سيبويه مرتين فى صفحتى ٨٢ ، ١٠٩ من الجزء الأول من كتابه ، ونسبه لعامر بن الطفيل ورواه مرة بالفاء ومرة بالواو فى لأبغينكم . وقد استشهد به على نصب قنا وعوارض مع إسقاط حرف الجر ضرورة لأنهما مكانان مختصان لاينتصبان انتصاب الظرف ، وهما بمنزلة ذهبت الشام فى الشذوذ والحذف . والشاعر يريد : بقنا وعوارض ولكنه شبهه بدخلت البيت ، وقلب الظهر والبطن .

(٢) فى المراصد عن عوارض : جبل ببلاد طىء وقيل : هو لبنى أسد ، وقيل : قنا وعوارض جبلان لبنى فزارة وقيل : جبل أسود فى أعلى دار طىء وناحية دار فزارة . وقيل عن قنوين إنهما جبلان تلقاء الحاجر لبنى مرة . وقيل وهما عوارض وقنا ، سميا قنوين كعادتهم فى تثنية الشىء ومقارنه كالعمرين والقمرين .

. . . .

وبينهما وبين قُباء مسافات وبلاد ، فلا يصح أن يقرن قُباء الذى عند المدينة مع عُوارِض وقَنَوَيْن ، وكذا قال البكرى فى مُعْجَم ما استعجم وأنشد : [لمعقِل بن ضِرارَ بن سنان الملقب بالشّماخ] .

كأنها لما بدا عُوارِضُ والليلُ بين قَنَوَيْنِ رَابِضُ

وقُباء : مأخوذ من القَبْو ، وهو الضَّمُّ والجمعُ قاله أبو حنيفة ، وقال : القَوَابِى : هن اللواتى يجمعن العصفر واحدتهن : قَابِيَةٌ . قال : وأهلُ العربية يسمون الضمة من الحركات قَبْواً[٢] ، وأما قولهم : لا والذى أخرج قُوباً من من قابية يعنون : الفَرْخَ من البَيْضَة[٣] فمن قال فيه : قابية بتقديم الباء ، فهو

(١) ذكره اللسان فى مادة ربض ، وفى مادة جله ونسبه فى هذه إلى الشماخ . ورواه فى جله هكذا :

كأنها وقد بدا عوارض بجلة الوادى قطا نواهض

ورواه فى ربض كما فى الروض وزاد ما وصفته بين قوسين والجلة : ما استقبلك من حروف الوادى .

(٢) فى اللسان : « أهل المدينة يقولون الضمة : قبوة . . والقبوة : الضم ، قال الخليل : نبرة مقبوة أى : مضمومة » .

(٣) فى اللسان : « قاب الطائر بيضته ، أى : فلقها . فانقابت البيضة وتقوبت بمعنى ، والقائبة والقابة : البيضة ، والقوب بالضم الفرخ . . وسمى الفرخ : قوبا لانقياب البيضة عنه . ويقال قابة وقوب بمعنى : قائبة وقوب » قال : وفى حديث عمر : أنه نهى عن التمتع بالعمرة إلى الحج ، وقال : إنكم إن اعتمرتم فى أشهر الحج رأيتموها مجزئة من حجكم ، ففرغ حجكم ، وكانت قائبة من قوب . ضرب هذا مثلا لجلاء مكة من المعتمرين سائر السنة ، والمعنى : أن الفرخ إذا فارق بيضته لم يعد إليها ، وكذا إذا اعتمروا فى أشهر الحج لم يعودوا إلى مكة .

. . . .

الْقَبْو الذى يقدم ، ومن قال فيه : قابية ، فهو من لفظ الْقُوبِ لأنهَا تتَقوَّب عنه ، أى تَتَقَشَّرُ قال الكميت يصف النساء :

لَهُنَّ ولِلْمَشِيبِ ومَنْ عَلَاهُ   من الأمثال قابِيَةٌ و قُوبُ[1]

وفى حديث عمر : فكانت قابيَةَ قُوبٍ[2] عامها ، يعنى : الْعُمْرة فى أشهر الحج ، وقد ذكر أن قُباء اسم بئرٍ عُرِفت القرية بها .

سالم مولى أبى حذيفة

فصل : وذكر سالما مَوْلى أبى حُذَيْفَةَ الذى كان أبو حذيفة قدتَبناه كما تبنى رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - زيدا ، وكان سائبةً أى : لاَ وَلَاء عليه لأحد ، وذكر المرأة التى أعتقته سائبةً ، وهى ثبيتة بنتَ يعَار ، وقد قيل فى اسمها بُثَيْنَةَ ذكره أبو عمر ، وذكر عن الزُّهْرى أنه كان يقول فيها : بنت تَعَار[3] ، وقال ابن شيبة فى المعارف : اسمها سَلْمى [وقال ابن حبان: يقال لها: ليلمة] ويقال فى اسمها أيضاً : عمرة ، وقد أبطل التَّسْيِيبَ فى العِتْق كثيرٌ من العلماء ، وجعلوا الْوَلَاء لكل مَنْ أَعْتَقَ أخذاً بحديث النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك وحَمْلا له على العموم، ولما روى أيضا عن مسعود أنه قال : لاسائبة فى الإسْلَام،

---

(١) رواه اللسان فى مادة قوب ولم يروه فى قبو . وفيه : قائبة وقوب » . مثل هرب النساء من الشيوخ بهرب القوب - وهو الفرخ - من القائبة ، وهى البيضة ، فقال : لاترجع الحسناء إلى الشيخ كما لايرجع الفرخ إلى البيضة »

(٢) فى النهاية لابن الأثير : فكانت قائبة قوب عامها ، ثم فسره بما نقله اللسان عنه .

(٣) وقيل : فاطمة بنت يعار ، وفى اسم سالم خلاف .

. . . .

ورأى مالكٌ ميراثَ السائبة لجماعة المسلمين ، ولم ير ولاءه لمن سَيَّبه ، فكان للتسييب والعتق عنده حكمان مختلفان ، وسالم هذا هو الذى أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَهْلة بنت سُهَيْل أن ترضعه ليحرُم عليها ، فأرضعته وهو ذو لحية [١] :

فإن قيل : كيف جاز له أن ينظر إلى ثديها ، فقد روى فى ذلك أنها حلبت له فى مِسْعَط [٢] وشرب اللبن ، ذكر ذلك محمد بن حبيب .

---

(١) عند مسلم من طريق القاسم عن عائشة أن سالما كان مع أبى حذيفة ، فأتت سهلة بنت سهيل بن عمرو رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — فقالت: إن سالما بلغ ما يبلغ الرجال ، وأنه يدخل على ، وأظن فى نفس أبى حذيفة من ذلك شيئا ، فقال : أرضعيه تحرمى عليه ، ورواه مالك فى الموطأ عن الزهرى عن عروة . وأخرجه البخارى من طريق الليث عن الزهرى موصولا . لكن أيصدق حكم الرضاعة على من هو فى مثل سنه ، والقرآن يقول : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) ويخبر أن حمل الطفل وفصاله ثلاثون شهراً ؟ فهل يمكن أن يسمى رضيعا رجل فى مثل سن أبى حذيفة وله لحية ؟

هذا وقد روى البخارى ومسلم والنسائى والترمذى من طريق مسروق عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رفعه خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل . وكان أبو حذيفة يرى أنه ابنه ، فأنكحه ابنة أخته فاطمة بنت الوليد بن عتبة . فلما أنزل الله : (أدعوهم لآبائهم) رد كل أحد تبنى ابنا من أولئك إلى أبيه . ومن لم يعرف أبوه رد إلى مواليه . أخرجه مالك فى الموطأ عن الزهرى عن عروة بهذا ، وفيه قصة إرضاعه.

(٢) ويحكى أيضاً بضم الميم والعين وسكون السين وهو آنية السعوط

تعليق على منازل المهاجرين : يقول الخشنى عن خباب مولى عتبة أى يروى

. . . .

اجتماع قريش للتشاور فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم

ذكر فيه تمثلُ إبليس ـ حين أتاهم ـ فى صورة شيخ جليل وانتسابه إلى أهل نجد .

قوله فى صورة شيخ جليل يقول : جَلَّ الرجل وجلت المرأة إذا أسَنَّت ، قال الشاعر :

وما حظها أن قيل عَزَّتْ وجَلَّت

ويقال منه : جلَلْتَ يارجلَ بفتح اللام ، وقياسه جَلُلْتُ لأن اسم الفاعل منه: جليل ، ولكن تركوا الضَّمَّ فى المضاعف كلِّه استثقالا له مع التضعيف إلا فى لَبُبْت ، فأنتَ لبيب ، حكاه سيبويه بالضَّم على الأصل[1] .

أيضاً بحاء مهملة مضمومة وباء مخففة وقول ابن هشام : ونزل الأعزاب . صوابه :كما قال الوقشى : الأعراب ، ص ١٢٥ شرح السيرة لأبى ذر الخشنى ولعلها : الأعزاب ، لأن جمع عزب أعزاب « القاموس » .

(١) فى مسند قصة الهجرة ذكر مجاهد بن جبر فى خلاصة تذهيب الكمال الحافظ صفى الدين أحمد بن عبد الله الخزرجى الأنصارى ط أولى : مجاهد بن جبر بإسكان الموحدة . للخشنى وفى بعض نسخ السيرة : جبير ، وخبير ، ويقول الخشنى والصحيح : جبير ص ١٢٦ . وفى اللسان عن لبب وقد لببت ـ بضم الباء الأولى ـ ألب ـ بفتح اللام ـ ولببت بكسر الباء الأولى تلب بفتح اللام. وفى التهذيب حكى : لببت بالضم ، وهو نادر لا نظير له فى المضاعف الحديث أخرجه البخارى فى أبواب الاستسقاء . باب ماقيل فى الزلازل والآيات بسنده عن نافع عن ابن عمر قال : قال : اللهم بارك لنا فى شامنا وفى يمننا ، قال : قالوا : وفى نجدنا ، فقال : قال : اللهم بارك لنا فى شامنا وفى يمننا . قال : قالوا : وفى نجدنا . قال : قال : هنالك الزلازل والفتن ، وبها يطلع قرن الشيطان ،

. . . .

وقال القابسي : سقط ذكر النبي « ص » من النسخ ، ولا بد منه ، لأن مثله لا يقال بالرأي : وأخرجه البخاري في كتاب الفتن . وقد صرح فيه بذكر النبي « ص » وقوله : فأظنه قال في الثالثة : هنالك الزلازل الخ وأخرجه الترمذي . وفي مجمع الزوائد . فقال رجل : وفي شرقنا يا رسول الله بدلا من : وفي نجدنا وأنه قال في المرة الثانية : اللهم بارك لنا في شامنا ، وفي يمننا إن من هناك يطلع قرن الشيطان ، وبه تسعة أعشار الكفر ، وبه الداء العضال » رواه الطبراني في الأوسط واللفظ له . وأحمد ولفظه أن رسول الله « ص » قال اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا مرتين ، فقال رجل وفي مشرقنا يارسول الله، فقال رسول الله « ص » من هناك يطلع قرن الشيطان ، وبه تسعة أعشار الشرك . . . ويقول الخطابي في بيان المراد من نجد من جهة المشرق ، ومن كان بالمدينة كان نجد بادية العراق ونواحيها ، وهي مشرق أهل المدينة ، وأصل النجد : ما ارتفع من الأرض وهو خلاف الغور ، فإنه ما انخفض منها وتهامة . كلها من الغور ، ومكة من تهامة » أقول . ومثل هذه الأحاديث لا يجوز أخذها على إطلاقها بل لا يجوز مطلقا أن نستعملها استعمال أولئك الذين أوغروا في الصدور الأحقاد ، وأرثوا العصبية المقيتة الحمقاء بسببها . فسبوا كل نجد ، وذموا كل عراق . وما أجمل ما يقول العلامة الهندي الشيخ محمد بشير السهسواني « ومن عاب الساكن بالسكنى والإقامة في مثل تلك البلاد ، فقد عاب جمهـــور الأمة وسبهم وآذاهم بغير ما اكتسبوا ، وقد داول الله تعالى الأيام بين البقاع والبلاد كما داولها بين الناس والعباد . . قال تعالى : (وتلك الأيام نداولها بين الناس) وكم من بلد قد فتحت ، وصارت من خـــير بلاد المسلمين بعد أن كانت في أيدي الفراعنة والمشركين والفلاسفة والصابئين والكفرة من المجوس ، وأهل الكتابين ، بل الخربة التي كانت بها قبور المشركين صارت مسجدا هو أفضل مساجد المسلمين بعد المسجد الحرام ودفن بها أفضل المرسلين ، وسادات المؤمنين » ص ٥٤٤ ط صيانة الإنسان . ولو حملنا ما روى على هوى الحاملين للأحقاد لقلنا عن المدينة بحماقة العصبية إنها دار فتنة فقد ورد في حديث متفق عليه : أنه « ص » أشرف على

. . . .

وإنما قال لهم : إنى من أهل نجد فيما ذكر بعضُ أهل السيرة ، لأنهم قالوا : لايدخلن معكم فى المشاورة أحدٌ من أهل تِهَامة لأن هواهم مع محمد ، فلذلك تمثل لهم فى صورة شيخ نَجْدِى ، وقد ذكرنا فى خبر بُنْيان الكعبة أنه تمثَّل فى صورة شيخ نجدى أيضاً ، حين حكَّموا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أمر الركن : مَنْ يرفعه ، فصاح الشيخ النجدى : يامَعْشَر قريش:أقد رَضِيتم أن يليَه هذا الغلامُ دون أشرافكم وذوى أسنانكم ، فإن صح هذا الخبرُ فَلِمَعْنًى آخر تمثل نَجْدِياًّ ، وذلك أن نجداً منها يَطْلُع قَرْنُ الشَّيْطانِ ، كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قيل له : وفى نَجْدِنا يارسول الله ؟ قال : هنالك الزلازل والفِتن ، ومنها يطلع قَرْنُ الشيطان ، فلم يُبارِك عليها ، كما بارَكَ على اليمن والشام وغيرها ، وحديثه الآخر أنه نظر إلى المشرِق ، فقال : إن الْفِتْنَة هاهنا من حيث يطْلُع قَرْنُ الشيطان ، وفى حديث ابن عمر ، أنه حين قال هذا الكلام ، ووقف عند باب عائشة ، ونظر إلى المشرق فقاله ، وفى وقوفه عند باب عائشة ناظراً إلى المشرق يحذر من الفتن ، وفكَّر فى خروجها إلى المشرق عند وقوع الفتنة تفهم من الإشارة واضْمُم إلى هذا قوله عليه السلام حين ذكر نزول الفتن : أيقظوا صَوَاحِبَ الحُجر ، والله أعلم .

وذكر تشاورَهم فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن بعضَهم أشار بأنه

أطم « حصن عال أو بناء مرتفع » من آطام المدينة ، فقال : هل ترون ما أرى؟ قالوا : لا . قال فإنى لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع المطر . فلنحذر هوى الشيطان ، وفتنة العصبية ! ! .

. . . .

يُحْبَس فى بيت ، وبعضهم بإخراجه عليه السلام من بين أظهرهم ونفيه ، ولم يُسمِّ قائل هذا القول ، وقال ابن سلام : الذى أشار بحبسه هو أبو البَخْتَرِىّ ابن هشام ، والذى أشار بإخراجه ونفيه هو أبو الأسْوَد ربيعةُ بن عمرو ، أحد بنى عامر بن لُؤَىّ ، وقول أبى جهل: نَسِيباً وسِيطاً ، هو من السِّطة فى العشيرة، وقد تقدم فى باب تزويجه خديجة معنى الْوَسِيط ، وأين يكون مدحا .

وأما قوله على بابه يتطلّعون ، فيرون عَلِيّاً وعليه بُرْدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيظنونه إياه ، فلم يزالوا قياما حتى أصبحوا ، فذكر بعضُ أهل التفسير السببَ المانع لهم من التَّقَحُّم عليه فى الدار مع قِصَر الجِدار ، وأنهم إنما جاءوا لقتله ، فذكر فى الخبر أنهم هَمُّوا بالوُلُوج عليه ، فصاحت امرأة من الدار ، فقال بعضُهم لبعض : والله إنها للسُّبَّةُ فى العَرب أن يتحدثَ عنا أنا تَسَوَّرْنا الحيطان على بنات العم ، وهَتَكْنا سِتر حُرْمتنا ، فهذا هو الذى أقامهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه ، ثم طَمَسَتْ أبصارُهم عنه حين خرج ، وفى قراءة الآيات الأُول من سورة : يٓس (١) من الفقه النَّذْكِرةُ بقراءة الخائفين لها اقتداءً به عليه السلام ، فقد روى الحارث بن أبى أسامة فى مسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذكر فضل يٓس أنها إن قرأها خائف أمِن ، أو جائع شَبع أو عارٍ كُسِى ، أو عاطش سُقِى حتى ذكر خلالا كثيرة (٢) .

---

(١) تقرأ هكذا : ياسين وهى مثل حم « حاميم » وطه « وطاها » ، فهى ليست اسما للنبى « ص » وإنما هى مثل غيرها مما ذكرت من أوائل السور .

(٢) لم يرو هذا أحد من أصحاب الصحيح . ولو أن التلاوة لهذه السورة تعطى

. . . .

وذكر ابن إسحاق ما أنزل الله فى ذلك ، وشرح ابن هشام رَيْبَ الْمَنُون ، وأنشد قول أبى ذُؤَيْب :

أمن المنونِ ورَيْبه تتفجع

والْمَنُون يذكّر ويؤنّث ، فمن جعلها عبارةً عن الْمَنِيَّة أو حوادث الدهر أنَّث ، ومن جعلها عبارةً عن الدهر ذكَّر ، ورَيْبُ المنون مايَرِيبُك من تغير الأحوال فيه ، سُمِّيت الْمَنُون لنزعِها مُنَنَ الأشياء أى : قُواها ، وقيل : بل سميت مَنُوناً لقطعها دون الأمال من قولهم : حَبْل مَنِين أى : مقطوع ، وفى التنزيل قوله تعالى ﴿ فَلَهُم أجر غير مَمْنُون ﴾ أى غير مقطوع .

إذن الله سبحانه لنبيه بالهجرة

ذكر فيه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : أتى بيتَ أبى بكر فى الظَّهيرة : قالت عائشة : وفى البيت أنا وأختى أسماء فقال أخْرِجْ مَن معك ، فقال أبو بكر : إنما هما بنتاى يارسول الله .

وقال فى جامع البخارى : إنما هم أهلُك يارسول الله ، وذلك أن عائشة قد كان أبوها أنكحها منه قبل[1] ذلك ، وكذلك روى عن أمها أم رُومان

كل هذا الذى ذكر لكان باعة القرآن على المقابر أولى الناس فى الدنيا والآخرة هناء ورخاء وعزة وكرامة . إن التلاوة بلا تدبر لاتغنى شيئا .

(١) أخرج البخارى بسنده عن هشام عن أبيه قال : توفيت خديجة قبل مخرج النبي « ص » إلى المدينة بثلاث سنين فلبث سنتين ، أو قريبا من ذلك .

. . . .

بنت عامر بن عويمر ، ويقال فى اسم أبيها : رَوْمَان بفتح الراء أيضاً ، فقال ابن إسحاق فى غير رواية ابن هشام فى حديث طويل ثابت اختصرته : إن أبا بكر حين هاجر مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم خلف بناتهِ بمكة ، فلما قدموا المدينةَ أرسل رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زيدَ بن حارثة وأبا رافع مولاه ، وأرسل أبو بكر عبد الله بن أُرَيْقِط [الدِّيلى](١) ، وأرسل معهم خمسمائة درهم ، فاشتروا بها ظفراً بقُدَيْد ، ثم قدموا مكة فخرجوا بسَوْدة بنت زَمْعَة ، وبفاطمة وبأم كُلْثُوم. قالت عائشة : وخرجتْ أمى معهم ومع طَلْحة ابن عُبَيْدالله مصطحبين ، فلما كنا بقُدَيْدٍ نفر البعيرُ الذى كنت عليه أنا وأمى : أم رومان فى مِحَفَّة ، فجعلت أمى تنادى : وَابنَيَّتاه واعَرُوساه ! ! وفى رواية

ونكح عائشة ، وهى بنت ست سنين ، ثم بنى بها وهى بنت تسع سنين ، وفى الحديث إشكال . وقد ذكر الحافظ فى الفتح رفعا لهذا الإشكال إذ قال : إن مراده من قوله فى الحديث : فلبث سنتين أو قريبا من ذلك . المراد أنه لم يدخل على أحد من النساء ، ثم دخل على سودة قبل أن يهاجر ، ثم بنى بعائشة بعد أن هاجر ، فكأن ذكر سودة سقط على بعض رواته . ويقول الماوردى : الفقهاء يقولون : تزوج عائشة قبل سودة ، والمحدثون يقولون : تزوج سودة قبل عائشة . وقد يجمع بينهما بأنه عقد على عائشة ، ولم يدخل بها . ودخل بسودة ص ١٧٩ حـ ٧ فتح البارى .

(١) هكذا ضبطه الحافظ فى الفتح . وقال : وقيل بضم الدال وكسر ثانيه مهموز ، وهو ابن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وقيل : من بنى عدى ابن عمرو بن خزاعة . وفى رواية الأموى عن ابن إسحاق : ابن أريقد ، وعند موسى بن عقبة : أريقه لكن بالطاء وعند ابن سعد : أريقط وعن مالك اسمه : رقيط . وفى شرح السيرة لأبى ذر أنه الليثى عبد الله بن أريقط

. . . .

يونس عن ابن إسحاق ، وفيه قالت عائشة : فسمعت قائلا يقول - ولا أرى أحدا - ألقِ خطامَه ، فألقيته من يدى ، فقام البعير يستدير به ، كأن إنسانا تحته يمسكه ، حتى هبط البعير من الثَّنِيَّة ، فسلم الله ، فقدمنا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يبنى المسجد وأبياتا له ، فنزلت مع أبى بكر ، ونزلت سَوْدَةُ بنت زَمْعَة فى بيتها ، فقال أبو بكر : ألا تَبْنى بأهلك يارسول الله ؟ فقال : لولا الصَّدَاق ، قالت : فدفع إليه ثِنْتَىْ عَشْرَةَ أوقية ، ونَشًّا ، والنَّشُّ : عشرون دِرْهَما وذكرَت الحديثَ . ورواه ابن أبى الزِّنَاد عن هشام بن عُرْوة عن أبيه عن عائشة .

لم اشتريت الراحلة :

وفى حديث ابن إسحاق أن أبا بكر كان قد أعد راحلتين، فقدم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحدة ، وهى أفضلهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لا أركب بعيراً ليس لى فقال أبو بكر : هو لك يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالثمن ، فقال أبو بكر : بالثمن يارسول الله فركبها ، فسُئِل بعضُ أهل العلم . لِمَ لَمْ يقبلها إلا بالثمن ، وقد أنفق أبو بكر عليه من ماله ماهو أكثر من هذا فقبل، وقد قال عليه السلام : ليس من أحد أَمَنَّ علىَّ فى أهلٍ ومالٍ من أبى بكر[1] ، وقد دفع إليه حين بنى

(١) فى رواية للبخارى : إن من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر وفى رواية أخرى إن أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر . وقد قيل : إن الرفع خطأ لأنه اسم إن . وقيل : إن وجه الرفع بتقدير ضمير الشأن أى أنه الجار والمجرور بعده خبر مقدم ، وأبو بكر مبتدأ مؤخر ، أو على أن مجموع الكنية

. . . .

بعائشة ثِنْتَىْ عَشْرَةَ أوقية ونَشًّا ، فلم يأب من ذلك فقال المسئول إنما ذلك لتكون هجرتُه إلى الله بنفسه وماله رغبةً منه عليه السلام فى استكمال فضل الهجرة والجهاد على أتم أحوالهما ، وهو قولُ حَسَنٌ حدثنى بهذا بعضُ أصحابنا عن الفقيه الزاهد أبى الحسن بن اللوان رحمه الله .

ذكر ابن إسحاق فى غير رواية ابن هشام

وذكر ابن إسحاق فى غير رواية ابن هشام : أن الناقةَ التى ابتاعها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من أبى بكر يومئذ هى : ناقته التى تسمى بالجَدْعَاء ، وهى غير الْعَضْبَاء التى جاء فيها الحديث حين ذكر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ناقةَ صالح ، وأنها تحشر معه يوم القيامة ، فقال له رجل : وأنت يومئذ على الْعَضْباء يارسول الله ، فقال : لا . ابنتى فاطمة تُحْشَر على الْعَضْبَاء ، وأُحْشَر أنا على الْبُرَاقِ ، ويُحْشَر هذا على ناقةٍ من نُوق

اسم فلايعرب ما وقع فيها من الأداة أو إن بمعنى نعم، أو إن من زائدة على رأى الكسائى . وأمن أفعل تفضيل من المن بمعنى العطاء والبذل ، بمعنى أن أبذل الناس لنفسه وماله . لامن المنة التى تفسد الصنيعة ، ولكن يشرحه الداودى على أنه من المنة وتقديره لو كان يتجه لأحد الامتنان على نبى الله ، لتوجه له . وفى رواية ابن عباس : ليس أحد من الناس آمن على فى نفسه وماله من أبى بكر . ووجود من باعتبارها غيرزائده يفيد أن لغيره مشاركة مافى الأفضلية، ولكنه المقدم . ويؤيد هذا ما وراه الترمذى : « ما لأحد عندنا يد إلا كافأناه عليها ، ما خلا أبا بكر ، فإن له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة » وهذا يدل على ثبوت منة للغير ، إلا أن لأبى بكر رجحانا .

. . . .

الجنة وأشار إلى بلال(١).

وذكر أذانه فى الموقف فى حديث طويل يرويه عبدُ الحميد بن كيسان عن سُوَيْد بن عُمَيْر ، وعبد الحميد مجهول عندهم .

وفى مسند البزار عن أنس قال : خطبنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الْعَضْباء ، وليست بالجدعاء ، فهذا من قول أنس : إنها غير الجدعاء ، وهو الصحيح ، لأنها غُنِمت،وأخذ صاحبُها العقيلى بالمدينة ، فقال: بم أخذتنى يامحمد، وأخذت سابقة الحاج ، يعنى : العَضْباء ، فقال : أخذتك بجرِيرة حُلفائك .

بكاء الفرح من أبي بكر :

وذكر ابن إسحاق فى قول عائشة ـ رضى الله عنها ـ ما كنتُ أرى أحداً يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى من الفرح . قالت ذلك لصغر سنها ، وأنها لم تكن علمت بذلك قبل ، وقد تطرقت الشعراء لهذا المعنى ،

---

(١) الروايات الصحيحة فى كتب السنة المعتبرة تخالف ما ذكر هنا عن هذا النوع من الحشر . هذا وقد ذكر الواقدى أن الناقة التى أخذها رسول الله «ص» هى القصواء ، وأنها كانت من نعم بنى قشير . ويذكر ابن إسحاق أنها الجدعاء ، وأنها من إبل بنى الحريش وكذلك روى ابن حبان من طريق هشام عن أبيه . هذا وما رواه ابن إسحاق عن الهجرة عمن لايتهم عن عروة قد ورد فى البخارى ما هو قريب منه . ولم يرد فى البخارى وغيره قصة الندوة . ولارمى التراب فى الوجوه . ورواية البخارى هنا هى الرواية التى تسكن إليها النفس ، ولايتوجه بها سؤال لماذا لم يقتحم الراغبون فى قتله عليه الباب ؟ ، وليس فيها خرافة تشكل الشيطان بصورة شيخ نجدى .

فأخذته استحسانا له ، فقال الطائىُّ يصف السحاب :

دُهْم إذا وَكَفَتْ فى رَوْضه طَفِقَتْ   عيونُ أزهارِها تبكى من الفرح

وقال أبو الطيب ، وزاد على هذا المعنى :

فلا تُنْكِرَنَّ لهـا صَرْعَةً   فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ ما يَقْتُلُ

وقال بعض المُحْدَثين :

وَرَدَ الكتابُ من الحبيب بأنه   سيزورنى فاستَعْبَرَتْ أجفانى
غلب السرور عَلَىّ حتى إنه   من فَرطِ ماقد سَرّنى أبكانى
ياعينُ صار الدمعُ عندكِ عادةً   تَبكِينَ فى فَرَحٍ وفى أحزان

مكة والمدينة :

فصل : ومن قوله عليه السلام حين خرج من مكة ، ووقف على الحَزْوَرَة(١) ، ونظر إلى البيت ، فقال : والله إنك لأَحبُّ أرضِ الله إلىّ ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن أهلَك أخرجونى منك ماخرجت(٢) يرويه الزُّهْرِىُّ عن أبى سلمة

(١) الحزورة كانت سوق مكة ، وأدخلت فى المسجد لما زيد ، وباب الحزورة معروف من أبواب المسجد الحرام . وعن ابن الأثير فى النهاية أنها موضع بمكة عند باب الخياطين ، وهو بوزن قسورة . وعن الشافعى : الناس يشددون الحزورة ، والحديبية ، وهما مخففتان.

(٢) أخرجه أحمد والنسائى والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح ، وأخرجه أبو حاتم بن حبان فى التقاسيم والأنواع ، وسعيد بن منصور فى سننه وذكره رزين عن الموطأ ، ولكنه ليس فى موطأ يحى بن يحيى ، وأخرجه أحمد فى المسند

. . . .

عن عبد الله بن عَدِىّ بن الحمراء يرفعه ، وبعضهم يقول فيه : عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هُريرة ، وهو من أصحّ ما يُحتج به فى تفضيل مكة على المدينة، وكذلك حديث عبد الله بن الزبير مرفوعا : إن صلاةً فى المسجد الحرام خير من مائة ألف صلاة فيما سواه(١) فإذا كانت الأعمال تبعا للصلاة ، فكل حسنة تعمل فى الحرام ، فهى بمائة ألف حسنة ، وقد جاء هذا منصوصا من طريق ابن عباس عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قال : من حَجّ ماشياً كُتب له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل : وما حسنات الحَرَم ؟ قال: الحسنة فيه بمائة ألف حسنة [قال عطاء : ولا أحسب السيئةَ إلا مثلها] أسنده البزار(٢) .

حديث الغار

وهو غار فى جبل ثَوْرٍ ، وهو الجبل الذى ذكره فى تحريم المدينة ، وأنها حرام ما بين عيْرٍ إلى ثَوْر ، وهو وهم فى الحديث ، لأن ثوراً من جبال مكة ، وإنما لفظ الحديث عند أكثرهم ما بين عَيْر إلى كذا ، كأن المحدث قد نسى اسمَ المكان ، فكنى عنه بكذا(٣) .

---

(١) فى رواية لابن ماجة ، والعدد مختلف فى روايات الحديث المختلفة .

(٢) لا يتعلق ثواب الحج بمشى أو ركوب وإنما يتعلق بما وقر فى القلب المؤمن . وهو يأتى بأركانه، فكم من رجل حج ماشيا ، ولم ينل غير مشقة مشيه ، وكم من رجل حج راكبا له بكل نامة حسنة وحسنات .

(٣) الحديث أخرجه الشيخان ، وقد رواه مسلم بلفظ : المدينة حرم ما بين عير إلى ثور ، والبخارى بلفظ : المدينة حرم ما بين عاير إلى كذا . وأبو داود

. . . .

بلفظ : المدينة حرام ما بين عاير إلى ثور . . وعاير جبل كبير مشهور فى قبلة المدينة بقرب ذى الحليفة ميقات المدينة وقيل غير ذلك . وأما ثور فليس المقصود به جبل ثور الذى هو من جبال مكة ، وإنما هو جبل صغير خلف أحد وقد استشكل العلماء الحديث ظنا منهم أنه ليس بالمدينة ثور ، ولهذا ذكر فى أكثر الروايات عند البخارى : من عاير إلى كذا ، وفى بعضها : من عير إلى كذا ، و لم يبين النهاية ، فكأنه يرى أن ذكر ثور وهم ، فأسقطه ، وترك بعض الرواة موضع ثور بياضا ، ليتبين الوهم ، وضرب آخرون عليه . وقال المازرى نقل بعض أهل العلم : أن ذكر ثور هنا ، وهم من الراوى ، لأن ثوراً بمكة ، والصحيح : إلى أحد . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : إن الحديث أصله من عير إلى أحد . وقد روى الطبرانى الحديث : ما بين عير وأحد حرام حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . وقال الحازمى : الرواية الصحيحة : ما بين عير إلى أحد . وقيل إلى ثور ، وليس له معنى . وقال ابن قدامة : يحتمل أن المراد تحريم قدر ما بين ثور وعير اللذين بمكة . . وقد قال البيهق : بلغنى عن أبى عبيد أنه قال فى كتاب الجبال : بلغنى أن بالمدينة جبلا يقال له : ثور . ونقل المجد فى ترجمة عير عن نصر أن ثوراً جبل عند أحد. وقد رد الجمال المطرى فى تاريخه على من أنكر وجود ثور ، وقال : إنه خلف أحد من شماليه صغير مدور .

وقال الأقشهرى : وقد استقصينا من أهل المدينة خبر جبل يقال له : ثور عندهم . فوجدنا ذلك اسم جبل صغير خلف جبل أحد يعرفه القدماء دون المحدثين من أهل المدينة . وقال أبو العباس بن تيمية : ثور جبل فى ناحية أحد ، وهو غير جبل ثور الذى بمكة . ويقول المحب الطبرى إن المحدث ابن مزروع البصرى أخبره أن حذاء أحد عن يساره جبلا صغيرا يقال له ثور ، وأخبر أنه تكرر سؤاله عنه ، لطوائف من العرب العارفين تلك المواضع . . وتواردت أخبارهم على تصديق بعضهم بعضاً . أنظر ص ٦٤ ح ١ وفاء الوفا للسمهودى ص ١٢٢٦ و ص ٦٣٠ وما بعدها القرى للمحب الطبرى ص ١٩٤٨ .

. . . .

وذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل فيما شرح من الحديث أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما دخله وأبو بكر معه أنبَتَ الله على بابه الرَّاءة : قال قاسم : وهى شجرة معروفة ، فحجبت عن الغار أعينَ الكفار .

وقال أبو حنيفة : الرَّاءة : من أغْلَاثِ الشجر ، وتكون مثل قامة الإنسان ، ولها خيطان ، وزَهر أبيض تُحشى به المَخَادّ ، فيكون كالريش لخفته ولينه ، لأنه كالقطن أنشد :

ترى وَدَكَ الشريف على لحَاهُم كمثل الراء لَبَّدَه الصَّقِيعُ

وفى مُسْنَد البزار : أن الله تعالى أمر العنكبوتَ فَنَسجت على وجه الغار ، وأرسل حمامتين وَحْشِيَّتين ، فوقعتا على وجهِ الغار ، وأن ذلك مما صَدَّ المشركين عنه ، وأن حمَام الحرَم من نسل تَيْنِك الحمامتين ، وروى أن أبا بكر ـ رضى الله عنه حين دخله وتقدم إلى دخوله ـ قبلَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليقيه بنفسه ، رأى فيه جُحْراً فألْقَمَه عَقِبَه ، لئلا يخرجَ منه مايؤذى رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ، وفى الصحيح عن أنس : قال : قال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهما فى الغار : لو أن أحدَهم نظر إلى قدمه لرآنا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماظَنُّك باثنين ، الله ثالثهما[1] ، وروى أيضا أنهم لما عَمِى عليهم الأثر جاؤا بالقَافَةِ ، فجعلوا

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ومسلم والترمذى وأحمد .

أورد هنا كلمة موجزة عن الهجرة : قال صلى الله عليه وسلم : « رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلى إلى أنها اليمامة ، أو

. . . .

هجر ، فإذا هى المدينة، رواه الشيخان ولكن ورد فى البيهقى أنها هجر أو يثرب، ولم يذكر اليمامة . كما أخرج الترمذى والحاكم أنه «ص» قال : إن الله أوحى إلى : أى هؤلاء الثلاثة نزلت هى دار هجرتك : المدينة .أو البحرين، أوقنسرين . وزاد الحاكم : فاختار المدينة . وصححه الحاكم ، وأقره الذهبى فى التلخيص . أما فى الميزان ، فورد أنه حديث منكر ماأقدم الترمذى على تحسينه ، بل قال : غريب .

متى خرج النبى من مكة : يجزم بعض الرواة ومنهم ابن إسحاق أنه خرج أول يوم من ربيع الأول وأنه قدم المدينة لاثنتى عشرة خلت من ربيع الاول . أى بعد بيعة العقبة بشهرين وبضعة عشر يوما ، أما الحاكم فيذكر أن خروجه كان بعدها بثلاثة أشهر أو قريباً منها . كما يؤكد تواتر الاخبار أنه خرج يوم الإثنين وأن دخوله المدينة كان يوم الإثنين . وقيل إنه خرج فى صفر ، وقدم المدينة فى ربيع . وقيل . كان خروجه من مكة يوم الخميس . وقول ابن إسحاق هو المشهور مدة مقامه بمكة : فى البخارى عن ابن عباس أنه مكث بها ثلاث عشرة سنة . وفى مسلم وعن ابن عباس أيضاً خمس عشرة سنة ، وابن حجر يصحح رواية البخارى . وعن عروة أنه مكث بمكة عشر سنين ، ورواه أحمد عن ابن عباس والبخارى فى باب الوفاة عنه وعن عائشة أيضاً . وقد ورد فى بعض نسخ مسلم بيت أبى قيس صرمة :

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقاً مواتياً

وهذا يخالف ذاك .

العنكبوت والحمامتان والشجرة : لم يرد لها ذكر فيما روى من حديث صحيح ولهذا لم ترد فى واحد من الكتب الستة وتدبر هذه الآية الكريمة (إلا تنصروه ، فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين ، إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه : لاتحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم) أهنا حمامة أو عنكبوت ، أوشجرة ،أم هنا سكينة وجنود لم يروا ؟ الآية الكبرى هنا هى أن الله صرف قلوبهم ، وجعل على أبصارهم غشاوة ، . . تدبرها جيداً

. . . .

يقفون الأثر ، حتى انتهوا إلى باب الغار ، وقد أنبت الله عليه ما ذكرنا في الحديث قبل هذا ، فعند مارأى أبو بكر رضى الله عنه القافة اشتد حزنه

القاصون الأثر أولو خبرة ودراية تامة بقص الأثر ، ولقد أدت بهم الأدلة إلى المثول أمام باب الغار ، ويشعر بهم النبى « ص » وأبو بكر . ويقول أبو بكر لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا . وتدبر قوله تحت قدميه لترى أنهم كانوا قيد خطوة أو نصفها من باب الغار . . ويقول الرسول « ص » مجيبا صاحبه مذكرا بحفظ الله سبحانه : ماظنك يا أبا بكر باثنين ، الله ثالثهما . كما روى البخارى ـ وتدبر مع الحديث قوله سبحانه : (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) . هذا هو القهر الأعظم الذى لايغلبه قهر آخر ، ولا تقف أمام سلطانه الأعظم قوى ولا قدر فلماذا نصرف القلب عن تدبر جلال الآية الكبرى هنا من صرف الله عنه قلوبهم وأعينهم وأسماعهم وإحساساتهم ، إلى رواية واهية تصور حمامة وعنكبوتا . سل نفسك . . كيف لم يبصروه والواقع المحسوس الملموس المشهود يؤكد أنه هنا ؟ لم لم ينظر أحدهم تحت قدميه ، وكل شىء يؤكد أن المنشود العظيم فى الغار ؟ والرغبة الملحة فى النفس تدفع إلى استنباء الرمل والحصى والصخر والجبال عن منشودهم . والرمل والحصى وكل شىء تحت العين وصوبها يملأ حتى عقل الغبى بفهم هذه الدلالة البينة الواضحة المستمدة من أدلة لا يمكن أن يصرف الإنسان عنها نزعة من شك . الدلالة التى تشبه فى وضوحها وضوح أن الواحد نصف الإثنين كانت الدلالة ، وكانت الأدلة حينئذ لاتحتمل سوى شىء واحد هو أن محمداً « ص » فى الغار . فلم لم ينظروا ؟ ليست الحمامتان ولا العنكبوت . . إنما هو هذا السلطان الأعظم الذى يصرف القلوب ، ويصرف الأبصار والأسماع عما تريد وتحب وإن كان منها قيد شعرة . إنما هو القهر الإلهى الأكبر والجبروت الأسمى الذى لايدع لأحد قدرة تقف لحظة أمامه . وهو جل شأنه يريد ذلك . ولو أن نصاً ثابتا تحدث عن الحمامتين والعنكبوت ما انصرف عنه الفكر ولا القلم ، فالله قادر سبحانه على أعظم وأعظم .

. . . .

على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال : إن قتلتُ فإنما ، أنا رجل واحد، وإن قُتلتَ أنتَ هلكت الأمة ، فعندها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتحزن إن الله معنا ، ألا ترى كيف قال : لاتحزن ، ولم يقل لاتخف ؟! لأن حزنه على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم شَغَلَه عن خوفه على نفسه ، ولأنه أيضاً رأى ما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم من النَّصَب ، وكونه فى ضيقة الغار مع فرقة الأهل ، ووحْشَة الغُربة ، وكان أرقَّ الناسِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشفقَهم عليه ، فحزن لذلك ، وقد روى أنه قال : نظرت إلى قدمي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم فى الغار ، وقد تَفَطَّرتا دما ، فاستَبْكَيْتُ ، وعلمت أنه عليه السلام لم يكن تعود الحْفَاء والجْفْوَةَ[1] ، وأما الخوف فقد كان عنده من اليقين بوعد الله بالنصر لنبيه . ما يسكن خوفه ، وقول الله تعالى : ﴿ فأنزل الله سكينتَه عليه ﴾ قال أكثر أهل التفسير : يريد على أبى بكر ، وأما الرسول فقد كانت السكينة عليه[2] ، وقوله : ﴿ وأيَّدَهُ بجنود لم تَرَوْهَا ﴾ الهاء فى أيده راجعة على النبى ، والجنودُ : الملائكةُ أنزلهم عليه فى الغار ، فبشروه بالنصر على أعدائه ، فأيده ذلك ، وقواه على الصبر [و] قيل أيده

---

(١) ليس لهذا من سند صحيح . وعند ابن حبان أنهما ركبا حتى أتيا الغار ، فتواريا .

(٢) يقول ابن كثير فى تفسير الآية : « أى تأييده ونصره عليه . أى على الرسول « ص » فى أشهر القولين . وقيل على أبى بكر ، وروى عن ابن عباس وغيره ، قالوا : لأن الرسول « ص » لم تزل معه سكينة ، وهذا لاينافى تجدد سكينة خاصة بتلك الحال ، ولهذا قال : وأيده بجنود لم تروها » يقصد ابن كثير أن عود الضمير فى قوله « أيده » يؤكد عود الضمير على النبي « ص » فى قوله « عليه »

. . . .

بجنود لم تروها ، يعنى : يومَ بدر وحنين وغيرهما من مشاهده ، وقد قيل : الهاء راجعة على النبي عليه السلام فى الموضعين جميعاً وأبو بكر تَبَعٌ له ، فدخل فى حكم السكينة بالمعنى ، وكان فى مصحف حَفْصَةَ[1]: فأنزل الله سكينته عليهما ، وقيل : إن حزن أبى بكر كان عند مارأى بعضَ الكفار يبول عند الغار ،

---

(١) لايصح أبدا إطلاق مثل هذه التعبيرات ، فالقرآن الذى نزله الله على محمد «ص» هوهو الذى نتلوه الآن فى المصحف ، وكل حديث يوحى بأن المصحف فيه نقص يجب رفضه ، واعتباره فرية لعينة . والذين يؤمنون بأن فى المصحف نقصاً كبيرا هم الرافضة ، وقد حاجنى أحد قضاة الشيعة فى قطر عربى ، فبهت أهل السنة بأن كتبهم هى التى تروى أن فى القرآن نقصا ، وذكرنى ببعض ماجاء فى بعض الأحاديث !!

وأهل السنة بالمعنى الخاص الذين يؤكدون بسلوكهم ومعتقدهم أنهم أهل السنة لا يمكن أن ينسبوا إلى المصحف هذا الزور ، ولا أن يصموه بهذا البهتان . أما الرافضة ، فإليك مارووه فى كتابهم الكافى للكلينى - وهو يعادل البخارى عند غيرهم « عن جابر - أى الجعفى - قال : سمعت أبا جعفر يقول : ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب ، وما جمعه وحفظه - كما أنزله الله - إلا على بن أبى طالب ، والأئمة من بعده ، وعن أبى بصير قال : دخلت على أبى عبد الله . . إلى أن قال له أبو عبد الله : وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام . قلت : وما مصحف فاطمة ؟ قال مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات . والله مافيه من قرآنكم حرف واحد » ص ٥٤ ، ٥٧ من كتاب الكافى للكلينى ط ١٢٧٨ .

ولقد كان أحبار النصارى من الأسبانيين يحتجون على ابن حزم بدعوى الرافضة تحريف القرآن ، فكان يقول : « إن الروافض ليسوا من المسلمين » حـ ٢ ص ٧٨ الفصل « وانظر ص ٨ من مقدمة محب الدين الخطيب للمنتقى للذهبي وهو مختصر منهاج السنة النبوية للامام ابن تيمية .

. . . .

فأشفق أن يكونوا قد رأوهما ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لاتحزن ، فإنهم لو رأونا لم يَسْتَقْبِلونا بفروجهم عند البول،ولا تشاغلوا بشيء عن أخذنا، والله أعلم[١] .

الرد على الرافضة فيما بهتوا به أبا بكر :

فصل : وزعمت الرافضة[٢] أن فى قوله عليه السلام لأبى بكر لاتحزن غَضًّا من أبى بكر وذمًّا له ؛ فإن حزنه ذلك: إن كان طاعةً فالرسولُ عليه السلام لاينهى عن الطاعة ، فلم يبق إلا أنه معصية ، فيقال لهم على جهة الجدَل : قد قال الله لمحمد عليه السلام : ﴿ فلاَ يحْزُنْكَ قولُهم ﴾ يس : ٧٦ وقال : ﴿ ولا يحْزُنْكَ الذين يُسارعون فى الكفر ﴾ آل عمران : ١٧٦ وقال لموسى : ﴿ خُذْها ولاَ تَخفْ ﴾ طه : ٢١ وقالت الملائكة للوط . لاتخف ، ولاتحزن ، فإن زعمتم أن الأنبياء حين قيل لهم هذا كانوا فى حال معصية ، فقد كفرتم ، ونقضتم أصلكم فى وجوب العصمة للإمام المعصوم فى زعمكم ! فإن الأنبياء هم الأئمة المعصومون بإجماع،وإنما قوله : لاتحزن، وقولُ الله لمحمد : لَا يَحْزُنْكَ،

---

(١) هذا بعض مايقال ، والله أعلم بحقيقته ، والمفروض تدبر ماذكر فى القرآن عن النبي « ص » وعن صاحبه ، وهما فى الغار وكيف أن الكفر الغليظ الكنود ، وتحت إمرته المال والسلاح والسلطة والقدرة لم تستطع الوصول الى من فى الغار وهى تعربد كالأبالسة على بابه ؟ !

(٢) هم الشيعة الذين رفضوا إمامة زيد بن يحيى .

. . . .

وقوله لأنبيائه مثلَ هذا تسكينٌ لجأشِهم(١) وتبشير لهم وتأنيسٌ على جهة النهى الذى زعموا ، ولكن كما قال سبحانه : ﴿ تَتَنَزَّل عليهم الملائكةُ ألاَّ تخافُوا ولاَ تحزَنُوا(٢) فصلت : ٣٠ وهذا القول إنما يقال لهم عند المعاينة ، وليس إذ ذاك أمر بطاعة ولا نهى عن معصية .

ووجه آخر من التحقيق ، وهو أن النهى عن الفعل لا يقضى كونَ المنهِيِّ فيه ، فقد نهى الله نبيَّه عن أشياء ، ونهى عبادَه المؤمنين ، فلم يقتض ذلك أنهم كانوا فاعلين لتلك الأشياء فى حال النهى ، لأن فعلَ النهى فعلٌ مستقبل ، فكذلك قوله : لأبى بكر : لاتحزن ، لوكان الحزن كما زعموا لم يكن فيه على أبى بكر - رضى الله عنه - ما ادَّعَوْا من الغَضِّ ، وأما ماذكرناه نحن من حزنه على النبى صلى الله عليه وسلم ، وإن كان طاعة ، فلم ينهه عنه الرسولُ عليه السلام إلا رفقاً به وتبشيراً له لا كراهية لعمله ، وإذا نظرت المعانى بعين الإنصاف لا بعين الشهوة والتعصب للمذاهب لاحت الحقائق ، واتَّضحت الطَّرائق والله الموفق للصواب .

معية الله مع رسوله وصاحبه :

وانتبه أيها العبد المأمور بتدُّبر كتابِ الله تعالى لقوله : ﴿إذْ يقولُ لصاحبه لا تَحْزَنْ إن الله معنا﴾ التوبة : ٤٠ كيف كان معهما بالمعنى ، وباللفظ ، أماالمعنى

(١) الجأش : رواع القلب اذا اضطرب عند الفزع ، ونفس الإنسان جمعه « جشوش » القاموس » .

(٢) والآية فى حق الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا . فهى فى حق خير فئة مؤمنة .

. . . .

فكان معهما بالنصر والإرفاد[1] والهداية والإرشاد ، وأما اللفظ فإن اسمَ الله تعالى كان يذكر إذا ذُكر رسولُه ، وإذا دُعى فقيل : يارسول الله ، أو فعل رسول الله ، ثم كان لصاحبه كذلك يقال : ياخليفة رسول الله ، وفعل خليفة رسول الله ، فكان يُذكر معهما ، بالرسالة وبالخلافة ، ثم ارتفع ذلك فلم يكن لأحد من الخلفاء ولا يكون .

حديث سراقة بن مالك بن جعشم الكنانى

ثم المُدْلجِيّ أحد بنى مُدْلِجِ بن مُرَّة بن تَمِيم بن عَبْد مناة بن كِنانة . وقد ذكر ابن إسحاق حديثه حين بذلت قريشٌ مائةَ ناقة لمن رد عليهم محمداً عليه السلام ، وأن سراقة اسْتَقْسَم بالأزلام ، فخرج السَّهم الذى يكره ، وهو الذى كان فيه مكتوبا لا تَضُرّه إلى آخر القصة ، وأن قوائم فرسه حين قَرُبَ من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سَاخت فى الأرض ، وتبعها عُثَان ، وهو : الدخان وجمعه : عَوَاثِن . وذكر غير ابن إسحاق أن أبا جهل لامه حين رجع بلا شىء ، فقال وكان شاعراً :

أبا حَكم والله لو كنتَ شاهداً — لأمر جوادى إذ تَسُوخُ قوائمه

علمتَ ولم تَشْكُكْ بأن محمداً — رسول ببرْهانٍ فمن ذا يُقاومه ؟!

عليك بكَفٍّ القوم عنه ، فإننى — أرى أمرَه يوما سَتبدو معالمُه

بأمرٍ يَوَدُّ الناسُ فيه بأسْرِهم — بأن جميعَ الناس طُرًّا يُسَالمه

---

(١) الإعانة والإعطاء .

. . . .

وقد قدمنا فى هذا الكتاب عند ذكر كسرى مافعله عمر بن الخطاب حين أتى بتاج كسرى ، وسوارَيْه ومِنْطقته ، وأنه دعا بسُراقة ، وكان أزَبَّ الذراعين[1] ، فحلَّاه حِلية كسرى ، وقال له : ارْفَع يديكَ ، وقل : الحمدُ لله الذى سَلَب هذا كِسرى الملك الذى كان يزعم أنه رَبُّ الناس وكساها أعرابيا من بنى مُدْلِج[2]. فقال ذلك سراقة ، وإنما فعلها عمر لأن رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان قدَ بشَّر بها سُراقة حين أسلم ، وأخبره أن الله سيفتح عليه بلادَ فارس ، ويُغنِّمه مُلكَ كِسْرى ، فاستبعد ذلك سُراقة فى نفسه ، وقال : أكِسْرى ملك الملوك؟! فأخبره النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن حِلْيَتَه ستجعل عليه تحقيقا للوعد، وإن كان أعرابيا بوَّالا على عقبيه ، ولـكن الله يُعز بالإسلام أهلَه ، ويُسْبغ على محمد وأمته نعمته وفضلَه.

وفى السير من رواية يونس شعر لأبى بكر رضى الله عنه فى قصة الغار :

قال النبي ولم يزل يُوَقِّرُنى ... ونحن فى سَدَفٍ من ظُلْمَة الغار[3]

---

(١) التزبب فى الإنسان : كثرة الشعر وطوله .

(٢) فى رواية : كسرى بن هرمز . وقصة سراقة فى البخارى . ولـكن ليس فى روايته مسألة السوارين ، إنما فيها أنه قال بعد أن حدث لفرسه ماحدث والتقى برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار مايريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآنى ، ولم يسألانى إلا أن قال : اخف عنا ، فسألته أن يكتب لى كتاب أمن . فأمر عامر بن فهيرة ، فكتب فى رقعة من أديم » .

(٣) سدف بفتح السين : الظلمة والليل وسواده ، وبضمها : جمع سدفة : الظلمة والقطعة من الليل .

. . . .

لا تَخْشَ شيئاً ؛ فإن الله ثالثُنا   وقد توكَّل لى منه بإظهار
وإنما كَيْدُ من تخشى بَوادِرَه   كيدُ الشياطينِ كادتْه لكفار
والله مُهلِكُهم طُرًّا بما كَسَبوا   وجاعلُ الْمُنْتَهى منهم إلى النار
وأنت مُرتحلٌ عنهم وتاركُهم   إما غُدُوًّا وإما مُدْلِجٌ سارِى
وهاجرٌ أرضَهم حتى يكونَ لنا   قومٌ عليهم ذَوُو عِزٍّ وأنصارِ
حتى إذا الليلُ وارَتْنا جوانبُه   وسَدَّ مِنْ دونِ مَن تَخْشَى بأستارِ
سار الأُرَيْقِطُ يَهْدِينا وأَيْنُقُه   يَنْعَبْنِ بالْقَوْمِ نَعْباً تحت أكوارِ
يَعْسِفْنَ عرض الثَّنايا بعد أطولها   وكُلَّ سَهْبٍ رِقاقِ التُّرابِ مَوّارِ
حتى إذا قُلْتُ: قد أَنْجَدْنَ عارضَها   مِنْ مدْلجٍ فارسٌ فى منصب وَارِ
يُرْدِى به مُشْرِف الأقطارِ مُعتزمٌ
كالسيد ذى اللِّبْدَة الْمُستأسِدِ الضّارى
فقال: كُرُّوا فقلت: إن كَرَّتنا   من دونها لك نَصرُ الخالقِ البارى
أنْ يَخْسِفَ الأرضَ بالأحوى وفارسه
فانظر إلى أرْبُعٍ فى الأرض غُوّار
فَهِيلَ لما رأى أرْساغَ مُقْربه   قد سِخْنَ فى الأرض لم يُحْفَر بمحفار
فقال: هل لكم أنْ تُطلِقوا فرسى   وتأخذوا مَوْثِقى فى نُصْح أسرار
وأصرِفُ الحَىَّ عنكم إنْ لقيتهم   وأنْ أُعَوِّرَ منهم عَيْنَ عُوّار
فادْعوا الذى هو عنكم كفَّ عَوْرَتَنا   يُطْلِقْ جوادى وأنتم خير أبْرار

. . . .

فقال قولا رسولُ الله مُبْتهلا … يارب إن كان منه غير إخفار
فَنَجِّه سالما من شَرِّ دعوتِنا … ومُهْرَه مُطْلقاً من كَلْم آثار
فأظهر الله إذ يدعو حوافرَه … وفاز فارسُه من هَوْلِ أخطار(١)

حديث أم معبد

وذكر عن أسماء بنت أبى بكر حين خفى عليها ، وعلى من معها أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يدروا أين توجه ، حتى أتى رجل من الجن يسمعون صوته ، ولا يرونه ، فمر على مكة والناس يتبعونه وهو ينشد هذه الأبيات :

جزى اللهُ رَبُّ الناس خيرَ جزائه … رفيقين حَلَّا خَيْمَتَىْ أمِّ مَعْبَدِ
هما نزلا بالبِرِّ ثم ترحَّلا(٢) … فأفلح من أمسى رَفيقَ محمدِ
لِيَهْنِ بنى كعب مَقَام فتاتِهم … ومَقْعَدُها للمؤمنين بِمَرْصَدِ
فيالقُصَىٍّ مازَوَى الله عنكمُ … به من فَعَال لا يُجازى وسُودَدِ
سلوا أختَكم عن شاتها وإنائها … فإنكم إن تسألوا الشاةَ تَشْهَدِ
دعاها بشاة حائلٍ فتحلَّبَتْ … له بصريح ضَرَّةُ الشاةِ مُزْبِدِ
فغادرها رَهْناً لديْها بحالِبٍ … يُرَدِّدُها فى مَصْدَرٍ ثم مَوْرِدِ

---

(١) فى القصيدة صنعة لاتدل على العصر المنسوبة اليه . وليس فيها روح ايمان أبى بكر . ولهذا لم ترو فى كتب السنة المعتبرة .

(٢) فى السيرة : تروحا

. . . .

ويروى أن حَسَّانَ بن ثابت لما بلغه شعرُ الجنى ، وماهتف به فى مكة قال يجيبه :

لقد خابَ قومٌ غاب عنهم نبيُّهم … وقدسُرَّمَنْ يَسْرى إليهم ويَغتدى

ترحل عن قوم فضلَّت عقولُهم … وحَلَّ على قوم بنور مُجَدَّد

هداهم به بعـد الضلالة ربُّهم … وأرشدهم مَنْ يَتْبَع الحقَّ يَرْشُد

وهل يَسْتَوى ضُلَّال قوم تَسَفَّهوا … عمايتهم هاد بها كل مهتد(١)

---

(١) قصة أم معبد ضعيفة السند ، وقد أخرجها البغوى وابن شاهين وابن السكن وابن مندة والطبرانى والحاكم والبيهقى وأبو نعيم من طريق حزام بن هشام ابن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده ، وبعضها فى تاريخ الطبرى « أنظر ص٤٦٦ حـ ١ الخصائص للسيوطى دار الكتب الحديثة وص ٣٨٠ حـ ٢ الطبرى ط دار المعارف » .

والقصيدة مروية بروايات مختلفة فنها :

جزى الله خيرا والجزاء بكفـه … رفيقين قالا خيمتى أم معبـد

هما رحلا بالحـق وانتزلا به … فقد فاز من أمسى رفيق محمد

فما حملت من ناقة فوق رحلها … أبر وأوفى ذمـة من محمد

وأكسى لبرد الحال قبل ابتذاله … وأعطى لرأس السانح المتجدد

ولم يصرح فى رواية البغوى ومن ذكرتهم بعده بذكر الجنى وإنما قيل فى روايتهم « فأصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولايدرون من صاحبه » ولكن غرام الرواة بالجن جعلهم يغرمون بذكرهم وراء كل شأن عجيب !!

رواية البيت فى وفاء الوفا وفى الاكتفاء للكلاعى هكذا :

وهل يستوى ضلال قوم تسكعوا … عمى وهداة يهتدون بمهتد

وفى شرح السيرة للخشنى :

وهل يستوى ضلال قوم تشفهوا … وهاد به نال الهدى كل مهتدى

وفى المواهب : الشطرة الثانية هكذا : عمى وهداة يهتدون بمهتدى .

. . . .

لقد نَزَلتْ منه إلى أهلِ يَثرِبِ ركابُ هُدًى حلت عليهم بأسْعُدِ

نبيٌ يرى مالا يرى الناسُ حوله ويتلو كتابَ اللهِ فى كل مَشْهدِ(١)

(١) وفى رواية أخرى: مسجد.

ولما فى حديث أم معبد من أسلوب أدبى ممتاز أحببت نقله وقد ذكر السهيلى باختصار «روى ابن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده أن رسول الله «ص» حين خرج من مكة مهاجرا إلى المدينة هو وأبو بكر ومولى أبى بكر: عامر ابن فهيرة، ودليلهما الليثى: عبد الله بن الأريقط مروا على خيمتى أم معبد الخزاعية، وكانت برزة جلدة تحتبى بفناء القبة، ثم تسقى، وتطعم، فسألوها لحما وتمرا، ليشتروه منها. فلم يصيبوا عندها شيئا وكان القوم مرملين مشتين — ويروى: مسنتين فنظر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى شاة فى كسر الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم. فقال: هل بها من لبن؟ قالت هى أجهد من ذلك. قال أتأذنين لى أن أحلبها، قالت: بأبى أنت وأمى إن رأيت بها فاحلبها، فدعا بها رسول الله - ص - فمسح بيده ضرعها، وسمى الله ودعا لها فى شاتها، فتفاجت عليه، ودرت واجترت، ودعا بإناء يربض الرهط، فحلب فيه ثجا حتى علاه لبنها - وفى رواية: حتى علته الرغوة، أو حتى علاه البهاء - ثم سقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب آخرهم - صلى الله عليه وسلم - ثم أراضوا، ثم حلب فيه ثانية بعد بدء حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها ثم بايعها - يعنى على الإسلام، ثم ارتحلوا عنها، فما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا يتساوكن هزلى، لا نقى بهن، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب، وقال: من أين لك هذا يا أم معبد، والشاة عازب حيال، ولا حلوب فى البيت؟، قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا، وقال: صفيه لى يا أم معبد، قالت: رأيته رجلا ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه حسن الخلق، لم تعبه ثجلة - أو نحلة - ولم تزر به صعلة، وسيم قسيم، فى عينيه دعج، وفى أشفاره عطف أو غطف - والشك من أبى محمد بن مسلم - ويروى: وطف، وفى صورته صحل، وفى عنقه

. . . .

سطع ، وفى لحيته كثاثة أحور أكحل أزج أقرن شديد سوادالشعر ، إن‌صمت ، فعليه الوقار ، وإن تكلم سما ، وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد ، وأحسنه وأحلاه من قريب ، حلو المنطق، فصل لا نزر ، ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظمن ـ أو ، ربعة خرزات نظم تحدرن لا بائن‌من طول، ولا تقتحمه عين من‌قصر ، غصنا بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدرا ، له‌رفقاء يحفون به ، إن قال : أنصتوا له ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا معتد .

قال أبو معبد : هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة لقد هممت أن أصحبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا ، نقلت الحديث من شرح السيرة لأبى ذر الخشنى ص ١٢٦ وما بعدها ، مراجعا على ص ٤٦٦ ح ١ الخصائص للسيوطى ط دار الكتب الحديثة وص ١٣٩ ح ٢ زاد المعاد لابن القيم. إليك شرح أبى ذر لمفردات الحديث : برزة المرأة التى طعنت فى السن فهى تبرز للرجال، ولاتحتجب عنهم، جلدة: جزلة وصفها بالجزالة. مرملين : أرمل الرجل : إذا نفذ زاده فى‌سفر أو حضر . مشتين : أى داخلين فى‌زمن‌الشتاء، ومن رواه : مسنتين ، فمعناه : دخلوا فى سنة الجدب والقحط . وكسر البيت جانبه ، يقال بكسر الكاف وفتحها . والجهد : المشقة والضعف. تفاجت : أى فتحت رجليها للحلب . يربض الرهط : يبالغ فى ريهم ويثقلهم حتى يلصقهم بالأرض ، يقال ربضت الدابة وغيرها ، وأربضتها أى جعلتها تلصق بالأرض ، والرهط : مابين الثلاثة إلى العشرة . ثجا : أى سائلا ، والماء الثجاج : السائل . علاه‌البهاء : بريق الرغوة ولمعانها أراضوا : كرروا الشرب حتى بالغوافى الرى يقال : أراض الوادى : إذا كثر ماؤه ، واستنقع . وكذلك الحوض ، وفى بعض الروايات : ثم أراضوا عللا بعد نهل . ذكر ذلك ابن‌قتيبة ، والنهل : الشرب الثانى . غادره : تركه ، ومنه سمى الغدير ، لأن السيل غادره ، أى تركه . عجاف : ضعاف . تشاركن هزلا ، أى تساوين فى الضعف و (يتساوكن هزلى) : يتمايلن من شدة ضعفهن . غارب : بعيد المرعى . حيال : جمع حائل ، وهى التى لم تحمل ، ولا

. . . .

حلوب : يعني : شاة تحلب ، وقد تكون الحلوب واحدا ، وقد يكون جمعا . ظاهر الوضاءة : الوضاءة : حسن الوجه . ونظافته ، ومنه اشتقاق الوضوء . أبلج الوجه : مشرق الوجه ، يقال تبلج الصبح إذا أشرق وأنار . لم يعبه نحله : يعني : ضعفه وصغره ، وهو من الجسم الناحل ، وهو القليل اللحم . ولم يزر : لم يقصر ، والصقل والصقلة : جلدة الخاصرة ، تريد : أنه ناعم الجسم ، ضامر الخاصرة ، وهو من الأوصاف الحسنة . وفى بعض روايات هذا الحديث : لم تعبه ثجلة . ولم يزر به صعلة ، فالثجلة : عظم البطن ، يقال : بطن أثجل إذا كان عظيما ، والصعلة صغر الرأس ، ومنه يقال للنعام : صعل . وسيم « الحسن والوضاءة الثابتة . وقسيم : كأن كل عضو من وجهه أخذ قسمة من الجمال » . الدعج : شدة سواد العين . « الأشفار : أهداب العين » فى أشفاره عطف أو غطف ، ويروى : وطف الوطف : طول شعر أشفار العين ، وقال صاحب كتاب العين : الغطف بالغين المعجمة مثل الوطف ، وأما العطف بالعين المهملة ، فلا معنى له هنا ، وقد فسره بعضهم ، فقال : هو أن تطول أشفار العين حتى تنعطف. صحل : الصحل : البحح ، يريد : أنه ليس بحاد الصوت . فى عنقه سطع : أى : إشراف وطول ، يقال : عنق سطعاء إذا أشرفت وطالت ، فى لحيته كثاثة : الكثاثة : دقة نبات شعر اللحية مع استدارة فيها . أزج أقرن : الزجج : دقة شعر الحاجبين مع طولها ، والقرن : أن يتصل مابينهما بالشعر علاه البهاء : البهاء هنا : حسن الظاهر . فصل لانزر ولا هذر : الفصل : الكلام البين ، والنزر : الكلام القليل ، والهذر : الكلام الكثير . وأرادت أن كلامه ليس بقليل ، فينسب إلى العى ، ولا بكثير فينسب إلى التزيد . لابائن من طول : طوله ليس بمفرط لاتقتحمه عين : أى : لاتحتقره ، يقال رأيت فلانا فاقتحمته عيني ، أى : احتقرته أنضر الثلاثة : أى : أنعم الثلاثة من النضرة ، وهو النعيم . محفود : مخدوم ، والحفدة : الخدمة ، ويقال : حفدت الرجل : إذا خدمته ، محشود : محفوف به . قال ابن طريف : يقال : حشدت الرجل إذا أطفت به ، واستشهد بلفظة محشود من هذا الحديث ، ولامعتد : أى غير ظالم « أحور أكحل : الحور بياض العين الواضح ، والكحل : سواد أشفار

. . . .

وإن قال فى يوم مقالة غائب فتصديقُه فى اليوم أو فى ضُحَى الغدِ

لِيَهْنِ أبا بكر سعادةُ جَدِّه بصحبته مَنْ يُسْعِدِ اللهُ يَسْعَدِ

وزاد يونس فى روايته أن قريشا لما سمعت الهاتفَ من الجن أرسلوا إلى أمِّ معبد، وهى بخيمتها، فقالوا: هل مَرَّ بك محمد الذى من حِلْيَته كذا، فقالت: لا أدرى ماتقولون، وإنما ضافنى حالبُ الشاة الحائل، وكانوا أربعةً رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأبو بكر، وعامرُ بن فُهَيْرة مولى أبى بكر، وقد تقدم التعريف به وطرفٌ من ذكر فضائله فى هجرة الحبشة، والرابعُ عبدالله بن أُرَيْقِط اللَّيْثى ولم يكن إذ ذاك مسلما، ولا وجدنا من طريق صحيح أنه أسلم بعد ذلك، وجاء فى حديث أنهم استأجروه، وكان هاديا خرِّيتا، والخِرِّيتُ: الماهرُ بالطريق الذى يَهْتَدى بمثل خَرْتِ الإبرة، ويقال له: الخُوْتَعُ أيضاً قال الراجز:

يضل فيها الخُوْتَع المُشَهَّرُ

نسب أم معبد وزوجها:

وأما أم معبد التى مر بخيمتها، فاسمها: عاتكة بنت خالد إحدى بنى

العين كأنها مكحلة. خرزات: حبات اللؤلؤ ونحوه. النظم: العقد المنظوم. يتحدرن: إذا انفرط العقد فى العنق، فأخذت الحبات تنزل واحدة بعد واحدة ربعة: وسط فى الطول. وقد وردت عدة أحاديث فى صفاته الجسمية متفق عليها بين البخارى ومسلم، فانظرها.

. . . .

كعب من خُزَاعَةَ ، وهى أخت حُبَيْش بن خالد ، وله صحبة ورواية ، ويقال له الأشعر ، وأخوها : حُبَيْش بن خالد سيأتى ذكره والخلاف فى اسمه وخالد الأشعر أبوهما ، هو : ابن خُنَيْف بن مُنْقِذ بن رَبِيعة بن أصْرَم بن ضُبَيْس بن حرام بن حُبْشِيَّة بن كَعْب بن عمرو وهو أبو خُزاعة[1].

وزوجها أبو معبد يقال إن له رواية أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – توفى فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]، ولا يُعرف اسمه ، وكان منزلُ أمِّ معبد بقُدَيْد ، وقد روى حديثها بألفاظ مختلفة متقاربة المعانى ، وقد رواه ابن قُتَيْبَةَ فى غريب الحديث ، وتقَصَّى شرح ألفاظه ، وفيه أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال لأم معبد : وكان القومُ مُرْمِلين مُسْنِتِين ، فطلبوا لبَناً أو لحما يشترونه ، فلم يجدوا عندها شيئاً ، فنظر إلى شاة فى كِسْرِ الخَيْمة خلفها الجَهْدُ عن الغنم ، فسألها : هل بها من لبن ؟ فقالت : هى أجهد من ذلك ، فقال أتأذنين لى أن أَحْلُبَهَا ، فقالت بأبى أنت وأمى ، إن رأيت بها حلبا فاحلبها ، فدعا بالشاة ، فاعتقَلها ، ومَسَح ضَرْعها ، فتفاجَّت ودَرَّت واجْتَرَّت ، ودعا بإناء يُرْبِضُ الرَّهط أى : يشبع الجماعة حتى يُرْبِضوا ، فحلب فيه حتى ملأه ، وسقى القوم حتى رَووا ثم شرب آخرهم ، ثم حلَب فيه مرة أخرى عَلَلاً بعد نَهَلٍ ، ثم غادره عندها ، وذهبوا ، فجاء أبو معبد ، وكان غائبا

---

(١) نسب أبيهما فى الإصابة : خالد بن سعد بن منقذ بن ربيعة فانظرها بن أصرم بن خبيس بمعجمة ثم مشناة ثم موحدة ثم مهملة ابن حرام الخ .

(٢) أنظر الإصابة ترجمة رقم ١٠٥٠

. . . .

فلما رأى اللبن قال : ماهذا يا أم معبد أنَّى لكِ هذا والشاء عازب حِيَالٌ ، ولا حَلُوبة بالبيت ، فقالت : لا والله ، إلا أنه مرَّ بنا رجلٌ مُبَارَكٌ ، فقال : صِفيه يا أم معبد،فوصفته بما ذكر القُتَبِيُّ وغيره فى الحديث ، ومما ذكره القتبى: فشربوا حتى أراضوا جعله القتبى من استراض الوادى : إذا اسْتَنْقَع ومن الرَّوْضَة وهى بقيّة الماء فى الحوض وأنشد :

وَرَوْضَةٍ سَقَيْتُ فيها نِضْوِى (١)

ورواه الْهَرَوِيُّ حتى آرَضُوا على وزن آمنوا ، أى ضَرَبوا بأنفسهم إلى الأرض من الرى ، وفى حديث آخر أن آل أبى مَعْبَد كانوا يؤرخون بذلك اليوم ، ويسمونه : يوم الرجل المبارك ، يقولون فعلنا كَيْتَ وكَيْت قبل أن يأتينا الرجل المبارك ، أو بعد ما جاء الرجل المبارَك ، ثم إنها أتت المدينة بعدذلك بما شاء الله ، ومعها ابنٌ صغير قد بلغ السَّعْى فمر بالمدينة على مسجِد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يكلم الناس على الْمِنبَر فانطلق إلى أمه يَشْتَدُّ ، فقال لها ياأُمَّتَاهُ إنى رأيت اليوم الرجلَ المبارك ، فقالت له : يابنى وَيْحَكَ هو رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم .

---

(١) فى اللسان: نضوتى وهى أنثى البعير المهزول . قال ابن برى : وأنشد أبو عمرو فى نوادره وذكر أنه لهمان السعدى :

وروضة فى الحوض قد سقيتها نضوى وأرض قد أبت طويتها

وأراض الحوض غطى أسفله الماء ، استراض تبطح فيه الماء على وجهه ، واستراض الوادى استنقع فيه الماء ، قال : وكأن الروضة سميت روضة لاستراضة الماء فيها .

طريق الهجرة

قال ابن إسحاق : فلما خرج بهما دليلُهما عبدُ الله بن أرْقط ، سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل، حتى عارض الطريق أسفل من عُسْفَان، ثم سلك بهما على أسفل أَمَج ، ثم استجاز بهما ، حتى عارض بهما الطريق ، بعد أن أجاز قُدَيْدا ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك، فسلك بهما الخَرَّار ، ثم سلك بهما ثَنِيَّة الْمَرَة ، ثم سلك بهما لِقْفاً .

قال ابن هشام : ويقال : لَفْتا . قال مَعْقِل بن خُوَيلد الهُذلى :

نَزِيعاً مُحْلِبا من أهل لَفْتٍ ... لحىّ بين أثْلة والنِّجَام

قال ابن إسحاق : ثم . أجاز بهما مَدْلجةَ لِقْف ثم استبطن بهما مَدْلجة مِجَاج ـ ويقال : مَجَاج ، فيما قال ابن هشام ـ ثم سلك بهما مَرْجِح مَجَاج ،

ومما يُسأل عنه فى هذا الحديث أن يقال: هل استمرت تلك الْبَرَكة فى شاة أم معبد بعد ذلك اليوم ، أم عادت إلى حالها ؟ وفى الخبر عن هشام بن حُبَيْش الكعبى ، قال: أنا رأيت تلك الشاةَ وإنها لتأدُم أمَّ معبد وجميعَ صِرمِها ، أى : أهلَ ذلك الماء ، وفى الحديث أيضاً من الغريب فى وصف الشاة : قال ما كان فيها بُصْرَة وهى النقط من اللبن تبصر بالعين .

ثم تبطَّن بهما مَرْجِح من ذى الغَضوين ـ قال ابن هشام : ويقال : العَضَوين ـ ثم بطن ذى كَشْر ، ثم أخذ بهما على الجدَاجِد ، ثم على الأجْرد ، ثم سلك بهما ذَا سَلَم ، من بطن أعْداء مَدلَجَة تِعْهِن ، ثم على العَبابيد . قال ابن هشام : ويقال : العَبابيب ، ويقال : العِثْيانة . يريد : العبابيب .

قال ابن إسحاق : ثم أجاز بهما الفاجَّة ، ويقال : القاحة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن هشام : ثم هبط بهما العَرْج ، وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهم ، فحمل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من أسلم ، يقال له : أوس بن حُجْر ، على جمل له ـ يقال له : ابن الرّداء ـ إلى المدينة ، وبعث معه غلاما له ، يقال له : مسعود بن هُنَيْدَة ، ثم خرج بهما دليلهما من العَرْج ، فسلك بهما ثَنِيَة العائر ، عن يمين رَكُوبَة ـ ويقال : ثنية الغائر ، فيما قال ابن هشام ـ حتى هبط بهما بطن رِئْم ، ثم قدم بهما قُباء ، على بنى عمرو بن عوف ، لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل يوم الاثنين ، حين اشتدَّ الضُّحاء ، وكادت الشمس تعتدل .

النزول بقباء

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عُويمر بن ساعدة ، قال : حدثنى رجال من قومى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : لما سمعنا بمَخرج رسول الله صلى الله عليه

وسلم من مكة ، وتوكَّفنا قدومَه ، كنا نخرج إذا صلينا الصبح ، إلى ظاهر حَرّتنا ننتظر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله مانبرح حتى تغلبنا الشمسُ على الظلال فإذا لم نجد ظلا دخلنا ، وذلك فى أيام حارّة . حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جلسنا كما كنا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظلّ دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دُخلنا البيوت ، فكان أوّل من رآه رجلٌ من اليهود ، وقد رأى ما كنا نصنع ، وأنّا ننتظر قدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علينا ، فصرخ بأعلى صوته : يابنى قَيْلة ، هذا جَدُّكم قد جاء . قال : فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى ظلّ نخلة ، ومعه أبو بكر رضى الله عنه فى مثل سِنّه ، وأكثرُنا لم يكن رأى رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قبل ذلك ، وركِبه الناس وما يعرفونه من أبى بكر ، حتى زال الظلّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر فأظلّه بردائه ، فعرفناه عند ذلك .

المنازل التى نزلت بقباء

قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - على كُلْثوم بن هِدْم ، أخى بنى عمرو بن عَوف ، ثم أحد بنى عُبيد : ويقال : بل نزل على سعد بن خَيْثمة . ويقول من يذكر أنه نزل على كُلثوم بن هِدْم : إنما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم إذا خرج من منزل كلثوم بن هدْم جلس للناس فى بيت سعد بن خيثمة . وذلك أنه كان عَزبا لا أهل له ، وكان منزلِ الْعُزَّابِ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين ، فمن

هنالك يقال : نزل على سعد بن خيثمة ، وكان يقال لبيت سعد بن خَيْثَمة : بيت الْعُزَّاب . فالله أعلم أىّ ذلك كان ، كلاًّ قد سمعنا .

ونزل أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه على خُبَيْب بن إساف ، أحد بنى الحارث بن الخزرج بالسُّنْح . ويقول قائل : كان منزله على خارجة بن زيد بن أبى زُهير ، أخى بنى الحارث بن الخزرج .

وأقام علىّ بن أبى طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها ، حتى أدّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل معه على كُلثوم بن هِدْم .

سهيل بن حنيف وامرأة مسلمة

فكان على بن أبى طالب ، وإنما كانت إقامته بقباء ليلة أو ليلتين يقول : كانت بقُباء امرأة لازوج لها ، مسلمة . قال : فرأيت إنسانا يأتيها من جوف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطيها شيئا معه فتأخذه . قال : فاستربتُ بشأنه ، فقلت لها : يا أمة الله ، من هذا الرجل الذى يضرب عليك بابك كلّ ليلة ، فتخرجين إليه فيعطيك شيئا لا أدرى ماهو ، وأنت امرأة مسلمة لازوج لك ؟ قالت : هذا سهل بن حُنيف بن واهب ، قد عرف أنى امرأة لا أحد لى ، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ، ثم جاءنى بها ، فقال : احتطبى بهذا ، فكان علىّ رضى الله عنه يَأْثِر ذلك من أمر سهل بن حُنيف ، حتى هلك عنده بالعراق .

قال ابن إسحاق : وحدثنى هذا ، من حديث علىّ رضى الله عنه ، هندُ ابن سعد بن سهل بن حنيف ، رضى الله عنه .

بناء مسجد قباء

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقُباء ، فى بنى عمرو ابن عوف ، يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسَّس مسجده .

ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة . وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك ، فالله أعلم أىّ ذلك كان . فأدركتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الجمعة فى بنى سالم بن عوف ، فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى ، وادى رانُوناَء ، فكانت أوّل جمعة صلاها بالمدينة .

القبائل تعترضه لينزل عندها

فأتاه عِتْبان بن مالك ، وعبَّاس بن عُبادة بن نَضلة فى رجال من بنى سالم ابن عوف ، فقالوا : يارسول الله . أقم عندنا فى العدد والعدّة والمَنَعَة ؛ قال : خلُّوا سبيلَها ، فإنها مأمورة ، لناقته : فخلُّوا سبيلَها ، فانطلقت حتّى إذا وازنت دار بنى َبياضَة ، تلقاه زياد بن َلبيد، وفَرْوة بن عمرو ، فى رجال من بنى َبياضَة فقالوا : يارسول الله : هلمّ إلينا ، إلى العَدد والعُدّة والمَنَعَة ؛ قال : خلوا سبيلها، فإنها مأمورة ، فخلّوا سبيلها . فانطلقت ، حتّى إذا مرّت بدار بنى ساعدة ، اعترضه سعدُ بن عُبادة ، والمنذر بن عمرو ، فى رجال من بنى ساعدة ، فقالوا :

يارسول الله ، هلمّ إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، فخلّوا سبيلَها ، فانطلقت ، حتى إذا وازنت دارَ بنى الحارث بن الخزرج ، اعترضه سعدُ بن الربيع ، وخارجةُ بن زيد ، وعبد الله بن رَوَاحة ، فى رجال من بنى الحارث ابن الخزرج فقالوا : يارسول الله هلمّ إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ، قال : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها . فانطلقت ، حتى إذا مرّت بدار بنى عدىّ بن النجار ، وهم أخواله دِنْيا ـ أم عبد المطلب ، سَلْمى بنت عمرو ، إحدى نسائهم ـ اعترضه سَلِيط بن قيس ، وأبو سَليط أُسَيرة ابن أبى خارجة ، فى رجال من بنى عدىّ بن النجّار ، فقالوا : يارسول الله ، هلمّ إلى أخوالك ، إلى العدد والعدّة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها ، فانطلقت .

مبرك الناقة بدار بنى مالك بن النجار

حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجّار ، بركت على باب مسجده صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ مِرْبدٌ لغلامين يتيمَيْن من بنى النجّار ، ثم من بنى مالك بن النجّار ، وهما فى حِجْر مُعاذ بن عَفْراء ، سَهْل وسُهيل ابنى عمرو . فلما بَرَكت ـ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليها ـ لم ينزل ، وثبت فسارت غيرَ بعيد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زِمامها لا يَثْنيها به ، ثم التفتت إلى خلفها فرجعتْ إلى مَبْرَكِها أوّل مرّة ، فبركت فيه ، ثم تَحَلْحَلَتْ وَرَزَمَتْ ووضعتْ جِرانها ، فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتمل أبو أيوب خالدُ بن زيد رَحْلَه ، فوضعه فى بيته ، ونزل عليه رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم ، وسأل عن المِرْبَد لمن هو ؟ فقال له مُعاذ بن عَفْراء : هو يارسول الله لسَهْلٍ وسُهَيْل ابنى عمرو ، وهما يتيمان لى ، وسأرضيهما منه ، فاتخذْه مسجدا .

المسجد والمسكن

قال : فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُبنى مسجدا ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى أيُّوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغِّب المسلمين فى العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ، ودأبوا فيه ، فقال قائل من المسلمين :

لَئِنْ قعدنا والنَّبِىُّ يَعْمَلُ   لَذَاكَ منَّا العملُ المضلِّلُ

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون :

لاعَيْشَ إلا عَيْشُ الآخرهْ   اللهمّ ارحم الأنصار والمُهَاجِرهْ

قال ابن هشام : هذا كلام وليس برجز .

قال ابن إسحاق : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاعيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار .

عمار والفئة الباغية

قال : فدخل عمَّار بن ياسر ، وقد أثقلوه باللَّبِن ، فقال : يارسول الله ، قتلونى ، يَحْمِلون علىّ مالا يحملون . قالت أمّ سَلَمَة زوجُ النبىّ صلى الله عليه وسلم :

فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفُضُ وَفْرته بيده، كان رجلا جَعْدا، وهو يقول: ويحَ ابن سُمَيَّة، ليسوا بالذين يقتلونك، إنما تقتلك الفئةُ الباغية.

ارتجاز علي

وارتجز علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ:

لايستوى من يَعْمُرُ المَساجدا يدأب فيه قائما وقاعدا

ومَنْ يُرَى عن الغبار حائدا

قال ابن هشام: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر، عن هذا الرجز، فقالوا: بلغنا أن عليّ بن أبي طالب ارتجز به، فلا يُدْرى: أهو قائله أم غيرُه.

مشادة عمار

قال ابن إسحاق: فأخذها عمَّار بن ياسر، فجعل يرتجز بها.

قال ابن هشام: فلما أكثر، ظنّ رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إنما يُعرِّض به، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البَكَّائِيُّ، عن ابن إسحاق، وقد سمّى ابنُ إسحاق الرجل.

الرسول صلى الله عليه وسلم يوصي بعمار

قال ابن إسحاق: فقال: قد سمعتُ ماتقول منذ اليوم يابن سُمَيَّة، والله إني لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك. قال: وفي يده عصا. قال: فغضب

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : مالهم ولعمار ، يدعوهم إلى الجنة ، ويدعونه إلى النار، إن عمارا جِلْدة ما بين عينيّ وأنفي ، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يُستَبق فاجتنبوه .

إضافة بناء أول مسجد إلى عمار

قال ابن هشام : وذكر سُفيان بن عُيينة عن زكريا ، عن الشَّعبيّ ، قال : إن أوَّل من بنى مَسجداً عمَّارُ بن ياسر .

الرسول صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب ، حتى بُنى له مسجدُه ومساكنه ، ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبى أيوب ، رحمة الله عليه ورضوانه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حَبيب ، عن مَرْثَد بن عبد الله اليَزَنى ، عن أبى رُهْم السَّماعى ، قال : حدثنى أبو أيوب ، قال : لما نزل علىَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى ، نزل فى السُّفْلِ ، وأنا وأمّ أيوب فى العُلو ، فقلت له : يانبىّ الله ، بأبى أنت وأمى ، إنى لأكره وأعظم أن أكون فوقك ، وتكون تحتى ، فاظهَرْ أنت فكن فى العُلْو ، وننزل نحن فنكون فى السُّفْلِ ، فقال : يا أبا أيوب ، إنّ أرفق بنا وبمن يَغشانا ، أن نكون فى سُفْل البيت .

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سُفْلِه ، وكنا فوقه فى المسكن ، فلقد انكسر حُبّ لنا فيه ماء فقُمت أنا وأمّ أيوبَ بقَطِيفَةٍ لنا ، مالنا لحاف غيرها ، نَنْشَف بها الماءَ ، تخوفا أن يَقْطُرَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ـ منه شىء فيؤذيه .

قال : وكنا نصنع له العَشاء ، ثم نبعث به إليه ، فإذا ردّ علينا فضلَه تيمَّمْت أنا وأمُّ أيوب موضَعَ يده ، فأكلنا منه نبتغى بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلة بعَشائه وقد جعلنا له بصلا أو ثُوماً ، فردّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أرَ ليده فيه أثراً قال : فجئتُه فَزِعا ، فقلت : يارسول الله ، بأبى أنت وأمى رددتَ عشاءك ، ولم أر فيه موضع يدك ، وكنتُ إذا رددته علينا ، تَيَمَّمْتُ أنا وأمّ أيوب موضع يدك ، نَبتغى بذلك البركة ؛ قال : إنى وجدت فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أُناجى ، فأمّا أنتم فكلوه . قال : فأكلناه ، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد .

تلاحق المهاجرين

قال ابن إسحاق : وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق بمكة منهم أحد ، إلا مفتون أو محبوس ، ولم يُوعِبْ أهلُ هجرة من مكة بأهليهم وأموالهم إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أهلُ دور مُسمَّون : بنو مظعون من جُمح ؛ وبنو جَحْش بن رِئاب ، حلفاء بنى أُميَّة ؛ وبنو البُكَير ، من بنى سعد بن ليث ، حلفاء بنى عدىّ بن كعب ، فإن دُورَهم غُلِّقت بمكة هجرةً ، ليس فيها ساكن .

قصة أبي سفيان مع بنى جحش

ولما خرج بنو جحش بن رِئاب من دارهم ، عدا عليها أبو سفيانَ بن حرب فباعها من عمرو بن عَلْقمة ، أخى بنى عامر بن لؤىّ ؛ فلما بلغ بنى جَحْش ماصنع أبو سفيان بدارهم ، ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضى ياعبد الله أن يعطيَك الله بها دارا خيرا منها فى الجنة ؟ قال : بلى ؛ قال : فذلك لك . فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كلمه أبو أحمد فى دارهم ، فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال الناس لأبى أحمد : يا أبا أحمد ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن ترجعوا فى شىء من أموالكم أصيب منكم فى الله عزّ وجلّ ، فأمسك عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لأبى سفيان :

أبلغْ أبا سفيان عن أمرٍ عواقبُه ندامَهْ
دارَ ابن عمك بعتَها تقضى بها عنك الغَرامهْ
وحليفُكم بالله ربّ الناس مجتهد القَسامهْ
اذهب بها ، اذهب بها طُوِّقتها طوقَ الحمامة

انتشار الإسلام ومن بقى على شركه

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إذ قَدِمها شهرَ ربيع الأوّل ، إلى صفر من السنة الداخلة ، حتى بُنى له فيها مسجدُه ومساكنه واستجمع له إسلام هذا الحىّ من الأنصار ، فلم يبق دار من دور

الأنصار إلا أسلم أهلها ، إلا ما كان من خَطْمة ، وواقف ، ووائل ، وأُميَّة ، وتلك أوس الله ، وهم حيّ من الأوس ، فإنهم أقاموا على شركهم .

الخطبة الأولى

وكانت أوّل خُطْبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى عن أبى سَلَمة بن عبد الرحمن ـ نعوذ بالله أن نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم يقل ـ أنه قام فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فقدّموا لأنفسكم تَعَلَّمُنَّ والله لَيُصْعَقَنّ أحدكم ، ثم لَيَدَعَنّ غَنَمه ليس لها راع ، ثم ليقولنّ له ربه ، وليس له تَرجمان ولا حاجبٌ يحجبُه دونه : ألم يأتك رسولى فبلَّغك ، وآتيتك مالاً وأفضلت عليك ؟ فما قدّمتَ لنفسك ؟ فلَيَنظُرنّ يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم لَيَنظرن قدامه فلا يرى غير جهنم . فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بِشِقّ من تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طَيبة ، فإن بها تُجزى الحسنة عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الخطبة الثانية

قال ابن إسحاق : ثم خطب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس مرّة أخرى ، فقال : إنّ الحمدَ لله ، أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يُضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . إنّ أحسن الحديث كتاب الله تبارك

وتعالى ، قد أفلح من زَيَّنه الله في قلبه ، وأدخله في الإسلام بعد الكفر ، واختاره على ماسواه من أحاديث الناس ، إنه أحسنُ الحديث وأبلغه ، أحبُّوا ، ما أحبَّ الله ، أحبُّوا الله من كلّ قلوبكم ، ولا تَمَلُّوا كلامَ الله وذكرَه ، ولا تَقْسُ عنه قلوبكم فإنه من كُلّ مايخلق الله يختار ويصطفى ، قد سماه الله خِيرته من الأعمال ، ومُصطفاه من العباد ، الصالح الحديث ، ومن كلّ ما أوتى الناس من الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، واتقوه حقّ تقاته ، واصدُقوا الله صالح ماتقولون بأفواهكم ، وتحابُّوا بروح الله بينكم ، إن الله يغضب أن يُنكَث عهدُه ، والسلام عليكم .

كتاب الموادعة لليهود

قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وادعَ فيه يهود وعاهدهم ، وأقرّهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويَثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رِبْعتهم يتعاقلون ، بينهم ، وهم يَفدون عانِيَهم بالمعروف والقِسط بين المؤمنين ؛ وبنو عَوْف على رِبْعتهم يتعاقلون مَعاقلهم الأولى ، كلّ طائفة تَفْدى عانِيَها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو ساعدة على رِبْعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكلّ طائفة منهم تفدى عانِيَها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ،

وبنو الحارث على رِبْعَتِهِمْ يَتَعاقَلُون مَعاقِلَهم الأولى ، وكلّ طائفة تفدى عانِيهاَ بالمعروف والْقِسْطِ بين المؤمنين ، وبنو جُشَم على رِبْعَتِهِمْ يتعاقلون معاقلَهم الأولى ، وكلّ طائفة منهم تفدى عانِيهاَ بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النجّار على رِبْعَتهم يتعاقلون معاقلَهم الأولى ، وكلّ طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عمرو بن عَوْف على رِبعَتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكلّ طائفة تفدى عانِيهاَ بالمعروف والقِسط بين المؤمنين ، وبنو النَّبِيت على رِبعَتِهم يتعاقلون معاقلَهم الأولى ، وكلّ طائفة تفدى عانِيهاَ بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الأوس على رِبعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكلّ طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وإن المؤمنين لايتركون مُفرَحا بينهم أن يُعطوه بالمعروف فى فِداء أو عَقْل .

قال ابن هشام : المُفْرَح : المُثقل بالدين والكثير العيال . قال الشاعر :

إذا أنت لم تَبْرَحْ تُؤَدِّى أمانةً وتحملُ أخرى أفْرَحتْك الودائعُ

وأن لايحالف مؤمنٌ مولى مؤمن دونه ؛ وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم ، أو ابتغى دَسيعة ظُلْم ، أو إثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ؛ وإن أيديهم عليه جميعا ، ولو كان وَلدَ أحدهم ؛ ولا يَقْتلُ مؤمنٌ مؤمنا فى كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة ، يُجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ، وإنه من تَبِعنا من يَهُودَ فإن له النصرَ والأُسْوَة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ؛ وإنَّ سِلْم المؤمنين

واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله ، إلا على سواء وعدل بينهم ، وإن كلّ غازية غزت معنا يُعقب بعضها بعضا ، وإن المؤمنين يُبىء بعضُهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ؛ وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ، ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بَيِّنة فإنه قَوَدٌ به إلا أن يرضى ولىّ المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحلّ لهم إلا قيامٌ عليه ، وإنه لا يحلّ لمؤمن أقرّ بما فى هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر ، أن ينصر مُحْدِثا ، ولا يُؤويه ؛ وأنه مَن نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صَرْفٌ ولا عَدْل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شىء فإن مردّه إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يهود بنى عَوف أُمّة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظَلم وأثم ، فانه لا يُوتِغ إلا نفسَه ، وأهلَ بيته ، وإن لِيَهُودِ بنى النَّجَّار مثل ما ليهود بنى عَوْف ، وإن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بَنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عَوْف ، وإن ليهود بنى جُشَم مثل ماليهود بنى عَوْف ، وإن ليهود بنى الأوس مثل ماليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى ثَعْلبة مثل ماليهود بنى عوف ، إلا من ظَلم وأثم ، فانه لا يُوتغ إلا نفسه وأهلَ بيته ، وإن جَفْنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ؛ وإن لبنى الشُّطَيبة مثل ما ليهود بنى عَوف ، وإن البِرّ دون الإثم ، وإن موالى ثَعْلبة كأنفسهم ؛ إن بِطَانة يهود كأنفسهم ؛ وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنه لا ينحجز على ثار

جُرْح ، وإنه من فَتك فبنفسه فتك ، وأهلِ بيته ، إلا من ظَلم ، وإن الله على أبرّ هذا ، وإن على اليهود نفقتَهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصرَ على من حارب أهلَ هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبرّ دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يَثْرب حرام جَوْفها لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مُضارّ ولا آثم ، وإنه لا تُجار حُرْمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة مِن حَدَث أو اشْتِجَارٍ يُخاف فسادُه ، فانَّ مردَّه إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى محمد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الله على أتْقى ما فى هذه الصحيفة وأبرّه ، وإنه لا تُجار قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على من دَهم يثرب ، وإذا دُعوا إلى صلح يصالحونه ويَلْبسونه ، فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دُعوا إلى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين ، إلا مَنْ حارب فى الدين ، على كلّ أناس حصّتهم من جانبهم الذى قِبَلهم ، وإن يهود الأوس ، مواليَهم وأنفسهم ، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض ، من أهل هذه الصحيفة .

قال ابن هشام : ويقال : مع البرّ المُحسن من أهل هذه الصحيفة .

قال ابن إسحاق : وإن البرّ دون الإثم ، لا يكسب كاسبٌ إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبرّه ، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وإنه من خرج آمنٌ ، ومن قعد آمِن بالمدينة ، إلا من ظَلم أو أثم ، وإن الله جار لمن برّ واتقى ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

. . . .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال ابن إسحاق : وآخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال – فيما بلغنا ، ونعوذ بالله أن نقول عليه مالم يَقل : تآخَوا فى الله أخَوَيْن أخوين ، ثم أخذ بيد علىّ بن أبى طالب ، فقال : هذا أخى فكان رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم سيِّدَ المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول ربّ العالمين ، الذى ليس له خطير ولا نظير من العباد ، وعلىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، أخَوَيْن ، وكان حمزةُ بن عبد المطلب ، أسدُ الله وأسدُ رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزيدُ ابن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخَوَيْن ، وإليه أوصى حمزةُ يوم أُحد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت ، وجعفرُ بن أبى طالب ذو الجناحين ، الطيَّار فى الجنة ، ومعاذُ بن جبل ، أخو بنى سلمة ، أخَوين .

قال ابن هشام : وكان جعفر بن أبى طالب يومئذ غائبا بأرض الحبشة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ، ابن أبى قُحافة ، وخارجة بن زُهير ، أخو بَلْحارث بن الخزرج ، أخوين ، وعمر بن الخطَّاب رضى الله عنه ، وعِتْبان بن مالك ، أخو بنى سالم بن عَوف بن عمرو بن عَوف بن الخزرج أخوين ؛ وأبو عُبيدة بن عبد الله بن الجراح ، واسمه عامر بن عبد الله ، وسعد بن معاذ بن النعمان ، أخو بنى عبد الأشهل ، أخوين . وعبد الرحمن بن عَوْف ، وسعد بن الربيع ، أخو بَلْحارث بن الخزرج ، أخوين . والزبيرُ

ابن العوّام ، وسلامة بن سلامة بن وَقْش ، أخو بنى عبد الأشهل ، أخَوَيْن . ويقال : بل الزبير وعبدُالله بن مسعود ، حليف ، بنى زهرة ، أخَوَيْن ، وعثمان ابن عفّان ، وأوس بن ثابت بن المنذر ، أخو بنى النجّار ، أخوين . وطلحة بن عُبيد الله ، وكعب بن مالك ، أخو بنى سلمة ، أخَوَيْن . وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ، وأُبىّ بن كَعْب ، أخو بنى النجّار : أخوين ؛ ومُصعب بن عُمير بن هاشم ، وأبو أيُّوب خالد بن زيد ، أخو بنى النجّار : أخوين ، وأبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة وعبّاد بن بشر بن وَقْش ، أخو بنى عبد الأشهل : أخوين . وعمّار بن ياسر ، حليف بنى مَخْزوم ، وحُذيفةُ بن اليمان ، أخو بنى عبد عَبْس ، حليف بنى عبد الأشهل : أخوين . ويقال : ثابت بن قيس بن الشمّاس ، أخو بَلْحارث بن الخَزْرَج ، خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمّار بن ياسر : أخوين . وأبو ذرّ ، وهو بُرَير بن جُنَادة الغِفارِىّ والمُنْذِر ابن عمرو ، المُعْنِق ليموت ، أخو بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : أخوين .

قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من العلماء يقول : أبو ذَرّ : جُنْدَب ابن جُنادة .

قال ابن إسحاق : وكان حاطب بن أبى بَلْتعة ، حليف بنى أسد بن عبد العزّى وعُوَيم بن ساعدة ، أخو بنى عمرو بن عوف ، أخوين ، وسَلْمان الفارسى ، وأبو الدَّرْداء ، عُوَيمر بن ثعلبة ، أخو بَلْحارث بن الخَزْرج ، أخوين .

قال ابن هشام : عُوَيمر بن عامر ، ويقال : عُوَيمر بنُ زيد .

. . . .

قال ابن إسحاق : وبلال ، مولى أبى بكر رضى الله عنهما ، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو رُوَيْحة ، عبد الله بن عبدالرحمن الخثْعمى ، ثم أحدُ الفزع ، أخوين . فهؤلاء من سُمّى لنا ، ممن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخَى بينهم من أصحابه .

بلال يوصى بديوانه لأبى رويحة

فلما دَوّن عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، وكان بلالٌ قد خرج إلى الشام ، فأقام بها مُجاهدا ، فقال عمرُ لبلال : إلى من تجعل ديوانَك يابلال ؟ قال : مع أبى رُوَيْحَةَ ، لا أفارقه أبدا ، للأُخُوة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه وبينى ، فضمّ إليه ، وضُمّ ديوان الحبشة إلى خَثْعَم ، لمكان بلال منهم ، فهو فى خَثْعم إلى هذا اليوم بالشام .

أبو أمامة

قال ابن إسحاق : وهَلك فى تلك الأشهر أبو أمامة ، أسعدُ بن زرارةُ ، والمسجد يبنى ، أخذته الذبحةُ أو الشهقة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدالله بن أبى بكر بن محمد بن عَمْرو بن حزم ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زُرَارَة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بئس الميتُ أبو أمامة ، ليَهود ومُنافقوا العرب يقولون : لو كان نبيا لم يمت صاحبه ، ولا أملك لنفسى ولا لصاحبى من الله شيئا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قَتَادَة الأنصارىّ : أنه لما مات أبو أُمَامَة ، أسعدُ بن زُرَارَةَ ، اجتمعت بنو النجّار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو أمامة نَقِيبَهم ، فقالوا له : يارسول الله ، إن هذا قد كان منّا حيثُ قدعلمتَ ، فاجعلْ منّا رجلا مكانه يُقيم من أمْرنا ما كان يُقيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم : أنتم أخْوالى ، وأنا بما فيكم ، وأنا نَقِيبكم ، وكره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يخصّ بها بعضَهم دون بعض . فكان من فضل بنى النجّار الذى يَعُدّون على قومهم ، أن كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نقيبَهم .

بلاد فى طريق الهجرة :

وذكر أن دليلَهما سلك بهما عُسْفَان . قال المؤلف رضى الله عنه : وقد روى عن كثير أنه قال : سُمى عُسْفَان لتعسُّفِ السيول فيه ، وسُئل عن الأبواء[1] الذى فيه قبرُ آمنَةَ أمّ النبى صلى الله عليه وسلم : لم سمى الأبواء ؟ فقال: لأن السيول تَتَبَوّءه أى : تحل به ، وبعسفان فيما رُوِى كان مسكن الْجَذْمَاء ، ورأيت فى بعض المسندات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بعُسْفَان وبه الْجَذْمَاء فأسرع المشى ولم ينظر إليهم ، وقال : إن كان شىء من العِلل يعدى

---

(١) عسفان : قيل منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل : عسفان بين المسجدين ، وهى من مكة على مرحلتين ، وقيل : هو قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلا من مكة ، وهى حد تهامة . والأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا ، وقيل : جبل عن يمين آره ويمين المصعد إلى مكة من المدينة « المراصد » .

. . . .

فهو هذا ، وهذا الحديث هو من روايتى ، لأنه فى مسند الحارث بن أبى أسامة، وقد تقدم اتصال سندى به ، وكنت رأيته قبل فى مسند وَكيع بن الجراح ، وليس لى فيه إسناد .

فصل : وذكر أن دليلَهم سلك بهم أَمَجاً ثم ثنية الْمَرَة ، كذا وجدته مخفف الراء مقيدا ، كأنه مُسَهَّل الهمزة من المرأة .

وذكر لَفْتاً بفتح اللام مقيدا فى قول ابن إسحاق ، وفى رواية ابن هشام : لَفْتاً ، واستشهد ابن هشام بقول مَعْقِل [بن خُوَيْـلِد] الهُذَلىّ :

نَزِيعاً مُحْلِباً من أهل لَفْتٍ ... لِحَىٍّ بين أَثْـلَةَ فالنِّجَام(١)

وألفيت فى حاشية الشيخ على هذا الموضع قال : لِفْتٌ بكسر اللام ألفيته فى شعر مَعْقِل هذا فى أشعار هُذَيل فى نسختى ، وهى نسخة صحيحة جدا ، وكذلك ألفاه مَنْ وثقته وكلَّفته أن ينظر فيه لى فى شعر مَعْقل هذا فى أشعار

---

(١) النزيع : الغريب والبعيد أو من أمه سبية أو الشريف . والمحلب : المعين من غير قومك . وقد رواه اللسان فى مادة حلب :

صريخ محلب من أهل نجد . . إلخ .

وفى المراصد عن لفت : قيده القاضى عياض على ثلاثة أوجه : بفتح اللام وسكون الفاء ولفت بالتحريك ، وبكسر اللام وسكون الفاء وهى ثنية بين مكة والمدينة قيل : هى ثنية جبل قديد وستأتى والبيت والذى بعده فى معجم البكرى فى مادة لفت ، صريخا محلبا ، وقد ضبطها بكسر اللام وفتحها فقط مع سكون الفاء .

. . . .

هُذَيلْ مكسور اللام فى نسخة أبى عِلى القَالى المقروءة على الزيادى ، ثم على الأحول ، ثم قرأتها على ابن دُرَيْد رحمه الله ، وفيها صَرِيحاً مُخْلِبا ، وكذلك كان الضبْطُ فى هذا الكتاب قديما ، حتى ضبطته بالْفَتْح عن القاضى ، وعلى ماوقع فى غيرها انتهى كلام أبى بحر . وقد ذكر أبو عُبَيْد البَكْرِى : لِفتاً ، فقيده بكسر اللام كما ذكر أبو بحر وأنشد قبله :

لَعمْرُكَ ماخشيت ، وقد بلغنا ... جبالَ الجَوْزِ من بَلَدٍ تَهَامِ

صريحا مُخْلِبا البيت .

وذكر المواضع التى سلك عليها ، وذكر فيها مِجَاج بكسر الميم وجيمين ، وقال ابن هشام : ويقال فيها : مَجاج بالفتح ، وقد ألفيت شاهداً لرواية ابن إسحاق فى لَقْف ، وفيه ذكر مَجاح بالحاء المهملة بعد الجيم ، وهو قولِ محمد ابن عُرْوَة بن الزُّبير :

لعن الله بطْنَ لَقْفٍ مَسِيلاً ... ومَجَاحاً وما أُحِبُّ مَجَاحَا

لَقِيَتْ ناقتى به ، وبلِقْفٍ ... بلداً مُجْدِباً وأرضاً شَحَاحَا

هكذا ذكره الزبير بن أبى بكر ، ولقف آخر غير لَفْتٍ فيما قال البكرى .

وذكر مَرْجِحَ بتقديم الجيم على الحاء ، وذكر مَدْلِجَةَ تِعْهِن[1] بكسر التاء

(١) فى النهاية لابن الأثير : قال أبو عبيد : إنما هو الجد وهو البئر الجيدة المواضع من الكلأ .

. . . .

والهاء ، والتاء فيه أصلية على قياس النحو فوزنه فِعْلِل إلا أن يقومَ دليل من اشتقاق على زيادة التاء ، أو تصح رواية من رواه تُعْهِن بضم التاء ، فإن صحَّت فالتاء زائدة ، كسرت أو ضمت[١] وبِتِعْهِن صخرة ، يقال لها : أم عِقّى عُرفت بامرأة كانت تسكن هناك ، فمر بها النبي صلى الله عليه وسلم واستسقاها فلم تسقه ، فدعا عليها فمُسِخَت صخرة ، فهى تلك الصخرة فيما يذكرون .

وذكر الجَدَاجِدَ بجيمين ودالين كأنها جمع جُدْجُد ، وأحسبها آباراً ففى الحديث : أتينا على بئر جُدْجُد ، قال أبو عبيد : الصواب : بئر جُدّ أى قديمة ، وقال الْهَرَوِىُّ عن اليزيدى : وقد يقال : بئر جدجد قال : وهو كما يقال فى الكم كمكمُ وفى الرَّفِّ رَفْرَف .

وذكر العبابيد كأنه جمع عباد ، وقال ابن هشام : هى العبابيب ، كأنها جمع : عُبَاب من عَبَبْتُ الماءَ عباً ، فكأنها — والله أعلم — مياه تَعُبُّ عُبَابا أو تُعَبُّ عَبًّا .

وذكر الفاجَّة بفاء وجيم ، وقال ابن هشام : هى : القاحَّة بالقاف والحاء[٢] .

---

(١) فى المراصد : ضبط تعهن : بكسر أوله وهائه وتسكين العين وآخره نون اسم عين ماء على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة . وفى معجم البلدان روى بفتح أوله كسر هائه وبضم أوله .

(٢) هى — كما قال ابن هشام — فى المراصد ، وأنها على ثلاث مراحل من المدينة قبل السقيا ، وقيل : موضع بين الجحفة وقديد .

. . . .

قصة أوس بن حجر :

وذكر قدومَهم على أوس بن حجر ، وهو أوْسُ بن عَبْد الله بن حُجْر الأسْلَمىّ ، وبعضهم يقول فيه : ابن حَجَر ، وهو قول الدَّارَقُطْنى ، والمعروف ، ابن حُجْر بضم الحاء ، وقد تقدم فى المبعث ذكر من اسمه حجر[1] فى أنساب قريش ، ومن يسمى : حُجْرا من غيرهم بسكون الجيم ، ومن يسمى الحجر بكسر الحاء ، فانظره هنالك عند ذكر خديجة وأمها ، ولا يختلف فى أوس بن ابن حَجَر أنه بفتحتين .

وذكر أن أوسا حمل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على جَمَل له ، يقال له : ابن الرداء ، وفى رواية يونس بن بكير عن ابن إسحق يقال له : الرَّدَّاح ، وفى الخطابى أنه قال لغلامه مسعود ، وهو مسعود بنُ هُنَيْدَة : اسلُك بهم المخارق بالقاف ، قال : والصحيح المخارِم ، يعنى : مخارِم الطريق ، وفى الدَّسَوىّ أن مسعودا هذا قال : فكنت آخذ بهم إخفاء الطريق . وفِقْه هذا أنهم كانوا خائفين ، فلذلك كان يأخذ بهم إخفاء الطريقِ ومخارقَه ، وذكر

---

(١) فى الاشتقاق : أوس بن حجر بفتح الحاء والجيم ، وفيه أيضا : « وقد سمت العرب حجرا وحجراً . وحجيرا » ص ٢٠٧ .

وفى القاموس : « حجر بالضم وبضمتين : والد امرىء القيس وجده الأعلى وابن ربيعة ، وابن عدى وابن النعمان وابن يزيد صحابيون ، وابن العنبس : تابعى وبالتحريك والد أوس الصحابى ، ووالد الجاهلى الشاعر ، ووالد أنس المحدث ، أوهما بالفتح .

. . . .

النَّسَوِى فى حديث مسعود هذا : أن أبا بكر قال له : ائت أبا تميم ، فقل له : يحملنى على بعير ويبعث إلينا بزاد ، ودليل يدلنا ، ففى هذا أن أوْساً كان يُكَنَّى أبا تميم ، وأن مسعوداً هذا قد روى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحفظ عنه حديثا فى الخمس وحديثا فى صلاة الإمام بالواحد والإثنين ذكره النَّسَوِى فى هذا الحديث ، غير أنه قال فى مسعود هذا : غلام فَرْوَة الأسْلَمى. وقال أبو عُمر : قد قيل فى أوس هذا إن اسمَه تميم ، ويكنى أبا أوس فالله أعلم[1].

وروى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لمسعود حين انصرف إلى سيده مُرْسيدكَ أن يَسِم الإبلَ فى أعناقها قَيْدَ الفَرَسِ[2] ، فلم تَزَلْ تلك سِمَتَهم فى إبلهم ، وقد ذكرنا فى شرح قصيدة أبى طالب عند قوله : مُوَسَّمة الأعضاد أسماء السِّمات كالْعِراض والخِبَاط والهلال ، وذكرنا قَيْدَ الفرس ، وأنه سِمَةٌ فى أعناقها ، وقول الراجز :

---

(١) قصة أوس لم يروها أحد من أصحاب الكتب الستة ، فالذين رووها هم البغوى وابن السكن وابن مندة أو الطبرانى . وقصة مسعود بن هنيدة عند الحاكم فى الاكليل . واسم أوس يتردد فى الإصابة تميم بن أوس بن حجر أبى أوس الأسلمى وبين أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمى ويكنى : أبا تميم وربما ينسب إلى جده فقيل : أوس بن حجر وفيه عمن روى عنهم أنه لقى النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وهما متوجهان إلى المدينة بقحدوات بين الجحفة وهرشى ، وهما على جمل ، فحملهما على فحل له من إبله . وأوس من أهل العرج . وقال ابن حبان والطبرانى : له صحبة ، ولم يخرج حديثه .

(٢) صورة هذه السمة : حلقتان بينهما مدة « مفردات ابن الأثير واللسان » . وذكر الجوهرى أنها سمة تكون فى عنق البعير على صورة القيد .

. . . .

كُومٌ على أعناقِها قَيْدُ الفَرَسِ   تَنْجُو إذا اللَّيْلُ تدانى والْتَبَسْ

متى قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة ؟

كان قدومُ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الإثنين لاثنتى عشرة من ربيع الأول ، وفى شهر أيلول من شهور الْعَجَم ، وقال غير ابن إسحاق قدمها لثمانٍ خَلَوْن من ربيع الأول ، وقال ابن الكلبى : خرج من الغار يوم الإثنين أولَ يومٍ من ربيعٍ الأول ، ودخل المدينة يوم الجمعة لِثِنْتَىْ عشرة منه، وكانت بَيْعَة الْعَقَبة أوْسَطَ أَيَّام التَّشْريق[١] .

كلثوم بن الهدم :

فصل : وذكر ابن إسحاق نزول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على كُلْثُوم بن الْهِدْم ، وكُلْثُوم هذا كُنْيَتُه أبو قيس ، وهو كلثوم بن الْهِدْم ابن امْرِئ القيس بن الحارث بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس[٢] ، وكان شيخا كبيرا مات بعد قُدوم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينةَ بيسير ، هو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم مات بعده أسعدُ بن زُرَارَة بأيام ، وسعدُ بن خَيْثَمة ، وأنه كان يقال لبيته : بيت الْعُزَّاب هكذا روى ، وصوابُه : الأعزبُ ؛ لأنه

---

(١) فى الفتح : ليلة وحول تاريخ دخوله المدينة يدور خلاف شديد . انظر ص ٣٥٠ ومابعدها ح ١ شرح المواهب للزرقانى .

(٢) فى جمهرة ابن حزم يرد بعد الحارث بن زيد مايأتى : بن عبيد بن زيد إلخ .

. . . .

جمع عَزَبٍ ، يقال : رجل عَزَبٌ ، وامرأة عَزَبٌ ، وقد قيل : امرأة عَزَبَة بالتاء[١] .

تأسيس مسجد قباء :

فصل : وذكر تأسيس مسجدِ قُباء ، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسسه لبنى عَمْرو بن عَوْف ، ثم انتقل إلى المدينة ، وذكر ابن أبى خَيْثَمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسسه ، كان هو أول من وضع حَجَراً فى قِبلته ، ثم جاء أبو بكر بحجَر فوضعه ، ثم جاء عُمَر بحجر فوضعه إلى حَجَرِ أبى بكر ، ثم أخذ الناسُ فى البنيان . فى الخطابى عن الشَّمُوسِ بنت النعمان [بن عامر ابن مجمع الأنصارية] قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجد قباء يأتى بالحجر قد صَهَرَهُ إلى بَطْنه ، فيضعه فيأتى الرجل يريد أن يُقِلّه فلا يستطيع حتى يأمره أن يَدَعَه ويأخذَ غيره . يقال : صَهَره وأَصْهَره إذا ألصقه بالشىء ، ومنه اشتقاق الصِّهْر فى القرابة[٢] ، وهذا المسجد أول مسجد بنى فى الإسلام ، وفى أهله نزلت ﴿ فيه رجالٌ يُحِبُّونَ أن يَتَطَهَّروا ﴾ التوبة : ١٠٨ فهو على هذا المسجد الذى أسس على التقوى ، وإن كان قد روى أبو سَعِيدٍ الخُدْرِىّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال : هو

---

(١) فى اللسان: رجل عزب ومعذابة لا أهل له ، ونظيره : مطرابة، ومطواعة. وامرأة عزبة وعزب : لازوج لها . . والجمع أعزاب والعزاب الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء .

(٢) فى رواية أخرى : فمصره إلى بطنه : أى أضافه وأماله .

. . . .

مسجدى هذا ، وفى رواية أخرى قال : وفى الآخر خير كثير ، وقد قال لبنى عمرو بن عوف حين نزلت : « لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التَّقوى » ما الطُّهور الذى أثنى الله به عليكم ؟ فذكروا له الاستنجاء بالماء بعد الاستِجْمَارِ بالحجر ، فقال : هو ذا كم فَعَلَيْكُمُوه »[1] وليس بين الحديثين تعارضٌ كلاهما أُسِّس على التقوى ، غير أن قوله سبحانه: من أول يوم يقتضى مسجد قباء لأن تأسيسه كان فى أول يوم من حُلول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دار معجزته والبلد الذى هُو مُهَاجَرهُ .

التاريخ العربى :

وفى قوله سبحانه : ﴿ من أول يوم ﴾ وقد عُلم أنه ليس أول الأيام كلها، ولا أضافه إلى شىء فى اللفظ الظاهر [فتعين أنه أضيف إلى شىء مضمر] فيه من الفقه صحة ما اتفق عليه الصحابة مع عمر حين شاورهم فى التاريخ ، فاتفق رأيهُم أن يكون التاريخُ من عام الهجرة لأنه الوقت الذى عزَّ فيه الإسلام ، والذى أَمِرَ فيه النبىُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأسس المساجدَ . وَعَبَد الله آمنا كما يحب[2] ، فوافق رأيهُم هذا ظاهر التنزيل ، وفهمنا الآن بفعلهم أن قوله

(١) ورد هذا فى روايات بينها وبين بعضها خلاف فى الطبرانى وأحمد وابن خزيمة . وقد أخرج عبد الرزاق والبخارى عن عروة وابن عائذ عن ابن عباس : الذى بنى فيهم المسجد الذى أسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف . ولكن ورد فى مسلم وأحمد والترمذى عن أبى سعيد الخدرى أنه مسجد المدينة ، وبهذا جزم الإمام مالك .

(٢) نقل الحافظ فى الفتح عبارة السهيلى ،فقال : « وأفاد السهيلى أن الصحابة أخذوا التاريخ بالهجرة من قوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) لأن من

. . . .

المعلوم أنه ليس أول الأيام مطلقا، فتبين أنه أضيف إلى شيء مضمر، وهو أول الزمن الذى عز فيه الإسلام، وعبد فيه النبى «ص» ربه آمنا، وابتدأ بناء المسجد، فوافق رأى الصحابة ابتداء التاريخ من ذلك اليوم، وفهمنا من فعلهم أن قوله تعالى من أول يوم أنه أول أيام التاريخ الإسلامى. كذا قال - يعنى السهيلى» ويعقب الحافظ على هذا بقوله: «والمتبادر أن معنى قوله من أول يوم أى دخل فيه النبى «ص» وأصحابه المدينة، والله أعلم».

ويقـــول ابن المنير: «كلام السهيلى تكلف وتعسف وخروج عن تقدير الأقدمين، فإنهم قدروه: من تأسيس أول يوم فكأنه قيل: من أول يوم وقع فيه التأسيس وهذا تقدير تقتضيه العربية» ص ٣٥٣ جـ ١ المواهب. وعن أمر التاريخ روى الحاكم فى الإكليل عن الزهرى أن النبى «ص» هو الذى أمر بالتاريخ وهو بقباء. والحديث معضل والمشهور خلافه. وأخرج أبو نعيم الفضل بن دكين فى تاريخه ومن طريقه الحاكم من طريق الشعبى أن أبا موسى كتب إلى عمر إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ، فجمع عمر الناس، فقال بعضهم. أرخ بالمبعث، وبعضهم: بالهجرة، فقال عمر: الهجرة فرقت بين الحق والباطل، فأرخوا بها أو بالمحرم، لأنه منصرف الناس من حجهم، فاتفقوا عليه، وذلك سنة سبع عشرة، وقيل كما روى ابن خيثمة عن ابن سيرين سنة سبع عشرة. وقيل: ست عشرة فى ربيع الأول. . . والذى يفهم من مجموع الآثار أن الذى أشار بالمحرم عمر وعثمان وعلى. . وقيل: إن أول من أرخ يعلى بن أمية حين كان باليمن حكاه مغلطاى، ورواه أحمد بإسناد صحيح عن يعلى لكن فيه انقطاع بين عمرو بن دينار ويعلى. ويقول الزرقانى: «ولم يؤرخوا بالمولد ولا بالمبعث، لأن وقتهما لا يخلو من نزاع من حيث الاختلاف فيهما، ولا بالوفاة النبوية لما يقع فى تذكره من الأسف والتألم على فراقه ص ٢١٤ جـ ٧ فتح البارى وص ٣٥٢ جـ ١ شرح المواهب وأقول من يتدبر كلمة عمر رضى الله عنه فى وصف الهجرة يعرف لماذا اختاروا التاريخ بالهجرة دون غيره، وعن التاريخ العربى انظر كتاب المحبر لمحمد بن حبيب ص ٥ ط الهند.

. . . .

سبحانه من أول يوم أن ذلك اليوم هو أول أيام التاريخ الذى يورَّخ به الآن، فإن كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا هذا من الآية ، فهو الظن بأفهامهم ، فهُم أعلمُ الناسِ بكتاب الله وتأويله ، وأفهَمُهم بما فى القرآن من إشارات وإفصاح ، وإن كان ذلك منهم عن رأيٍ واجتهاد ، فقد علم ذلك منهم قبل أن يكونوا وأشار إلى صحته قبل أن يفعل ، إذ لا يعقل قول القائل : فعلته أول يوم إلا بإضافةٍ إلى عامٍ معلوم أو شهرٍ معلوم ، أو تاريخ معلوم، وليس هاهنا إضافة فى المعنى إلا إلى هذا التاريخ المعلوم لعدم القرائن الدالة على غيره من قرينة لفظ أو قرينة حال فتدبره ففيه معتبرٌ لمن اذَّكَّر وعِلْمٌ لمن رأى بعين فؤاده واسْتَبْصَر والحمد لله .

مِنْ ودخولها على الزمان :

وليس يحتاج فى قوله من أول يوم إلى إضمار كما قرره بعضُ النحاة : من تأسيس أول يوم ، فراراً من دخول مِنْ على الزمان ، ولو لفظ بالتأسيس لكان معناه من وقت تأسيس أول يوم ، فإضماره للتأسيس لا يفيد شيئاً ، ومِنْ تدخل على الزمان ، وغيره، ففى التنزيل ﴿ من قبل ومن بعد ﴾ والقَبْل والْبَعْد زمان ، وفى الحديث : مامن دابة إلا وهى مُصِيخَةٌ(١) يوم الجمعة من حين تطلع الشمس إلى أن تغرب ، وفى شعر النابغة [فى وصف سيوف] :

---

(١) يروى : مسيخة أى مصغية .

. . . .

تُوُرِّثْنَ من أَزْمَانِ يوم حَلِيمةٍ ... إلى اليوم قد جُرِّبْنَ كلَّ التَّجَارِبِ (٢)

(١) جاء فى مغنى اللبيب عن من ما يأتى تأتى على خمسة عشر وجها أحدها : ابتـــداء الغاية ، وهو الغالب عليها حتى ادعى جماعة أن سائر معانيها راجعة إليه ، وتقع لهذا المعنى فى غير الزمان نحو : من المسجد الحرام . إنه من سليمان قال الكوفيون والأخفش والمبرد وابن درستويه : وفى الزمان أيضا بدليل : من أول يوم ، وفى الحديث : فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة . وقال النابغة :

تخيرن من أزمان يوم حليمة ... إلى اليوم قد جربن كل التجارب

وقيل : التقدير من مضى أزمان يوم حليمة ، ومن تأسيس أول يوم ، ورده السهيلى بأنه لو قيل هكذا لاحتيج إلى تقدير الزمان ، وعلق الأمير فى حاشيته على هذا بقوله : « الظاهر أنه لارد وأنه لامانع من جعله نفس المضى ، والتأسيس مبدأ كما تجعل الدار مبدأ للخروج ، ولا حاجة لتقدير زمن ، ثم معنى ابتداء الخروج مثلا من الدار أنه أول ماتحقق نشأ منها وكذا ابتداء العلم من زيد فى قولك أخذت العلم من زيد ، وليس بلازم أن الخروج مثلا أمر ممتد له مبدأ لما أنه يقال : خرجت من الدار بمجرد مفارقته لها ، وكذلك الابتداء فى إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة أى نداء ناشئا من يوم الجمعة ، وأما من أول يوم ، فالمراد بالتأسيس فيه : الوضع والبناء لاخصوص وضع الأساس الذى لا يمتد ، وتوقف الرضى فى معنى الابتداء فى الآيتين ، وقال : الظاهر أنها بمعنى فى ، ونيابة حروف الجر بعضها عن بعض غير عزيزة ، ثم قال : الظاهر مذهب الكوفيين ، وأنها تأتى للابتداء فى الزمان إذ لامانع من قولك صمت من أول الشهر إلى آخره . ونمت من أول الليل إلى آخره ، وأقول إن من تفيد ابتداء الغاية المكانية باتفاق من البصريين والكوفيين ، بدليل أن الغاية تنتهى بعدها . ويرى الكوفيون والأخفش والمبرد وابن درستويه وبعض البصريين أنها تفيد أيضا ابتداء الغاية الزمانية . والشاهد ماذكر والحديث المروى فى البخارى : فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة ، وقول بعض العرب الذى رواه الأخفش فى المعانى : من الآن إلى الغد .

. . . .

[تَقُد السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ ويُوقِدْنَ بالصُّفَّاح نارَ الْحُبَاحِبِ]

وبين مِنْ الداخلة على الزمان ، وبين منذ فرق بديع قد بيناه فى شرح آية الوصية[1].

والبيت للنابغة الذبيانى كما قال من قصيدته التى مدح بها النعمان وأولها :

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطىء الكواكب

والرواية المشهورة : تخيرن بدلا من تورثن . والشاهد فى البيت قوله : من أزمان حيث جاءت من هنا لابتداء الغاية أى المسافة فى الزمان ، وقد أجاب البصريون القائلون بأنها لابتداء الغاية فى المكان فقط عن هذا بقولهم إن فى البيت حذف مضاف : أى من استقرار زمان يوم حليمة ورد عليهم بأن الأصل عدم الحذف .

ويوم حليمة نسبة إلى حليمة بنت الحارث ن أبى شمر ملك غسان ولخم ، وكان أبوها وجه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء ، فأخرجت لهم طيبا فطيبتهم ، فقالوا مايوم حليمة بسر . يضرب مثلا فى كل أمر متعالم مشهور . وقال المبرد : هو أشهر أيام العرب. وفى هذا اليوم قتل المنذر ، وقيل قتل فى يوم عين أباغ وهو يوم وقعة بين غسان ولخم أيضا . أنظر مجمع الأمثال رقم ٣٨١٤ حـ ١ السنة المحمدية والتصريح على التوضيح لابن هشام والأزهرى ص ٧ حـ ٢ ط مصطفى محمد ، ص ٢٠٥ شرح شواهد ابن عقيل للشيخ عبدالمنعم الجرجاوى ص ١٩١٤م ص ١٣ حـ ٢ من مغنى اللبيب لأبى محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن عبد الله بن هشام ط ١٣٢٨هـ » .

(١) أنظر معنى منذ ومذ فى مغنى اللبيب تحت المادة . وفى نوادر أبى زيد : « منذ ومذ لابتداء الغاية فى الزمان، ومن لابتداء الغاية فى سائر الأشياء والزمان وإن انفرد بمنذ ومذ ، فالأصل فيه أن تدخل عليه من » ص ٢١ .

. . . .

تحلحل وتلحلح :

فصل : وذكر لقاء كل قبيلة من الأنصار له يقولون : هَلُمَّ إلينا يارسول الله إلى العَدَد والعُدَّة ، فيقول : خَلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة حتى بَرَكَت بموضع مسجده ، وقال تَحَلْحَلَتْ ورَزَمَتْ وألقت بِجِرَانِها أى : بعنقها ، وفسره ابن قتيبة على تَلَحْلَحَ أى : لَزِم مكانه . ولم يبرح ، وأنشد :

أناس إذا قيل انفِروا قدأُتِيتُمُ   أقاموا على أثقالِهِمْ وتَلَحْلَحُوا

قال : وأما تَحَلْحَلَ بتقديم الحاء على اللام فمعناه: زال عن موضعه ، وهذا الذى قاله قوى من جهة الاشتقاق ، فإن التَلَحْلُح يشبه أن يكون من لَحِحَتْ عينُه : إذا التصقت ، وهو ابن عَمِّى لَحًّا[1] .

---

(١) فى اللسان « لححت عينه تلحح لححا بإظهار التضعيف ، وهو أحد الأحرف التى أخرجت على الأصل من هذا الضرب منبهة على أصلها ودليلا على أولية حالها ، والإدغام لغة ، وفى إصلاح المنطق لابن السكيت : « كل ما كان على فعلت ساكنة التاء من ذوات التضعيف ، فهو مدغم نحو : صمت المرأة وأشباهه إلا أحرفا جاءت نوادر فى إظهار التضعيف ، وهى : لححت عينه : إذا التصقت ، ومنه قيل : هو ابن عمى لحاً ، وهو ابن عم لح ولح . وقد مششت الدابة وصككت ، وقد ضبب البلد : إذا كثر ضبابه ، وقد ألل السقاء : إذا تغيرت ريحه ، وقد قطط شعره » ص ٢٤٣ إصلاح المنطق لابن السكيت ط المعارف وفى اللسان : « وهو ابن عم لح فى النكرة بالكسرة لأنه نعت للعم ، وابن عمى لحا فى المعرفة أى : لازق النسب من ذلك ، ونصب لحا على الحال ، لأن ماقبله معرفة ، والواحد والاثنان والجميع والمؤنث فى هذا سواء بمنزلة الواحد . وقال اللحيانى : هما ابنا عم لح ولحا وهما ابنا خالة ، ولا يقال: هما ابنا خال لحا ، ولا ابنا عمة لحا لأنهما

. . . .

وأما التَّحَلْحُلُ : فاشتقاقُه من الحَلِّ والانحلال بَيِّن ، لأنه انفِكاكُ شَيء من شيء ، ولكن الرواية في سيرة ابن إسحاق : تَحَلْحَلَتْ بتقديم الحاء على اللام ، وهو خلاف المعنى إلا أن يكون مقلوبا من تَلَحْلَحَتْ ، فيكون معناه:لصقت بموضعها ، وأقامت على المعنى الذى فسره ابن قتيبة فى تَلَحْلَحَتْ.

وأما قوله : ورَزَمَت فيقال : رَزَمت الناقة رُزُوماً إذا أقامت من الكَلَال ونُوقٌ رَزْمَى ، وأما أرْزَمَتْ بالألف ، فمعناه : رَغَتْ ، ورجَّعت فى رُغَائها ، ويقال منه : أرْزَمَ الرعدُ ، وأرْزَمَت الريحُ قاله صاحب العين ، وفى غير هذه السيرة : أنها لما ألقت بِجِرَانها فى دار بنى النجار جعلَ رجُلٌ من بنى سَلِمَة ، وهو جَبَّارُ بن صَخْرٍ يَنْخُسُها رجاء أنْ تقومَ فتَبْرُك فى دارِ بنى سَلِمة ، فلم تفعل .

المربد وصاحباه :

وقوله كان المسجد مِرْبداً . المِرْبَدُ والجَرِينُ [والجُرْنُ والمِجْرَنُ] والمِسْطَحُ[1] وهو بالفارسية : مشطاح والجوخار والبَيْدَرُ والأَنْدَر لغاتٌ بمعنى واحد الموضع الذى يُجْعَل فيه الزرع والتمرُ للتَّيْبِيسِ ، وأنشد أبو حنيفة فى المِسْطَح [لتميم بن مُقْبِل] :

مفترقان ، إذ هما رجل وامرأة ، وإذا لم يكن ابن العم لحا ، وكان رجلا من العشيرة قلت : هو ابن عم الكلالة ، وابن عم كلالة ،هذا والبيت الذى أنشده بن قتيبة هو لابن مقبل وروايته

فى اللسان : يحى إذا قيل : اطعنوا . . . إلخ.

(١) المسطح تكسر ميمه وتفتح .

. . . .

ترى الْأَمْعَزَ الْمَحزُوَّ فيه كأنه ... من الحَرِّ فى نَحْرِ الظَّهِيرَةِ مِسْطَحُ(١)

قال : والْمَحزوُّ من : حَزَوْتُ الشيء : إذا أظهرته . والْمِسْطَحُ هو بالفارسية : مشطح ، وأما الْمِسْطَحُ الذى ، هو عُود الْخِباء فَعَرَبيَّة .

وذكر أن ذلك الْمِرْبد كان لِسَهْلٍ وسُهَيْل ابنى عَمْرٍو يتيمين فى حِجْرِ مُعَاذ بن عَفْراء ولم يعرفهما بأكثر من هذا ، وقال موسى بن عُقْبة : كانا يتيمين فى حِجْرِ أسعد بنُ زرَارَة(٢) وهما ابنا رافع بن عَمْرو بن أبى عمرو بن عُبَيْد ابنَ ثَعلبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجَّار شهد سُهَيْلٌ منهما بدرا ، والمشاهِدَ كلَّها ، ومات فى خلافة عُمَر يشهد سَهْلٌ بدراً ، وشهد غيرَها ومات قبل أخيه سُهَيْلٍ .

حول بنيان المسجد :

فصل : وذكر بُنْيَانَ المسجد إلى آخر القصة ، وفى الصحيح أنه قال : يابنى النجار ثَامِنُونى بحائطكم(٣) [هذا] حين أرادَ أن يتخذَه مَسْجِداً ، [فقالوا: لا ، والله

(١) روايته فى اللسان :

إذا الأمعز المحزو آض كأنه ... من الحر فى حد الظهيرة مسطح

وقد ذكره اللسان لبيان أن المسطح معناه : حصير يسف من خوص الدوم لا أن المسطح هو البيدر . والأمعز : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة أو المكان الصلب الكثير الحصى وقد فسر الأصمعى المربد بقوله : كل شيء حبست فيه الإبل أو الغنم ، وبه سمى مربد البصرة ، لأنه كان موضع سوق الإبل .

(٢) فى رواية أبى ذر وحده : سعد بن زرارة ، وفى رواية الباقين : أسعد ، وهو الوجه : لأن أخاه سعدا تأخر إسلامه . وحكى الزبير أنهما كانا فى حجر أبى أيوب .

(٣) فى رواية للبخارى : ثامنونى حائطكم .

. . . .

لانطلب ثمنه إلا إلى الله ، وفى رواية أخرى فى الصحيح أيضا : « ثم دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا ، فقالا : بل نهبه لك يارسول الله ،ثم بناه مسجدا]، وقد ترجم البخارى على هذه المسألة لفقه ، وهو أن البائع أولى بتسمية الثمن الذى يطلبه ، قال أنس : وكان فى موضع المسجد نَخْلٌ وخِرَبٌ ومقابر مشركين ، فأمر بالقبور فنُبِشَتْ وبالخِرَبِ(١) فَسُوِّيَتْ ، وبالنَّخلِ فَقُطِعَتْ .

ويُروى فى هذا الحديث نَخْل وحَرْث مكان قوله : وخِرَبٌ ، وروى عن الشِّفاء بنت عبد الرحمن الأنصارية قالت : كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين بنى المسجدَ يؤُمُّه جبريلُ إلى الكعبة ويقيم له القبلة .

---

(١) بكسر الخاء وفتح الراء ، وقال الخطابى : أكثر الرواة بالفتح ، ثم الكسر ، وحدثناه الخيام بالكسر ثم الفتح ، ثم حكى احتمالات منها : الخرب : بضم أوله وسكون ثانيه ، وهى الخروق المستديرة فى الأرض ، والجرف بكسر الجيم وفتح الراء : ماتجرفه السيول وتأكله من الأرض ، والحدب : المرتفع من الأرض بفتح الحاء والدال . قال : وهذا لائق بقوله : فسويت لأنه إنما يسوى المكان المحدوب وكذا الذى جرفته السيول ، وأما الخراب ، فيبنى ويعمر دون أن يصلح ويسوى . . ورد الحافظ فى الفتح عليه : وما المانع من تسوية الخراب بأن يزال مابقى منه ، ويسوى أرضه ، ولاينبغى الالتفات إلى هذه الاحتمالات مع توجيه الرواية الصحيحة . « ص ٢٠٣ ج ٧ فتح البارى ط ١٣٤٨ . وفى بعض الروايات عن معمر عن الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر أن يعطيهما ثمنه وقال غير معمر : أعطاهما عشرة دنانير ، وعند الزبير أن أبا أيوب أرضاهما عن ثمنه .

. . . .

وذكر فيه قول الرجل لعَمَّار : قد سمعتُ ماتقول يابن سُمَيَّة . قال ابن هشام : وقد سمى ابن إسحاق الرجل ، وكره ابن هشام أن يسميه كى لايُذْكَر أحدٌ من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكروه ، فلا ينبغى إذاً البحثُ على اسمه .

سمية أم عمار :

وسُمَيَّة : أم عمار وقد تقدم التعريف بها فى الهجرة الأولى ونبهنا على غلط ابن قتيبة فيها فإنه جعلها وسُمَيَّة أمَّ زياد واحدةً وسُمَيَّة أم زياد كانت للحارث بن كَلَدَة المتطبِّب ، والأولى : مَوْلَاةٌ لبنى مَخْزُوم وهى سُمَيَّة بنت خباط(١) ، كما تقدم ، وكان أهدى سُمَيَّة إلى الحرث رَجُلٌ من مُلوك اليَمن: يقال له أبو جَبْر، وذلك أنه عالجه من داء كان به فبَرِىَٔ ، فوهبها له ، وكانت قبل أبى جبر الملكِ من مُلوك الفرس وفَد عليه أبو جَبْر ، فأهداها إليه الملكُ ذكره ابن قُتَيْبَة(٢) ، وفى جامع مَعْمَر بن راشد أن عمارا كان يَنْقُل فى بُنْيَان المسجِد لَبِنَتَيْن ، لَبِنة

(١) فى الإصابة: سمية بنت خباط بمعجمة مضمومة ، وموحدة ثقيلة ، ويقال: بمثناة - أى ياء - تحتانية ، وعند الفاكهى : سمية بنت خبط بفتح أوله بغير ألف كانت سابعة سبعة فى الإسلام . وما يذكره السهيلى ذكره أبو عمر . أما سمية أم زياد فذكرها ابن حجر فى القسم الثالث ، او قال : ولم يرد ما يدل على أنها رأت النبى «ص» وأنها ولدت للحارث بن كلدة التى كان يطؤها بملك اليمين : نافعا ونفيعا : فانتفى منه لأنه رآه أسود ، ثم وهبها لزوجته ، فزوجتها عبدا روميا لها ، فولدت له زيادا فأعتقته صفية زوجة الحارث .

(٢) فى الإصابة أن الكوى اليشكرى سبي سمية من الروم ، ثم وهبها للحارث ابن كلدة ووهم ابن قتيبة هذا وفى كتابه المعارف ص ٧٦ ط ١٣٠٠ هـ .

. . . .

عنه ، ولَبِنةً عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والناس ينقلون لَبِنةً واحدة ، فقال له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للناسِ أجرٌ ولك ، أجران ، وآخر زادك من الدنيا شَرْبَةُ لبن ، وتقتلك الفِئَة الباغية فلما قُتِل يوم صِفِّين دخل عَمْروٌ على معاوية فَزِعا ، فقال : قُتِل عَمَّارٌ ، فقال معاوية : فماذا ؟ فقال عَمْرو : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : تقتله الفئة الباغية ، فقال معاوية دَحَضْتَ فى بَوْلِك[1] ، أنحن قتلناه ؟ إنما قتله من أخرجه[2] ؟!

---

(١) زلقت .

(٥) وروى البيهقى فى الدلائل هذا الحديث عن عبد الرحمن السلمى أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص ، يقول لأبيه عمرو : قد قتلنا هذا الرجل ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ماقال ، قال : أى رجل ؟ قال : عمار بن ياسر ، أما تذكر يوم بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فكنا نحمل لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين إلخ وهذا يقتضى أن هذا البناء كان فى الخامسة من الهجرة أو بعدها ، لأن عمراً أسلم فى الخامسة ! ! ويقول الإمام ابن تيمية تعليقا على حديث : تقتلك الفئة الباغية « تكلم فيه بعضهم ، وبعضا تأوله على أن الباغى : الطالب ، وهذا لاشىء ، وأما السلف كأبى حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم ، فيقولون لم يوجد شرط قتال الطائفة الباغية ، فإن الله لم يأمر بقتالها ابتداء ، بل أمر إذا اقتتلت طائفتان أن يصلح بينهما ، ثم : إن بغت إحداهما قوتلت ، ولهذا كان هذا القتال عند أحمد ومالك قتال فتنة ، وأبو حنيفة يقول : لايجوز قتال البغاة حتى يبدءوا بقتال الإمام ، وهؤلاء لم يبدءوا ، وفى مكان آخر يقول : « كان على ومعاوية رضى الله عنهما أطلب لكف الدماء من أكثر المقتتلين ، لكن غلبا فيما وقع ، والفتنة إذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها ، وكان فى العسكرين مثل الأشتر النخعى ، وهاشم بن عتبة المرقال ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وأبى الأعور السلمى ، ونحوهم من المحرضين على القتال . قوم ينتصرون لعثمان غاية الانتصار ، وقوم ينفرون عنه ، وقوم ينتصرون لعلى ، وقوم ينفرون عنه ،

. . . .

إضافة بناء المسجد إلى عمار :

وذكر ابن إسحاق فى هذا الموضع الحديث الوارد فى عَمَّار ، وهو : أولُ من بنى لله مسجداً عمارُ بن ياسر ، فيقال : كيف أضاف إلى عمار بنيان المسجد ، وقد بناه معه الناس ؟ فيقول إنما عنى بهذا الحديث مسجد قُبَاء ، لأن عماراً هو الذي أشار على النبى – صلى الله عليه وسلم – ببنيانه ، وهو جمع الحجارة له ، فلما أسَّسه رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم استَتَمَّ بنيانَه عمارٌ .

أطوار بناء المسجد :

كذلك ذكر ابن إسحاق فى رواية يونس بن بكير عنه : وبُنى مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسقف بالجريد وجعلت قبلته من اللَّبِن ، ويقال : بل من حِجَارةٍ مَنْضُودةٍ بعضُها على بعض ، وجُعِلَت عُمُدُه من جُذُوع

وقتال الفتنة مثل قتال الجاهلية لاتنضبط مقاصد أهله واعتقاداتهم » ص ٢٦٣ ولقد حاول ملك الروم استغلال معركة صفين ، لحشد جيوشا كثيرة وحاول الاقتراب من الحدود الإسلامية ، فكتب إليه معاوية رضى الله عنه : « والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك ، لأصطلحن أنا وابن عمى عليك ، ولأخرجنك من جميع بلادك ، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت » فجبن ملك الروم حـ ٨ ص ١٨٩ البداية والنهاية لابن كثير . ويقول الأستاذ محب الخطيب : « وكان معاوية يعرف من نفسه أنه لم يكن منه البغى فى حرب صفين لأنه لم يردها ، ولم يبتدئها ، ولم يأت لها إلا بعد أن خرج على من الكوفة ، وضرب معسكره فى النخيلة ليسير إلى الشام ، ولذلك لما قتل عمار قال معاوية : إنما قتله من أخرجه » انظر ص ٢٥١ ، ص ٢٦٣ من كتاب المنتقى للامام الذهبي الذى اختصر فيه كتاب منهاج السنة للامام ابن تيمية .

. . . .

ٱلنخْل ، فنَخِرَتْ فى خلافة عُمَر فجرّدها ، فلما كان عثمان بناه بالحجارة المنقوشة بالْقَصَّة وسَقَفَه بالسَّاج[1] ، وجعل قبلتَه من الحجارة ، فلما كانت أيام بنى العباس بناه محمدُ بن أبى جَعْفر المتسمى بالْمَهْدى ، ووسعه وزاد فيه ، وذلك فى سنةِ ستين ومائةٍ ، ثم زاد فيه المأمونُ بن الرَّشيد فى سنة ثنتينِ ومائتينِ ، وأتقن بنيانه ، ونقشَ فيه : هذا ما أمر به عبدُ الله المأمون فى كلام كثيرٍ كَرِهْتُ الإطالة بذكره ، ثم لم يبلغنا أن أحداً غيَّر منه شيئا ، ولا أحدث فيه عملا .

بيوت النبى صلى الله عليه وسلم :

وأما بيوته عليه السلام فكانت تسعةً ، بعضُها من جريدٍ مُطَيَّن[2] بالطِّين وسقفها جريد ، وبعضها من حِجارة مَرْضُومَة ، بعضُها فوق بعض ، مسقفة بالجريد أيضاً . وقال الحسن بن أبى الحسن[3] : كنت أدخل بيوت النبى

---

(١) القصة : الجص لغة حجازية ، وتقصيص الدار : تجصيصها والساج : ضرب من الشجر يعظم جدا ، ويذهب طولا وعرضا ، وله ورق كبير ، يتغطى الرجل بورقة منه فيقيه المطر ، واحدته : ساجة « المعجم الوسيط » ورواية الصحيحين عن القبلة : « فصفوا النخل قبلة المسجد ، وجعلوا عضادتيه الحجارة » وعضادتا الباب : خشبتان منصوبتان مثبتتان فى الحائط على جانبيه ويقال إن معنى صف النخل قبلة له : جعلها سوارى فى جهة القبلة ، ليسقف عليها ، كما فى الصحيح من أن عمده كانت خشب النخل .

(٢) ينكر بعضهم هذه اللغة ، ويقول ، طانه من باب باع ، فهو مطين بفتح فكسر .

(٣) ذكر فى إعلام الساجد لمحمد بن عبد الله الزركشى أنه : الحسن البصرى وذكر أنه نقله عن السهيلى . انظر ص ٢٢٤ .

. . . .

عليه السلام ، وأنا غلام مراهق ، فأنال السقف بيدى ، وكانت حُجَرُه - عليه السلام - أكْسِيَةً من شعر مربوطة فى خشب عَرْعَر[١] وفى تاريخ البخارى أن بابه - عليه السلام - كان يُقْرَع بالأظافر ، أى لا حَلَق له ، ولما تُوفِّى أزواجُه عليه السلام خُلطت البيوتُ والُحجَر بالمسجد ، وذلك فى زمن عَبْد الملك ، فلما ورد كتابُه بذلك ضَجَّ أهلُ المدينة بالبكاء ، كيوم وفاته عليه السلام ، وكان سريُره خَشَباتٍ مشدودةً بالليف ، بيعت زمن بنى أُمَيَّة ، فاشتراها رجل بأربعة آلاف درهم قاله ابن قتيبة . وهذا يدل على أن بيوته عليه السلام إذا أضيفت إليه ، فهى إضافة مِلْكٍ ، كقوله تعالى : ﴿ لَاتَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبى ﴾ وإذا أضيفت إلى أزواجه كقوله : ﴿ وَقَرْنَ فى بُيُوتِكُنَّ ﴾ فليست بإضافةِ ملْكٍ ، وذلك أن ما كان مِلْكا له عليه السلام ، فليس بمَوْرُوثٍ عنه[٢] .

---

(١) جنس أشجار وجنبات من فصيلة الصنوبريات . فيه أنواع تصلح للأخراج وللتزيين أنواعه كثيرة « المعجم الوسيط » وفى القاموس أنه شجر السرو فارسية.

(٢) وعن المسجد والبيوت روى عن النوار بنت مالك أم زيد بن ثابت أنها رأت أسعد بن زرارة قبل أن يقدم رسول الله « ص » يصلى بالناس الصلوات الخمس ، ويجمع بهم فى مسجد بناه فى مربد سهل وسهيل ابنى رافع ابن أبى عمرو بن عايد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار قالت : فأنظر إلى رسول الله « ص » لما قدم صلى بهم فى ذلك المسجد وبناه ، فهو مسجده اليوم .

ووقع فى رواية عطاف بن خالد عند ابن عايد أنه « ص » صلى فيه — وهو عريش — اثنى عشر يوما ، ثم بناه ، وسقفه وسيأتى ما يشهد له .

وروى أحمد عن طلحة بن على قال : جئت إلى النبى « ص » وأصحابه يبنون

. . . .

المسجد ، قال : فكأنه لم يعجبه عملهم ، قال : فأخذت المسحات ، فخلطت بها الطين ، فكأنه أعجبه أخذى المسحاة وعملى ، فقال : دعوا الحنفى والطين ، فإنه من أصنعكم للطين. وفى كتاب رزين أن الصحابة لما كثروا قالوا : يا رسول الله لو زيد فيه ، ففعل ، فرفعوا أساسه قريباً من ثلاثة أذرع بالحجارة وجعلوا طوله مما يلى القبلة إلى مؤخره مائة ذراع ، وكذا فى العرض . وكان مربعا .

وفى حديث حصار عثمان يأتى قول عثمان : أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو . أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يبتاع مربد بنى فلان غفر الله له، فابتعته بعشرين ألفا ، أو خمسة وعشرين ألفا ، فأتيت النبى « ص » فقلت : قد ابتعته ، فقال : جعله فى مسجدنا ، وأجره لك ؟ قالوا : اللهم نعم ،

هذا وقد ورد فى ذرع المسجد هذا عدة روايات : فهو سبعون ذراعا فى ستين أو يزيد « الذراع المقصود ذراع الآدمى » ، أو هو مائة ذراع فى مائة وأنه مربع ، أو هو : أقل من مائة ، وقيل إنه بناه أولا أقل من مائة فى مائه ثم بناه وزاد عليه مثله فى الدور ، وليس المراد هنا فى هذه الرواية مثله فى الأذرع لأنه كان حتى نهاية القرن التاسع الهجرى لا يبلغ مائة وخمسين ذراعا والرواية الأولى بالقبول أنه كان سبعين فى ستين .

الصفة : هى — كما قال ابن حجر — مكان فى مؤخر المسجد مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ، ولا أهل ، وكانوا يكثرون فيه ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر . وعن ابن سعد أن أهل الصفة كانوا أناسا فقراء لا منازل لهم . فكانوا ينامون فى المسجد لا مأوى لهم غيره ، وقريب من هذا فى البخارى .

الزيادات فى المسجد : روى البخارى وأبو داود عن نافع أن عبد الله ابن عمر أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مبنيا باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً ، وزاد فيه عمر ، وبناه على بنائه فى عهد رسول الله « ص » باللبن والجريد ، وأعاد عمده خشبا ، ثم غيره عثمان ، فزاد فيه زيادة كبيرة ، وبنى جداره

. . . .

بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج .

زيادة عمر : فى الحديث السابق ورد أن عمر زاد فيه ، وقد روى أحمد عن نافع أن عمر « رض » زاد فى المسجد من الأسطوانة إلى المقصورة ، وقال عمر : لولا أنى سمعت رسول الله « ص » يقول : ينبغى أن نزيد فى المسجد ما زدت فى المسجد شيئا . وذكر ابن سعد أنه لما كثر المسلمون فى عهد عمر رضى الله عنه - وضاق بهم المسجد ، اشترى عمر ما حول المسجد من الدور إلا دار العباس بن عبد المطلب وحجر أمهات المؤمنين . ولكن العباس تصدق بداره ، فقبلها عمر ، وأدخلها فى المسجد - وروى البيهقى نحوه فى كتاب الرجعة عن أبى هريرة . وحسبنا هذا

زيادة عثمان : لما ولى عثمان كلمه الناس أن يزيد فى مسجدهم ، وشكوا إليه صفة يوم الجمعة حتى إنهم ليصلون فى الرحاب . فشاور عثمان أهل الرأى ، فأجمعوا على أن يهدمه ويزيد فيه وفى البخارى ومسلم عن عبيد الله الخولانى أنه سمع عثمان عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول « ص » إنكم قد أكثرتم ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من بنى مسجدا لله بنى الله له فى الجنة مثله ، وفى مسلم أنه أراد بناء المسجد ، فكره الناس ذلك ، وأحبوا أن يدعه على هيئته .

وقد روى أن عثمان بدأ بهذا فى شهر ربيع الأول من سنة تسع وعشرين وأنه فرغ منه حين دخلت السنة لهلال المحرم سنة ثلاثين ، أو قبل أن يقتل بأربع سنين ويروى أن القصة « الجص » كانت تحمل إلى عثمان ، وهو يبنى مسجد رسول الله - ص - من بطن نخل ، وأنه كان يقوم على رجليه ، والعمال يعملون فيه ، حتى تأتى الصلاة ، فيصلى بهم ، وربما نام ثم رجع ، وربما نام فى المسجد . وعن خارجة بن زيد قال : هدم عثمان بن عفان المسجد ، وزاد فى قبلته ، ولم يزد فى شرقيه ، وزاد فى غربيه قدر اسطوانه ، وبناه بالحجارة المنقوشة والقصة وعسب النخل والجريد وبيضه بالقصة ، وقدر زيد بن ثابت أساطينه ، فجعلها على قدر

. . . .

النخل ، وجعل فيه طبقانا مما يلى المشرق والمغرب ، وزاد فيه إلى الشام خمسين ذراعا . .

وهناك عدة روايات أخرى بعضها يقارب هذه والآخر يباعدها

زيادة الوليد بن عبد الملك : نقل رزين أن المسجد بعد أن زاد فيه عثمان « رضى الله عنه لم يزد فيه على ولا معاوية رضى الله عنهما ، ولا يزيد ولا مروان ولا ابنه عبد الملك شيئا ، حتى كان الوليد بن عبد الملك وكان عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة ، ومكة ، فبعث الوليد إلى عمر بن عبد العزيز بمال ، وقال له : من باعك ، فأعطه ثمنه ، ومن أبى فاهدم عليه ، وأعطه المال ، فان أبى أن يأخذه فاصرفه إلى الفقراء . وقد روى أن عمر اشترى ما حول المسجد من المشرق والمغرب والشام ، وأنه أراد ابتياع بيت حفصة رضى الله عنها ، فأرسل إلى رجال من آل عمر ، وانتهى الأمر إلى هدم البيت لإدخاله فى المسجد ، وإلى إعطائهم طريقا إلى المسجد تنتهى إلى الأسطوانة ، مع توسعتها . وكانت قبل ذلك ضيقة قدر ما يمر الرجل منحرفا .

هذا وتجمع أخبار المؤرخين على أن حجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أدخلت فى المسجد بأمر الوليد ، ويقول عطاء الخراسانى : حضرت كتاب الوليد يقرأ يأمر بإدخال حجر أزواج النبى « ص » فما رأيت يوما كان أكثر باكيا من ذلك اليوم . قال عطاء : فسمعت سعيد بن المسيب يقول : والله لوددت أنهم تركوها على حالها . ويقول عبد الله بن زيد الهذلى أنه رأى بيوت أزواج النبى « ص » حين هدمها عمر كانت باللبن ولها حجر من جريد مطرود بالطين عددت تسعة أبيات بحجراتها . وكانت الحجرات شرقى المسجد وقبليه ، خارجة من المسجد مديرة به إلا من الغرب ، وهذا الرأى يخالف ما ذكر السهيلى من أنها أدخلت فى زمن عبد الملك . كما أدخل فيه عمر دور عبد الرحمن بن عوف الثلاث التى يقال لها : القرابين ويقال إن الوليد طلب من ملك الروم أن يعينه بعمال وفسيفساء ، فبعث إليه بأحمال منها ، وبعدد من العمال . قيل كانوا ثمانين : أربعين من الروم وأربعين من القبط . ، كما قيل إنه بعث إليه بعدة ألوف من الذهب ، وبأحمال من سلاسل القناديل .

. . . .

ويقال إن عمر هدمه سنة إحدى وتسعين ه وأن البناء كان بالحجارة المنقوشة ، وقصة بطن نخل وعمله بالفسيفساء وهى ألوان من الخرز يركب فى حيطان البيوت والمرمر ، وعمل سقفه بالساج ، وماء الذهب ، وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ، ويقال إن عمر لما صار إلى جدار القبلة دعا مشيخة من أهل المدينة من قريش والأنصار والعرب والموالى ، فجعل لا ينزع حجرا إلا وضع مكانه حجرا ، فكانت زيادة الوليد من المشرق إلى المغرب ست أساطين ، وزاد إلى الشام من الأسطوانة المربعة التى فى القبر أربع عشرة أسطوانة . ومكث فى بنائه ثلاث سنين.

كما روى أن عمل القبط كان مقدم المسجد ، وكانت الروم تعمل ما خرج من المسجد جوانبه ومؤخره ، فقال سعيد بن المسيب عن القبط : عمل هؤلاء أحكم.

ويروى أن عثمان مات وليس فى المسجد شرفات ولا محراب ، وأن أول من أحدث المحراب والشرفات عمر بن عبد العزيز ، وأنه هو الذى عمل الميازيب التى من الرصاص ، ولكن روى من طريق آخر أن الذى عمل الشرفات هو عبد الواحد بن عبد الله وهو وال على المدينة سنة أربع ومائة . وعمر توفى سنة ١٠١ ولما احترق المسجد جددت له شرفات سنة ٧٦٧ فى أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد صاحب مصر . أما مناراته « مآذنه » فأحدثها عمر أيضاً ويشهد لهذا مارواه ابن إسحاق وأبو داود والبيهقى أن امرأة من بنى النجار قالت : كانت بيتى من أطول بيت حول المسجد وكان بلال يؤذن عليه الفجر كل غداة ، فيأتى بسحر ، فيجلس على البيت ، لينظر إلى الفجر ، فإذا رأى تمطى ، ثم قال : اللهم إنى أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك ، قالت : ثم يؤذن .

القبر : حين رزىء المسلمون بموت النبى عليه الصلاة والسلام اختلفوا فى مكان دفنه ، ثم روى لهم أنه يدفن حيث مات . فاهتدوا ، وكان أبو عبيدة يضرح — والضرح هو الشق فى وسط القبر — وأبو طلحة يلحد — واللحد : الشق يعمل فى جانب القبر ، فيميل عن وسطه — فقال الصحابة : نستخير ربنا ، ونبعث إليهما ، فأيهما سبق تركناه ، فأرسل إليهما ، فسبق أبو طلحة ، فلحدوا للنبى كما ورد فى مسند أحمد وسنن ابن ماجة وغيرهما .

. . . .

فلما دفن فى حجرة السيدة عائشة حيث مات قالت ابنته فاطمة : أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله «ص» التراب ، وسكت أنس عن جوابها رعاية لها ، ولسان حاله يقول : لم تطب أنفسنا بذلك إلا لأنا قهرنا على فعله امتثالا لأمره .

وقد روى البخارى فى موضعين من الجنائز ، وفى المغازى ، ومسلم فى الصلاة أن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى لم يقم منه - أو توفى فيه : «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . لولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشى - أو خشى - أن يتخذ قبره مسجدا» ولم يجلس أحد على قبره صلى الله عليه وسلم ولم يصل إليه ، ولا عليه ، لأنه قال - كما روى مسلم : «لا تجلسوا على القبور ، ولا تصلوا إليها أو عليها» ، وروى مسلم أنه قال هذا فى مرضه الذى مات منه قبل موته بخمس وأنه قال : «فلا تتخذوا القبور مساجد ، فانى أنهاكم عن ذلك» ، ولم يزره رجل ولا امرأة ، ولم يعلق عليه قنديل ولا غيره ، لأن الواقع كان يمنع الرجال من ذلك ، أفكان يستطيع أحد أن يقتحم على عائشة بيتها ؟ ثم إن ابن عباس روى لهم ما يأتى : «لعن رسول الله زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج» رواه الخمسة إلا ابن ماجة ، كما روى لهم أبو هريرة ما يأتى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأن يجلس أحدكم على جمرة ، فتحرق ثيابه ، فتخلص إلى جلده ، خير له من أن يجلس على قبر» ، ولم يجصص قبره عليه الصلاة والسلام ، ولم يكتب عليه شىء ، لأن جابرا روى لهم : «نهى النبى صلى الله عليه وسلم - أن يجصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه» ، رواه أحمد ومسلم والنسائى وأبو داود والترمذى وصححه ، ولفظه : «نهى أن تجصص القبور ، وأن يكتب عليها ، وأن يبنى عليها ، وأن توطأ» ، وفى لفظ النسائى : «ونهى أن يبنى على القبر ، أو يزاد عليه ، أو يجصص ، أو يكتب عليه» .

ولم يستطع أحد أن يقيم له ضريحا ، أو يعلى من قبره ، لأنهم كانوا يعلمون

. . . .

ما قاله على لأبى الهياج الأسدى « أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لاتدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبرا مشرفا إلا سويته » رواه الجماعة إلا البخارى وابن ماجة . وكان هديهم هذا ، فقد روى مسلم أن فضالة بن عبيد أمر بقبر فسوى ، ثم قال : سمعت رسول الله « ص » يأمر بتسويتها . ولقد روى ابن سعد فى طبقاته بسنده عن مالك بن أنس : قسم بيت عائشة باثنين : « قسم كان فيه القبر ، وقسم كان تكون فيه عائشة ، وبينهما حائط فكانت عائشة ربما دخلت حيث القبر فضلا ، فلما دفن عمر لم تدخله إلا وهى جامعة عليها ثيابها » كما روى أن عمر هو أول من بنى جدارا على بيت النبى « ص » . وورد أن هذا الجدار كان قصيرا ثم بناه عبد الله بن الزبير . وروى البخارى فى صحيحه من حديث هشام بن عروة عن أبيه : لما سقط عنهم الحائط ـ يعنى حائط حجرة النبى « ص » فى زمان الوليد بن عبد الملك بن مروان أخذوا فى بنائه فبدت لهم قدم ، ففزعوا ، وظنوا أنها قدم النبى « ص » فما وجدوا أحدا يعلم ذلك ، حتى قال لهم عروة : لا والله ماهى قدم النبى « ص » ما هى إلا قدم عمر ولما أدخل عمر بن عبد العزيز حجرات أزواج النبى « ص » فى المسجد نازله عروة منازلة شديدة كيلا يجعل قبر النبى « ص » فى المسجد ، فأبى وقال : كتاب أمير المؤمنين لا بد من إنفاذه ، ولكنه جعل حجرة السيدة عائشة مثلثة الشكل محددة حتى لا يتأتى لأحد أن يصلى إلى جهة القبر الكريم مع استقبال القبلة . .

ثم حدث ماحدث ، واقترف الناس مااقترفوا من عبادة للقبر . لهذا يجب العمل على إفراد القبر عن المسجد اهتداء بهدى الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم ـ فليس من تكريم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يعبد قبره من دون الله ، أو أن يتمسح به ، أو يستجار به ، أو . أو . . مما يحاول اقترافه عبدة الشياطين . وما أجمل ما قاله الإمام الشوكانى وهو يشرح حديث النهى عن رفع القبور . « ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أوليا : القبب والمشاهد المعمورة على القبور . وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد ، وقد لعن النبى « ص » فاعل ذلك .. وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكى لها الإسلام

. . . .

منها : اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام ، وعظم ذلك ، فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ، ودفع الضر ، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج ، وملجأ لنجاح المطالب ، وسألوا منها مايسأله العباد من ربهم وشـدوا إليها الرحال ، وتمسحوا بها ، واستغاثوا ، وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ومـع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضب لله ، ويغار حمية للدين الحنيف لا عالما ، ولا متعلما ، ولا أميرا ، ولا وزيرا ولا ملكا ، وقد توارد إلينا من الأخبار مالا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجرا ، فاذا قيل له بعد ذلك : احلف بشيخك ومعتقدك الولى الفلانى تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق ، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال إنه تعالى ثانى اثنين أو ثالث ثلاثة . فيا علماء الدين ، ويا ملوك المسلمين : أى رزء للاسلام أشد من الكفر ؟!

وأى بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله ؟ !

وأى مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟

وأى منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبا ؟ !

لقد أسمعت لو ناديت حيـا ... ولكن لا حياة لمن تنادى

ولو نارا نفخت بها أضاءت ... ولكن أنت تنفخ فى رماد

أفيسمع المسلمون من رجل لا يستطيع أحد أن ينال من علمه وفقهه وإخلاصه ؟ ؟

وإنه ليروى أن الوليد لما قدم حاجا جعل يطوف فى المسجد ، وينظر إليه . ويصيح بعمرها هنا ، ومعه أبان بن عثمان : فلما استنفد الوليد النظر إلى المسجد التفت إلى أبان ، وقال : أين بناؤنا من بنائكم ؟ قال أبان : إنا بنيناه بنيان المساجد وبنيتموه بناء الكنائس ص ٣٧٠ السمهودى ج ١

وصف المسجد فى القرن السادس : وقد ورد للمسجد وصف دقيق من كاتب مراكشي عاش فى القرن السادس الهجرى ننقله بنصه عن كتابه « الاستبصار

. . . .

في عجائب الأمصار » : « ومسجد النبي « ص » مستطيل غير مربع يزيد طوله على عرضه مائة ذراع ، وسماء المسجد منقوشة مدهونة محفورة مذهبة كلها على عتب منقوشة على أعمدة خرز أسود بعضه على بعض ملبسة بالجيار ، وهو ليس على أقواس إلا ما كان إلى الصحن ، فانه أقواس معقودة وجوهها منزولة بالفسيفساء على أعمدة من خرز ملبسة بالجيار والأعمدة التي إلى صحن المسجد هي أقصر من التي عليها سماء المسجد ، وتلك الأقواس التي إلى صحن المسجد مغلقة بشراجيب الساج ، مقدم المسجد خمس بلاطات معترضة ، ومؤخره مثل ذلك ، وجنبة المسجد الشرقية فيها ثلاث بلاطات معترضة ، وجنبته الغربية أربع بلاطات ، ومن مقدم المسجد إلى الصحن أحد عشر قوسا ، وكذلك من جنبته الآخرى . وطول المسجد من ركن منار بلال ـ رضى الله عنه ـ وهو الذي بإزاء قبر النبي « ص إلى ركن مؤخره ، وعرضه من باب جبريل عليه السلام ، وهو الذي بإزاء قبر النبي « ص » إلى باب الرحمة التي بجنب دار السيدة مائة وسبعون ذراعاً » ص ٣٧ ط ١٩٥٨ نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد .

حجرات أزواج النبي « ص » : يقول الذهبي في بلبل الروض : لم يبلغنا أنه عليه السلام بنى له تسعة أبيات حين بنى المسجد ، ولا أحسبه بعد ذلك . إنما كان يريد بيتا واحدا حينئذ لسودة أم المؤمنين ، ثم لم يحتج إلى بيت آخر حتى بنى بعائشة في شوال سنة اثنتين ، وكأنه عليه السلام بناها في أزمان مختلفة » ص ٢٢٤ أعلام الساجد .

وفي رواية أنه لما انصرف النبي « ص » من خيبر وزاد في مسجده البنية الثانية ضرب الحجرات ما بين القبلة إلى الشام ، ولم يضربها غربية ، وكانت خارجة من المسجد مديرة به إلا من الغرب ، وكانت لها أبواب في المسجد . وسائر الروايات فيها ما ذكر السهيلي تقرر أن أبواب بيوت زوجات النبي كانت مستورة بالمسوح ، وقال ابن عطاء عن أبيه : وكانت بيوت أزواج النبي « ص » يقوم الرجل فيمس سقف البيت ، والحجرات سقف عليها المسوح ، وقد وصف عطاء الخراساني حجرات أزواج النبي بأنها كانت من جريد على أبوابها المسوح

. . . .

من شعر أسود . كما يروى أن أحدهم قال حين هدمت : ليتها تركت حتى يقصر الناس عن البناء ، ويرى الناس مارضى الله لنبيه ، وخزائن الدنيا بيده . هذا ولفظ الحجرة فى هذه الآثار لايراد به جملة البيت كما فى قوله تعالى : (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون : بل يراد ما يتخذ حجرة للبيت عند بابه مثل الحريم للبيت ، وكانت هذه من جريد النخل ، بخلاف الحجر التى هى المساكن فانها كانت من اللبن ، كما يروى أن بعضهن كانت له حجرة ، وبعضهن لم يكن له حجرة ، وكان بيت فاطمة مع على خلف حجرة عائشة لم يزل حتى أدخله الوليد فى المسجد ، وكان بيت عائشة مما يلى الشام ، وكان ذا مصراع واحد . ومما يوضح مسمى الحجرة التى قدام البيت ما فى سنن أبى داود وغيره عن ابن عمر : قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى حجرتها . وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها ، فالمخدع أستر من البيت الذى يقعد فيه ، والبيت أستر من الحجرة التى هى أقرب إلى الباب والطريق ، وكانت حجر عائشة وسودة وحفصة ـ رضى الله عنهن ـ لا صقة بالمسجد لأنه بنى بهن قبل غيرهن ، وآخر من تزوجها صفية لما فتح خيبر سنة تسع من الهجرة ، وحينئذ اتخذاها بيتا ، وكان أبعد عن المسجد من غيره كما يستفاد من حديث ورد فى الصحيحين ، وفيه أنه خرج مع صفية من المسجد ليوصلها إلى سكنها ، ولو كان بيتها متصلا بالمسجد لم يفعل .

وحين دخلت حجرة عائشة فى المسجد سد عمر بن عبد العزيز باب الحجرة ، وبنى حائطا آخر عليها غير الحائط القديم . فالواجب ـ كما بينا من قبل ـ أن يعود كل شىء إلى مكانه ، وأن يفصل بين القبر والمسجد ، كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ، » انظر كتابى الرد على البكرى والرد على الإخنائى للامام ابن تيمية المطبوعين معا سنة ١٣٤٦ هـ ولا سيما من ص ١٨٤ من كتاب الرد على الإخنائى ، وانظر ص ٢٩٢ وما بعدها جـ ٨ شرح المواهب اللدنية ، وكتاب وفاء الوفاء جـ ١ من ص ٢٢٩ إلى ٣٧٩ ط ١٣٢٦ هـ ونيل الأوطار جـ ٤ ص ٨٣ ط عثمان خليفة ١٣٥٧ وكتاب الخصائص للسيوطى ص ٢٩٦ جـ ٣ بتحقيق فضيلة الشيخ هراس .

. . . .

حب حباب :

فصل : وذكر حديث أم أيوب ، وقولها : انكسر حُبٌّ لنا . الْحُبُّ جَرَّةٌ كبيرة ، جَمْعُه [أحب وحِبَاب] حِبَبَه مثل جُحْرٍ وجِحَرة [وأجحار وجِحَر] وكأنه أخذ لفظه من حَبَابِ الماء أو من حَبَبة ، وحَبَابُه بالألف : ترافعه . قال الشاعر :

كأن صَلَا جَهِيزَةَ حين تمشى حَبَابُ الماء يَتَّبِعُ الْحُبَابَا(١)

نشر دار الكتب الحديثة ، والنصوص التى نقلتها عن الحجرات نقل أكثرها الإمام ابن تيمية عن كتاب أخبار المدينة لأبى زيد عمر بن شبة النميرى ، وانظر كتاب القرى للمحب الطبرى ص ٦٢٩ ط الحلبى . وأما السرير الذى تحدث عنه السهيلى ، فقد ورد فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها : إنما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه أدما - أى: جلداً - حشوه : ليف، وكذلك رواه الترمذى . وورد أنه نام على حصير أثر فى جنبه « أحمد وابن ماجة والترمذى ، والحاكم » وروى ابن حبان أنه كان لرسول الله « ص » سرير مرمل - بضم الميم وفتح الراء وتشديد الميم المفتوحة - بالبردى ، وعليه كساء أسود محشو بالبردى والبردى نبات يعمل منه الحصر . والمعنى : أن قوائم السرير موصولة مغطاة بما نسج من نبات البردى . وفى حديث عمر أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا هو جالس على رمال سرير وفى رواية : على رمال حصير . والرمال : مارمل أى نسج .

(١) البيت فى اللسان فى مادة حبب غير منسوب إلى أحد وفيه قامت بدلا من . تمشى ، وفيه الحبب : حبب الماء وهو تكسره وهو الحباب . . وقيل حباب الماء موجه الذى يتبع بعضه بعضا . . وقال الأصمعى : حباب الماء الطرائق التى فى الماء كأنها الوشي » والصلا : العجيزة .

. . . .

والحَبَبُ بغير ألِفٍ نُفاَّخَاتٌ بِيضٌ صِغار تـكون على وَجْه الشراب قاله ابن ثابت[1] .

الثوم :

وذكر قوله عليه السلام لأم أيوب ـ حين رَدَّ عليها الثَّرِيدَ من أجل الثُّوم: أنا رجل أناجى ، وروى غيرَه حديثأم أيوب،وقال فيه : إنالملائـكةَ تتأذَّى بما يتأذى به الإنس[2] . وروى أن خَصِيفَ بن الحارث قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقلت : يارسول الله : الحديث الذى ترويه عنك أمُّ أيوب أن الملائـكة تتأذى بمـا يتأذى به الإنس أصحيح هو ؟ قال : نعم .

مصير منزل أبى أيوب

ومنزل أبى أيوب الذى نزل فيه النبي ـصلى الله عليه وسلم ـ تصيَّر بعده إلى أَفْلَح مولى أبى أيوب ، فاشتراه منه بعد ما خَرِبَ ، وتَثَلَّمت حيطانُه

---

(١) فى اللسان عن الحباب ـ بالألف ـ أنها النفاخات والفقاقيع التى تطفو على وجه الماء كأنها القوارير . وحبب الأسنان : تنضدها .

(٢) ورد حديث أبى أيوب فى مسلم وفيه أن أبا أيوب سأل رسول الله « ص » : أحرام هو ؟ قال : لا، ولـكن أكرهه من أجل ريحه .قال أبو أيوب : فانى أكره ما كرهت . وعن جابر أن النبي « ص » قال : من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا ، أو قال : فليعتزل مسجدنا، أو ليقعد فى بيته ، وإن النبى « ص » أتى بقدر فيه خضرات من بقول ، فوجد لها ريحا ، فقال قربوها إلى بعض أصحابه وقال : كل فاني أناجي من لاتناجي ، متفق عليه .

. . . .

الْمُغيرةُ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار بعد حيلة احتالها عليه المغيرةُ ذكرها الزبير ، ثم أصلح المغيرةُ ما وَهَى منه ، وتصدق به على أهل بيتٍ من فقراء المدينة ، فكان بعدَ ذلك ابنُ أَفْلَحَ يقول للمغيرة : خَدَعْتنى ، فيقول له المغيرة : لا أَفْلَحَ مَنْ نَدِم . هذا معنى ماذكره الزُّبَيْرُ بن أبى بكر (١)

من قصة أبى سفيان مع بنى جحش

وذكر قول أبى أحمد بن جحش لأبى سُفْيَان :

دارَ ابنِ عَمِّك بِعْتَهَا تقضى بها عنك الغرامهْ
إذهبْ بها إذهب بها طُوِّقْتَها طَوْقَ الْحَمامهْ

أبو أحمد هذا اسمه عَبْد ، وقيل: ثُمَامة ، والأول أصح ، وكانت عنده الفارعةُ بنت أبى سفيان ، وبهذا السبب تَطَرَّق أبو سفيان إلى بيع دارِ بنى جَحْش إذ كانت بنته فيهم . مات أبو أحمد بعد أختِه زينب أم المؤمنين فى خلافة عمر .

وقوله لأبى سفيان طُوِّقتها طَوْق الحمامة مُنْتَزَعٌ من قول النبى ـ صلى الله

---

(١) ذكر ابن إسحاق أن بيت أبى أيوب بناه تبع الأول للمار بالمدينة للنبى « ص » ينزله إذا قدم المدينة ! ! فتداول البيت الملاك إلى أن صار لأبى أيوب ! ! وهى ولاشك خرافة حين يقال إن تبعا بناها للنبى « ص » فما كان تبع إلها حتى يعرف الغيب ، أو ما كان تبع يعرف مالم يعرفه النبى نفسه حتى ليلة الوحى . . ويقال إن الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الملك العادل سيف الدين بكر بن أيوب بن شادى اشترى عرصة دار أبى أيوب ، وبناها مدرسة لتدريس المذاهب الأربعة .

. . . .

عليه وسلم ـ مَنْ غَصَبَ شِبْراً من أرضٍ طُوِّقه يومَ القيامة من سَبْع أرضين[١]
وقال طَوْق الحمامة ، لأن طوقها لا يفارقها ، ولا تلقيه عن نفسها أبداً ، كما يفعل
مَنْ لبِسَ طَوْقاً من الآدميين ، ففى هذا البيت من السَّمانة وحَلَاوة الإشارة
ومَلَاحة الاستعارة مالا مزيدَ عليه ، وفى قوله : طَوْق الحمامة رَدٌّ على من تأوَّل
قولَه عليه السلام : طُوِّقه من سبع أرضين أنه من الطَّاقة ، لا من الطَّوْق
فى العنق ، وقاله الخطابى فى أحد قوليه ، مع أن البخارى قد رواه ، فقال فى بعض
روايته له : خُسِف به إلى سَبْع أرضين[٢] ، وفى مسند ابن أبى شيبة : من غَصَبَ
شبراً من أرض جاء به إسْطَاماً فى عُنُقه ، والإسْطَامُ كالحَلَق من الحْديد ، وسِطَامُ
السيف. حدُّه[٣] .

الخطبة :

فصل : وذكر خُطبة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفيها يقول
الله عز وجل لعبده : ألم أوتِك مالا وأُفْضِل عليك ، فماذا قدَّمت ؟ وفى غير
هذا الكتاب زيادة ، وهى : ألم أوتِك مالا ، وجَعَلْتُك تَرْبَعُ وتَدْسَعُ ؟
وفسره ابن الأنبارِى ، فقال : هو مثل ، وأصله : أن الرئيس من العرب كان

---

(١) متفق عليه .

(٢) فسرها ابن الأثير فى النهاية بما يأتى : أى يخسف الله به الأرض فتصير القطعة المغصوبة فى عنقه كالطوق ، وقيل : هو أن يطوق حملها يوم القيامة ، أى يكلف ، فيكون من طوق التكليف لا من طوق التقليد .

(٣) سطام أو إسطام : الحديدة التى تحرك بها النار وتسعر «النهاية لابن الأثير» .

. . . .

يَرْبَعُ قومَه أى : يأخذ المِرْباعَ إذا غزا و يَدْسَع : أى يُعطى و يَدفع من المالِ لمن شاء ، ومنه قولهم : فلان ضَخْمُ الدَّسِيعة(١) .

الحب :

وذكر خُطبة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الثانية ، وفيها : أحِبُّوا الله من كل قلوبكم ، يريد أن يَسْتَغرِقَ حُبُّ الله جميعَ أجزاءِ القلب ، فيكون ذكرُه وعملُه خارجا من قلبِه خالصاً لله ، وإضافةُ الحبِّ إلى الله تعالى من عبده مَجازٌ حسنٌ لأن حقيقة المحبة : إرادةٌ يقارنُها استِدعاء للمحبوب إمَّا بالطبع ، وإمَّا بالشرع ، وقد كشفنا معناها بغاية البيان فى شرح قوله عليه السلام : إن الله [تعالى] جَميلٌ يحب الجمال(٢) ونبهنا هنالك على تقصير أبى المعالى رحمه الله فى شرح المحبة فى كتاب الإرادة من كتاب الشامل فَلْيُنْظَرْ هنالك(٣) .

---

(١) أصل الدسع : الدفع . وضخم الدسيعة: واسع العطية ، ومعنى ألم أجعلك إلخ ـ كما فى النهاية لابن الأثير : ألم أجعلك رئيسا مطاعا ، لأن الملك كان يأخذ الربع من الغنيمة فى الجاهلية دون أصحابه .

(٢) رواه مسلم والترمذى والطبرانى فى الكبير والحاكم فى مستدركه .

(٣) أحسن من تكلم عن الحب هو الإمام ابن القيم فى كتابيه « روضة المحبين » وكتاب « مدارج السالكين » وفى هذا الأخير يقول الإمام الجليل إن الكلام عن الحب معلق بطرفين : « محبة العبد لربه ، وطرف محبة الرب لعبده .

والناس فى إثبات ذلك ونفيه أربعة أقسام : فأهل يحبهم الله ويحبونه على إثبات الطرفين ، وأن محبة العبد لربه فوق كل محبة تقدر ، ولا نسبة لسائر المحاب إليها ، وهى حقيقة : لا إله إلا الله ، وكذلك عندهم محبة الرب لأوليائه وأنبيائه ورسله صفة زائدة على رحمته وإحسانه ، وعطائه ، فإن ذلك أثر المحبة وموجبها ،

. . . .

فإنه لما أحبهم كان نصيبهم من رحمته وإحسانه وبره أتم نصيب .

والجهمية المعطلة عكس هؤلاء ، فإنه عندهم لايحب ولايحب ، ولم يمكنهم تكذيب النصوص ، فأولوا نصوص محبة العباد له على محبة طاعته وعبادته . والازدياد من الأعمال ؛ لينالوا بها الثواب ، وإن أطلقوا عليهم بها لفظ المحبة ، فلما ينالون به من الثواب والأجر والثواب المنفصل عندهم : هو المحبوب لذاته ، والرب تعالى محبوب لغيره حب الوسائل .

وأولوا نصوص محبته لهم باحسانه إليهم ، وإعطائهم الثواب ، وربما أولوها بثنائه عليهم ، ومدحه لهم ، ونحو ذلك . وربما أولوها بارادته لذلك .

فتارة يؤولونها بالمفعول المنفصل ، وتارة يؤولونها بنفس الإرادة .

ويقولون : الإرادة إن تعلقت بتخصيص العبد بالأحوال والمقامات العلية ، سميت محبة ، وإن تعلقت بالعقوبة والانتقام سميت غضبا . وإن تعلقت بعموم الإحسان والإنعام الخاص سميت برا ، وإن تعلقت بايصاله فى خفاء من حيث لايشعر أولا يحتسب سميت : لطفا ، وهى واحدة ، ولها أسماء وأحكام باعتبار متعلقاتها .

ومن جعل محبته للعبد ثناءه عليه ومدحه له . ردها إلى صفة الكلام ، فهى عنده من صفات الذات ، لا من صفات الأفعال ، والفعل عنده نفس المفعول ، فلم يقم بذات الرب محبة لعبده ولا لأنبيائه ، ورسله ألبتة .

ومن ردها إلى صفة الإرادة جعلها من صفات الذات باعتبار أصل الإرادة ، ومن صفات الأفعال باعتبار تعلقها .

ولما رأى هؤلاء أن المحبة إرادة ، وأن الإرادة لا تتعلق إلا بالمحدث المقدور . والقديم ويستحيل أن يراد أنكروا محبة العباد ، والملائكة والأنبياء والرسل له . وقالوا : لامعنى إلا إرادة التقرب إليه ، والتعظيم له ، وإرادة عبادته ، فأنكروا خاصة الإلهية ، وخاصة العبودية ، واعتقدوا أن هذا من موجبات التوحيد والتنزيه ، فعندهم لايتم التوحيد والتنزيه ، إلا بجحد حقيقة الإلهية ، وجحد حقيقة العبودية .

. . . .

وجميع طرق الأدلة : عقلا ، ونقلا ، وفطرة وقياسا واعتبارا . . تدل على إثبات محبة العبد لربه ، والرب لعبده . .

ثم قال إن من أنكروا المحبة : « قد أنكروا خاصة الخلق والأمر ، والغاية التي وجدوا لأجلها ، فان الخلق والأمر والثواب والعقاب إنما نشأ عن المحبة ، ولأجلها ، وهي الحق الذي به خلقت السموات والأرض ، وهي الحق الذي تضمنه الأمر والنهي ، وهي سر التأليه ، وتوحيدها ، هو : شهادة أن لا إله إلا الله ...

والقرآن والسنة مملوآن بذكر من يحبه الله سبحانه ، من عباده المؤمنين . وذكر مايحبه من أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم كقوله تعالى : (والله يحب الصابرين) آل عمران : ١٤٦ (والله يحب المحسنين) آل عمران ١٣٤ ، ١٤٨ .

وكم في السنة : أحب الأعمال إلى الله كذا كذا فلو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان ، ولتعطلت منازل السير إلى الله ، فانها روح مقام ومنزلة وعمل ، والمحبة حقيقة العبودية . . فمنكر هذه المسألة ومعطلها من القلوب معطل لذلك كله ، وحجابه أكثف الحجب ، وقلبه أقسى القلوب ، وأبعدها عن الله ، وهو منكر لخلة إبراهيم عليه السلام ، فان الخلة كمال المحبة » ص ١٨ إلى ص ٢٧ باختصار حـ ٣ ط السنة المحمدية .

وبالنصوص القرآنية يثبت لنا أن الحب ليس هو الإرادة ، وإنما هو صفة أخرى . والذين ينكرون حب الله لعباده ، وحب العباد لله . قوم عيونهم وأفكارهم مشدودة إلى صفات البشر بكل مالهذه الصفات البشرية من خصائص ، وظنوا - خاضعين في هذا لأفكار غير عربية وغير إسلامية أنهم إن وصفوا الله بهذه الصفات التي بها وصف الله نفسه . أو أضافوا إليه من الأفعال والأسماء ما أضافه إلى نفسه . . ظنوا أنهم إن فعلوا ذلك أسندوا إلى الله مايسندونه من لوازم هذه الصفات في بشريتها إلى البشر ، زعموا أن من لوازم الحب اللهف والقلق والخوف والشوق والفقر ، والشعور بالنقص فنفوا عن الله صفة أنه يحب أو أنه استوى ، أو . . لأن هذه الصفات تستلزم مايستحيل إطلاقه على الله . وهذا الظن قصور وتقصير . وإفراط في المادية ، واستغراق في الذهول عن الحقيقة ، فان الصفة

. . . .

تستمد قيمتها من موصوفها . بل إن الصفات تتغير وتتباين لوازمها تبعا لتباين الموصوفات فى الخلق أنفسهم ، فغضى ليس عين غضبك وحبى ليس عين حبك . وحبنا ليس حب الآخرين . فما بالنا بصفات الخالق ؟ ؟ فكيف نسند إلى صفات الخلاق ما نسنده إلى صفات البشر من لوازم وخصائص ؟ وكيف نظن أن حب الله مثل حب خلقه ! حتى نحمل عليه مانحمله عليهم ؟ وكيف نجرؤ على أن نجرد صفات الله من معانيها ، أو ننفيها عنه ونحن مستعبدون لظنون وأوهام ضرب الشيطان بها أفكار غيرنا وقلوبهم فأعماهم وأضلهم عن سواء السبيل ؟

وكيف نسوى بين صفتين ، لم يجعل الله إحداهما عين الأخرى ، كيف نسوى بين الإرادة والمحبة ، والله يقول : (قل : من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة) الأحزاب : ١٧ (قل : فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا ، أو أراد بكم نفعا) الفتح : ١١ (إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره ، أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته) الزمر : ٣٨

(وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) الإسراء : ١٦

(ومن يرد الله فتنته ، فلن تملك له من الله شيئا) المائدة : ٤١

(إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا) يس : ٢٣ أو يمكن أن نضع الحب مكان الإرادة فى هذه الآية ؟

لقد تكرر إسناد الحب إلى الله فى القرآن إثباتا قرابة عشرين مرة ، وفى كل مرة يتعلق الحب بصفة فى العبد تجعله من خير العباد الذين يستحقون هذه المحبة الإلهية ، فهو جل شأنه يحب المحسنين ، والتوابين والمتطهرين ، والمتقين والصابرين ، والمتوكلين ، والمقسطين والمطهرين والذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ، والأذلة على المؤمنين الأعزة على الكافرين ، والذين يحبونه ، ويتبعون نبيه ، وهو لا يحب المعتدين ، ولا يحب الفساد ولا المفسدين ، ولا يحب الكفار الأثيم ولا يحب الظالمين ، ولا يحب من كان مختالا فخورا ولا يحب المسرفين ، ولا يحب الخائنين ، ولا يحب المستكبرين ، ولا يحب كل خوان فخور ، ولا يحب الفرحين ، ولا يحب الكافرين ، هكذا يثبت الله حبه

. . . .

من شرح الخطبة

وقوله عليه السلام : لا تَمَلُّوا كلامَ الله وذِكرَه ، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى . الهاء فى قوله : فإنه لايجوز أن تكون عائدةً على كلام الله سبحانه ، ولكنها ضمير الأمر والحديث ، فكأنه قال : إن الحديثَ من كل مايخلق الله يختار ، فالأعمال إذاً كُلُّها من خَلْق الله قد اختار منها ماشاء قال سبحانه : ﴿ [وربك] يَخْلُقُ مايشاء ويَخْتار ﴾ القصص : ٦٨ ، وقوله : قدسماه خيرته من الأعمال ، يعنى : الذكر ، وتلاوة القرآن ؛ لقوله سبحانه : ويختار ، فقد اختاره من الأعمال .

وقوله : والمصطَفى من عباده ، أى : وسمى المصطَفى من عباده بقوله : ﴿ الله يَصْطَفِى من الملائكةِ رُسُلاً ومن الناس ﴾ الحج : ٧٥ ويجوز أن يكون معناه المُصطفى من عباده أى : العمل الذى اصطفاه منهم واختاره من أعمالهم ، فلا تكون من على هذا للتبعيض ، إنما تكون لابتداء الغاية ، لأنه عملٌ استخرجه منهم بتوفيقه إياهم . والتأويلُ الأولُ أقرب مأخذاً والله أعلم بما أراد رسوله .

لقوم ، وينفيه عن آخرين ، وبهذا الإثبات والنفى ، تأكد ثبوت هذه الصفة الإلهية له سبحانه . فلنؤمن بأن الله يحب ، ولنقل إن الله يحب ، ولنسعد بأن الله يحب ، ولنشعر بروح وريحان حين نذكر ونقرأ ونقول : إن الله يحب ، ولن تلمس خاطرة من فكرة مهما كان شأنهـــا فى الصغر أو الكبر أن حب الله يشبه حب خلقه . إلا إذا كان ثمة إنسان يجعل الله بعض خلقه !! وجل جلال الله سبحانه أن نشبهه بشىء ، أو ننفى عنه ما أثبته لنفسه .

. . . .

وقوله فى أول الخطبة[1] إن الحمدُ لله أحمدُه هكذا برفع الدال من قوله: الحمدُ لله وجدته مقيداً مصححا عليه ، وإعرابه ليس على الحكاية ، ولكن على إضمار الأمر كأنه قال : إن الأمر الذى أذكره ، وحذف الهاء العائدة على الأمر كى لايقدِّم شيئاً فى اللفظ من الأسماء على قوله : الحمدُ لله ، وليس تقديم إن فى اللفظ من باب تقديم الأسماء ، لأنها حرف مؤكِّد لما بعده مع مافى اللفظ من التحرى للفظ القرآن والتيمن به ، والله أعلم .

وكانت خطبتُه فى تلك الأيام على جِذْع ، فلما صُنِع له الْمِنْبَر من طَرْفَاءِ الغابة[2] ، وصنعه له عبد لامرأة من الأنصار اسمه باقوم[3] خار الجذع خُوارَ

---

(١) روى أبو داود عن الخطبة الثانية ما يأتى : عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى إذا تشهد قال : الحمد لله . . . الحديث إلى قوله لا شريك له . وقد صحح النووى إسناد هذا الحديث فى شرحه لمسلم . هذا ويرى الحسن البصرى ، وداود الظاهرى ، والجوينى والشوكانى أن الخطبة مندوبة ، وليست بواجبة .

(٢) شجر ، الواحدة : طرفة ، وقال سيبويه : الطرفاء واحد وجمع . ويصفها المعجم الوسيط بقوله جنس جنبات وجنيبات للتزيين من الفصيلة الطرفاوية، ومنها: الأثل ، وفى الصحيحين عن سهل بن سعد أنه صنع له من أثل الغابة ، ويقول الزرقانى فى المواهب : وهو شجر كالطرفاء لاشوك له ، وخشبه جيد ، يعمل منه القصاع والأوانى ، والغابة : موضع بالعوالى

(٣) واختلف فى اسم صانعه ، ففى الصحيح أنه ميمون مولى امرأة من الأنصار ، وقيل : مولى سعد بن عبادة ، فكأنه فى الأصل مولى امرأته ، ونسب إلى سعد مجازا ـ وقد اختلف أيضا فى اسم امرأة سعد ـ وروى أبو نعيم أن صانعه باقوم الرومى مولى سعيد بن العاص ، أو باقول ، أو صباح ، أو قبيصة ، أو مينا ، أو صالح أو كلاب ، وكلاهما مولى العباس ، أو إبراهيم ، أو تميم الدارى

. . . .

الناقة الخَلُوج ، حتى نزل عليه السلام، فالتزمه ، وقال : لو لم ألتزمه مازال يَخُور إلى يوم القيامة ، ثم دفنه ، وإنما دفنه ، لأنه قد صار حكمه حكم المؤمن لحبه وحنينه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا ينظر إلى قوله تعالى : ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ الآية ، وإلى قوله عليه السلام في النخلة : مثلها كمثل المؤمن ، وحديث خُوارِ الجِذْع وحنينُه منقول نقل التواتر لكثرة من شاهد خُواره من الخلق وكلهم نقل ذلك ، أو سمعه من غيره فلم ينكره[1].

كما ورد في أبي داود . ويقول الحافظ في الفتح : وليس في جميع الروايات التي سمى فيها النجار شيء قوى السند سوى الحديث الذي رواه أبو داود عن ابن عمر لكن لم يصرح فيه بأن صانعه تميم . وأشبه الأقوال بالصواب بأنه ميمون لكونه من طريق سهل بن سعد . . وكان المنبر ذا ثلاث درجات ، وزاد فيه مروان ست درجات لما كثر الناس ، ولما احترق المسجد سنة ٦٥٤ جدد المظفر صاحب اليمن سنة ست وخمسين منبرا ، ثم أرسل الظاهر بيبرس بعد عشر سنين منبرا ، فأزيل منبر المظفر ، ولم يزل منبر بيبرس إلى سنة ٨٢٠ ، ثم أرسل المؤيد شيخ منبرا ، فبقى سنة ٨٦٧ ، فأرسل الظاهر خشقدم منبرا .

(١) يقول القاضي عياض في الشفاء عن حديث حنين الجذع : حديث حنين الجذع مشهور منتشر ، والخبر به متواتر ، أخرجه أهل الصحيح ، ورواه من الصحابة بضعة عشر ، منهم أبي بن كعب وجابر وأنس وابن عمر وابن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة ،

وقد أخرج البخاري الحديث في علامات النبوة ، والترمذي في الصلاة عن عن نافع عن ابن عمر ، ورواه أحمد من رواية أبي جناب وهو ضعيف عن أبيه أبي حية عن ابن عمر ، ورواه ابن ماجة وأبو يعلى الموصلي وغيرهما من رواية حماد بن مسلمه عن ثابت عن أنس ، ورواه الترمذي وصححه وأبو يعلى وابن خزيمة والطبراني والحاكم وصححه ، وقال على شرط مسلم يلزمه إخراجه من رواية

. . . .

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينه وبين اليهود

شرط لهم فيه ، وشرط عليهم ، وأَمَّنهم فيه على أنفسِهم وأهليهم وأموالهم ، وكانت أرضُ يَثْرِبَ لهم قبل نزول الأنصار بها ، فلما كان سَيْلُ الْعَرِمِ ، وَتفرَّقَتْ سَبأَ نزلت الأوسُ والخَزْرَجُ بأمر طَرِيفَة الكَاهِنة ، وأمرِ

إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس ، ورواه الطبراني من رواية الحسن عن أنس ، ورواه أحمد بن منيع والطبراني وغيرهما من رواية حماد ابن سلمة عن عمار بن أبي عامر عن ابن عباس . ورواه أحمد والدارمي وأبو يعلى وابن ماجة وغيرهم من رواية الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه . ورواه الدارمي من رواية أبي حازم عن سهل بن سعد ، ورواه أبو محمد الحسن بن علي الجوهري من رواية عبد العزيز بن رواد عن نافع عن تميم الداري . وقال الحافظ في الفتح : « حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة في الله ، والله أعلم » وقال البيهقي : « قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف ورووها عن السلف رواية الأخبار الخاصة كالتكايف »

أقول : زالت آية الجذع ، وبقيت آية الله الكبرى التي من بها على محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي القرآن ، ومن يتدبر القرآن يجده هاديا إلى الأدلة التي بها تثبت نبوة عبده وخاتم أنبيائه ، وذكر فيه من آياته الكبرى ما ذكر . والله يمن على عبده بما شاء .

والناقه الخلوج : التي اختلج ولدها أي انتزع منها . وحديث النخلة في الجامع الصغير : « مثل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها من شيء نفعك » وقال عنه رواه الطبراني عن ابن عمر ! !

. . . .

عِمْرَان بن عامر ، فإنه كان كاهناً أيضا وبِمَا سَجَعَتْ به لـكل قَبِيلة من سَبَأ ، فَسَجَعَت لبنى حارثة بن ثَعْلَبَة وهم الأوس والخزرجْ أن يَنْزِلوا يَثْرِبَ ذاتَ النخلِ فنزلوها على يَهُودَ وحالفوهم وأقاموا معهم ، فـكانت لدارُ واحدةً .

متى دخل اليهود يثرب؟:

والسبب فى كون اليهود بالمدينة ، وهى وسط أرض العرب مع أن اليهودَ أصلُهم من أرض كَنْعانَ أن بنى إسرائيلَ كانت تغير علَيهم الْعَمَالِيقُ من أرض الحجاز ،وكانت منازلهم يَثْرِبَ والْجُحْفَة إلى مكة ، فشكت بنو إسرائيلَ ذلك إلى موسى ، فوجه إليهم جيشاً ، وأمرهم أن يقتلوهم ، ولا يُبْقوا منهم أحداً ؛ ففعلوا وتركوا منهم ابنَ ملك لهم كان غلاما حسناً ، فرَّقوا له ، ويقال الملك : الأرقم بن أبى الأرقم فيما ذكر الزبير ثم رجعوا إلى الشام وموسى قد مات ، فقالت بنو إسرائيل لهم : قد عصيتم وخالفتم ، فلا نُؤْويكم ، فقالوا : نرجع إلى البلاد التى غُلِبْنا عليها فنـكون بها ، فرجعوا إلى يثرب ، فاستوطنوها وتناسلوا بها إلى أن نزلت عليهم الأوسُ والخزرجُ بعد سيل الْعَرِم . هذا معنى ماذكره أبو الفرج الأصْبَهَانِىّ فى كتابه الـكبير المعروف : بكتاب الأغانى، وإن كان الزُّبَيْر قد ذكره أيضاً فى أخبار المدينة ، ولا أحسب هذا صحيحاً لبعد عُمْرِ موسى عليه السلام ، والذى قال غيره إن طائفة من بنى إسرائيل لحقت بأرض الحجاز حين دَوَّخ بُخْتُ نَصَّرَ البابلى فى بلادهم ، وجاس خِلال ديارهم ، فحينئذ لحق من لحق منهم بالحجاز كَقُرَيْظَة والنَّضِير ، وسكنوا خَيْبَرَ والمدينة ، وهذا معنى ماذكر الطبرى والله أعلم .

. . . .

اسم يثرب

وأما يَثْرِبُ فاسم رجل نزل بها أول من العماليق فعُرفت باسمه ، وهو يَثْرِبُ بن قَاين بن عَبِيل بن مِهْلايل بن عوص بن عِمْلاق بن لَاوذ بن إِرَم ، وفى بعض هذه الأسماء اختلافٌ وبنو عَبِيلٍ هم الذين سكنوا الُجحْفَةَ فأجْحَفت بهم السيولُ وبذلك سُمِّيت الُجحْفَة[1] ، فلما احتلها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كره لها هذا الاسم أعنى : يَثْرِب لما فيه من لفظ التَّثْرِيب ، وسماها طيبَة والمدينة .

فإن قلت : وكيف كره اسما ذكرها اللهُ فى القرآن بِهِ ، وهو الْمُقْتَدِى بكتاب الله ، وأهلٌ أن لا يعْدِل عن تسمية الله ؟ قلنا إن الله ـ سبحانه ـ إنما ذكرها بهذا الاسم حاكياً عن المنافقين ؛ إذ قالت طائفة منهم : ﴿ يا أَهْلَ يثْرِبَ لا مُقَامَ لكم ؟ ﴾ فنبه بما حكى عنهم أنهم قد رغبوا عن اسم سماها الله به ورسوله ، وأبوا إلا ما كانوا عليه فى جاهليتهم ، والله سبحانه قد سماها : المدينة ، فقال غير حاكٍ عن أحد : ﴿ ما كان لأهل المدينة ومَنْ حَوْلَهُمْ من الأعراب أن [يَتَخَلَّفوا عن رسول الله] ﴾ التوبة ١٢٠ ، وفى الخبر عن كَعْب الأحبار قال : إنا نجد فى التَّوْرَاة يقول الله للمدينة يا طَابَةُ يا طيبَةُ يامِسْكِينة لاتقبلى الكُنوزَ أرْفع أجاجِيرَك على أجاجِيرِ[2] القُرى، وقد رُوى هذا الحديث عن

---

(١) أجحف به : ذهب به ، وكان اسم الجحفة : مهيعة « معجم البكرى ، المراصد ، القاموس »

(٢) أجاجير : جمع إجار ، وهو السطح الذى ليس حواليه ما يرد الساقط عنه ، والاناجير جمع أيضا

. . . .

علي بن أبي طالب يرفعه ، وروى أيضا أن لها في التوراة أَحَدَ عَشَر اسما : المدينة وطَابَة وطِيبة والْمِسْكِينة والجابرة والْمُحِبَّة والْمَحْبُوبة والقَاصِمة والْمَجْبُورة والْعَذْراء والْمَرْحُومه(١) ، وروى في معنى قوله : ﴿ وقُلْ رَبِّ

(١) في تسميتها روى مسلم عن جابر بن سمرة قال : كان الناس يقولون : يثرب والمدينة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — إن الله عز وجل سماها : طابة .

وعن زيد بن ثابت أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : إنها طيبة ، وإنها تنفي الخبث ، كما تنفي النار خبث الفضة « مسلم أيضاً » .

وعن أحمد : من سمى المدينة ، فليستغفر الله عز وجل ، هي طابة ، هي طابة

وقال الأزهري : كره ذكر الثرب ، لأنه فساد في لسان العرب

ويرى ابن فارس وقطرب أن المدينة من دان إذا أطاع ، فتكون الميم زائدة ، وقيل من مدن بالمكان إذا أقام به ، فتكون الميم أصلية وجمعها مدن بضم الدال وإسكانها ومدائن وترك الهمزة أفصح ، والنسب إلى المدينة مدني ، وإلى مدينة المنصور مديني ، وإلى مدائن كسرى : مدائني وقيل : مدني إذا نسبت الرجل والثوب . أما الطير فديني . والطاب والطيب لغتان بمعنى . وحديث كعب رواه ابن زبالة وما أضعفه .

وقد ذكرت لها أسماء أخرى منها : طيبة بتشديد الياء ، والمطيبة بتشديد الياء مع فتحها ، والدار والهذراء ـ لشدة حرارتها ـ ، والحبيبة ، ومدخل صدق ، ودار السنة ، ودار الهجرة ، والبلاط ، والإيمان ، ويندر ، ويندد والبحرة والبحيرة . وقد غالى السمهودي فذكر لها أكثر من تسعين اسما « راجع ص ٢٣٢ إعلام الساجد ص ٧ وفاء الوفا للسمهودي ، ص ٦٢٠ القرى للمحب الطبري .

وقد اختلف في يثرب ـ كما قال ابن دقيق العيد في شرح الإمام ـ : هل هو اسم يرادف المدينة ، أو هو اسم لقطر محدود ، والمدينة في ناحية منه ؟ وعن

. . . .

أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ [وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ] ﴾ الإسراء : ٨٠ أنها المدينة ، وأن ﴿ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ مَكَّة و﴿ سُلْطَانًا نَصِيراً ﴾ الأنصار .

تفسير على ربعاتهم :

وفى الكتاب : بنو فلان على رِبعَاتِهم . هكذا رواه أبو عُبَيد عن ابن بَكير عن عُقَيْلِ بن خالد [بن عقيل الأَبْلى] عن الزهرى ورواه عن عبدالله ابن صالح بهذا الإسناد ، فقال : رِبَاعَتِهم . الألِف بعد الباء ، ثم قال أبو عبيد: يقال : فلان على رِبَاعَة قومه إذا كان نقيبهم ووافدَهم .

قال المؤلف : وكسر الراء فيه القياس على هذا المعنى ، لأنها ولاية ، وإن جعل الرِّبَاعة مصدراً فالقياس فتح الراء ، أى على شَأْنهم وعادتهم من أحكام الدِّيَات والدماء[1] يتعاقَلُون مَعاقِلَهم الأولى : جمع : مَعْقَلة ومَعْقُلَة من العَقْلِ

أبى عبيد : يثرب اسم أرض ، ومدينة الرسول فى ناحية منها ، . وقيل : أرض وقعت المدينة فى ناحية منها أو أن يثرب اسم للمدينة ، هكذا ورد فى الكشاف. وقال ابن عطية : يثرب قطر محدود ، والمدينة فى طرف منه ، وقد غالى السمهودى، فجمع لها أكثر من تسعين اسما . وانظر ص ١٠٩ وما بعدها حـ ١ وفاء الوفاء فى سكناها وما ذكر فى سبب نزول اليهود بها وبيان منازلهم .

(١) فى النهاية لابن الأثير : يقال القوم على رباعتهم ، وربا عهم أى : على استقامتهم ، يريد : أنهم على أمرهم الذى كانوا عليه ، ورباعة الرجل : شأنه وحاله التى هو رابع عليها ، أى : ثابت مقيم . وعند الخشنى : الربعة والرباعه الحال التى جاء الإسلام ، وهم عليها ، ويقال : فلان يقوم برباعة أهله ، إذا كان يقوم بأمرهم وشأنهم ص ١٢٥

. . . .

وهو الدِّيَة [1] .

من كلمات الكتاب :

وقال فى الكتاب : وألاّ يُتْرَكَ مُفْرَحْ ، وفسره ابنُ هِشَام كما فسره أبو عُبَيْد أنه الذى أثقله الدَّيْن ، وأنشد البيت الذى أنشده أبو عُبَيْد [2] .

إذا أنْتَ لم تَبْرَحْ تُؤَدِّى أَمَانَةً ... وتَحْمِلُ أُخْرَى أَفْرَحَتْكَ الْوَدَائِـعُ

أى : أثقلتك يجوز أن يكون من أفعال السَّلْب ، أى سَلَبَتْك الْفَرَح ، كما قيل : أَقْسَطَ الرجلُ إذا عَدَل ، أى : أزال الْقِسْطَ ، وهو الإعْوِجَاجُ ، ويجوز أن تسكون الفاء مُبَدَلَةً من باء ، فيـكون من الْبَرْح وهو الشدة ، تقول : لقيت من فلان بَرْحًا أى : شِدَّة ، وذكر أبو عُبَيْد رواية أخرى مُفْرَج بالجيم ، وذكر فى معناه أقوالا ، منها أنه الذى لاديوان له ، ومنها : أنه القتيل بين القريتين لا يُدْرَى من قتله ، ومنها أنه فى معنى الْمُقْرَح بالحاء أى :

---

(١) يقال : بنو فلان على معاقلهم التى كانوا عليها ، أى : مراتبهم وحالاتهم ، وسميت دية القتيل : عقلا ، لإن القاتل كان إذا قتل قتيلا جمع الدية من الإبل ، فعقلها بفناء أولياء المقتول ، أى شدها فى عقلها ، ليسلمها إليهم ، ويقبضوها منه، فسميت الدية : عقلا بالمصدر ، يقال . عقل البعير يعقله عقلا ، وجمعها عقول ، والعاقلة : هى العصبة والأقارب من قبل الأب الذين يعطون دية قتيل الخطأ . وهى صفة جماعة عاقلة ، وأصلها اسم فاعلة من العقل ، وهى من الصفات الغالبة انظر مادة عقل فى النهاية لابن الأثير

(٢) فى اللسان أبو عبيدة ، ونسبه لبيهس العذرى ، وقبله :

إذا أنت أكثرت الأخلاء صادفت ... بهم حاجة بعض الذى أنت مانع

. . . .

الذى لاشىء له ، وقد أثقله الدين ، أو نحو(١) هذا فيُقْضَى عنه من بيت المال .

وفيه : ولا يُوتِـغُ إلا نفسه ، أى : لا يُوبِقُ ، ويهلك إلا نفسه ، يقال وَتَغَ الرجلُ ، وأوتغه غيره ، قاله أبو عبيد . ومعنى قوله يُبِىء هو من البَوَاء ، أى : المساواة ، ومنه قول مُهَلْهِل حين قَتَل ابناً للحارث بن عُبَاد : بُؤْ بِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيْب(٢) .

وقولَه : إن الْبِرَّ دُون الإثم ، أى : إن البرّ والوفاء ينبغى أن يكون حاجزاً عن الإثم .

وقوله : وإن الله على أتقى مافى هذه الصحيفة وأبره ، أى : إن الله وحزبه المؤمنين على الرِّضى به ، وقال أبو عبيد فى كتاب الأموال : إنما كتب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هذا الكتابَ قبل أن تُفْرَض الْجِزْيَةُ ،

(١) وفى اللسان عن أبى عبيد : أن المفرج هو الذى يسلم ، ولا يوالى أحدا فاذا جنى جناية ، كانت جنايته على بيت المال ، لأنه لا عاقلة له .

(٢) حين نشب الشر استعرت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة ، وكان الحارث ابن عباد البكرى قد اعتزل القوم ، فلما استحر القتل فى بكر ، اجتمعوا إليه وقالوا : قد فنى قومك فأرسل الحارث إلى مهلهل أخى كليب بجيرا ابنه يناشده السلام ، فقد أدرك وتره من بكر ، فلما عرف المهلهل أن بجيرا هو ابن الحارث ابن عباد قتله قائلا : بؤ بشسع نعل كليب ، فلما علم أبوه الحارث بهذا خرج يقاتل المهلهل وبنى تغلب ثائراً ببجير ابنه ، وأنشأ يقول :

قربا مربط النعامة منى ... إن بيع الكريم بالشسع غالى
قربا مربط النعامة منى ... لقحت حرب وائل عن حيال
لم أكن من جناتها . علم الله ... وإنى بشرها اليوم صالى

ويروى : بحرها . والنعامة : فرس الحارث ، وكانت هزيمة تغلب على يد الحارث .

. . . .

وإذ كان الإسلام ضعيفاً . قال : وكان لليهود إذ ذاك نصيب فى المَغْنَم إذا قاتلوا مع المسلمين ، كما شرط عليهم فى هذا الكتابِ النفقةَ معهم في الحروب .

المؤاخاة بين الصحابة

فصل المؤاخاة بين الصحابة : آخى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أصحابه حين نزلوا المدينة ، ليُذْهِب عنهم وَحْشَة الغُرْبَة ويُؤَنسهم من مفارقة الأهل والعَشيرة ، ويُشُد أَزْرَ بعضِهم ببعضٍ ، فلما عز الإسلام واجتمع الشَّمْلُ ، وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه : ﴿ وأولو الأرْحام بعضُهم أولى ببعضٍ فى كتاب الله ﴾ الأنفال ٧٥ أعنى فى الميراث[1] ، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة

---

(١) من أين جاء بهذا ، وليس فى آيات الميراث شيء من هذا ؟ ، هذا وقد أنكر الإمام ابن تيمية رضي الله عنه فى منهاج السنة النبوية المؤاخاة بين المهاجرين والمهاجرين . وأقول : إنه ينكر هذه المؤاخاة بمعناها الخاص المعروف ، وإلا فالمسلم من أول يوم هو أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه . ولنتدبر ما ذكر الله فى أول سورة الحشر عما فعل الأنصار باخوتهم المهاجرين ، ففى هدى الله هداية الحق والنور المبين لا فى كلام السهيلى أو غيره

ويقول الإمام ابن القيم : « وقد قيل : إنه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية ، واتخذ فيها عليا أخا لنفسه .

والثابت الأول . يعنى المؤاخـــاة بين المهاجرين والأنصار ـ والمهاجرون كانوا مستغنين بأخوة الإسلام ، وأخوة الدار ، وقرابة النسب عن عقد مؤاخاة بخلاف المهاجرين مع الأنصار ، ولو آخى بين المهاجرين ، كان أحق الناس بأخوته أحب الخلق إليه ، ورفيقه فى الهجرة ، وأنيسه فى الغـــار ، وأفضل الصحابة ، وأكرمهم عليه : أبو بكر الصديق ، وقد قال : لوكنت متخذا من أهل الأرض خليلا ، لا تخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الإسلام أفضل ، « الصحيحان

. . . .

فقال : ﴿ إنما الْمُؤْمِنُون إخْوَةٌ ﴾ يعنى فى التَّوادِّ وشُمُول الدعوة . وذكر مؤاخاته بين أبى ذَرٍّ والْمُنْذِرِ بن عَمْرو ، وقد ذكرنا إنكار الواقدى لذلك فى آخر حديث بيعة العقبة .

نسب أبي الدرداء :

فصل : وذكر مؤاخاةَ سَلْمَان وأبى الدَّرْدَاء ، وأبو الدَّرْدَاء اسمهُ عُوَيْمِرُ ابن عامر ، وقيل عُوَيمِرُ بن زيد بن ثعلبة ، وقيل : عُوَيْمِرُ بن مالك بن ثَعْلَبة بن عمرو بن قيس بن أُمَيَّة من بَلْحَارِثِ[1] بن الْخَزْرَج ، أمه : مَحِبَّةُ بنت وَاقد بن عَمْرو بن الإطْنَابة ، وامرأته : أم الدَّرْدَاء ، اسمها : خَيْرَةُ بنت أبى حدْرَدٍ ، وأم الدرداء الصغرى ، اسمها : جُمَانَة ، مات أبو الدرداء بدمشق سنة اثنين وثلاثين ، وقيل سنة أربع وثلاثين[2] .

من حديث أنس ، وفى لفظ « ولكن أخى وصاحبى » وهذه الأخوة فى الإسلام وإن كانت عامة كما قال : وددت أن قد رأينا إخواننا ؟ قالوا : ألسنا إخوانك ؟ قال : أنتم أصحابى ، وإخوانى : قوم يأتون من بعدى يؤمنون بى ، ولم يرونى رواه مسلم .

فللصديق من هذه الأخوة أعلى مراتبها ، كما له من الصحبة أعلى مراتبها ، فالصحابة لهم الأخوة ومزية الصحبة ولأتباعهم الأخوة والصحبة . ص ١٧٦ حـ ٢ زاد المعاد ط السنة المحمدية .

(١) « اختلف فى اسم أبيه ، فقيل : عامر أو مالك أو ثعلبة أو عبد الله أو زيد ، وأبوه : ابن قيس بن أمية بن عامر بن عدى بن كعب بن الخزرج الأنصارى الخزرجى » الإصابة

(٢) قيل مات لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ، وقال ابن عبد البر إنه مات بعد صفين ، والأصح عند أصحاب الحديث أنه مات فى خلافة عثمان .

. . . .

نسب الفزع

فصل وذكر مؤاخاة أبي رُوَيْحَةَ وبلالٍ ، وسماه: عَبْدَ الله بن عبد الرحمن، وقال : هو أحد الفَزَع[١] ، لم يبينه بأكثر من هذا ، والفَزَعُ عند أهل النسب ، هو ابن شَهْرَان بن عِفْرِس بن حُلْف بن أفْتَل ، وأَفْتَلُ هو خَثْعَمُ . وقد تقدم في أول الكتاب : لِمَ سمى خَثْعَمُ وهو ابن أنمار ، وقد تقدم خِلاف النسابين فيما بعد أَنْمَارٍ .

والفَزَع هذا بفتح الزاى ، وأما الفَزْعُ بسكونها ، فهو الفَزْعُ بن عبد الله ابن ربيعة [بن جندل] ، وكذلك الفَزْعُ في خُزَاعة ، وفي كلب هما ساكنان أيضاً قاله ابن حبيب ، وقال الدَّارَقُطْنِيُّ : الفَزَعُ بفتح الزاى : رَجُلٌ يَرْوِى عن ابن عُمر .

وذكر آخر في الرواة أيضاً بفتح الزاى يَرْوِى حديثاً في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لأبي رُوَيْحَةَ الخثعمى لواء عام الفتح ، وأمره أن ينـــادى : مَنْ دخل تحت لواء أبي رُوَيْحَةَ ، فهو آمن .

مؤاخاة حاطب بن أبي بلتعة

فصل : وذكر مؤاخاة حَاطِبِ بن أبي بَلْتَعَةَ[٢] وعُوَيْم بن ساعدة ،

---

(١) ويروى بالقاف كما ذكر الخشنى .

(٢) نسب حاطب في الإصابة : حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة ابن صعب بن سهل اللخمى .

خبر الأذان

قال ابن إسحاق : فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، واجتمع إليه إخوانُه من المُهاجرين ، واجتمع أمرُ الأنصار ، استحكم أمرُ الإسلام ، فقامت الصلاة ، وفُرضت الزكاةُ والصيام ، وقامت الحدُود ، وفُرض الحلالُ والحرام ، وتبوأ الإسلام بين أظْهُرِهم ، وكان هذا الحىّ من الأنصار هم الذين تبوّءوا الدار والإيمان . وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِمها إنما يجتمع الناسُ إليه للصلاة لحين مَواقيتها ، بغير دَعْوة فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِمها أن يجعل بُوقا كبُوق يَهُودَ الذين يدعون به لصلاتهم ، ثم كرهه ، ثم أمر بالنّاقوس ، فنُحِت ليُضرب به للمسلمين للصلاة .

رؤيا عبد الله بن زيد

فبينما هم على ذلك ، إذ رأى عبدُ الله بن زيد بن ثَعْلبة بن عبد ربه ، أخو بَلْحَارِث بن الخَزْرج ، النداء ، فأتى رسولَ صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يارسول الله ، إنه طاف بى هذه الليلة طائف : مرّ بى رجلٌ عليه ثوْبان أخضران ، يحمل ناقوسا فى يده ، فقلت له : ياعبد الله ، أتَبيع هذا النّاقُوسَ ؟ قال :

وقال فى حاطب : حليف بنى أسد ، وقال غيره : كان عَبْداً لعُبَيْد الله بن حميد ابن زُهَيْر بن أسد بن عبد العُزّى ، وقيل : كان من مَذْحِج ، والأشهر : أنه من لخم بن عَدِىّ ، واسم أبى بَلْتَعَة عَمْرو بن أشَدّ بن مَعَاذ . والبَلْتَعَةُ من قولهم تَبَلْتَع الرجلُ إذا تَظَرّف ، قاله أبو عبيد فى الغريب المصنف .

وما تصنع به؟ قال: قلت: ندعوا به إلى الصلاة، قال: أَفَلَا أدلك على خيرٍ من ذلك؟ قال: قلت: وماهو؟ قال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حيّ على الصلاة، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.

فلما أَخْبَرَ بها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، قال: إنها لَرُؤْيا حق، إن شاء الله، فقم مع بلال فألْقِها عليه، فَلْيُؤَذِّن بها، فإنه أنْدَى صوتا منك. فلما أذّن بها بلالٌ سَمِعها عمرُ بن الخطاب، وهو فى بيته، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يجرّ رداءه، وهو يقول: يا نبيّ الله، والذى بعثك بالحقّ، لقد رأيت مثل الذى رأى، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: فلِلّه الحمد على ذلك.

رؤيا عمر فى الأذان

قال ابن إسحاق: حدثنى بهذا الحديث محمدُ بن إبراهيم بن الحارث: عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثَعْلَبَة بن عَبْدِ ربِّه، عن أبيه.

قال ابن هشام: وذكر ابن جُرَيج، قال: قال لى عطاء: سمعت عُبَيْد بن عُمَيْر اللَّيثى يقول: ائْتَمَر النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة، فبينما عمرُ بن الخطّاب يُريد أنْ يَشْتَرِيَ خَشَبتين للنَّاقوس، إذ رأى عمر بن الخطاب فى المنام: لاتجعلوا الناقوس، بل أذّنوا للصلاة. فذهب عمرُ

إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ليُخبرَه بالذى رأى ، وقد جاء النبيَّ صلى الله عليه وسلم الوحىُ بذلك ، فما راع عُمر إلا بلالٌ يؤذّن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك : قد سَبقك بذلك الوحى .

ما كان يقوله بلال فى الفجر

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عُروة بن الزُّبير ، عن امرأة من بنى النجار ، قالت : كان بيتى من أطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذّن عليه للفجر كلّ غداة ، فيأتى بسَحَر ، فيجلس على البيت ينتظر الفَجر ، فإذا رآه تمطَّى ، ثم قال : اللهمّ إنى أحمدك وأستعينك على قريش أن يُقيموا على دينك . قالت : والله ما علمته كان يتركها ليلةً واحدةً

أبو قيس بن أبى أنس

قال ابن إسحاق : فلما اطمأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم دارُه ، وأظهر الله بها دينَه ، وسرّه بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته ، قال أبو قَيْس صِرْمة بن أبى أنَسٍ ، أخو بنى عدىّ بن النجَّار .

قال ابن هشام : أبو قيس ، صِرْمة بن أبى أنس بن صِرْمة بن مالك بن عدىّ بن عامر بن غَنْم بن عدىّ بن النجَّار .

قال ابن إسحاق : وكان رجلا قد ترهَّب فى الجاهلية ، ولبس المُسُوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة وتطهَّر من الحائض من النساء ، وهَمَّ

بالنصرانية ، ثم أمسك عنها ، ودخل بيتا له ، فاتخذه مسجدا لا تدخله عليه فيه طامِثٌ ولا جُنب، وقال : أعبد رَبَّ إبراهيم ، حين فارق الأوثانَ وكرهها ، حتى قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأسلم وحَسُن إسلامه ، وهو شيخ كبير ، وكان قَوَّالا بالحقّ معظِّما لله عزّ وجلّ فى جاهليته ، يقول أشعارا فى ذلك حِسانا — وهو الذى يقول :

يقولُ أبو قَيْس وأصْبح غادِيا : ألَا ما استطعتم من وَصَاتِىَ فافعلُوا
فأُوصيكم بالله والبِرِّ والتُّقَى وأعْراضِكم والبِرُّ بالله أوّلُ
وإنْ قومُكم سادوا فلا تَحْسُدُنهم وإن كنتمُ أهلَ الرياسة فاعدلوا
وإن نزلتْ إحدى الدواهى بقومكم فأنفسكم دونُ العَشيرة فاجعلوا
وَإن ناب غُرْم فادح فارفقُوهم وما حَمَّلوكم فى المُلِمات فاحملوا
وإن أنتمُ أمعرتمُ فتعفَّفوا وإن كان فضلُ الخير فيكم فأفضِلوا

قال ابن هشام : ويروى :

وإن ناب أمرٌ فادح فارْفِدُوهُمُ

قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس صِرْمة أيضا :

سَبحوا الله شَرْقَ كلّ صباحٍ طلعت شمسُه وكُلَّ هِلالِ
عالم السِّرّ والبَيان لَدَيْنا ليس ما قال ربُّنا بضَلال
وله الطَّيرُ تَسْتَرِيد وتأْوى فى وُكور من آمنات الجبال
وله الوحشُ بالفلاة تراها فِى حِقاف وفى ظِلال الرّمال

ولَه هَوّدتْ يهودُ ودانت كلَّ دين إذا ذَكرتَ عُضال
ولَه شمّسَ النّصارَى وقامُوا كلّ عِيــدٍ لربهِم واحْتِفال
وله الرّاهبُ الحبيسُ تراهُ رهْنَ بُؤْسٍ وكانَ ناعمَ بال
يا بَنِيّ الأرْحامَ لا تَقْطَعوها وصِلُوها قَصيرة من طِوالِ
واتّقوا اللهَ فى ضِعاف اليَتَامَى ربمَا يُسْتَحلُّ غيرُ الحــلال
واعلَموا أنَّ لليَتيمِ وَلِيًّا عالمـا يهتدى بغــير السؤال
ثم مالَ اليَتيمِ لا تأكلوه إنَّ مال اليَتيم يرعاه والى
يا بَنِيّ ، التخوم لاتَخزلوها إنَّ خَزْل التُّخوم ذو عُقّال
يا بَنِيّ الأيّامَ لاتأمَنوها واحذروا مكْرَها ومرَّ اللّيالى
واعلَموا أنَّ مَرّها لنَفاد الخَــلق ماكان من جَديد وبالى
واجمَعوا أمْرَكم على البرّ والتّقْــوى وترك الخنا وأخذ الحلال

وقال أبو قَيْس صِرْمة أيضا ، يذكر ما أكرمهم اللهُ تبارك وتعالى به من الإسلام ، وماخصّهم الله به من نُزول رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم :

ثَوى فى قُريش بضْعَ عَشْرةَ حِجّةً يُذَكِّر لو يَلْقى صَديقا مُواتِيا
ويَعْرِض فى أهْل المَواسم نفسَه فلم يَرَ من يؤوِى ولم يَرَ داعيا
فلمَّا أتانا أظْهر اللهُ دِينَه فأصبح مَسْروراً بطِيبةَ راضِيا
وألْفَى صَدِيقاً واطمأنّت به النَّوَى وكان له عَوْنا منَ اللهِ باديا
يَقُصّ لنا ما قال نُوح لقَوْمه وما قال مُوسى إذْ أجابَ المُنادِيا

فأصبح لاَ يخْشَى من النَّاس واحداً قريبا ولاَ يخْشَى من النَّاس نائِيا
بَذَلْنا له الأموال من حلّ مالنا وأنفُسَنا عند الوَغَى والتَّـآسِيا
ونَعْلم أنَّ اللهَ لاشَىْء غَيْرُه ونَعْلم أن الله أفضلُ هاديا
نُعادى الذى عادَى من الناس كلِّهم جميعا وإن كان الحبيبَ المُصافيا
أقول إذا أدعوكَ فى كلّ بيعة : تباركتَ قد أكثرتُ لاسمك داعيا
أقُولُ إذا جاوَزتُ أرْضاً مَخُوفةً حَنانَيك لاتُظْهِر علىّ الأعاديا
فَطأْ مُعْرِضا إن الحُتُوف كَثيرةٌ وإنَّك لاتُبْقِى لنَفْسِك باقيا
فوالله مايدْرِى الفتى كيفَ يَتَّقى إذا هو لم يَجْعَل له اللهُ واقيا
ولا تَحفِلُ النَّخلُ المُعِيمَة ربَّها إذا أصبحت ريًّا وأصبح ثاويا

قال ابن هشام : البيت الذى أوله :

فطأ مُعْرِضاً إنَّ الحُتوفَ كثيرةٌ

والبيت الذى يليه :

فوالله ما يدرى الفتى كيف يتقى

لأُفنون التَّغْلِبِىّ ، وهو صُرَيم بن مَعْشر ، فى أبيات له .

. . . .

الأعداء من يهود

قال ابن إسحاق : و نَصَبَت عند ذلك أحبارُ يَهُودَ ـ لرسول الله صلى الله عليه وسلم – العداوةَ ، بَغْيًا وحَسَدًا وضِغْنًا ، لما خصّ الله تعالى به العرَبَ من أخْذه رسولَه منهم ، وانضاف إليهم رجالٌ من الأوْسِ والخَزْرج ، ممن كان على جاهليّته فكانوا أهل نِفاق على دين آبائهم من الشِّرك والتكذيب بالبعث ، إلّا أن الإسلام قَهرهم بظُهوره واجتماع قومِهم عليه ، فظهروا بالإسلام ، واتخذوه جُنّة من القتْل ونافقُوا فِي السِّرِّ ، وكان هَواهم مع يَهُودَ ، لتكذيبهم النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجُحودهم الإسلام . وكانت أحبار يهودَ هُم الذين يسألون ـ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ـ وَيَتَعَنَّتونه ، ويأتونه باللَّبْس ، ليَلْبِسُوا الحقَّ بالباطل ، فكان القرآنُ يَنزل فيهم فيما يسألون عنه ، إلا قليلا من المسائل فى الحلال والحرام كان المُسْلِمون يَسألون عنها .

من يهود بنى النضير

منهم : حُيَيّ بن أخْطب ، وأخواه أبو ياسِر بن أخطب ، وجُدَيّ بن أخطب ، وسلاَّم بن مِشْكم ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق ، وسَلاَّم بن أبى الحُقَيْق ، أبو رافع الأعور ، وهو الذى قتله أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بخَيْبر ـ والربيعُ بن الربيع بن أبى الحُقَيْقِ ، وعمرو بن جَحّاش ، وكعب ابن الأشرف ، وهو من طيِّء ، ثم أحد بنى نبهان ، وأمُّه من بنى النضير ، والحجّاج بن عمرو ، حليف كَعْب بن الأشرف ، وكَرْدَم بن قيس ، حليف

كعب بن الأشرف ، فهؤلاء من بنى النَّضير .

من يهود بنى ثعلبة

ومن بنى ثعلبة ابن الفِطْيَوْن : عبد الله بن صوريَا الأعور ، ولم يكن بالحجاز فى زمانه أحد أعلم بالتوراة منه ؛ وابن صَلُوبا ، ومُخَيْرِيق ،وكان حَبْرَهم ، أسْلَم .

من يهود بنى قينقاع

ومن بنى قَيْنُقاع : زيد بن اللَّصِيت ـ ويقال : ابن اللُّصَيت ـ فيما قال ابن هشام ـ وسَعْد بن حُنَيْفٍ ، ومحمود بن سَيْحان ، وعُزيز بن أبى عُزيز ، وعبد الله ابن صَيْف . قال ابن هشام : ويقال . ابن ضَيْف .

قال ابن إسحاق : وسُوَيد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفِنْحَاص ، وأَشيع ، ونُعمان بن أضاَ ، وبَحْرِىّ بن عمرو ، وشَأْس بن عدىّ ، وشَأْس ابن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونُعمان بن عمرو ، وسُكَين بن أبى سُكين ، وعدى بن زيد ، ونُعمان بن أبى أوْفى ، أبو أنس ، ومحمود بن دَحْية ، ومالك ابن صيف . قال ابن هشام : ويقال : ابن ضيف .

قال ابن إسحاق : وكعب بن راشد ، وعازَر ، ورافع بن أبى رافع ، وخالد وأزار بن أبى أزار . قال ابن هشام : ويقال : آزر بن آزر .

قال ابن إسحاق : ورافع بن حارثة ، ورافع بن حُريملة ، ورافع بن خارجة ،

. . . .

ومالك بن عوف،ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وعبدالله بن سَلام بن الحارث، وكان حَبْرَهم وأعلَمهم ، وكان اسمه الُحصَين ، فلما أسلم سماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ـ عبدَ الله . فهؤلاء من بنى قَيْنُقَاع .

من يهود بنى قريظة

ومن بنى قُرَيظة : الزُّبَيْر بن بَاطا بن وَهْب ، وعَزّال بن شَمْوِيل ، وكعب بن أسد ، وهو صاحب عَقد بنى قُريظة الذى نُقِض عام الأحزاب ، وشَمْوِيل بن زيد ، وجَبَل بن عمرو بن سُكينة ، والنَّحّام بن زيد ، وقَرْدم ابن كعب ، ووهب بن زيد ، ونافع بن أبى نافع ، وأبو نافع ، وعدىّ ابن زَيد ، والحارث بن عَوْف ، وكَرْدَم بن زيد ، وأُسامة بن حَبِيب ، ورافع ابن رُمَيلَة ، وجَبل بن أبى قُشَيْر ، ووَهْب بن يَهُوذا ، فهؤلاء من بنى قُرَيْظَة.

من يهود بنى زريق

ومن يهود بنى زُرَيق : لَبِيد بن أعْصم ، وهو الذى أَخَذَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه .

من يهود بنى حارثة

ومن يهود بنى حارثة : كِنانة بن صُورِيا .

من يهود بنى عمرو

ومن يهود بنى عمرو بن عَوْف : قَرْدم بن عمرو .

من يهود بنى النجار

ومن يهود بنى النجَّار : سِلْسِلة بن بَرْهام .

فهؤلاء أحبار اليهود ، أهل الشرور والعداوة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ، وأصحاب المسألة ، والنصْب لأمْر الإسلام الشرور ليطفئوه ، إلا ما كان من عبد الله بن سَلَام ومُخَيْرِيق .

إسلام عبد الله بن سلام

قال ابن إسحاق : وكان من حديث عبد الله بن سَلَام ، كما حدثنى بعض أهله عنه ، وعن إسلامه حين أسلم ، وكان حبراً عالما ، قال : لما سمعتُ برسول الله صلى الله عليه وسلم عرَفتُ صفته واسْمَه وزمانَه الذى كنا نتوَكَّف له ، فكنت مُسِراً لذلك ، صامتا عليه ، حتى قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، فلما نَزَل بقُبَاء ، فى بنى عمرو بن عوف ، أقبل رجلٌ حتى أخبر بقُدومه ، وأنا فى رأس نخْلَة لى أعمل فيها ، وعمتى خالدةُ ابنة الحارث تحتى جالسة ، فلما سمعتُ الخبرَ بقُدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبَّرتُ ، فقالت لى عمّتى ، حين سمعت تكبيرى : خيَّبك الله ، والله لو كنتَ سمعتَ بموسى ابن عمران قادما مازِدْت ، قال : فقلت لها : أىْ عمَّة ، هو والله أخو موسى

ابن عِمْران ، وعلى دينه ، بُعِث بما بُعِث به . قال : فقالت : أى ابنَ أخى ، أهو النبيّ الذى كُنّا نخبر أنَّه يبعث مع نَفَس الساعة ؟ قال : فقلت لها : نعم . قال : فقالت : فذاك إذاً . قال : ثم خرجتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلمتُ ، ثم رجعتُ إلى أهل بيتى ، فأمرتُهم فأسلَموا .

قال : وكتمتُ إسلامى من يهود ، ثم جئتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقلتُ له : يارسول الله ، إن يهودَ قومٌ بُهْت وإنى أحبّ أنْ تدْخلنى فى بعض بُيوتك ، وتغيّبنى عنهم ، ثم تسألهم عنى ، حتى يُخبروك كيف أنا فيهم ، قبل أن يَعْلموا بإسلامى ، فإنهم إن عَلِموا به بَهتونى وعابونى . قال : فأدخلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض بُيوته ، ودخلوا عليه ، فكلَّموه وساءلوه ، ثم قال لهم : أىّ رجلٍ الُحصين بن سلام فيكم؟ قالوا : سيّدنا وابن سيّدنا ، وحَبْرنا وعالمنا . قال : فلما فَرَغوا من قولهم ، خرجتُ عليهم ، فقلت لهم : يامعشر يهود ، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله ، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة باسمه وصِفَته ، فإنى أشهدُ أنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأومن به وأصدقه وأعرفه ، فقالوا : كذبت ثم وقعوا بى ، قال : فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أُخْبِرك يارسول الله أنهم قوم بُهْتٌ ، أهل غَدْر وكَذب وفُجور ! قال : فأظهرت إسلامى وإسلام أهل بيتى ، وأسلمت عمّتى خالدة بنت الحارث ، فحَسُنَ إسلامها .

حديث مخيريق

قال ابن إسحاق : وكان من حديث مُخَيرِيق ، وكان حبراً عالما ، وكان رجلا غنياً كثير الأموال من النخل ، وكان يَعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصِفَته ، وما يجد فى علمه ، وغلب عليه إلفُ دينه ، فلم يزل على ذلك ، حتى إذا كان يوم أُحُد ، وكان يوم أحد يومَ السبت ، قال : يامعشر يَهُودَ ، والله إنكم لَتعلمون أن نَصْرَ محمد عليكم لَحَقٌّ . قالوا : إن اليوم يومُ السبت ؛ قال : لاسبتَ لكم . ثم أخذ سِلاحه ، فخرج حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بأُحُد ، وعَهِد إلى مَن وَراءه من قومه : إنْ قُتِلتُ هذا اليومَ ، فأموالى لمحمد — صلى الله عليه وسلم — يصنع فيها ما أراه الله . فلما اقتتل الناسُ قاتل حتى قُتل . فكان رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — يقول: مخيريق خيرُ يهود . وقَبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أموالَه ، فعامَّة صَدَقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها .

شهادة عن صفية

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدُ الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : حُدِّثت عن صفيَّة بنت حُيَيّ بن أخْطب أنها قالت : كنت أحبَّ ولَدِ أبى إليه ، وإلى عمِّى أبى ياسر ، لم ألقهما قطّ مع ولدٍ لهما إلا أخذانى دونه. قالت : فلما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، ونزل قُباء ، فى بنى عمرو بن عوف ، غدَا عليه أبى ، حُيَيُّ بنُ أخطب ، وعمِّى : أبو ياسر بن

. . . .

أخطب ، مُغَلِّسَيْن . قالت : فلم يرْجِعا حتى كانا مع غُروب الشمس . قالت : فأتَيا كالَّيْن كَسْلانين ساقِطين يمشيانِ الهُوَيْنى . قالت : فهشِشْتُ إليهما كما كنتُ أصنع ، فوالله ما التفت إليّ واحدٌ منهما ، مع مابهما من الغمّ . قالت : وسمعت عمِّى أبا ياسر ، وهو يقول لأبى : حُيَيِّ بن أخْطَب : أهو هو؟ قال : نعم والله ؛ قال : أتعرفه : وتُثْبته ؟ قال : نعم ، قال : فما فى نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بَقِيتُ .

من اجتمع إلى يهود من منافقى الأنصار

منافقو بنى عمرو

قال ابن إسحاق : وكان مِمّن انضاف إلى يهود ، ممن سمّى لنا من المنافقين من الأوس والخزرج ، والله أعلم . من الأوس ، ثم من بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ؛ ثم من بنى لَوْذَان بن عمرو بن عوف : زُوَىٌّ بن الحارثِ .

منافقو حبيب

ومن بنى حُبيب بن عمرو بن عوف : جُلاس بن سُويد بن الصامت ، وأخوه الحارث بن سويد .

من نفاق جلاس

وجُلاس الذى قال - وكان ممن تخلّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبوك - لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شرٌّ من الحُمُر . فرفع ذلك

من قوله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم — عُمير بن سعد ، أحدهم ، وكان في حِجْر جُلاس ، خَلَف جُلاسٌ على أمه بعد أبيه ، فقال له عُمير بن سعد : والله ياجُلَاس ، إنك لأحبّ الناس إليّ ، وأحسنهم عندي يداً ، وأعزّهم عليّ أن يصيبه شيء يكرهه ، ولقد قلتَ مقالةً لئن رفعتُها عليك لأفضحنَّك ، ولئن صمتُّ عليها ليهلكنّ ديني ، ولَإحداهما أيسرُ عليّ من الأخرى . ثم مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر له ما قال جُلاس ، فحلف جلاس بالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد كذب عليّ عُمير ، وما فعلتُ ما قال عُمير ابن سعد . فأنزل الله عزّ وجلّ فيه : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ ما قالُوا ، وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بَعْدَ إسْلامِهِمْ ، وهَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا ، وَما نَقَمُوا إلاَّ أنْ أغْناهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ، فإنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ ، وَإنْ يَتَوَلَّوا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابا ألِيما في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وما لَهُمْ في الأرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ التوبة : ٧٤ .

قال ابن هشام : الأليم : الموجع . قال ذو الرمة يصف إبلا :

وتَرْفع من صدور شَمَرْدَلَاتٍ يَصُكّ وجوهَها وهجٌ أليمُ

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه تاب فحسُنت توبته ، حتى عُرف منه الخير والإسلام .

ارتداد الحارث بن سويد وغدره

وأخوه الحارث بن سُوَيد ، الذى قتل المجذَّر بن ذِياد البَلَوِىّ ، وقيسَ ابن زيد ، أحد بنى ضُبيعة ، يوم أُحد . خرج مع المسلمين ، وكان منافقا ، فلما التقى الناسُ عدَا عليهما ، فقتلهما ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المجذّر بن ذِياد قتل سُويدَ بن صامت فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج فلما كان يوم أُحد طلب الحارث ابن سُويد غرّةَ المجذَّر بن ذِياد ، ليقتله بأبيه ، فقتله وحدَه ، وسمعت غيرَ واحد من أهل العلم يقول : والدليل على أنه لم يقتل قَيْس بن زيد ، أنّ ابن إسحاق لم يذكره فى قَتْلى أُحُد .

قال ابن إسحاق : قَتل سُويدَ بن صامت مُعاذُ بن عفراء غِيلةً ، فى غير حرب ، رماه بسَهْم فقتله قبل يوم بُعَاثٍ .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - قد أمر عُمر بنَ الخطاَّب بقَتْله إن هو ظفر به ، ففاته ، فكان بمكة ، ثم بَعث إلى أخيه جُلاس يطلب التَّوبة ، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تبارك وتعالى فيه - فيما بلغنى عن ابن عبَّاس - : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْما كَفَرُوا بَعْدَ إيمانِهِمْ وشَهِدُوا أنَّ الرَّسُولَ حَقّ ، وجاءَهُمُ البَيِّناتُ ، وَاللهُ لايَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ آل عمران : ٨٦ إلى آخر القصة .

منافقو بنى ضبيعة

ومن بنى ضُبيعة بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عوف : بِجاد ابن عثمان بن عامر .

منافقو بنى لوذان

ومن بنى لَوْذان بن عمرو بن عوف : نَبْتل بن الحارث ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فِيما بلغنى : من أحبّ أن ينظر إلى الشيطان، فلينظر إلى نَبْتل بن الحارث ، وكان رجلا جَسيما أدْلم، ثائرَ شعرِ الرأسِ أحمرَ العينين ، أسفَعَ الخدّين ، وكان يأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يتحدّث إليه فيسمع منه ، ثم ينقل حديثَه إلى المُنافقين ، وهو الذى قال : إنما محمد أُذُن ، مَن حدّثه شيئا صدّقه . فأنزل الله عزّ وجلّ فيه : ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِين يُؤْذُون النَّبِيَّ وَيقُولُونَ : هُوَ أُذُنٌ ، قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ، يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلذِين آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض رجال بَلْمجلان أنه حُدّث : أن جبريل عليه السلام أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال له إنه يجلس إليك رجل أدلم ، ثائر شعر الرأس ، أسفع الخدّين أحمر العينين ، كأنهما قِدْران من صُفْر ، كبده أغلظُ من كبد الحمار ، ينقل حديثَك إلى المنافقين ، فاحذره . وكانت تلك صفة نَبْتل بن الحارث ، فيما يذكرون .

منافقو بنى ضبيعة

ومن بنى ضُبيعة : أبو حَبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وثعلبةُ بن حاطب ، ومُعتِّب بن قُشير ، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدّقن ولنكونن من الصالحين ، الخ القصة . ومعتب الذى قال يوم أحد : لو كان لنا من الأمر شىء ما قُتلنا هاهنا . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله ﴿ وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيرَ الحَقِّ ظَنَّ الجاهِلِيَةِ ، يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الأَمْرِ شَىْءٌ ماقُتِلْنا هاهُنا ﴾ إلى آخر القصة . وهو الذى قال يوم الأحزاب : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدُنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط . فأنزل الله عزّ وجلّ فيه : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنا اللهُ وَرَسُولُهُ إلاَّ غُرُوراً ﴾ والحارثُ بن حاطب .

معتب وابنا حاطب بدريون وليسوا منافقين

قال ابن هشام : مُعتِّب بن قُشير ، وثعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهم من بنى أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لى من أثق به من أهل العلم ، وقد نسب ابنُ إسحاق ثعلبة والحارث فى بنى أمية بن زيد فى أسماء أهل بَدر .

قال ابن إسحاق : وعَبَّاد بن حُنيف ، أخو سهل بن حُنيف ؛ وبَحْزج ،

وهم ممن كان بَنى مسجد الضِّرار ، وعمرو بن خِذام ، وعبد الله بن نَبْتل .

من بنى ثعلبة

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عَوْف : جارِيَةُ بن عامر بن العَطَّاف ، وابناه : زيد ومُجمِّع ، ابنا جارية ، وهم ممن اتخذ مسجد الضرار . وكان مجمِّع غلاما حَدَثا قد جمع من القرآن أكثره، وكان يصلى بهم فيه ، ثم إنه لما أخرب المسجد ، وذهب رجالٌ من بنى عمرو بن عوف ، كانوا يصلون ببنى عمرو ابن عوف فى مسجدهم ، وكان زمانُ عمر بن الخطَّاب ، كُلِّم فى مجمِّع ليصلى بهم؛ فقال : لا ، أوَ ليس بإمامِ المنافقين فى مَسْجد الضِّرار ؟ فقال لعمر : يا أمير المؤمنين ، والله الذى لا إله إلا هو ، ماعلمت بشىء من أمرهم ، ولكنى كنت غلاما قارئا للقرآن ، وكانوا لا قرآن معهم ، فقدّمونى أصلى بهم ، وما أرى أمرَهم ، إلا على أحسن ماذكروا . فزعموا أن عُمر تركه فصلى بقومه .

من بنى أمية

ومن بنى أُميَّة بن زيدْ بن مالك : وَدِيعة بن ثابت ، وهو ممَّن بَنى مسجد الضِّرار ، وهو الذى قال : إنما كنَّا نخُوض ونَلْعب . فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ . . . إلى آخر القصة .

من بنى عبيد

ومن بنى عُبيد بن زيد بن مالك : خِذام بن خالد ، وهو الذى أُخرج

مسجد الضِّرار من داره ؛ وبشر ورافع ، ابنا زيد .

من بنى النبيت

ومن بنى النَّبِيت ـ قال ابن هشام : النَّبِيت : عمرو بنُ مالك بن الأوس ـ قال ابن إسحاق : ثم من بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس : مِرْبع بن قَيْظىّ ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز فى حائطه ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم عامدٌ إلى أُحُد : لا أُحِلُّ لك يا محمد ، إنْ كنتَ نبيا ، أن تمرّ فى حائِطى ، وأخذ فى يده حَفْنة من تراب ، ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بهذا التراب غَيرك لرميتُك به ، فابتدره القومُ ليقتُلوه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دعوه ، فهذا الأعمى ، أعمى القلب ، أعمى البصيرة . فضربه سَعْد بن زيد ، أخو بنى عبد الأشهل بالقوس فشجَّه ؛ وأخوه أوْس بن قَيْظى ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق : يا رسول الله ، إن بيوتنا عورة ، فأْذَنْ لنا فلنرجع إليها . فأنزل الله تعالى فيه ﴿ يَقُولُونَ إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ إنْ يُرِيدُونَ إلاَّ فِرَارا ﴾ .

قال ابن هشام : عورة ، أى مُعْورة للعدوّ وضائعة ؛ وجمعها : عورات قال النَّابغة الذبيانى :

مَتى تَلْقهم لا تَلْق للبيت عَوْرَةً ولا الجار مَحْرُوما ولا الأمرَ ضائعا

. . . .

وهذا البيت فى أبيات له . والعورة (أيضا) : عورة الرجل ، وهى حرمته.
والعورة (أيضا) السَّوءة .

من بنى ظفر

قال ابن إسحاق : ومن بنى ظَفَر ، واسم ظَفَر : كعب بن الحارث بن الخزرج حاطبُ بن أميَّة بن رافع ، وكان شيخا جسيما قد عسا فى جاهليته وكان له ابنٌ من خيار المُسْلمين يقال له يزيد بن حاطب أُصيب يوم أُحد حتى أثبتتْه الجراحات ، فحُمل إلى دار بنى ظَفَر .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بنُ عمر بن قتادة أنه اجتمع إليه مَنْ بها من رِجال المُسلمين ونسائهم وهو بالموت فجعلوا يقولون أبشر يابن حاطب بالجنة . قال فنَجم نِفاقُه حينئذ ، فجعل يقول أبوه أجل جنة والله من حَرْمل، غَررْتُم والله هذا المسكين من نفسه .

قال ابن إسحاق : وبَشِير بن أُبَيْرق ، وهو أبو طُعْمَة ، سارق الدّرعين ، الذى أنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَلا تُجادلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتانُونَ أَنْفُسَهُمْ ، إنَّ اللهَ لايُحِبُّ مَنْ كانَ خَوَّاناً أثيما ﴾ وقُزْمان : حليف لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : إنه لمن أهل النار . فلما كان يوم أُحد قاتل قتالا شديدا حتى قَتل بضعةَ نفر من المشركين ، فأثبتتْه الجراحات ، فحُمل إلى دار بنى ظَفر ، فقال له رجال من المسلمين : أبْشر يا قُزْمان ، فقد أبليتَ اليوم ،

. . . .

وقد أصابك ما ترى فى الله : قال : بماذا أبشر ، فوالله ما قاتلت إلا حمية عن قومى ؛ فلما اشتدت به جراحاته وآذته أخذ سهما من كِنانته ، فقطع به رواهشَ يده ، فقتل نفسه .

من بنى عبد الأشهل

قال ابن إسحاق : ولم يكن فى بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم ، إلا أن الضحاك بن ثابت ، أحد بنى كعب ، رهطِ سعد بن زيد ، قد كان يُتَّهم بالنفاق وحُبّ يهود .

قال حسان بن ثابت :

مَن مُبلغُ الضحَّاك أنّ عُروقه　　أعْيتْ على الإسلامِ أن تَتَمَجْدَا
أتحبّ يُهْدانَ الحجاز ودِينَهم　　كَبِدَ الحمار ، ولا تحبّ محمدا
دينا لعمرى لا يوافق دِينَنا　　ما استنّ آلٌ فى الفَضاء وخَوّدا

وكان جُلاس بنُ سويد بن صامت قبل توبته — فيما بلغنى — ومعتِّب ابن قُشير ، ورافع بن زيد ، وبِشر ، وكانوا يُدْعون بالإسلام ، فدعاهم رجال من المسلمين فى خصومة كانت بينهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعوهم إلى الكُهّان ، حكّام أهل الجاهلية ، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : « أَلَمْ تَرَ إِلى الذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِل إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلى الطاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ويُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً » . . إلى آخر القصة .

من الخزرج

ومن الخزرج ، ثم من بنى النجّار : رافعُ بن وَدِيعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو بن سَهْل .

من بنى جشم

ومن بنى جُشَم بن الخزرج ، ثم من بَنى سَلِمة : الجدّ بن قَيْس ، وهو الذى يقول : يامحمد ، ائذن لى ، ولا تَفتنى . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لى ، وَلا تَفْتِنِّى ألا فِى الفِتْنة سَقَطُوا ، وَإنَّ جَهَنم لمُحيطَةٌ بالـكافِرِينَ ﴾ . . . إلى آخر القصة .

من بنى عوف

ومن بنى عوف بن الخزرج : عبدُ الله بن أبىّ بن سَلُول ، وكان رأسَ المُنافقين وإليه يجتمعون ، وهو الذى قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزُّ منها الأذلَّ فى غَزْوة بنى المُصْطلق . وفى قوله ذلك ، نزلت سورةُ المُنافقين بأسرها . وفيـــه وفى وَديعة - رجل من بنى عوف - ومالك بن أبى قَوْفل ، وسُويد ، وداعس ، وهم من رهط عبد الله بن أبىّ بن سلول ؛ وعبد الله بن أبىّ بن سلول . فهؤلاء النفر من قومه الذين كانوا يدسُّون إلى بنى النضير حين حاصرَهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن اثبتوا ، فوالله لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنـكم . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ ألَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ

كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ، ثم القصة من السورة حتى انتهى إلى قوله : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

من أسلم من أحبار يهود نفاقا

قال ابن إسحاق : وكان ممن تعوّذ بالإسلام ، ودخل فيه مع المُسلمين وأظهره وهو مُنافق ، من أحبار يَهود :

من بنى قينقاع

من بنى قَيْنُقاع : سعدُ بنُ حُنيف ، وزَيْد بن اللُّصَيت ، ونُعمان بن أوفى ابن عمرو ، وعثمان بن أوفى . وزيد بن اللصَيْت ، الذى قاتل عمر بن الخطّاب رضى الله عنه بسوق بنى قَيْنقاع ، وهو الذى قال ، حين ضلّت ناقةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : يزعم محمدٌ أنه يأتيه خبرُ السماء وهو لايدرى أين ناقتُه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءه الخبر بما قال عدوّ الله فى رَحْله ، ودلّ الله تبارك وتعالى رسولَه صلى الله عليه وسلم على ناقته « إن قائلا قال : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ، ولا يدرى أين ناقته ؟ وإنى والله ما أعلم إلا ماعلّمنى الله ، وقد دلنى الله عليها ، فهى فى هذا الشِّعْب ، قد حبَستْها شجرةٌ بزمامها ، فذهب رجالٌ من المسلمين ، فوجدوها حيث قال رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم ، وكما وصف » ورافعُ بن حُرَيملة ، وهو الذى قال له الرسول صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنا ـ حين مات : قد مات اليوم عظيمٌ من عظماء المنافقين ؛ ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هبّت عليه الريح ، وهو قافلٌ من غزوة بنى المُصْطَلق ، فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها ؛ فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوا ، فإنما هبّت لموتِ عَظيم من عُظماء الكفار . فلما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ وجد رفاعةَ بن زَيْد بن التابوت مات ذلك اليومَ الذى هبّت فيه الرّيحُ وسِلْسلة بن بِرْهام . وكنانة بن صُورِيا .

طرد المنافقين من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

وكان هؤلاء المنافقون يحضُرون المسجدَ فيستمعون أحاديثَ المُسْلمين ، ويَسْخَرون ويَسْتهزئون بدينهم ، فاجتمع يوما فى المَسْجد منهم ناسٌ فرآهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يتحدّثون بينهم ، خافضى أصواتهم ، قد لَصِق بعضُهم ببعض ، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُخْرجوا من المسجد إخراجا عَنيفا، فقام أبو أيُّوب ، خالد بن زيد بن كُلَيب ، إلى عَمْرو بن قَيْس ، أحدِ بنى غَنْم بن مالك بن النجار ـ كان صاحبَ آلهتهم فى الجاهلية فأخذ برِجْله فسَحبه ، حتى أخرجه من المسجد ، وهو يقول : أتُخرِجنى يا أبا أيوب من مرْبد بنى ثَعْلبة ، ثم أقبل أبو أيوب أيضا إلى رافع بن وَديعة ، أحد بنى النجّار فلبّبه برِدائه ثم نَتَره نتراً شديدا ، ولطم وجهه ، ثم أخْرجه من المسجد ،

وأبو أيوب يقول له : أفٍّ لك منافقا خبيثا : أدراجَك يامنافق من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : أى ارجع من الطريق التى جئت منها . قال الشاعر :

فولى وأدْبَر أدْرَاجَـه وقد باء بالظلْم من كان ثَمّ

وقام عمارة بن حَزْم إلى زَيد بن عَمْرو ، وكان رجلا طويلَ اللّحْية ، فأخذ بلِحْيَته فقاده بهـا قَوْداً عنيفا حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عُمارة يَدَيْه فلَدَمه بهما فى صدره لَدْمة خَرّ منها . قال : يقول : خدَشْتنى يا عمارة ؛ قال : أبعدك الله يامنافق ، فما أعدّ الله لك من العذاب أشدّ من ذلك ، فلا تقربنّ مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : اللدم : الضرب ببَطْن الكف . قال تميم بن أبى بن مُقبل :

وللفؤاد وَجِيبٌ تحت أبْهره لَدْمَ الوَليد وراء الغَيْب بالحجرِ

قال ابن هشام : الغيب : ما انخفض من الأرض . والأبهر : عِرق القلب .

قال ابن إسحاق : وقام أبو محمد ، رجل من بنى النجّار ، كان بدريّا ، وأبو محمد مَسْعود بن أوْس بن زَيْد بن أصْرم بن زَيْد بن ثَعْلبـة بن غَنْم ابن مالك بن النجّار إلى قَيْس بن عَمْرو بن سَهْل ، وكان قَيْس غلاما شابا ، وكان لايعلم فى المُنافقين شابّ غيره ، فجعل يدفع فى قَفاه حتى أخْرجه من المسجد .

وقام رجل من بَلْخُدرة بن الخَزْرج ، رهط أبى سعيد الخُدْرى ، يقال له : عبد الله بن الحارث ، حين أمَر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراج المنافقين من المَسْجد إلى رجل يُقال له : الحارث بن عمرو ، وكان ذا جُمَّة ، فأخذ بجُمَّته فسَحبه بها سحبا عنيفا ، على ما مرّ به من الأرض ، حتى أخرجه من المَسْجد . قال : يقول المنافق : لقد أغلظْت يابن الحارث ؛ فقال له ؛ إنك أهلٌ لذلك ، أى عدوّ الله لما أنزل الله فيك ، فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنك نَجَس .

وقام رجل من بنى عَمرو بن عوف إلى أخيه زُوَىّ بن الحارث ، فأخْرجه من المسجد إخراجا عنيفا ، وأفَّف منه ، وقال : غلب عليك الشيطانُ وأمْره .

فهؤلاء مَن حضر المسجدَ يومئذٍ من المنافقين ، وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بإخراجهم .

ما نزل من البقرة فى المنافقين ويهود

ما نزل فى الأحبار

ففى هؤلاء من أحْبار يهود ، والمُنافقين من الأوس والخَزْرج ، نزل صَدرُ سورة البقرة إلى المائة منها — فيما بلغنى — والله أعلم .

يقول الله سبحانه وبحمده : ﴿ أَلم ذَلكَ الكِتابُ لارَيْبَ فِيهِ ﴾ ، أى لاشكّ فيه .

قال ابن هشام : قال ساعدة بن جُؤَية الهذلىّ :

فقالوا عَهِدنا القومَ قد حَصَرُوا به فلا رَيْبَ أنْ قد كان ثَمَّ لَحِيمُ

وهذا البيت فى قصيدة له ، وارّيب (أيضا) : الرّيبة . قال خالد بن زُهير الهُذلىّ :

كأننى أُرِيبُه برَيْب

قال ابن هشام : ومنهم من يرويه :

كأننى أرَبْتُه برَيْب

وهذا البيت فى أبيات له . وهو ابن أخى أبى ذُؤَيب الهُذلى .

﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ ، أى الذين يحذرون من الله عقوبتَه فى تَرْك ما يَعْرفون من الهدى ، ويرجون رحمته بالتصديق بما جاءهم منه : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أى يُقيمون الصلاة بفَرْضها، ويُؤْتون الزكاة احتسابا لها : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ، أى يصدّقونك بما جئتَ به من الله عزّ وجلّ ، وما جاء به مَنْ قبلك من المُرْسلين ، لايفرّقون بينهم ، ولا يجحدون ما جاءوهم به من رَبِّهم . ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أى بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان ، أى هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان من قبلك ، وبما جاءك من ربك ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ،أى على نور من ربهم واستقامة على ماجاءهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أى الذين أدركوا ماطلبوا ونَجَوْا

من شرّ ما منه هربوا . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، أى بما أُنزل إليك ، وإن قالوا إنا قد آمنَّا بما جاءنا قبلك ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ أى أنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك ، وجحدوا ما أُخذ عليهم من الميثاق لك ، فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم ، ممَّا جاءهم به غيرُك ، فكيف يستمعون منك إنذاراً أو تحذيراً ، وقد كفروا بما عندهم من علمك . ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ أى عن الهدى أن يُصيبوه أبداً ، يعنى بما كذّبوك به من الحقّ الذى جاءك من ربك حتى يؤمنوا به ، وإن آمنوا بكلّ ما كان قبلك ، ولهم بما هم عليه من خلافك عذابٌ عظيم .

فهذا فى الأحبار من يهود ، فيما كذّبوا به من الحقّ بعد معرفته .

ما نزل فى منافقى الأوس والخزرج

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ يعنى المنافقين من الأوس والخزرج ، ومن كان على أمرهم . ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ والذينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ ، أى شكّ ﴿ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً ﴾ ، أى شكا ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ ، قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ أى إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب. يقول الله تعالى ﴿ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ، قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ، أَلا إِنَّهُمْ

هُمُ السُّفَهاءُ وَلكِنْ لا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ ﴾ من يهود ، الذين يأمرونهم بالتكذيب بالحقّ ، وخلاف ماجاء به الرسول ﴿ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ ، أى إنا على مثل ما أنتم عليه . ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ : أى إنما نستهزىء بالقوم ، ونلعب بهم . يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ اللهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

تفسير بن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام يَعْمَهون : يحارون . تقول العرب : رجل عَمِهٌ وعامه : أى حيران . قال رؤبة بن العَجاج يصف بلدا :

أعمى الهُدى بالجاهلين العُمَّه

وهذا البيت فى أرجوزة له . فالعُمَّه : جمع عامه ؛ وأما عَمِه ، فجمعه : عَمِهون . والمرأة : عمِهة وعَمْهاء .

﴿ أُولَئِكَ الذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالهُدَى ﴾ : أى الكفر بالإيمان ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَما كانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ .

قال ابن إسحاق : ثم ضرب لهم مثلا ، فقال تعالى ﴿ كَمَثَلِ الذي اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ ﴾ أى لا يبصرون الحقّ ويقولون به حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم به ونفاقهم فيه ، فتركهم الله فى ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى ، ولا يستقيمون على حقّ : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ

. . . .

لا يَرْجِعُونَ ﴾ : أى لا يرجعون إلى الهدى ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى عن الخير ، لا يرجعون إلى خير ولا يصيبون نجاةً ما كانوا على ما هم عليه ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فِيهِ ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ، وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ ﴾ .

قال ابن هشام : الصَّيِّب : المطر ، وهو من صاب يصُوب ، مثل قولهم : السيِّد ، من ساد يسود ، والميِّت : من مات يموت ؛ وجمعه : صَيائب . قال عَلْقمة بن عَبَدة ، أحدُ بنى رَبيعة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم :

كأنهمُ صابت عليهم سَحابةٌ صواعقُها لطيرهنّ دَبيبُ

وفيها :

فلا تَعْدِلى بينى وبين مُغَمَّر سقَتْكِ رَوايا المُزْنِ حَيْثُ تَصوبُ

وهذان البيتان فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : أى هم من ظلمة ما هم فيه من الكفر والحذر من القتل ، مِنَ الذى هم عليه من الخلاف والتخوّف لكم ، على مثل ما وُصف ، من الذى هو (فى) ظلمة الصيِّب ، يجعل أصابعه فى أُذنيه من الصواعق حَذَر الموت . يقول : والله منزل ذلك بهم من النقمة ، أى هو محيط بالكافرين ﴿ يَكادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ ﴾ : أى لشدة ضوء الحقّ ﴿ كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ، وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا ﴾ ، أى يعرفون الحقّ ويتكلّمون به ، فهم من قولهم به على استقامة ، فإذا ارتكسوا منه فى الكفر قاموا متحيرين . ﴿ وَلَوْ شاءَ اللهُ

لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وأَبْصَارِهِمْ ﴾ أى لما تركوا من الحقّ بعد معرفته ﴿ إِنَّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

ثم قال : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ للفريقين جميعا ، من الكفار والمنافقين ، أى وحّدوا ربكم ﴿ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشا ، والسَّماءَ بِنَاءً ، وأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقا لَكُمْ ، فَلاَ تَجْعَلُوا لِلهِ أَنْدَاداً وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الأنداد : الأمثال ، واحدهم ندّ . قال لبيد بن ربيعة :

أَحْمَدُ اللهَ فَلا نِدَّ له بِيَدَيْهِ الخَيْرُ ماشاء فَعَلْ

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : أى لاتشركوا بالله غيرَه من الأنداد التى لاتنفع ولاتضرّ ، وأنتم تعلمون أنه لاربّ لكم يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذى يدعوكم إليه الرسولُ من توحيده هو الحقّ لاشكّ فيه . ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فى رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلَى عَبْدِنا ﴾ أى فى شكّ مما جاءكم به ، ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ أى من استطعتم من أعوانكم على ما أنتم عليه ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ فقد تبين لكم الحقّ ﴿ فاتَّقُوا النَّارَ التى وَقُودُها النَّاسُ والحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ ﴾

. . . .

أى لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر .

ثم رغَّبهم وحذّرهم نقضَ الميثاق الذى أخذ عليهم لنبيِّه صلى الله عليه وسلم إذا جاءهم، وذكر لهم بَدْء خَلْقهم حين خلقهم، وشأْنَ أبيهم آدم عليه السلام وأمْرَهُ، وكيف صُنع به حين خالف عن طاعته، ثم قال: ﴿يا بَنِى إسرائيلَ﴾ للأحبار من يهود ﴿اذْكُروا نِعْمَتِىَ التى أنعمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أى بلائى عندكم وعند آبائكم، لمَّا كان نجاها به من فرعون وقومه ﴿وأوفُوا بعَهْدى﴾ الذى أخذتُ فى أعناقكم لنبِيِّى أحمد إذا جاءكم ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أنجزلكم ماوعدتكم على تَصْديقه واتباعه بوَضْع ما كان عليكم من الآصار والأغلال التى كانت فى أعناقكم بذنوبكم التى كانت من أحداثكم ﴿وإيَّاىَ فارْهَبُونِ﴾ أى أن أُنْزل بكم ما أنزلت بمَنْ كان قبلكم من آبائكم من النِّقمات التى قد عرفتم، من المَسخ وغيره ﴿وآمِنُوا بِمَا أنْزَلْتُ مُصَدّقا لمَا مَعَكُمْ، وَلاتَكُونُوا أوّلَ كافر به﴾ وعندكم من العلم فيه ماليس عند غيركم ﴿وَإِيَّاىَ فاتَّقُون * وَلا تَلْبِسُوا الحقَّ بالباطلِ، وَتَكْتُمُوا الحقَّ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أى لاتكتموا ماعندكم من المعرفة برسولى وبماجاء به، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم ﴿أتأْمُرُونَ النَّاس بالبرّ وَتَنْسَوْنَ أنْفسكُمْ وأنْتُمْ تَتْلُونَ الكتابَ أفَلا تَعْقِلُونَ﴾ أى أتنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوّة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم، أى وأنتم تكفرون بما فيها من عهدى إليكم فى تَصْديق رسولى وتَنقُضون ميثاقى، وتَجْحدون ما تَعْلمون من كتابى .

ثم عدّد عليهم أحداثهم ، فذكر لهم العجلَ وما صَنعوا فيه ، وتوْبته عليهم ، وإقالَته إياهم ، ثم قوَلهم : ﴿ أرِنا اللهَ جَهْرَةً ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : جهرة ، أى ظاهراً لنا لا شىء يستره عنّا . قال أبو الأخْزر الحِمَّانى ، واسمُه قُتيبة :

يَجهر أجوافَ المِياه السَّدُم

وهذا البيت فى أرجوزة له .

يجهر : يقول : يُظهر الماء ويَكْشف عنه مايستره من الرمل وغيره .

قال ابن إسحاق : وأخذَ الصاعقة إياهم عند ذلك لغرّتهم ، ثم إحياءه إياهم بعد موتهم ، وتظليلَه عليهم الغمام ، وإنزالَه عليهم المنّ والسَّلوى ، وقوله لهم : ﴿ ادْخُلُوا البابَ سجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ ، أى قولوا ما آمركم به أحطّ به ذنوبكم عنكم ؛ وتبديلَهم ذلك من قوله استهزاءً بأمره ، وإقالَته إياهم ذلك بعد هُزْئهم .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : المنّ : شىء كان يسقط فى السَّحَر على شجرهم ، فَيجتنبونه حُلواً مثل العسل ، فيَشربونه ويأكلونه . قال أعشى بنى قَيْس بن ثعلبة :

لو أُطعِمُوا المنَّ والسَّلْوى مكانَهمُ ما أبصر الناسُ طُعما فيهمُ نجَعا

وهذا البيت فى قصيدة له . والسلوى : طير ؛ واحدتها : سَلْواة ؛ ويقال : إنها السُّمَانى ، ويقال للعسل (أيضا) : السلوى . وقال خالد بن زهير الهُذلىّ :

وقاسَمها باللهِ حَقًّا لأنتمُ أَلذُّ من السَّلْوَى إذا ما نَشُورها

وهذا البيت فى قصيدة له . وحِطَّة : أى حُطَّ عنا ذُنوبَنا .

قال ابن إسحاق : وكان من تَبْديلهم ذلك ، كما حدثنى صالح بن كَيْسان عن صالح مولى التَّوْءمة بنت أُميَّة بن خلف ، عن أبى هُريرة ومن لا أتَّهم ، عن ابن عبَّاس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : دَخَلُوا الباب الذى أُمروا أن يدخلوا منه سُجَّداً يزحفون ، وهم يقولون حِنط فى شعير .

قال ابن هشام : ويروى : حنطة فى شعيرة :

قال ابن إسحاق : واستسقاء موسى لقومه ، وأمره (إياه) أن يضرب بعصاه الحجَرَ فانفجرت لهم منه اثنتا عشرة عينا ، لكلّ سِبْط عَيْن يَشْربون منها ، قد عَلم كلُّ سِبْط عينَه التى منها يشرب ؛ وقولهم لموسى عليه السلام : ﴿ لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعام وَاحِدٍ ، فادْعُ لَنا رَبَّكَ يُخرِجْ لَنا مِمَّا تُنْبِتُ الأرْضُ مِنْ بَقْلِها وَقِثَّائها وَفُومِها ﴾ .

قال ابن هشام : الفُوم : الحنطة . قال أُمية بن الصلت الثَّقفى :

فوقَ شِيزَى مثلِ الجوابى عليها قِطَعٌ كالوذِيل فى نِقْى فُومِ

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الوذيل : قطع الفضَّة والفوم : القمح ؛ واحدته : فُومة . وهذا البيت فى قصيدة له .

. . . .

﴿ وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ، قالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ * اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ ماسأَلْتُمْ ﴾ .

قال ابن إسحاق : فلم يفعلوا . وَرَفْعَه الطُّور فوقهم ليأخذوا ما أُوتوا ؛ والمسخ الذى كان فيهم ، إذ جعلهم قِردةً بأحْداثهم ، والبقرةَ التى أراهم الله عزّ وجلّ بها العِبرَة فى القتيلِ الذى اختلفُوا فيه ، حتى بَيَّن الله لهم أمرَه ، بعد التردد على موسى عليه السَّلام فى صِفة البقرة ؛ وقسوةَ قلوبهم بعد ذلك حتى كانت كالحجارة أو أشدّ قسوة . ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الحِجارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهارُ ، وَإِنَّ مِنْها لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ ، وَإِنَّ مِنها لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾ أى وإن من الحجارة لألينُ من قُلُوبكم عمَّا تدعون إليه من الحق ﴿ وَما اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

ثم قال لمحمد عليه الصلاة والسلام ولمن معه من المؤمنين يُؤيسهم منهم ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ماعَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وليس قــوله يَسْمَعُونَ التَّوْرَاةَ ، أن كلَّهم قد سمعها ، ولـكنه فريق منهم ، أى خاصة .

قال ابن إسحاق ، فيما بلغنى عن بعض أهل العلم : قالوا لموسى : ياموسى ، قد حيل بيننا وبين رؤية الله ، فأسمعنا كلامَه حين يكلِّمك ، فطلب ذلك موسى عليه السلام من ربِّه ، فقال له : نعم ، مُرْهُمْ فَلْيَطَّهَّرُوا ، أو ليطهروا ثيابَهم ، وليصُوموا ، ففعلوا . ثم خرج بهم حتى أتى بهم الطورَ ؛ فلما غشيهمُ الغمام أمرهم موسى فوقعوا سُجَّداً ، وكلَّمه ربه ، فسمعوا كلامه تبارك وتعالى ، يأمرهم

وَنَهاهم ، حتى عَقَلوا عنه ما سمعوا ، ثم انصرف بهم إلى بنى إسرائيل ، فلما جاءهم حرّف فريقٌ منهم ما أمرهم به ، وقالوا ، حين قال موسى لبنى إسرائيل: إن الله قد أمركم بكذا وكذا ، قال ذلك الفريق الذى ذكر الله عزّ وجلّ : إنما قال كذا وكذا ، خلافا لما قال الله لهم ، فهم الذين عنى الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا ﴾ ، أى بصاحبكم رسول الله ، ولكنه إليكم خاصة . ﴿ وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا ﴾ : لا تحدّثوا العربَ بهذا ، فإنكم قد كنتم تَسْتفتحون به عليهم ، فكان فيهم . فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ قالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ عَلَيْكُمْ لِيُحاجُّوكُم بِهِ عِنْدَ رَبِّكُم أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ ، أى تقرُون بأنه نبىّ ، وقد عرفتم أنه قد أُخذ له الميثاق عليكم باتباعه ، وهو يخبركم أنه النبىّ الذى كنا ننتظر ونجد فى كتابنا ؛ اجحدُوه ولا تُقرُّوا لهم به. يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ ، وَمِنْهُم أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الكِتابَ إلاَّ أَمانِيَّ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام ، عن أبى عُبيدة : إلا أمانىّ : إلا قراءة ، لأن الأمىّ : الذى يقرأ ولا يكتب . يقول : لا يعلمون الكتاب إلا (أنهم) يقرءونه .

قال ابن هشام : عن أبي عُبيدة ويونس أنهما تأوّلا ذلك عن العرب في قول الله عزّ وجلّ ، حدثني أبو عبيدة بذلك .

قال ابن هشام : وحدثني يونس بن حَبيب النحوي وأبو عُبيدة : أنّ العرب تقول : تمنّى ، في معنى قرأ . وفي كتاب الله تبارك وتعالى :

﴿ وَما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيّ إلاّ إذَا تَمَنَّى ألْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ . قال : وأنشدني أبو عُبيدة النحويّ :

تَمَنَّى كِتابَ اللهِ أوّلَ ليله وآخِرَهُ وافَى حِمامُ المقادِرِ

وأنشدني أيضا :

تَمَنَّى كتابَ الله في اللَّيلِ خاليا تَمَنِّيَ داودَ الزَّبورَ على رِسْلِ

وواحدة الأماني : أُمنيَّة . والأماني (أيضا) : أن يتمنى الرجلُ المالَ أو غيره .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَإنْ هُمْ إلاّ يَظُنونَ ﴾ : أي لا يعلمون الكتاب ولا يَدْرون ما فيه ، وهم يجحدون نبوّتك بالظنّ . ﴿ وَقالُوا لَنْ تَمَسَّنا النّارُ إلاّ أيّاما مَعْدُودَةً ، قُلْ أتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أمْ تَقُولُونَ على اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ ﴾ .

دعوى اليهود قلة العذاب في الآخرة ورد الله عليهم

قال ابن إسحاق : وحدثني مولى لزيد بن ثابت عن عكرمة ، أو عن سَعيد بن جُبير ، عن ابن عبّاس ، قال : قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم

المدينةَ واليهود تقول : إنما مدّةُ الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما يُعذّب الله الناسَ فى النار بكلّ ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا فى النار من أيام الآخرة ، وإنما هى سبعةُ أيام ثم ينقطع العذاب . فأنزل الله فى ذلك من قولهم : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّاما مَعْدُودَةً * قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ على الله مالا تَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وأحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ أى من عمل بمثل أعمالكم ، وكفر بمثل ما كفرتم به ، يحيط كفره بما له عند الله من حسنة ﴿ فَأُولَئِكَ أَصحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالدونَ ﴾ أى خُلْد أبداً . ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولَئِكَ أَصحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدونَ ﴾ : أى من آمن بما كفرتم به ، وعمل بما تركتم من دينه ، فلهم الجنة خالدين فيها ، يُخبرهم أن الثواب بالخير والشرّ مقيمٌ على أهله أبداً ، لاانقطاع له .

قال ابن إسحاق : ثم قال (الله عز وجل) يؤنّبهم : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أى ميثاقكم ﴿ لا تَعْبُدُون إلاَّ اللهَ ، وَبالوَالِدَيْنِ إِحْسانا ، وَذِى القُرْبَى وَاليَتَامي وَالمَساكِينِ ، وَقُولُوا للنَّاسِ حُسْنا ، وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ ، ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ أى تركتم ذلك كله ليس بالتنقّص . ﴿ وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لاتَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام : تسفكون : تصبُّون . تقول العرب : سَفك دمَه ، أى صبَّه ، وسفك الزقّ ، أى هَراقه . قال الشاعر :

وكنّا إذا ما الضيفُ حلّ بأرضنا سفكنا دِماءَ البُدْنِ فى تُرْبةِ الحالِ

قال ابن هشام : يعنى « بالحال » : الطين الذى يخالطه الرمل ، وهو الذى تقول له العرب : السَّهلة . وقد جاء فى الحديث : أن جبريل لما قال فرعون : ﴿ آمنتُ أنّهُ لا إلهَ إلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائيلَ ﴾ أخذ من حال البحر ﴿ وحَمأته ﴾ فضرب به وجهَ فرعون . (والحال : مثل الحمأة) .

قال ابن إسحاق: ﴿ وَلا تُخْرِجُونَ أنفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ثُمَّ أقْرَرْتُمْ وأنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ على أن هذا حقّ من ميثاق عليكم ﴿ ثُمَّ أنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أنفُسَكُمْ ، وتُخْرِجُونَ فَرِيقا مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ ، تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بالإثْمِ والعُدْوَانِ ﴾ أى أهل الشرك ، حتى يسفكوا دماءهم معهم ، ويخرجوهم من ديارهم معهم ﴿ وَإنْ يَأْتُوكُمْ أُسارَى تُفادُوهُمْ ﴾ وقد عرفتم أن ذلك عليكم فى دينكم ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ : فى كتابكم ﴿ إخْرَاجُهُمْ ، أفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ ، (أى) أتفادونهم مؤمنين بذلك ، وتخرجونهم كفاراً بذلك . ﴿ فَما جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلكَ مِنْكُمْ إلاَّ خِزْىٌ فِى الحياةِ الدنْيا ، وَيَوْمَ القِيامَةِ يُرَدُّونَ إلى أشَدّ العَذاب ، وَما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الحياةَ الدُّنْيا

بالآخِرَةِ ، فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ ، وَلاهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ فأنبهم الله عزّ وجلّ بذلك مِن فِعْلهم ، وقد حرّم عليهم فى التوراة سفكَ دِمائهم ، وافترضَ عليهم فيها فِدَاء أسراهم .

فكانوا فريقين ، منهم بنو قَيْنُقاع ولَفُّهم ، حلفاء الخزرج ، والنَّضيرُ وقُريظة ولفُّهم ، حلفاء الأوس . فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حربٌ خرجت بنو قَيْنُقاع مع الخزرج وخرجت النضيرُ وقُريظة مع الأوس يُظاهر كلٌّ واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه ، حتى يَتسافكوا دماءهم بينهم وبأيْدِيهم التوراةُ يَعْرفون فيها ما عليهم ومالهم ، والأوس والخزرج أهلُ شِرْكٍ يَعبدون الأوثان . لايعرفون جنةً ولا ناراً ، ولا بعثا ولا قيامة ، ولا كتابا ، ولا حلالا ولا حراما ، فإذا وضعت الحربُ أوزارها افتَدوا أُساراهم تصديقا لما فى التوراة ، وأخذ به بعضُهم من بعض، يَفْتدى بنو قَيْنُقاع مَنْ كان من أسْراهم فى أيدى الأوس وتَفْتدى النَّضير وقُريظة مافى أيدى الخَزْرج منهم ويُطِلُّون ما أصابوا من الدماء ، وقَتْلى من قُتِلوا منهم فيما بينهم، مُظاهرةً لأهل الشرك عليهم . يقول الله تعالى لهم حين أنَّبهم بذلك : ﴿ أَفتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتابِ وتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ ، أى تُفاديه بحُكم التوراة وتقتُله ، وفى حكم التوراة أن لاتفعل ، تقتله وتُخْرِجه من داره وتُظاهر عليه من يُشْرك بالله ، ويَعْبد الأوثان من دونه ، ابتغاء عرض الدنيا . ففى ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج - فيما بلغنى - نزلت هذه القصة .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الكِتابَ وَقَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ

. . . .

بالرُّسُلِ ، وآتينا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ البَيِّنات ﴾ ، أى الآيات التى وضعت على يديه ، من إحياء الموتى ، وخَلْقه من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذنِ الله ، وإبراء الأسقام ، والخبر بكثير من الغيوب مما يدَّخرون فى بيوتهم ، وماردّ عليهم من التوراة مع الإنجيل ، الذى أحدث الله إليه . ثم ذكرَ كُفْرهم بذلك كله ، فقال : ﴿ أفَكُلَّما جاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاتَهْوَى أنفُسُكُمْ استكبَرْتُمْ ، فَفَرِيقا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقا تَقْتُلُونَ ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ وَقالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ ﴾ : فى أكنة . يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مايُؤْمِنُونَ * وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جاءَهُمْ ماعَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الكافِرِينَ ﴾.

قال ابن إسحاق : حدثنى عاصم بن عُمر بن قَتادة عن أشياخ من قومه ، قال : قالوا : فينا والله وفيهم نزلت هذه القصة ، كنَّا قد عَلَوْناهم ظَهْراً فى الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب فكانوا يقولون لنا : إن نبياً يبعث الآن نتبعه قد أظلّ زمانه ، نقتلكم معه قتلَ عاد وإرم . فلما بَعث الله رسولَه صلى الله عليه وسلم من قُرَيش فاتبعناه كفروا به . يقول الله : ﴿ وَلَمَّا جاءَهُمْ ماعَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللهِ على الكافِرِينَ * بِئْسَما اشْتَرَوْا بِهِ أنفُسَهُمْ أنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ﴾ ، أى أنْ جعله فى غيرهم : ﴿ فَباءُوا بِغَضَبٍ على غَضَبٍ ، ولِلْكافِرِينَ عَذابٌ مَهِينٌ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : فباءوا بغضب : أى اعترفوا به واحتملوه . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حُبلَى يَسَّرتها قَبيلُها

(قال ابن هشام : يَسَّرتها : أجلستها للولادة . وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : فالغضب على الغضب لغضبه عليهم فيما كانوا ضيَّعوا من التوراة ، وهى معهم ، وغضبٌ بكُفْرهم بهذا النبى صلى الله عليه وسلم الذى أحدث الله إليهم .

ثم أنبهم برَفْع الطُّور عليهم ، واتخاذهم العِجْل إلهاً دون ربهم ، يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاس ، فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أى ادعوا بالموت على أى الفريقين أكْذَبُ عند الله ، فأبَوْا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول الله جلّ ثناؤه لنبيِّه عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أبداً بِمَا قَدَّمَتْ أيْدِيهِمْ ﴾ ، أى بعِلْمهم بما عِنْدهم من العِلْم بك ، والكفر بذلك ، فيقال : لو تمنَّوه يومَ قال ذلك لهم ما بقى على وجه الأرض يهودىّ إلا مات . ثم ذكر رغبتهم فى الحياة الدنيا وطول العُمْر ، فقال تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أحْرَصَ النَّاسِ على حَيَاةٍ ﴾ اليهود ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أشْرَكُوا

يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ العَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ﴾ ، أى ماهو بمُنْجيه من العذاب ، وذلك أنّ المشرك لا يرجو بعثًا بعد الموت ، فهو يحب طول الحياة ، وأن اليهوديّ قد عرف ماله فى الآخرة من الخزْى بما ضيَّع ممّا عنده من العلم . ثم قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ ﴾ .

سؤال اليهود الرسول ، وإجابته لهم عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق : حدثنى عبدُ الله بن (عبد) الرحمن بن أبى حُسين المكىّ عن شَهْر بن حَوْشب الأشعرىّ : أن نفراً من أحبار يهود جاءوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يامحمد ، أخبرنا عن أربع نسألك عنهنّ ، فإن فعلتَ ذلك اتبعناك وصدّقناك وآمنّا بك . قال : فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقُه لئن أنا أخبرتُكم بذلك لتصدقُنّنى ؟ قالوا : نعم ، قال : فاسألوا عمّا بدا لكم ، قالوا فأخْبِرْنا كيف يشبه الولد أمّه ، وإنما النُّطفة من الرجل ؟ قال : فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أُنْشدكم بالله وبأيّامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أن نُطْفَة الرجل بيضاء غليظة ، ونطفَة المرأة صفراء رقيقة ، فأيّتهما عَلَتْ صاحبتَها كان لها الشبهُ ؟ قالوا : اللهم نعم . قالوا : فأخْبرنا كيف نومك ؟ فقال : أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أن نوم الذى تزعمون أنى لستُ به تنام عينُه وقلبُه يقظان ؟ فقالوا : اللهم نعم ، قال : فكذلك نومى ، تنام

عيني وقلبي يقظان . قالوا : فأخبرنا عمَّا حرَّم إسرائيلُ على نفسه ؟ قال : أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أنه كان أحبّ الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولُحومها ، وأنه اشتكى شكوى ، فعافاه الله منها ، فحرّم على نفسه أحبّ الطعام والشراب إليه شكراً لله ، فحرّم على نفسه لحوم الإبل وألبانها ؟ قالوا : اللهمّ نعم . قالوا : فأخبرنا عن الروح ؟ قال : أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمونه جبريل ، وهو الذي يأتيني ؟ قالوا : اللهمّ نعم ، ولكنه يا محمد لنا عدوّ ، وهو مَلَك ، إنما يأتي بالشدّة وبسفك الدماء ، ولولا ذلك لاتبعناك ، قال : فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : ﴿ قُلْ مَنْ كانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِمَا بينَ يَدَيْهِ وَهُدًى وبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . . . إلى قوله تعالى ﴿ أَوَ كُلَّما عاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لايُؤْمِنُونَ * وَلَمَّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ كِتابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ * واتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمانَ ﴾ ، أي السحر ﴿ وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلَكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ .

إنكار اليهود نبوة داود عليه السلام ورد الله عليهم

قال ابن إسحاق : وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغني ـ

لما ذكر سليمان بن داود فى المرسلين ، قال بعضُ أحبارهم : ألا تعجبون من محمد ، يزعم أن سليمان بن داود كان نبيًّا ، والله ما كان إلا ساحراً . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : ﴿ وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلَكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا ﴾ ، أى باتباعهم السحر وعملهم به . ﴿ وَما أُنْزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَما رُوتَ وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ من لا أتهم عن عِكْرمة ، عن ابن عبَّاس ، أنه كان يقول : الذى حرّم إسرائيل على نفسه زائدتا الكَبِد والكُلْيتان والشحم ، إلا ما كان على الظَّهر ، فإن ذلك كان يُقرّب للقُربان ، فتأكله النار .

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر

قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود خَيْبر ، فيما حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت عن عِكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، صاحبِ مُوسى وأخيه ، والمصدّق لما جاء به موسى : ألا إن الله قد قال لكم يامعشر أهل التوراة ، وإنكم لتجدون ذلك فى كتابكم : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانا ، سِيماهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ

السُّجُود ، ذلكَ مَثَلُهم فِي التَّوْرَاةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الإنْجِيلِ كَزَرْعٍ أخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فاسْتَغْلَظَ فاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ ، وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وأجْراً عَظِيماً ﴾ .

وإنى أنشدكم بالله ، وأُنشدكم بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذى أطعم مَنْ كان قبلكم من أسباطكم المنَّ والسَّلْوَى ، وأنشدكم بالذى أيْبس البحرَ لآبائكم حتى أنجاهم من فِرْعون وعَمله ، إلا أخبرتمونى : هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فان كنتم لا تجدون ذلك فى كتابكم فلا كُرْه عليكم . ﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ ـ فأدعوكم إلى الله وإلى نبيّه .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : شطؤه : فراخه ، وواحدته : شطأة . تقول العرب : قد أشطأ الزرع إذا أخرج فِراخَه . وآزره : عاونه ، فصار الذى قبله مثلَ الأمهات . قال امرؤ القيس بن حُجْر الكِنْدىّ :

بمَحْنِيةٍ قد آزر الضَّالَ نَبْتُها مَجَرَّ جُيوش غانمين وخُيَّبِ

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال حُميد بن مالك الأرْقطُ ، أحد بنى رَبيعة ابن مالك بن زيد مَناة :

زَرْعا وَقَضْبا مُؤْزَرَ النَّباتِ

. . . .

وهذا البيت فى أرجوزة له . وسوقه غير مهموز جمع ساق ، لساق الشجرة .

ما نزل فى أبى ياسر وأخيه

قال ابن إسحاق : وكان ممن نزل فيه القرآن ، بخاصة من الأحبار وكُفَّار يهود ، الذى كانوا يسألونه ويتعنَّتُونه ليلبسوا الحقّ بالباطل ـ فيما ذُكِر لى عن عبد الله بن عبّاس وجابر بن عبد الله بن رئاب ـ أن أبا ياسر بن أخْطب مرّ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يتلو فاتحة البقرة : ﴿ الٓمٓ ذَلِكَ الكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ، فأتى أخاهُ حُيَيّ بن أخْطب فى رجال من يهود ، فقال: تعلَّموا والله،لقد سمعت محمداً يتلو فيما أُنزل عليه : ﴿الٓمٓ ذلك الكتاب﴾، فقالوا : أنت سمعتَه ؟فقال : نعم، فمشى حُيىّ بن أخْطب فىأولئك النَّفر من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له : يامحمد ، ألم يُذْكر لنا أنك تتلو فيما أنزل إليك : ﴿ الٓمٓ ذلكَ الكتابُ ﴾ ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه سلم : بلى ، قالوا : أجاءك بها جبريل من عند الله ؟ فقال : نعم ، قالوا : لقد بَعث الله قبلك أنبياء ، مانعلمه بيَّن لنبىّ منهم مامدّة ملكه ، وما أُكْل أمّته غيرك ، فقال حُيىُّ بن أخطب ، وأقبل على من معه ، فقال لهم : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة ، أفتدخلون فى دين إنما مُدة ملْكه وأُكْل أمته إحدى وسبعون سنة ؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يامحمد ، هل مع هذا غيره؟ قال : نعم ،قال ماذا ؟ قال: ﴿المص﴾ . قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة، واللام ثلاثون ، والميم

أربعون ، والصاد تسعون ، فهذه إحدى وستُّون ومائة سنة ، هل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال : نعم ﴿ الر ﴾ قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومائتان ، هل مع هذا غيره يا محمد ؟ قال : نعم ﴿ المر ﴾ . قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة ، ثم قال : لقد لُبِّس علينا أمْرك يا محمد، حتى ما نَدْرى أقليلاً أُعطيت أم كثيراً ؟ ثم قاموا عنه ، فقال أبو ياسر لأخيه حُيَيّ بن أخْطب ولمن معه من الأحبار : ما يُدريكم لعلّه قد جُمع هذا كله لمحمد ، إحدى وسبعون ، وإحدى وستُّون ومائة ، وإحدى وثلاثون ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ، فذلك سبع مائة وأربع وثلاثون سنة ، فقالوا : لقد تشابه علينا أمرُه. فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : ﴿ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ ، وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت من لا أتهم من أهل العِلْم يذكر : أن هؤلاء الآيات إنما أُنزلن فى أهل نَجْران ، حين قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن عيسى بن مَرْيَم عليه السلام .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى محمد بن أبى أُمامة بن سَهْل بن حُنيف ، أنه قد سمع : أن هؤلاء الآيات إنما أنزلن فى نَفر من يهود ، ولم يُفسِّر ذلك لى . فالله أعلم أىّ ذلك كان .

. . . .

كفر اليهود به صلى الله عليه وسلم بعد استفتاحهم به وما نزل فى ذلك

قال ابن إسحاق : وكان فيما بلغنى عن عِكْرمة مولى ابن عبَّاس ، أو عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عبَّاس : أن يهود كانوا يَسْتفتحون على الأوس والخزْرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مَبْعثه ، فلما بَعثه الله من العَرب كفروا به ، وجَحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم مُعاذ بن جَبل ، وبشْر ابن البَراء بن مَعْرور ، أخو بنى سَلمة : يامَعْشر يَهود ، اتقوا الله وأسْلموا ، فقد كنتم تَستفتحون علينا بمحمد ونحن أهلُ شِرْك ، وتُخْبِرونَنا أنه مبعوث ، وتَصِفونه لنا بصفته ، فقال سَلام بن مِشْكم ، أحد بنى النَّضير : ما جاءنا بشىء نعرفه ، وماهو بالذى كنا نذكره لكم ، فأنزل الله فى ذلك من قولهم : ﴿ وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِن عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحونَ على الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جاءَهُمْ ماعَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللهِ على الكافِرِينَ ﴾ .

ما نزل فى نكران مالك بن الصيف العهد إليهم بالنبى

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن الصَّيف ، حين بُعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر لهم ما أُخذ عليهم له من الميثاق ، وما عَهد الله إليهم فيه : والله ما عُهد إلينا فى محمد عهد ، وما أُخِذ له علينا من ميثاق . فأنزل الله فيه :

﴿ أَوَ كُلَّما عاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُم ، بَلْ أَكْثَرُهُم لا يُؤْمنونَ ﴾ .

مانزل فى قول أبى صلوبا « ماجئتنا بشىء نعرفه »

وقال أبو صَلُوبا الفطْيونى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يامحمد ، ماجئْتَنا بشىء نَعْرفه ، وما أُنْزل الله عليك من آية فنتَّبعك لها . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ آياتٍ بَيِّناتٍ وَما يَكْفُرُ بِها إلاَّ الفاسِقُونَ ﴾ .

مانزل فى قول ابن حريملة ووهب

وقال رافع بن حُريملة ، ووَهْب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يامحمد ، ائتنا بكتاب تُنَزِّله علينا من السماء نقرؤه ، وفَجِّر لنا أنهاراً نتبعك و نصدّقك. فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ، وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بالإيمانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : سواء السبيل : وسط السبيل . قال حسَّان بن ثابت :

يا وَيْحَ أنصار النبىّ ورَهْطِه   بعد المُغَيَّب فى سَواء المُلْحَدِ

وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

مانزل فى صد حيي وأخيه الناس عن الإسلام

قال ابن إسحاق : وكان حُيَيّ بن أخْطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب ، من أشدّ يهود للعرب حسداً ، إذ خصّهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم ، وكانا جاهدَيْن فى ردّ الناس عن الإسلام بما استطاعا . فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعد إيمانكم كُفاراً حَسَداً مِن عند أنفسهم ، مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ ، فاعفُوا وَاصْفَحُوا حتى يَأْتِيَ اللهُ بأمْرِهِ ، إنَّ اللهَ عَلَى كُلّ شَيْء قَدِيرٌ ﴾ .

تنازع اليهود والنصارى عند الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : ولمّا قَدِم أهلُ نَجْران من النّصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أحبارُ يهود ، فتَنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رافع بن حُرَيملة : ما أنتم على شيء ، وكَفَر بعيسى وبالإنجيل ، فقال رجلٌ من أهل نجْران من النصارى لليهود : ماأنتم على شيء ، وجحد نبوّة مُوسى وكفر بالتوراة ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : ﴿ وَقالَتِ اليَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارَى عَلَى شَيْء ، وَقالَتِ النَّصارَى لَيْسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيْء ، وَهُمْ يَتْلونَ الكِتابَ ، كَذَلِكَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ، فاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القيامة فِيما كانوافيه يَخْتَلِفُونَ ﴾ ، أى كلّ يتلو فى كتابه تصديق ما كفر به ، أى يكفر اليهودُ بعيسى ، وعندهم التوراة فيها ما أخذ

. . . .

الله عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام ، وفى الإنجيل ماجاء به عيسى عليه السلام ، من تصديق موسى عليه السلام ، وماجاء به من التوراة من عند الله ، وكلٌّ يكفر بما فى يد صاحبه .

ما نزل فى طلب ابن حريملة أن يكلمه الله

قال ابن إسحاق : وقال رافعُ بن حُريملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يامحمد ، إن كنت رسولا من الله كما تقول ، فقل لله فلْيُكلِّمنا حتى نسمع كلامه . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله : ﴿ وَقالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللهُ ، أَوْ تَأْتِينا آيَةٌ كَذَلكَ قال الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ، تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ، قَدْ بَيَّنا الآياتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

ما نزل فى سؤال ابن صوريا للنبى عليه الصلا والسلام بأن يتهود

وقال عبد الله بن صُوريا الأعور الفِطْيونى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الهُدَى إلا مانحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تَهْتَدِ ، وقالت النصارى مثل ذلك . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول عبد الله بن صُوريا وما قالت النصارى : ﴿ وَقالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصارَى تَهْتَدُوا ، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . ثم القصة إلى قول الله تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ، لَهَا ما كَسَبَتْ وَلَكُمْ ما كَسَبْتُمْ ، وَلا تُسْئَلُونَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

. . . .

مقالة اليهود عند صرف القبلة إلى الكعبة

قال ابن إسحاق : ولما صُرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة ، وصُرفت في رجب على رأس سبعةَ عشرَ شهراً من مَقْدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رِفَاعةُ بنُ قيس ، وقَرْدَم بن عمرو ، وكَعْبُ بن الأشرف ، ورافعُ بن أبي رافع ، والحجاجُ بن عمرو ، حليف كعب بن الأشرف ، والربيع بن الربيع بن أبي الُحقَيْق ، وكِنانة بن الربيع ابن أبي الُحقيق ، فقالوا : يامحمد ، ماوَلاَّك عن قبْلتك التي كنت عليها ، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبْلتك التي كنتَ عليها نَتَّبعك ونصدّقك ، وإنما يريدون بذلك فتنَته عن دينه فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهاء مِنَ النَّاسِ ماوَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهمْ الَّتى كانُوا عَلَيْها ، قُلْ لِلهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ ، يَهْدِى مَنْ يَشاء إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وكَذَلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهيداً * وَما جَعَلْنا القِبْلَةَ التى كُنْتَ عَلَيْها إلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ أى ابتلاء واختبارا ﴿ وَإنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ ﴾ أى من الفتن : أى الذين ثبَّت الله ﴿ وَما كانَ اللهُ لِيُضِيعَ إيمانَكُمْ ﴾ أى إيمانكم بالقبلة الأولى ، وتصديقكم نبيكم ، واتباعكم إياه إلى القبلة الآخرة ، وطاعتكم نبيَّكم فيها : أى ليُعطينكم أجرهما جميعا ﴿ إنَّ اللهَ بالنَّاس لَرَءُوف رَحِيمٌ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فى السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً

تَرْضَاها ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ ، وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : شطره : نحوه وقصده . قال عمرو بن أحمر الباهلى — وباهلة ابن يَعْصر بن سعد بن قيس بن عيلان — يصف ناقة له .

تعدو بنا شَطْرَ جَمْعٍ وهى عاقدةٌ قد كارَبَ العَقْدُ من إيفادها الحَقَبا

وهذا البيت فى قصيدة له .

وقال قيس بن خُويلد الهُذلىّ يصف ناقته :

إن النَّعوسَ بهـا داء مُخامِرها فَشَطْرَها نَظَرُ العَيْنين مَحْسُورُ

وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن هشام : والنَّعُوسُ : ناقته ، وكان بها داء فنظر إليها نظر حسير ، من قوله : وهو حسير .

﴿ وإنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَما اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ * وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ، وَما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ، وَما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ماجاءَكَ مِنَ العِلْمِ ، إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

قال ابن إسحاق : إلى قوله تعـــالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ، فَلا تَـكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ .

كتمانهم مافى التوراة من الحق

وسأل معاذ بن جَبل ، أخو بنى سَلمة ، وسعدُ بن معاذ ، أخو بنى عبد الأشهل وخارجةُ بن زيد ، أخو بَلْحارثِ بن الخزرج ، نفراً من أحبار يهود عن بعض مافى التوراة ، فـكتموهم إياه ، وأبَوْا أن يُخْبروهم عنه . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ البَيِّناتِ والهُدَى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الـكِتابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴾ .

جوابهم للنبى عليه الصلاة والسلام حين دعاهم إلى الإسلام

قال : ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اليهود من أهل الـكتاب إلى الإسلام ورغَّبهم فيه ، وحذَّرهم عذابَ الله ونقمته ؛ فقال له رافعُ بن خارجة ، ومالك بن عوف : بل نتبع يامحمد ماوجَدْنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلَمَ وخيراً منَّا * فأنزل الله عزّ وجلّ فى ذلك من قولهما ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا ، أَوَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ .

جمعهم فى سوق بنى قينقاع

ولما أصاب الله عزّ وجلّ قُريشا يوم بَدر جمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يهودَ فى سوق بنى قَيْنُقَاع ، حين قدم المدينة ، فقال : يامعشر يهود ، أسْلِموا قبل أن يُصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشا ، فقالوا له : يامحمد ، لايغرّنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش ، كانوا أغماراً لايعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنّا نحن الناس ، وأنك لم تلق مثلنا ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ، فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وأُخْرَى كافِرَةٌ ، يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رأْيَ الْعَيْنِ ، واللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاء ، إنَّ فى ذلكَ لعِبْرَةً لِأُولى الأَبْصَارِ ﴾ آل عمران : ١٢ ، ١٣ .

دخوله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس

قال : ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيتَ المِدْراس على جماعةٍ من يَهود ، فدعاهم إلى الله ، فقال له النُّعمان بن عمرو ، والحارثُ بن زَيد : على أىّ دين أنتَ يامحمد ؟ قال : على مِلَّة إبراهيم ودينه ، قالا : فإن إبراهيم كان يهوديًّا ؛ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَهَلُمَّ إلى التوراة ، فهى بيننا وبينكم ، فأبَيا عليه . فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ * ذلك بِأَنَّهُمْ قَالُوا : لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ

إلاَّ أيَّاما مَعْدُودَاتٍ ، وَغرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ .

اختلاف اليهود والنصارى فى إبراهيم عليه السلام

وقال أحبارُ يهودَ ونَصارى نجْران ، حين اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازَعوا ، فقالت الأحبار : ما كان إبراهيمُ إلا يهوديًّا ، وقالت النصارى من أهل نجران : ما كان إبراهيم إلا نَصْرانيا . فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : ﴿ ياأهْلَ الكِتابِ لِمَ تُحاجُّونَ فِي إبْرَاهِيمَ وَما أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإنْجِيلُ إلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أفَلا تَعْقِلُونَ . ها أنْتُمْ هَؤُلاءِ حاجَجْتُمْ فِيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، فَلِمَ تُحاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وَاللهُ يَعْلَمُ وأنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ * ما كانَ إبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا ، وَلكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً ، وَما كانَ مِنَ المُشْرِكِينَ . إنَّ أوْلى النَّاسِ بِإبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ، وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ المُؤْمِنِينَ ﴾ .

ما نزل فيما همَّ به بعضهم من الإيمان غدوة والكفر عشية

وقال عبدُ الله بن صيف ، وعدىّ بن زيد ، والحارث بن عوف ، بعضُهم لبعض : تَعالَوْا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غُدوةً ، ونكفر به عشيَّة ، حتى نَلبسَ عليهم دينهم لعلَّهم يصنعون كما نصنع ، ويرجعون عن دينه ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ ياأهْلَ الكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بالباطِلِ ، وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أهْلِ الكِتابِ آمِنُوا بالَّذِى

أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * ولا تُؤْمِنُوا إلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ، قُلْ إنَّ الهُدَى هُدَى اللهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ أَوْ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ، قُلْ إنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ ، وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

ما نزل فى قول أبى رافع والنجرانى
« أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى »

وقال أبو رافع القُرظىّ ، حين اجتمعت الأحبارُ من يهود ، والنَّصارى من أهل نجْران عند رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الإسلام : أتُريد منا يا محمد أن نَعْبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ وقال رجلٌ من أهل نَجْران نَصْرانىّ ، يقال له : الرِّبِّيس ، (ويروى : الريس ، والرئيس) : أو ذاكَ تُرِيدُ منَّا يامحمد وإليه تدعونا ؟ أو كما قال . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : معاذَ الله أن أعْبد غيرَ الله أو آمر بعبادة غيره ، فما بذلك بَعثنى الله ، ولا أمرنى ؛ أو كما قال . فأنزل اللهُ تعالى فى ذلك من قولهما : ﴿ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّةَ ، ثُمَّ يَقُولَ للنَّاسِ كُونُوا عِبادًا لى مِنْ دُونِ اللهِ ، وَلكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتابَ ، وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ بَعْدَ إذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

قال ابن هشام : الربانيُّون : العلماء الفقهاء السادة ، واحدهم : رَبانىٌّ .

. . . .

قال الشاعر :

لو كنتُ مُرْتَهَناً فى القُوسِ أفْتَننى   منها الكَلَامُ وربَّانِىَّ أحْبارِ

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : القُوسُ : صومعة الراهب . وأفتننى ، لغة تميم . وفتننى ، لغة قيس .

قال جرير :

لا وَصْل إذ صَرَمتْ هِندٌ ولو وقفت   لاستَنْزَلَتْنى وذا المِسْحَيْن فى القُوسِ

أى صومعة الراهب . والرّبانى : مشتقّ من الرب ، وهو السيد . وفى كتاب الله : ﴿ فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْراً ﴾ ، أى سيده .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَلا يَأْمُرَكُمْ أنْ تَتَّخِذُوا المَلائِكَةَ والنَّبِيِّينَ أَرْباباً أيأْمُرُكُمْ بالكُفْرِ بَعْدَ إذْ أنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

ما نزل فى أخذ الميثاق عليهم

قال ابن إسحاق : ثم ذكر ما أخذ اللهُ عليهم ، وعلى أنْبيائهم من الميثاق بتصْديقه إذ هو جاءهم ، وإقرارهم ، فقال : ﴿ وإذْ أخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَة ، ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنّ بِهِ ولَتَنْصُرُنَّهُ ، قالَ أأقْرَرْتُم وأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إصْرِى ؟ قالُوا أقْرَرْنا ، قالَ فاشْهَدُوا وأنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ إلى آخر القصة .

. . . .

سعيهم فى الوقيعة بين الأنصار

قال ابن إسحاق : ومَرّ شأس بن قَيْس ، وكان شيخا قد عسا ، عظيم الكُفْر شديد الضِّغن على المُسْلمين ، شديد الحسد لهم ، على نَفَر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخَزْرج . فى مجلس قد جَمَعهم ، يتحدّثون فيه ، فغاظه ما رأى من أُلْفَتهم وجماعتهم ، وصَلاح ذاتَ بَيْنهم على الإسْلام ، بعد الذى كان بينهم من العَداوة فى الجاهلية فقال : قد اجتمع مَلأ بنى قَيْلة بهذه البِلاد ، لا والله مالنا مَعهم إذا اجتمع مَلَؤهم بها من قَرار . فأمر فَتى شابا من يَهُودَ كان معهم ، فقال : اعمِدْ إليهم ، فاجلسْ معهم ، ثم اذكُر يومَ بُعاث وما كان قَبلَه وأنْشِدهم بعضَ ما كانوا تقاولوا فيه من الأشْعار .

شىء عن يوم بعاث

وكان يوم بُعاث يوما اقتتلت فيه الأوْس والخزرجُ ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخَزْرج ، وكان على الأوس يومئذٍ حُضَير بن سِماك الأشْهلى ، أبو أُسَيد بن حُضَير ؛ وعلى الخَزْرج عمرو بن النُّعمان البَياضِىّ ، فقُتِلا جميعا .

قال ابن هشام : قال أبو قيس بن الأسْلت :

على أن قَد فُجِعتُ بذى حِفاظٍ فَعاوَدَنى له حُزْنٌ رَصِينُ

فإمّا تقتلوه فإنّ عمراً   أعضّ برأسه عضْبٌ سَنِين

وهذان البيتان فى قصيدة له . وحديث يوم بُعاث أطولُ مما ذكرتُ ، وإنما منعنى من استقصائه ما ذكرت من القَطْع .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : سنين : مسنون ، من سنَّه ، إذا شحذه .

قال ابن إسحاق : ففَعل . فتكلّم القومُ عند ذلك وتنازعُوا وتفاخروا حتى تَواثب رجلان من الحَيَّين على الرُّكب ، أوس بن قَيْظى ، أحد بَنِى حارثة بن الحارث ، من الأوس ، وجبَّار بن صخر ، أحدَ بنى سَلمة من الخزرج ، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رَدَدْناها الآنَ جذَعة ، فغضب الفريقان جميعا ، وقالوا : قد فَعَلْنا ، موعدكم الظّاهرة - والظاهرة : الحرّة - السِّلاحَ السِّلاح . فخرجوا إليها ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المُهاجرين حتى جاءهم ، فقال : يامعشر المسلمين ، الله الله ، أبِدَعوى الجاهليّة وأنا بين أظْهركم بعد أن هَداكم الله للإسلام ، وأكرمَكم به ، وقَطع به عنكم أمرَ الجاهلية ، واستنقذكم به من الكُفر ، وألّف به بين قلوبكم ، فعرف القومُ أنها نَزْغة من الشيطان ، وكَيدٌ من عدوّهم ، فَبَكوا وعانَق الرجالُ من الأوس والخَزْرج بعضُهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مُطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كَيْدَ عَدوّ الله شأس بن قيس . فأنزل الله تعالى فى شأس ابن قَيسٍ وما صَنع : ﴿ قُلْ يا أهْلَ الكِتابِ لِمَ تَكْفُرونَ بآياتِ اللهِ ،

. . . .

واللهُ شَهِيدٌ عَلَى ما تَعْمَلُونَ * قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً، وأَنْتُمْ شُهَداءُ ، وَما اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

وأنزل الله فى أوسِ بن قَيْظى وجَبَّار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عمَّا أدخل عليهم شأسُ من أمر الجاهلية : ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِين * وكَيْفَ تَكْفُرُونَ وأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آياتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ، وَمَنْ يَعْتَصِمْ باللهِ فَقَدْ هُدِيَ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ * يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . . . إلى قوله تعالى :﴿ وأُولَئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ ﴾.

ما نزل فى قولهم : « ما آمن إلا شرارنا »

قال ابن إسحاق : ولما أسلم عبد الله بن سَلام ، وثعلبة بن سَعْية ، وأُسيد ابن سَعية ، وأسد بن عُبيد ، ومن أسلم من يهود معهم ، فآمنوا وصدّقوا ورغبوا فى الإسلام ، ورسخوا فيه ، قالت أحبارُ يهود ، أهل الكُفْر منهم : ما آمن بمحمَّد ولا اتبعه إلا شِرارنا ، ولو كانوا من أخيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ، مِنْ أَهْلِ الكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللهِ آناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ .

. . . .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : آناء الليل : ساعات الليل ، وواحدها : إِنْىٌ . قال الْمُتَنَخِّل الهُذَلىّ ، واسمه مالك بن عُوَيمر ، يرثى أُثَيلة ابنه :

حُلْو ومرّ كعَطْف القِدْح شيمتُه في كلّ إِنْىٍ قَضَاه اللَّيلُ يَنْتعِلُ

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال لَبيد بن ربيعة يصف حمار وَحْش :

يُطَرِّبُ آناء النَّهار كأنَّه غَوِىّ سَقاه فى التِّجار نَدِيمُ

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال : إِنى مقصور فيما أخبرنى يونس .

﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ ، ويَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ ، وَيُسارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ ، وأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

ما نزل فى نهى المسلمين عن مباطنة اليهود

قال ابن إسحاق : وكان رجال من المسلمين يُواصلون رجالا من اليهود ، لما كان بينهم من الجِوار والحِلْف ، فأنزل الله تعالى فيهم ينهاهم عن مُباطنتهم : ﴿ يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ ، لا يَأْلُونَكُمْ خَبالاً وَدُّوا ما عَنِتُّمْ ، قَدْ بَدَتِ البَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ وَما تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ، قَدْ بَيَّنا لَكُمُ الآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَاأَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ ، وَلا يُحِبُّونَكُمْ ، وَتُؤْمِنُونَ بالكِتابِ كُلِّهِ ﴾ ، أى تؤمنون بكتابكم ، وبما مضى من الكُتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم كنتم أحقّ بالبغضاء لهم منهم لكم ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا

عَلَيْكُمُ الأنامِلَ مِنَ الغَيْظِ ، قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾ إلى آخر القصة .

ما كان بين أبى بكر وفنحاص

ودخل أبو بكر الصدّيق بيت المدراس على يهود ، فوَجد منهم ناسا كثيراً قد اجتمعوا إلى رجُل منهم ، يقال له فِنْحاص ، وكان من عُلمائهم وأحبارهم ، ومعه حَبْر من أحبارهم ، يقال له : أشْيع ، فقال أبو بكر لفِنْحاص : ويحك يافنحاص ! اتّقِ الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمدا لرسول الله ، قد جاءكم بالحقّ من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والإنجيل ، فقال فنحاص لأبى بَكر : والله يا أبا بكر ، ما بِنا إلى الله من فَقْر ، وإنه إلينا لفَقير ، وما نتضرّع إليه كما يتضرّع إلينا ، وإنّا عنه لأغنياء ، وما هو عنّا بغَنِىّ ، ولو كان عنّا غنيًّا ما استَقْرضنا أموالَنا ، كما يزعمُ صاحبُكم ، يَنْهاكم عن الرّبا ويُعْطيناه ، ولو كان عنّا غنيًّا ما أعطانا الرّبا . قال فغضب أبو بكر ، فضَرب وَجْه فِنْحاص ضربا شديداً ، وقال : والذى نَفسى بيده ، لولا العهدُ الذى بَيْننا وبينكم ، لضربتُ رأسَك ، أى عدوّ الله قال : فذهب فِنْحاص إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد انظر ما صنع بى صاحبك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : ما حَمَلك على ما صَنعت ؟ فقال أبو بكر : يارسول الله ، إن عدوّ الله قال قولا عظيما ، إنه زَعم أن الله فقير وأنهم أغنياء ، فلما قال ذلك غضبتُ لله ممّا قال ، وضَربتُ وجهَه . فَجحد ذلك فِنْحاص ، وقال : ماقلتُ ذلك . فأنزل الله تعالى فيما قال فِنْحاص ردًّا عليه ، وتَصْديقاً لأبى بكر : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إنَّ اللهَ فَقِيرٌ

. . . .

ونحن أغنياء ، سنكتب ما قالوا ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، ونقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾ .

ونزل فى أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ، وما بلغه فى ذلك من الغضب : ﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا . وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ .

ثم قال فيما قال فنحاص والأحبار معه من يهود : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمنا قليلا ، فبئس ما يشترون * لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم ﴾ يعنى فنحاص ، وأشيع وأشباههما من الأحبار ، الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زيّنوا للناس من الضلالة ، ويحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، أن يقول الناس : علماء ، وليسوا بأهل علم ، لم يحملوهم على هدًى ولا حق ، ويحبون أن يقول الناس قد فعلوا .

أمرهم المؤمنين بالبخل

قال ابن إسحاق : وكان كردم بن قيس ، حليف كعب بن الأشرف ، وأسامة بن حبيب ، ونافع بن أبى نافع ، وبحرى بن عمرو ، وحيى بن أخطب ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، يأتون رجالا من الأنصار كانوا يخالطونهم ،

. . . .

يَنتصحون لهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون لهم : لا تُنفِقوا أموالكم فإنّا نخشى عليكم الفقرَ في ذهابها ، ولا تُسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون علامَ يكون . فأنزل الله فيهم : ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أى من التوراة ، التى فيها تَصْديق ما جاء به محمدٌ صلى الله عليه وسلم ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا . وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ .

جحدهم الحق

قال ابن إسحاق : وكان رِفاعة بن زَيْد بن التابوت من عُظماء يهود ، إذا كلَّم رسول الله — صلى الله عليه وسلم لَوَى لسانَه ، وقال : أرعنا سَمْعك يا محمد ، حتى نُفهمك ، ثم طعن فى الإسلام وعابَه . فأنزل الله فيه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا ، وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا * مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا ﴾ ، (أى راعنا سمعك) ﴿ لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ ، وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا ، لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

وكلَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رؤساء من أحبار يهود ، منهم :

. . . .

عبد الله بن صوريا الأعور، وكَعْب بن أسد، فقال لهم: يامعشر يهود، اتقوا الله وأسْلِمُوا، فوالله إنكم لتعلمونَ أنّ الذى جِئْتُكم به لَحَقّ، قالوا: مانعرف ذلك يامحمد: فجحدوا ماعرفوا، وأصرُّوا على الكفر، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿ يَاأيها الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلَى أدْبارِها، أوْ نَلْعَنَهُمْ كما لَعَنَّا أصحابَ السَّبْتِ وكانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولا ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام: نَطْمِس: نمسحها فنسوّيها، فلا يُرى فيها عينٌ ولا أنْف ولا فم، ولا شىء مما يُرى فى الوجه، وكذلك ﴿ فَطَمَسْنا أَعْيُنَهُمْ ﴾. المطموس العين: الذى ليس بين جَفْنيه شقّ. ويقال طَمَست الكِتابَ والأثر، فلا يُرى منه شىء. قال الأخطل، واسمه الغَوْث بن هُبيرة بن الصَّلت التَّغلبى، يصف إبلاً كلَّفها ما ذكر:

وتَكْلِيفُناها كلَّ طامِسةِ الصُّوى ... شَطونٍ تَرَى حِرْباءَها يتَمَلمَلُ

وهذا البيت فى قصيدة له.

قال ابن هشام: واحدة الصُّوى: صُوّة. والصُّوى: الأعلام التى يُستدلّ بها على الطرق والمياه.

قال ابن هشام: يقول: مُسِحَت فاستوت بالأرض، فليس فيها شىء ناتئ..

. . . .

النفر الذين حزبوا الأحزاب

قال ابن إسحاق : وكان الذين حزّبوا الأحزاب من قُريش وغَطفان وبنى قُريظة حُيَيّ بن أخْطب ، وسلام بن أبى الُحقيق ، أبو رافع ، والرّبيع بن الربيع ابن أبى الُحقيق ، وأبو عمّار ، ووَحْوح بن عامر ، وهَوْذة بن قيس . فأما وَحْوح ، وأبو عمّار ، وهَوذة ، فمن بنى وائل ، وكان سائرهم من بنى النّضير . فلما قدموا على قُريش قالوا : هؤلاء أحبار يهود ، وأهل العلم بالكتاب الأوّل ، فَسلوهم : دينُكم خير أم دِين محمد ؟ فسألوهم ، فقالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتُمْ أهْدَى منه وممن اتبعه . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الجِبْت (عند العرب) : ماعُبد من دون الله تبارك وتعالى . والطاغوت : كل ما أضلّ عن الحقّ . وجمع الجبت : جُبوت ؛ وجمع الطاغوت : طواغيت .

قال ابن هشام : وبلغنا عن ابن أبى نَجيح أنه قال : الجِبْتُ : السحر ؛ والطاغوت : الشيطان :

﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾ .

قال ابن إسحاق : إلى قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى ما آتاهُمُ

اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ، فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الكِتَابَ والحِكْمَةَ ، وآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ﴾ .

إنكارهم التنزيل

قال ابن إسحاق : وقال سُكَين وعدىّ بن زيد : يامحمد ، مانعلم أنّ الله أنزل على بَشر من شىء بعد موسى . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلى نوح والنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ، وأَوْحَيْنَا إلى إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وَإِسحَاقَ وَيَعْقُوبَ والأَسْبَاطِ وَعِيسَى وأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهارُونَ وَسُلَيْمَانَ ، وآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا . وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ، وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ، وكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً . رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حِجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ، وكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيما ﴾ .

ودخلتْ على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعةٌ منهم ، فقال لهم : أما والله إنكم لتعلمون أنّى رسولٌ من الله إليكم ؛ قالوا : مانعلمه ، وما نَشْهد عليه . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : ﴿ لكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ ، وكَفَى باللهِ شَهِيداً ﴾ .

اجتماعهم على طرح الصخرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضير يَستعينُهم فى دِيَة العامريَّيْنَ اللَّذَين قتل عمرو بن أُمية الضَّمْرى . فلما خلا بعضهم ببعض قالوا : لن تَجِدُوا محمداً أقرَب منه الآن ، فَمنْ رجلٌ يَظْهر على هذا البيت ، فيَطْرح عليه صَخْرة فيُريحنا منه ؟ فقال عَمرو بن جحاش بن كعب : أنا ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ ، فانصرف عنهم . فأنزل الله تعالى فيه ، وفيما أراد هو وقومُه: ﴿ يأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُم إذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أيديهم عَنْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللهَ ،وَعَلَى اللهِ فَلْيَتوكَّلِ المُؤْمِنُونَ ﴾ .

ادعاؤهم أنهم أحباء الله

وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نعمانُ بن أضاء ، وبَحْرِىّ بن عمرو ، وشَأس بن عدىّ ، فكلموه وكلَّمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الله ، وحذّرهم نِقْمته ؛ فقالوا : ما تُخوفنا يا محمد ، نحن والله أبناء الله وأحباؤه ، كقول النصارى . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ وَقالَتِ اليَهُودُ والنصارَى نَحْنُ أبْناءُ اللهِ وأَحِبَّاؤُهُ ، قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ ، وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَ إِلَيْهِ المَصِيرُ ﴾ .

. . . .

إنكارهم نزول كتاب بعد موسى عليه السلام

قال ابن إسحاق : ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يهود إلى الإسلام ورغَّبهم فيه ، وحذّرهم غِيَرَ الله وعقوبَته ، فأبَوْا عليه ، وكفَروا بما جاءهم به ، فقال لهم مُعاذ بن جَبل ، وسعدُ بن عُبادة وعُقبة بن وَهْب : يا معشرَ يهود ، اتَّقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبلَ مَبْعثه ، وتَصِفونه لنا بصفته ، فقال رافع بن حُرَيْملة ، ووَهْب بن يهوذا : ماقلنا لكم هذا قطّ ، وما أنزل الله من كتابٍ بعد موسى ، ولاأرسل بشيراً ولا نذيراً بعده . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : ﴿ يَأَهْلَ الكِتابِ قَدْ جاءكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ما جاءنا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جاءكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

ثم قصّ عليهم خبرَ موسى وما لقى منهم ، وانتقاضَهم عليه ، وما ردّوا عليه من أمر الله حتى تاهُوا فى الأرض أربعين سنة عقوبةً .

رجوعهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فى حكم الرجم

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابنُ شهاب الزّهرىّ أنه سَمع رجلاً من مُزينة من أهل العلم ، يحدّث سَعيد بن المسيب ، أن أبا هُريرة حدثهم : أن أحبارَ يهودَ اجتمعوا فى بيت المِدْرَاس حين قَدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، وقد زَنى رجلٌ منهم بعد إحصانه بامرأةٍ من يهودَ قد أُحْصَنت ، فقالوا : ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد ، فَسَلُوه كيف الحكم فيهما ، وولوه

. . . .

الحكم عليهما ، فإن عمل فيهما بعملكم من التَّجْبِية ـ والتجبية : الجلدُ بحبل من ليف مَطْلِيٍّ بقار ، ثم تُسَوَّدُ وجوهما ، ثم يُحَمَّلان على حمارين ، وتُجعل وجوهُهما من قِبَلِ أدبار الحمارين ـ فاتّبعوه ، فإنما هو مَلِك ، وصدّقوه ، وإن هو حَكَم فيهما بالرَّجْم فإنه نبيّ ، فاحذَروه على ما فى أيديكم أن يَسْلبَكموه . فأتَوْه ، فقالوا : يامحمد ، هذا رجل قد زَنى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت ، فاحكم فيهما ، فقد ولَّيناك الحكم فيهما . فمشى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أحبارَهم فى بيت المدراس فقال : يامعشر يهود أخرجوا إلىَّ علماءكم ، فأخرج له عبد الله بن صُوريا .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعضُ بنى قُريظة : أنهم قد أخرجوا إليه يومئذ مع ابن صُورِيا ، أبا ياسر بن أخْطب ، ووهبَ بن يهوذا ، فقالوا هؤلاء علماؤنا . فسألهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حصّل أمرَهم ، إلى أن قالوا لعبد الله بن صُورِيا : هذا مِن أعلم مَنْ بقى بالتوراة .

قال ابن هشام : من قوله : « وحدثنى بعض بنى قريظة ـ إلى أعلم من بقى بالتوراة » من قول ابن إسحاق ، وما بعده من الحديث الذى قبله .

فخلا به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان غلاما شاباً من أحْدثهم سنّاً فألظّ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسألة ، يقول له : يابن صُورِيا ، أُنْشُدك الله وأُذكِّرك بأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلَم أن الله حكَم فيمن زنى بعد إحصانه بالرَّجْم فى التوراة ؟ قال اللهمّ نعم ، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك لَنَبيّ مُرْسل ولكنهم يحسدونك . قال فخرج رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم . فأمر بهما فرُجِما عند باب مسجده فى بنى غَنْم بن مالك بن النجّار. ثم كفر بعد ذلك ابن صُوريا ، وجَحد نبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا : آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ، وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ أى : الذين بَعثوا منهم من بَعثوا وتخلّفوا ، وأمروهم بما أمروهم به من تحريف الحُكم عن مَواضعه . ثم قال : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ، يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ، وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ ﴾ ، أى الرجم ﴿ فَاحْذَرُوا ﴾ إلى آخر القصة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن يزيد بن رُكانة عن إسماعيل بن طلحة بن إبراهيم ، عن ابن عباس ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برَجْمهما ، فرُجما بباب مسجده ، فلما وجد اليهودىّ مسّ الحجارة قام إلى صاحبته ، فَجَنأ عليها ، يقيها مسّ الحجارة ، حتى قُتلا جميعا .

قال : وكان ذلك مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى تحقيق الزنا منهما .

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كَيسان ، عن نافع مَوْلى عبد الله ابن عمر عن عبد الله بن عمر ، لمّا حكّموا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيهما ، دعاهم بالتوراة ، وجَلَس حَبْر مِنْهم يتلوها ، وقد وضع يدَه على آية الرجم ،

قال : فضرب عبدُ الله بن سلام يد الحبر ، ثم قال : هذه يانبيَّ الله آية الرجم ، يَأبى أن يَتْلوها عليك ، فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ويحكم يامعشر يهود ! ما دعاكم إلى ترك حُكم الله وهو بأيديكم ؟ قال : فقالوا : أمَا والله إنه قد كان فينا يُعْمل به ، حتى زَنى رجل منَّا بعد إحْصانه ، من بُيوت الملوك وأهْل الشَّرف ، فمَنعه الملك من الرجْم ، ثم زَنى رجلٌ بَعْدَه ، فأراد أن يَرْجُمه ، فقالوا : لا والله ، حتى تَرْجم فلانا ، فلمَّا قالوا له ذلك اجتمعوا فأصْلحوا أمْرهم على التَّجْبية ، وأماتوا ذِكْر الرَّجم والعمل به . قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأنا أوّل من أحْيَى أمْر الله وكتابه وعَمل به ، ثم أمَر بهما فرُجما عند باب مَسْجده . قال عبد الله بن عمر : فكنت فيمن رَجَمَهما .

ظلمهم فى الدية

قال ابن إسحاق : وحدثنى داودُ بن الُحصين عن عِكْرمة ، عن ابن عبَّاس : أن الآياتِ من المائدة التى قال الله فيها : ﴿ فاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ، وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا * وَإِنْ حَكَمْتَ فاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بالقِسْطِ إنَّ اللهَ يُحب المُقْسِطينَ ﴾ إنما أنزلت فى الدّية بين بَنى النَّضير وبين بنى قُرَيظة ، وذلك أن قَتْلَى بنى النَّضير ، وكان لهم شرف ، يُؤدّون الدية كاملة ، وأن بنى قريظة كانوا يؤدون نصف الدِّية ، فتحا كموا فى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ذلك فيهم ، فحملهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الحقّ فى ذلك ، فجعل الديةَ سَواء .

قال ابن إسحاق : فالله أعلم أىّ ذلك كان .

قصدهم الفتنة برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن أسد ، وابن صَلُوبا ، وعبد الله بن صُورِيا ، وشَأْس بن قيس ، بعضُهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد ، لعلنا نَفْتنه عن دينه ، فإنما هو بشر ، فأتَوْه ، فقالوا له : يا محمد ، إنك قد عرَفْت أنَّا أحبارُ يهود وأشْرافُهم وسادتُهم ، وأنا إن اتبعناك اتبعتك يهود ، ولم يخالفونا ، وأنّ بيننا وبين بَعْض قومنا خُصومة ، أفنحا كمهم إليك فتَقْضىَ لنا عليهم ، ونؤمن بك ونصدّقك ، فأبى ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليهم . فأنزل الله فيهم : ﴿ وأنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ ، وَلا تَتَّبِعْ أهْوَاءَهُمْ ، وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللهُ إلَيْكَ ، فإنْ تَوَلَّوْا فاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ، وَإنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الجاهِلِيَّة يَبْغُونَ ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يوقِنونَ ﴾ .

جحودهم نبوة عيسى عليه السلام

قال ابن إسحاق : وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نفرٌ منهم : أبو ياسر ابن أخْطب ، ونافع بن أبى نافع ، وعازر بن أبى عازر ، وخالد ، وزيد ، وإزار ابن أبى إزار ، وأشيع ، فسألوه عمَّن يؤمن به من الرسل ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ نُؤْمِنُ باللهِ وَما أُنْزِلَ إلَيْنا ، وَما أُنْزِلَ إلى إبْرَاهِيمَ وإسْماعِيلَ وإسحاقَ وَيَعْقُوبَ والأسْباطِ ، وَما أُوتِيَ مُوسَى وَعيسَى ،

وَما أُوتِىَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ، لا نُفَرِّقُ بينَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ . فلما ذَكر عيسى بن مريمَ جحدوا نُبوّته ، وقالوا : لا نؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الكِتابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إلاَّ أَنْ آمَنَّا باللهِ وَما أُنْزِلَ إلينا وما أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ ؛ وأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقونَ ﴾ .

ادعاؤهم أنهم على الحق

وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رافعُ بن حارثة ، وسَلاَّم بن مِشْكم ، ومالك بن الصّيف ، ورافع بن حُرَيْملة ، فقالوا : يامحمد ، ألستَ تَزْعُم أنك على ملّة إبراهيم ودينه ، وتُؤمن بما عِندنا من التَّوراة ، وتَشْهد أنها من الله حقّ ؟ قال : بلى ، ولكنكم أحدثتم وجَحدتم ما فيها ممَّا أخذ الله عليكم من الميثاق فيها ، وكَتمتم منها ما أُمرتم أن تُبَيِّنوه للنَّاس ، فبرئتُ من إحداثكم؛ قالوا فإنَّا نأخذ بما فى أيدينا ، فإنا على الهدى والحقّ ، ولا نُؤمن بك ، ولا نَتَّبعك ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الكِتابِ لَسْتُمْ عَلَى شَىْء حتى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ والإنجيلَ ، وَما أُنْزِلَ إلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيانا وكُفْرًا ، فَلا تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الكافِرِينَ ﴾ .

إشراكهم بالله

قال ابن إسحاق : وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم النَّحامُ بن زيد ،

. . . .

وقَرْدَم بن كعب ، وبَحْرى بن عمرو ، فقالوا له : يا محمد ، أما تَعلم مع الله إلها غيرَه ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : الله لا إله إلا هو ، بذلك بُعثتُ ، وإلى ذلك أدْعو . فأنزل الله فيهم وفى قولهم : ﴿ قُلْ : أىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً ، قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وبينكم ، وأُوحِىَ إلىَّ هَذَا القُرآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ، أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى ، قُلْ لا أَشْهَدُ ، قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، وَإِنَّنِي بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ ، الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

نهيه تعالى للمؤمنين عن موادّتهم

وكان رفاعة بن زيد بن التابوت ، وسُوَيد بن الحارث قد أظهرا الإسلامَ ونافقا فكان رجالٌ من المسلمين يوادّونهما . فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الذين اتخذوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ والْكُفَّارَ أَوْلِياء ، وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ وَإِذَا جاءوكُمْ قالُوا آمَنَّا ، وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ .

سؤالهم عن قيام الساعة

وقال جَبَل بن أبى قُشير ، وشَمْويل بن زيد ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ، أخْبرنا ، متى تقوم الساعة إن كنتَ نبيًّا كما تقول ؟ فأنزل

الله تعالى فيهما ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى ، لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ، ثَقُلَتْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ، يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

تفسير بن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : أيَّان مُرْساها : متى مُرْساها . قال قَيْس بن الحُدَادِيَّة الخزاعىّ :

فجئتُ ومُخْفِى السِّرَّ بينى وبينها لأسألها أيَّان مَنْ سار راجعُ ؟

وهذا البيت فى قصيدة له . ومرساها : منتهاها ، وجمعه : مَراس . قال الكُميت بن زيد الأسدى :

والمُصِيبين بابَ ما أخطأ النَّا سُ ومُرسَى قواعد الإسلامِ

وهذا البيت فى قصيدة له ومُرسىَ السفينة: حيث تنتهى . وحَفِىّ عنها ـ على التقديم والتأخير ـ يقول : يسألونك عنها كأنَّك حَفِىّ بهم ، فتُخبرهم بما لا تخبر به غيرَهم . والحفىّ : البَرّ المتعهد . وفى كتاب الله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ . وجمعه : أحفياء. وقال أعشى بَنى قَيْس بن ثعلبة :

فإنْ تسألى عنى فيارُبَّ سائلٍ حَفِىّ عن الأعشى به حيثُ أصْعدا

وهذا البيت فى قصيدة له . والحفىّ أيضا : المُسْتَحْفِى عن عِلْم الشىء ، المبالغ فى طلبه .

. . . .

ادعاؤهم أن عزيرا ابن الله

قال ابن إسحاق : وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سلاّم بن مِشْكم ، ونعمانُ بن أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دِحية ، وشأس بن قيس ، ومالك ابن الصيف ، فقالوا له : كيف نتَّبعك وقد تركت قِبْلَتنا ، وأنت لا تَزْعم أن عُزيراً ابنُ الله ؟ فأنزل الله عزّ وجلّ فى ذلك من قولهم : ﴿ وَقالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ الله ، وَقالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللهِ ، ذلكَ قَوْلُهُمْ بأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ، قاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ . إلى آخر القصة .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : يضاهون : أى يشاكل قولُهم قولَ الذين كفروا ، نحو أن تحدِّث بحديث ، فيحدّث آخر بمثله ، فهو يضاهيك .

طلبهم كتابا من السماء

قال ابن إسحاق : وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم محمودُ بن سَيْحان ، ونُعمان بن أضاء ، وبَحْرِىّ بن عمرو ، وعُزير بن أبى عُزير ، وسلاّم بن مِشْكم ، فقالوا : أحقّ يا محمد أن هذا الذى جِئْتَ به لحقّ من عند الله ، فإنا لا نراه متسقا كما تتسق التوراة ؟ فقال : لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتَعْرفون أنه من عند الله . تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة ،

ولو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به ؛ فقالوا عند ذلك ، وهم جميع : فنحاص ، وعبد الله بن صُورِيا ، وابن صلوبا ، وكنانة بن الربيع ابن أبى الحقيق ، وأشْيع ، وكعب بن أسد ، وَشَمويل بن زيد ، وجَبل بن عمرو ابن سُكينة : يامحمد ، أما يعلّمك هذا إنس ولا جنّ ؟ قال فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله ، وإنى لرسول الله ، تجدون ذلك مكتوبا عندكم فى التوراة ؛ فقالوا : يامحمد ، فان الله يصنع لرسوله إذا بعثه مايشاء ويَقْدر منه على ما أراد ، فَأَنْزِل علينا كتابا من السماء نقرؤه ونَعْرفه ، وإلا جئناك بمثل ماتأتى به . فأنزل الله تعالى فيهم وفيما قالوا : ﴿ قُلْ لَئِن اجْتَمَعتِ الإِنْسُ والجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعضُهُمْ لبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الظهير : العون . ومنه قول العرب : تظاهروا عليه ، أى تعاونوا عليه . قال الشاعر :

ياسَمِىَّ النبىّ أصبحتَ للدّيـــن قواما وللإمام ظَهِـيرًا

أى عونا ؛ وجمعه : ظهراء .

سؤالهم له صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين

قال ابن إسحاق : وقال حُيَىّ بن أخطب ، وكعبُ بن أسد ، وأبو رافع وأشيع ، وشَمويل بن زيد ، لعبدِ الله بن سلام حين أسلم : ماتكون النبوّة

في العرب ولكنّ صاحبك مَلِكٌ . ثم جاءوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن ذي القرنين فقصّ عليهم ما جاءه من الله تعالى فيه ، مما كان قصّ على قُريش ، وهم كانوا ممن أمر قُريشا أن يسألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عنه ، حين بعثوا إليهم النَّضر بن الحارث ، وعُقبة بن أبي مُعَيط .

تهجمهم على ذات الله
وغضب الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك

قال ابن إسحاق : وحُدِّثت عن سعيد بن جبير أنه قال : أتى رهطٌ من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يامحمد ، هذا الله خَلَق الخلقَ ، فمن خلق الله ؟ قال : فغضب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى انتُقع لونُه ، ثم ساوَرَهم غَضبا لربِّه . قال : فجاءه جبريلُ عليه السلام فسكَّنه ، فقال : خفِّض عليك يامحمد ، وجاءه من الله بجَواب ما سألوه عنه : ﴿ قُلْ هَوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ * ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

قال : فلما تلاها عليهم ، قالوا : فصِفْ لنا يامحمد كيف خَلْقه ؟ كيف ذراعه ؟ كيف عَضده ؟ فغَضب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أشدّ من غضبه الأوّل ، وساورهم . فأتاه جبريلُ عليه السلام ، فقال له مثلَ ما قال له أوّل مرّة ، وجاءه من الله تعالى بجوَاب ماسألوه . يقول الله تعالى : ﴿ وَما قَدَرُو اللهَ حَقّ قَدْرِهِ والأرْضُ جَمِيعا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ ، والسَّمَوَاتُ

مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عُتبة بن مُسلم ، مولى بنى تَيْم ، عن أبى سَلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبى هُريرة ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يُوشِكُ النَّاس أن يتساءلوا بينهم حتى يقول قائلُهم : هذا الله خَلق الخلْق ، فمن خَلق الله ؟ فاذا قالوا ذلك فقُولوا : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ثم ليتفُل الرجل عن يساره ثلاثا ، ولْيَستعذ بالله من الشيطان الرجيم » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الصمد : الذى يُصمَد إليه ، ويُفْزع إليه ، قالت هِنْد بنت مَعْبد بن نَضلة تَبْكى عمرو بن مَسْعود ، وخالد بن نَضْلة ، عَمَّيْها الأسديَّين ، وهما اللَّذان قَتل النُّعمان بن المُنذر اللَّخمىّ ، وبَنى الغَرِيَّيْنِ اللَّذين بالكوفة عليهما :

ألا بَكَرَ النَّاعى بخَيْرَى بنى أسدْ   بعَمْرو بن مَسْعود وبالسَّيِّد الصَّمَد

بدء الأذان

ذكر حديث[1] عبد الله بن زيد بن ثَعْلَبة بن عبد ربه ، هكذا ذكره ،

---

(١) قال الترمذى : لا نعرف له عن النبى — ص — شيئا يصح إلا هذا الحديث ، وكذا قال ابن عدى ، وخطأ الحافظ فى الإصابة من قال ذلك وذكر أنه جمع له ستة أو سبعة أحاديث فى جزء مفرد .

. . . .

وأكثر النساب يقولون : زيد بن عبد ربه ، وثعلبةُ أخو زيد ذكر حديثه عندما شاور رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فى الأذان ، فقال بعضهم : ناقوس كنا قوس النصارى ، وقال بعضهم : بُوقٌ كبوق اليهود ، وفى غير السيرة أنهم ذكروا الشَّبُّورَ ، وهو البوق . قال الأَصْمَعِىُّ للمُفَضَّل ، وقد نازعه فى معنى بيت من الشعر ، فرفع المفضل صوته ، فقال الأَصْمَعِىُّ لو نَفَخْتَ فى الشَّبُّور مانفعك ، تكلم كلام النمل وأصِب ! ! .

وذكروا أيضاً القُنْع وهو القَرْن ، وقال بعضهم : هو تصحيف إنما هو القُبْعُ والقُنْعُ أولى بالصواب[1] ، لأنه من أقْنع صَوتَه إذا رفَعه ، وقال بعضهم : بل نوقد نارا ، ونرفعها ، فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة ، وقال بعضهم : بل نبعث رجلا ينادى بالصلاة ، فبيناهم فى ذلك أُرِى عبدُ الله بن زيد

---

(١) يذكر ابن الأثير أنها رويت بالباء والتاء والثاء والنون ، وأشهرها وأكثرها : النون . قال الخطابى : سألت عنه غير واحد من أهل اللغة ، فلم يثبتوا لى على شىء واحد — ثم ذكر مثل ما قاله السهيلى فى اشتقاقه — ويقول الزمخشرى : أو لأن أطرافه أقنعت إلى داخله ، أى عطفت ، وقال الخطابى عن القبع إنه سمى بهذا لأنه يقبع فم صاحبه ، أى يستره ، أو من قبعت الجوالق والجراب إذا ثنيت أطرافه إلى داخل . وقيل : القثع من قثع فى الأرض : إذا ذهب ، وقيل : القثع ، وهو دود يكون فى الخشب. قال الخطابى : ومدار هذا الحرف على هشيم ، وكان كثير اللحن والتحريف على جلالة محله فى الحديث هذا ويقول الدكتور بوست عن البوق عند اليهود « آلة موسيقية على هيئة القرن كانوا يصوتون بها فى الأعياد ، وعند إعطاء علامة الحرب ، وما أشبه . وكانت أبواق الكهنة من الفضة » .

. . . .

الرؤيا التى ذكر ابن إسحاق ، فلما أخبر بها رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمره أن يُلْقِيهاَ على بلال ، قال : يارسول الله أنارأيتُها ، وأنا كنت أحبها لنفسى ، فقال : ليؤذِّن بلال ، ولْتُقِمْ أنت ، ففى هذا من الفِقه جواز أن يؤذِّن الرجل ، ويقيم غيره وهو معارض لحديث زِيَادِ بن عبد الله الصَّدَئِىِّ حين قال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم : مَنْ أذَّن فهو أحق أن يُقيم[1] ، فى حديث طويلٍ إلا أنه يدور على عبدِ الرحمن بن زياد بن أَنْعُم الأفْرِيقِىّ وهو ضعيف[2] ، والأول أصح منه . قال أبو داود : وتزعم الأنصار أن عبدَ الله بن زيد حين رأى النداء كان مريضا ، ولولا ذلك لأمره رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) عن زياد بن الحارث الصدائى قال قال رسول الله « ص » يا أخا صداء أذن ، قال : فأذنت . وذلك حين أضاء الفجر ، قال : فلما توضأ رسول الله « ص » قام إلى الصلاة ، فأراد بلال أن يقيم ، فقال رسول الله « ص » يقيم أخو صداء فإن من أذن فهو يقيم . رواه الخمسة إلا النسائى واللفظ لأحمد .

(٢) وثقه يحى بن سعيد القطان ، قل أحمد : حديثه منكر . قال يعقوب ابن شيبة : رجل صالح من الآمرين بالمعروف ، وقال ابن عدى : عامة ما يرويه لايتابع عليه . قال البخارى : هو مقارب الحديث مات سنة ١٥٦ هـ خلاصة تذهيب الكمال. وقال الترمذى عن هذا الحديث : إنما نعرفه من حديث الإفريقى ، وهو ضعيف عند أهل الحديث ضعفه يحى بن سعيد القطان وغيره . وقال أحمد : لا أكتب حديث الإفريقى . قال : ورأيت محمد بن إسماعيل يقوى أمره ، ويقول : هو مقارب الحديث ، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم أن من أذن فهو يقيم وكان سفيان الثورى يعظمه نيل الأوطار ج ٢ ص ٥٦ ط عثمان خليفة .

وهناك تناقض بين نقل الخزرجى فى التذهيب ، وبين ما فى نيل الأوطار فى حكم يحى بن سعيد . وحديث « فأقام هو ، وأذن بلال » فى إسناده محمد ابن عمر الرافعى ، وهو ضعيف ضعفه القطان وابن نمير ويحى بن معين .

. . . .

بالأذان ، وقد تكلمت العلماء في الحكمة التي خصت الأذان بأن رآه رجل من المسلمين في نومه ، ولم يكن عَنْ وَحْيٍ من الله لنبيه كسائر العبادات والأحكام الشرعية ، وفي قول النبي — صلى الله عليه وسلم — له : إنها لرُؤْيا حَقٌّ ، ثم بنى حكم الأذان عليها ، وهل كان ذلك عن وحي من الله له ، أم لا ؟ وليس في الحديث دليلٌ على أن قوله ذلك كان عن وَحْيٍ ، وتكلموا : لِمَ لم يُؤَذِّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل أذن قط مَرَّةً من عُمْره دهره أم لا ؟ .

فأما الحكمة في تخصيص الأذان برؤيا رجل من المسلمين ولم يكن عن وحي فلأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُرِيَهُ ليلة الإسراء ، وأُسْمِعَهُ مَشَاهَدَةً فوق سَبْع سَمٰوات[1] ، وهذا أقوى من الوحي ، فلما تأخر فرضُ الأذان إلى المدينة ، وأرادوا إعلام الناس بوقتِ الصلاة تَلَبَّثَ الوحي حتى رأى عبدَ الله الرؤيا ، فوافقتْ ما رأى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم ؛ فلذلك قال : إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، وعلم حينئذ أن مُراد الحق بما رآه في السماء ، أن يكونَ سُنَّةً في الأرض[2] ، وقوّى ذلك عنده موافقةُ رؤيا عمر الأنصاري

---

(١) رواه البزار في مسنده ، وفي إسناده : زياد بن المنذر الهمداني أوالنهدي أبو الجارود الأعمى الكوفي رأس الجارودية مبتدع ضال . كذبه ابن معين . وقال عنه كذاب عدو الله واتهمه ابن حبان بالوضع . وقال الذهبي وابن كثير : هذا الحديث من وضعه ، فكيف يستند السهيلي إلى حديث مثل هذا؟ وفي هذا الحديث يزعم أن النبي صعد إلى ما فوق السماء بالبراق .

(٢) كل هذا يبنيه على بيت عنكبوت . ينشر في صورة حديث لعن الله مفتريه .

. . . .

مع أن السكينة تنطق على لسان عُمَر واقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الأذانُ على لسان غير النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين ، لما فيه من التَّنْويه من الله لعبده ، والرفع لذكره ، فلأنْ يكونَ ذلك على غير لسانه أنْوَه به وأفخم لشأنه ، وهذا معنًى بَيِّن فإن الله سبحانه يقول : ﴿ ورَفَعْنَا لكَ ذِكْرَكَ ﴾ فمِنْ رَفْعِ ذكره أن أشاد به على لسانِ غيرِه . فإن قيل : وَمن رَوَى أنه أُرِيَ النداء من فوق سبع سَموات ، قلنا : هو فى مسند أبى بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار .

حدثنا أبو بكر محمد بن طاهر الإشْبِيلِيّ سماعا وإجازةً عن أبى على الغسَّانى عن أبى عمر النَّمَرِيّ بإسناده إلى البزار ، قال البَزَّار : نا محمد بن عثمان بن مَخْلَد ، نا أبى عن زياد بن المنذِر ، عن محمد بن على بن الحسين عن أبيه عن جده ، عن على بن أبى طالب — رضى الله عنه — قال : لما أراد الله أن يُعَلِّم رسولَه الأذانَ أتاه جبريلُ صلى الله عليه وسلم بدابَّةٍ يقال لها البُرَاق ، فذهب يركبها ، فاستصعبت ، فقال لها جبريل : اسكُنِى فوالله ما ركبك عبدٌ أكرم على الله من محمد — صلى الله عليه وسلم — قال : فركبها حتى انتهى إلى الحجاب الذى يلى الرحمن — تباركَ وتعالى — قال : فبينما هو كذلك ، إذ خرج ملَكٌ من الحِجاب ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ياجبريل مَنْ هذا ؟ فقال والذى بعثك بالحق إنى لأقرب الخلق مكانا ، وإن هذا الملَكَ ما رأيته مُنْذُ خُلِقْتُ قبل ساعتى هذه ، فقال ؟ الملك : الله أكبر ، الله أكبر قال فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدْى أنا أكبر أنا أكبر ، ثم قال الملك أشهد أن لا إلَه إلا الله ، قال : فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى أنا الله لا إله إلا أنا ، قال : فقال

. . . .

للمَلَك : أشهد أن محمدا رسول الله . قال : فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أرسلت محمدا ، قال المَلَك حَيَّ على الصلاة ، حَيَّ على الفلاح ، ثم قال الملك : الله أكبر الله أكبر ، قال : فقيل من وراء الحجاب : صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر ، ثم قال : لا إله إلا الله ، قال : فقيل مِنْ وَرَاء الحجاب : صَدَق عبدى أنا لا إله إلا أنا ، قال : ثم أخذ المَلَك بيد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقدمه فأمَّ أهلَ السماء ، فيهم آدمُ ونوحٌ قال أبو جعفر محمد بن على : يومئذ أكمل الله لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشرف على أهل السمواتِ والأرض.

قال المؤلف : وأخْلِقْ بهذا الحديث أن يكون صحيحا لما يَعْضُدُه ويُشاكله من أحاديث الإسراء فبمجموعها يحصل أن معانى الصلاة كلها وأكثرها ، قد جمعها ذلك الحديث ، أعنى الإسراء ، لأن الله ـ سبحانه ـ رفع الصلاة التى هى مُناجاةٌ عن أن تُفْرَضَ فى الأرض ، لكن بالحضرة المقدَّسة المطهَّرة ، وعند الكعبة العليا ، وهى البيت المعْمُور ، وقد ذكرنا طَرفاً من هذا الغرض ، ونبذاً من هذا المقصد فى شرح حديث الإسراء وينضاف إليها فى هذا الحديث ذكر الأذان الذى تضمنه حديثُ البزار مع ماروى أيضاً أنه مَرّ وهو على البراق بملائكة قِيام ، وملائكةٍ رُكُوعٍ ، وملائكةٍ سُجُودٍ وملائكةٍ جلُوسٍ ، والكلُّ يُصلون لله ، فُجمعت له هذه الأحوال فى صلاتِه ، وحين مَثَل بالمقام الأعلى ، ودنا فتدلى أُلْهِم أن يقول : التحياتُ لله إلى قوله : الصلواتُ لله ، فقالت الملائكة : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، فقال السلام

. . . .

علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فقالت الملائكة أشهد أن لا إله إلاَّ الله ، وأشهد أن محمدا رسولُ الله ، فجمع ذلك له فى تَشَهُّده .

وانظر بقلبك كيف شُرِع له عليه السلام ولأمته أن يقولوا تسع مرات فى اليوم والليلة فى تسع جلسات فى الصلوات الخمس بعد ذكر التحيات : السلام علينا ، وعلى عباد الله الصالحين ، فيحيون ويحيون تحية من عند الله مباركة طيبة ، ومن قوله : السلام علينا كما قيــل لهم ، فسلموا على أنفسكم تحيةً من عند الله ، ومن ثم قال: الطيبات المبارَكاتُ ، كما فى رواية ابن عباس فى التشهد انظر إلى هذا كله كيف حيا وحُيِّ تسع مرات ، حَيَّته ملائكةُ كلِّ سماء ، وحَيَّاهم ، ثم ملائكةُ الكرسى ، ثم ملائكة العرش ، فهذه تسعٌ ، فجُعِل التشهدُ فى الصلوات على عدد تلك المرات التى سَلَّم فيها وسُلِّم عليه ، وكلها تحياتٌ لله، أى:من عند الله مباركة طيبة ، هذا إلى نُكت ذكرناها فى شرح سُبْحانَ الله وبحمده ، فإذا جمعت بعض ما ذكرناه إلى بعضٍ عرَفت جملة من أسرارِ الصلاةِ وفوائدِها الجلية دون الخفية ، وأما بقية أسرارِها وما تضمنته أحاديثُ الإسراء من أنوارها ، ومافى الأذان من لطائف المعانى والحِكم ، فى افتتاحه بالتكبير وختمه بالتكبير مع التكرار ، وقول : لا إله إلا الله فى آخره ، وأشهد أن لا إله إلا الله فى أوله ، وما تحت هذا كله من الحِكم الإلهية التى تملأ الصُّدورَ هيبة وتُنوِّر القلوب بنور المحبة ، وكذلك ماتضمنته الصلاةُ فى شَفْعها وَوَتْرها والتكبير فى أركانها ، ورفع اليدين فى افتتاحها ؛ وتخصيص البقعة المكرَّمة بالتوجُّه إليها ، مع فوائد الوضُوء من الأحداث لها ، فإن فى ذلك كلِّه من فوائد الحكمة ، ولطائف المعرفة مايزيد فى ثَلَج الصدور ،

. . . .

ويَكْحُل عينَ البَصِيرة بالضِّياء والنور ، ونعوذ بالله أن ننزع فى ذلك بِمَنْزَعٍ فَلسَفِىٍّ أو مقالة بِدْعِىٍّ ، أو رأىٍ مُجرَّد من دليـــل شَرْعِىٍ ، ولـكن بِتَلْوِيحَاتٍ من الشريعة ، وإشارات من الـكتاب والسنة يَعْضُد بعضُها بعضا ، وينادى بعضُها بتصديق بعض : ﴿ وَلَوْ كَانَ من عند غيرِ الله لَوَجَدوا فيه اخْتِلَافاً كثيرا ﴾ النساء ٨٢ . لـكن أضربْنا فى هذا الـكتابِ عن بَثِّ هذه الأسرارِ ، فإن ذلك يخرج عن الغَرض المقصود ، ويَشْغَل عما صَمَدْنا إليه فى أول الـكتاب ، ووعدنا به الناظرَ فيه من شرح لغاتٍ وأنساب وآداب ، والله المستعان .

وقد عُرفت رؤيا عبد الله بن زيد وكيفيتها برواية ابن إسحاق وغيره ، ولم تُعْرَف كيفيةُ رؤيا عمر حين أُرِىَ النداء ، وقد قال : قد رأيت مثل الذى رأى ، لـكن فى مُسْنَد الحارث بيانٌ لها . روى الحارثُ [بن أبى أسامة] فى مُسْنده (١) أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : أولُ من أَذَّن بالصلاة جبريلُ أذّن بهـا فى سماء الدنيا فسمعه عُمَرُ وبلالٌ فسبق عمرُ بلالا إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم فأخبره بهـا ، فقال عليه السلام لبلال : سبقك بهـا عمر ، وذكر باقى الحديث . وظاهرُ هذا الحديثِ أن عمرَ سمع ذلك فى اليقظة ، وكذلك رؤيا عبد الله بن زيد فى الأذان رآها ، وهو بين النائم واليَقْظانِ : قال : ولو شئت لقلت : كنت يَقْظَانا (٢) .

---

(١) رواه بسند واه عن كثير الحضرمى .

(٢) فى رواية معاذ بن جبل عند الإمام أحمد : ولو قلت : إنى لم أكن نائما لصدقت

=

. . . .

فصل : وأما قولُ السائل : هل أذَّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنفسه قَطُّ ، فقد روى الترمذى من طريقٍ يدور على عمر بن الرماح(١) يرفعه إلى أبى هريرة(٢) أن رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أذَّن فى سفر، وصلى بأصحابه، وهم على رَوَاحِلِهم ، السماء من فوقهم والبِلَّة من أسفلهم ، فنَزَع بعضُ الناس بهذا الحديث إلى أنه أذَّن بنفسِه ، وأسنده الدَّارَقُطْنِي بإسناد الترمذى إلا أنه لم يذكر عُمَر بن الرماح ، ووافقه فيما بعده من إسنادٍ وَمتْنٍ ، لكنه قال فيه :

= وهذا للنفس أن تلح فى معرفة كيف كان ينادى للصلاة قبل الهجرة ؟ يجزم ابن المنذر بأنه عليه الصلاة والسلام كان يصلى بغير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة إلى أن هاجر إلى المدينة إلى أن وقع التشاور فى ذلك . ولكن توجد بعض الأحاديث عند الطبرانى والدارقطنى وغيرهما تدل على أنه شرع فى مكة . غير أن رجال السند يضعفون هذه الأحاديث . على أن الحرية الرحيبة التى من بها الله على نبيه وأصحابه فى المدينة توحى بأن الحاجة إلى الإعلام بالصلاة راحت تلح على النفوس ، وكانت القسوة الباغية من قريش تكبتها فى النفس ، ولا تدع لها قبل الهجرة بابا تنطلق منه .

(١) هو ابن ميمون بن بحر بن سعد الرماح البلخى أبو على أو سعد هو الرماح ، فنسبه إلى جده الأعلى قاضى بلخ المتوفى سنة ١٧١ روى له الترمذى ، ووثقه ابن معين وأبو داود

(٢) الحديث عند الترمذى والدارقطنى من حديث يعلى بن مرة بن وهب الثقفى ممن بايع تحت الشجرة ، فسبق السهيلى حفظه ، أو سبق مستمليه قلمه ، لأنه كان ضريرا « الزرقانى على المواهب ص ٣٨٠ جـ ١ وقال الترمذى عن الحديث : غريب تفرد به عمر بن الرماح ، ولا يعرف إلا من حديثه .

. . . .

فقام المؤذن ، فأذن ، ولم يقل : أذن رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمُتصَّل يَقْضِى على الْمُجْمَلِ الْمُحْتمل ، والله أعلم .

حديث صرمة بن أبى أنس

واسم أبى أنس : قَيْسُ بن صِرْمَة بن مالك بن عَدِى بن عَمْرو بن غَنْم(١) ابنِ عَدِىّ بن النَّجَّار الأنصارى ، وهو الذى أنزل الله فيه ، وفى عُمَر رضى الله عنهما : ﴿ أُحِلَّ لكم ليلَةَ الصِّيام الرَّفَثُ إلى نِسائكم ﴾ البقرة : ١٨٧ إلى قوله : ﴿ وعفا عنكم ﴾ فهذه فى عمر ، ثم قال : ﴿ وكُلوا واشْرَبُوا ﴾ إلى آخر الآية ، فهذه فى صِرْمَة بن أبى أنس(٢) ، وذلك أن إتيان النِّساء ليلاً فى رَمَضَانَ

---

(١) فى الإصابة : عامر بن غانم . وفيه أيضاً : صرمة بن أنس ، ويقال : ابن أبى أنس ، ويقال : ابن قيس وكنيته : أبو قيس . وفى حرف القاف يقول قيس بن صرمة ، وقيل : صرمة بن مالك أبو صرمة . وقيل : قيس بن أنس أبو صرمة . وفرق ابن حبان بين قيس بن مالك وقيس بن صرمة ، فقال فى كل منهما له صحبته . وفى جمهرة ابن حزم عن بنى عدى بن النجار « منهم : صرمة بن أبى أنس ، واسم أبى أنس : قيس بن صرمة بن مالك بن عدى بن النجار أسلم ، وهو شيخ كبير ، وكان قد رفض الأوثان فى الجاهلية ، وعمه : أنس بن صرمة الشاعر ، وهو الذى يقول « ثوى فى قريش بضع عشرة حجة . . . الخ » ص ٣٣٠ ط أولى .

(٢) ورد مثل هذا فى حديث رواه أحمد وأبوداد والحاكم من طريق عبد الرحمن بن أبى ليلى ، ولكن هذا لم يسمع من معاذ ، ورواية البخارى على اختصارها عظيمة هنا ، فقد روى بسنده عن أبى إسحاق قال : سمعت البراء « رضى » لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله ، وكان رجال =

. . . .

كانَ مُحَرَّما عليهم فى أول الإسلام بعد النوم ، وكذلك الأكْلُ والشُّرب كان محرما عليهم بعد النوم(١) فأما عمر ، فأراد امرأته ذات ليلة ، فقالت له : إنى قد نمت ، فقال : كذبت ثم وقع عليها ، وأما صِرْمَة فإنه عمل فى حائِطه وهو صائم ، فجاء الليل وقد جَهَده الكَلاَلُ فغلبته عينُه قبل أن يفطر ، فجاءته امرأتُه بطعام كانت قد صنعته له ، فوجدته قد نام ، فقالت له : الْخَيْبَةُ لك حَرُم عليك الطعامُ والشرابُ فبات صائما ، وأصبح إلى حائطه يعمل فيه ، فمرَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو طَلِيحٌ قدَ جَهده العطشُ مع مابه من الجوع والنَّصَب ، فسأله رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره بقصته فرقَّ له عليه السلام ، ودمعت عيناه ، فأنزل الله تعالى الرُّخْصة ، وجاء بالفرج . بدأ بقصة عمر لفضله ، فقال : ﴿ فالآن باشِرُوهن ﴾ ثم بِصِرْمة فقال : ﴿ وكُلوا واشْرَبُوا ﴾ قال بعض أشياخِ الصوفية : هذه العناية من الله أخطأ عمر خَطِيئة فرُحِمَت الأمة بسببها(٢) .

= يخونون أنفسهم ، فأنزل الله تعالى : (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ، فتاب عليكم) الآية .

(١) وقيل : كان إلى صلاة العشاء ، أو ينام .

(٢) الرواية الصحيحة عند البخارى «وكان رجال يخونون أنفسهم» فهى ليست خطيئة ، ولا خطأ عمر وحده ، وإن صح الحديث الذى ينسب إلى عمر هذا .

. . . .

من شرح شعره :

وذكر من شعر صرمة :

فأوصيكمُ باللهِ والْبرِّ والتُّقَى ... وأعراضِكم والبرُّ باللهِ أَوَّلُ

برفع البر على الابتداء ، وأولُ خَبرٌ له ، وقد يحتمل فى الظاهر أن يكون ظرفا فى موضع الخبر ، ولـكن لا يجوز ذلك فى هذه الظروف المبنية على الضَّمِّ أن تـكونَ خبرَ المبتدإ ، لا تقول : الصلاة ، قبلُ إلا أن تقولَ : قبل كذا ، ولا الخروج بعدُ إلّا أن تقولَ : بعد كذا ، وذلك لِسرٍّ دقيق قد حَوَّم عليهما ابنُ جنِّى(١) فلم يُصِبِ المَفْصِل ، والذى منع من ذلك أن هذه الغايات إنما تعمل فيها الأفعال الملفوظُ بها لأنها غاياتٌ لأفعالٍ متقدمةٍ ، فإذا لم تأتِ بفعل يعمل فيها ، لم تـكن غايةً لشىء مذكورٍ ، وصار العامل فيها معنويا ، وهو : الاستقرار ، وهى مضافةفى المعنى إلى شىء ، والشىء المضافُ إليه معنوى ، لا لفظى ، فلا يدل العاملُ المعنوى على معنوى آخر ، إنمـا يدل عليه الظاهرُ اللفظى ، فَتأَمَّلْه ، فالضمة فى أولُ على هـــذا حركة إعراب ، لاحركة بناء ، ولو قال : ابدأ بالبر أوَّلُ لـكانت حركة بناء ، لـكن من رواه : والبرِّ بالله أولُ بخفض الراء من البر فأول حينئذ ظرف مبنى على الضم يعمل فيه : أوصيكم

وفيه : وإن أنتم أَمْعَرْتُم فتعففوا ، الإمعارُ : الفَقْر(٢) .

---

(١) أنظر ص ٣٦٢ حـ ٢ الخصائص لابن جنى .

(٢) فى رواية — كما ذكر الخشنى — أمعزتم : أى أصابتكم شدة ، من قولهم رجل ماعز ومعز أى شديد .

. . . .

ومن شعره :

سَبِّحوا اللهَ شَرْقَ كُلِّ صَبَاح طلعت شَمْسُه وكُلَّ هِلَالِ

الشرق : طلوعُ الشمس ، وهو من أسمائها أيضا ، وكذلكَ الشَّرَق بفتح الراء وكلَّ هلال بالنصب على الظرف ، أى : وقْت كُلّ هلال ، ولو قلت فى مثل هذا : وكُلَّ قمر على الظرف ، لم يجز ، لأن الهلال قد أُجْرِى مُجْرَى المصادر فى قولهم : الليلة الهلال ؛ فلذلك صح أن يكون ظرفا لأن المصادر قد تكون ظروفا لمعانٍ وأسرارٍ ليس هذا موضعا لذكرها ، ولو خفضت وكُلِّ هلال عطفا على صباح ، لم يجز لأن الشرقَ لايضاف إلى الهلال كما يضاف إلى الصباح .

وفيـــه :

وله شَمَّسَ النصارى

يعنى دين الشَّمَامِسَة(١) ، وهم الرُّهْبَانُ لأنهم يُشَمِّسُون أنفسَهم ، يريدون تعذيبَ النفوسِ بذلك فى زعمهم .

وفيـــه :

يا بَنِىَّ الأرحامَ لا تَقْطَعُوها

بنصب الأرحام ، وهو أجود من الرفع فى هذا الموضع للنهى .

وقوله :

وصِلُوها قصيرةً من طَوال

(١) الشماس : خادم الكنيسة ، ومرتبته دون القسيس .

. . . .

وقد أملينا فيها فى غير هذا الكتاب ما نعيده هٰهنا بحول الله ، وأملينا أيضاً فى معنى الرَّحِم واشتقاق الأم لإضافة الرَّحم إليها ، ووضعها فيه عند خلق آدم وحوّاء ، وكون الأم أعظم حَظًّا فى البِرِّ من الأب ، مع أنها فى الميراث دونه أسراراً بديعة ، ومعانى لطيفة أودعناها كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية ، فلتنظر هنالك .

وأما قوله : قصيرَةً مِنْ طوال ، فيحتمل تأويلين أحدهما : أن يريد : صِلُوا قِصرَها من طوالِكم ، أى : كونوا أنتم طوالا بالصِّلة والبِر إن قصرت هى ، وفى الحديث:[أنه قال لأزواجه] : أسْرَعُكُنَّ لُحوقا بى : أطولكن يداً [فاجتمعن يتطاولن ، فطالتهن سَوْدَة ، فماتت زينب أولهن] أراد الطَّوْل بالصدقة والبر ، فكانت تلك صفةُ زينب بنت جَحْش(١) . والتأويلُ الآخر : أنْ يريد مدحا لقومه بأن أرحامَهم قصيرةُ النسب ، ولكنها من قوم طوال كما قال :

أُحبُّ من النِّسوان كُلَّ طَويلةٍ لهـا نَسَبٌ فى الصالحين قصيرُ

وقال الطائى :

أنتم بَنُو النَّسَبِ القصيرِ وطُولكم بادٍ على الكُبراء والأشْرافِ

والنَّسَبُ القصير : أنْ يقول : أنا ابنُ فلانٍ فيُعْرف ، وتلك : صفة

---

(١) المعنى فى الحديث : أمدكن يدا بالعطاء من الطول ، فظننه من الطول ، وكانت زينب تعمل بيدها وتتصدق به . النهاية لابن الأثير .

. . . . : . . .

الأشراف ، ومَنْ ليس بشريف لا يُعْرف حتى يأتِيَ بِنسبةٍ طَوِيلَةٍ يبلُغ بها رأسَ القَبِيلَة . وقد قال رُؤْبَةُ : قال لى النَّسابَةُ : مَنْ أنتَ انْتَسِبْ ، فقلت : رُؤْبَةُ بن العَجَّاج ، فقال : قصَّرْتَ وعَرِفْتَ . وقوله :

إن خَزْلَ التَّخُوم ذو عُقَّال

التَّخُوم : جمع : تَخُومَة ، ومن قال : تُخُمٌ فى الواحد ، قال فى الجمع تُخُوم بضم التاء[1] ، وأراد بها الأُرَفَ [أو الأُرَثَ] وهى الحدود ، وقال أبو حَنِيفَة: التَّخُوم والتُّخُوم : حُدود البلادِ والقرى ، ولم يذكر فى حدود الأحْقَال الأُرَفَ . والعُقَّالَ . ما يمنع الرجل من المشى ، ويَعْقِلها يريد أنَّ الظلمَ يُخَلِّف صاحبَه ويَعقِله عن السِّباق ، ويَحْبِسه فى مَضَايق الاحْتِقَاق .

وذكر قصيدتَه اليائِيَّة ، وقال فيها : فَطَأْ مُعْرِضاً . البيت، قال ابن هشام : هو لأفْنُونَ التَّغْلبِيِّ ، واسمه صُرَيْمُ بن مَعْشَر [بن ذُهْل بن تيم بن عمرو ابن عمرو بن مالك بن حُبَيْب بن عَمْرِو بن غَنْم بن تغلب[2]] . قال المؤلف وسمى أُفْنُوناً فى قول ابنُ دُرَيْد لبيت قاله فيه :

---

(١) يرى الفراء أنها بضم التاء ، ويرى الكسائى أنها بفتحها ويقول أبو عبيد: أصحاب العربية يقولون : هى التخوم بفتح التاء ويجعلونها واحدة ، وأما أهل الشام فيقولون : التخوم يجعلونها جمعا ، والواحد : تخم . وقال ابن برى تخوم وتخوم وزبور وزبور ، وعذوب وعذوب ـ بالفتح أو الضم ـ فى هذه الأحرف الثلاثة. وينسب هذا البيت أيضاً إلى أحيحة بن الجلاح .

(٢) وأفنون بضم الأول أو فتحه ، وفى مؤتلف الآمدى أن اسمه : ظالم .

. . . .

مَنَّيْتَنا الوُدَّ يا أفنون مَظْنون(١)

أو نحو هذا اللفظ . والأفنُون : الغُصْنُ الناعم ، والأفنون أيضاً العجوز الفانية ، وأفنون هو الذى يقول :

لو أننى كنتُ من عادٍ ومن إرَمٍ ... غَذِىَّ بَهْمٍ ولُقْمانٍ وذِى جَدَنِ
لَمَا وَقَوا بأخيهم من مُهَوِّلَةٍ ... أخا السَّكونِ ولا جاروا عن السَّنَنِ
أنَّى جَزَوْا عامراً سُوءى بفعلهم ... أم كيف يجزُوننى السُّوءى من الحَسَنِ
أم كيف يَنفَع ما تُعطِى العَلُوقُ به ... رِئمانَ أنفٍ إذا ماضُنَّ باللَّبَنِ(٢)

(١) فى سمط اللآلىء :

منيتنا الود يامضنون مضنونا ... أزماننا إن للشبان أفنونا

وبعض الشطرة الآخيرة فى الاشتقاق لابن دريد . انظر ص ٦٨٤ السمط ، ص ٢٣٦ الاشتقاق

(٢) البيت الأول فى اللسان ، وفيه : « ولقمانا وذاجدن » وفى المفضليات للضبى ص ٣٠ حـ ٢ ط ١٣٢٤ هـ ، وفى البيان والتبيين حـ ٢ ص ٩ ط ١٣٦٧ هـ « ربيت فيهم ، ومن لقمان أوجدن » وعدة القصيدة فى المفضليات تسعة أبيات ، ومنها فى البيان أربعة الأبيات التى ذكرها السهيلى ، ومنها فى أمالى القالى البيت الثالث والرابع ص ٥١ حـ ٢ ط ٢ . وفى سمط اللآلى ورد قبل البيت الثالث بيتان آخران . وفى البيان والتبيين عن رئمان « أصله : الرقة والرحمة والرءوم أرق من الرءوف ، فقال : « رئمان أنف ، كأنها تبر ولدها بأنفها وتمنعه اللبن » ص ٩ حـ ٢ وفى مغنى اللبيب لابن هشام ورد البيتان الثالث والرابع . وفيه عن العلوق : الناقة التى علق قلبها بولدها ، وذلك أنه ينحر ، ثم يحشى جلده تبنا ، ويجعل بين يديها لتشمه ، فتدر عليه ، فهى تسكن إليه مرة وتنفر عنه أخرى ، وهذا البيت ينشد لمن يعد بالجميل ، ولا يفعله ، لانطواء قلبه على ضده » هذا وقد نقل عن الكسائى أنه يرى رفع رئمان على أنها بدل من ما ، كما يرى نصبها بتعطى ؛ وجرها على أنها بدل من الهاء ، أما الأصمعى وابن الشجرى فينكران الرفع . أنظر =

. . . .

وقول ابن هشام فى البيتين : قَطْأُ مُعْرِضاً والذى بعده أنهما لأُفْنون التَّغْلِبىِّ مذكور عند أهل الأخبار ، وأما سبب ذكروا أن أُفنونا خرج فى ركبٍ ، فمروا بَرَبْوَةٍ تعرف : بالإلٰهَةِ(١) ، وكان الـكاهنُ قبل ذلك قد حدثه أنه يموت بها ، فمر بها فى ذلك الركب ، فلما أشرفوا عليها وأُعْلِم باسمِها ، كَرِه المرورَ بها ، وأبوا أصحابه إلا أن يَمُرُّوا بها ، وقالوا له : لاتنزل عندها ، ولـكن تجُوزها سَعْياً ، فلما دنا منها بركت به ناقتُه على حَيَّة ، فنزل لينظر فَنَهَشَتْهُ الحيةُ ، فمات ، فَقَبْرُه هنالك ، وقيل فى حديثه : إنه مَرَّ بها ليلا ، فلم يعرف بها حتى رَبَضَ الْبَعِيرُ الذى كان عليه ، وعلم أنه عند الإلٰهَةِ فجزع ، فقيل له : لابأس عليك ، فقال فَلِمَ رَبَضَ البعيرُ ، فأرسلها مثلا. ذكره يعقوب. وعند ما أحس بالموت قال هذين البيتين اللذين ذكر ابن إسحاق وبعدهما :

كَفَى حَزَناأن يَرْحَلَ الرَّكْبُ غُدْوَةً ‎ ‎ ‎ ‎ وأُتْرَكَ فى جَنْبِ الْإِلٰهَةِ ثَاوِيا (٢)

تسمية اليهود الذين نزل فيهم القرآن

ذكر فيهم جُدَىّ بن أَخْطَب ، بالجيم ، وهو أخو حُيَيِّ بن أَخْطَبَ .

=ص ٤٠ ح ١ مغنى اللبيب ط ١٣٢٨ والأبيات مشروحه بالتفصيل فى المفضليات، وخزانة الأدب للبغدادى .

(١) الإلاهة على وزن الفعالة : قارة بالسماوة من دار كلب ، وهى بين ديار تغلب والشام .

(٢) أنظر عن القصة ص ١٨٦ ح ١ معجم ما استعجم .

. . . .

وأما حُدَىّ بالحاء ، فذكره الدَّارَقُطْنى فى نسب عُتَيْبَة بنِ الحارثِ بن شِهابَ ابن حُدَىٍّ التميمى فارس العرب .

وذكر عزيز بن أبى عزيز وألفيت بخط الحافظ أبى بحر فى هذا الموضع يقول عُزَيز بن أبى عُزَيْز ، بزايَيْنِ قيَّدْناه فى الجزء قبل .

وذكر ثعلبة بن الفِطْيَوْن والفِطْيَون كلمة عِبْرانيَّة ، وهى عبارة عن كل مَن وَلِى أمرَ اليهود ، وملكهم ، كما أن النَّجاشِىَّ عِبارةٌ عن كل من مَلَك الحبَشَة ، وخاقَانَ ملك الترك ، وقد تقدم من هذا الباب جُمْلة .

وذكر فيهم عَبْدَ اللهِ بن صُوريا[1] الأعور ، وكان أعلمهم بالتوراةِ ، ذكر النَّقَّاشُ أنه أسلم لما تحقق من صفاتِ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى التوراة ، وأنه هو وليس فى سيرة ابن إسحاق ذكر إسلامه .

يهود المدينة :

فصل : وقوله : ومن يَهُودِ بنى زُرَيْقٍ ، ومن يهود بنى حارثة ، وذكر قبائل من الأنصار ، وإنما اليهودُ بنو إسرائيلَ ، وجملة من كان منهم بالمدينة وخيبر إنما هم [بنو] قُرَيْظَة [وبنو] النَّضيرَ وبَنُو قَيْنُقَاعٍ ، غير أن فى الأوسِ والخَزْرَج من قد تَهَوَّد ، وكان من نسائهم مَن تَنْذِرُ إذا ولدت إن عاش ولدُها أنْ تُهَوِّدَه ، لأن اليهودَ عندهم كانوا أهلَ علمٍ وكتابٍ ، وفى هؤلاء

---

(١) فى الأصل : صورى ؛ والتصويب من القاموس . وفيه أن عبد الله هذا أسلم ثم كفر .

. . . .

الأبناء الذين تَهَوَّدُوا نزلت ﴿ لا إِكْرَاهَ فى الدين ﴾ البقرة : ٢٥٦ حين أراد آباؤهم إكراهَهم على الإسلام فى أَحَد الأقوال[1] .

السحر المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم

وأما لَبِيدُ بن الأعصم ، الذى ذكره من يَهُودِ بنى زُرَيْقٍ ، وقال : هو الذى أَخَذَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائِه يعنى من الأُخْذَة ، وهى ضَرْبٌ من السحر . فى الخبر أن القاسم بن محمد بن الْحَنَفِيَّة ، كان مُؤْخَذاً عن مسجدِ النبي — صلى الله عليه وسلم — لايستطيع أن يدخلَه ، وكان لبيد هذا قد سَحَرَ رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، وجعل سحرَه فى مُشْطٍ ومُشَاطَةٍ .

---

(١) الحديث مروى عن ابن عباس: كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده ، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار ، فقالوا : لاندع أبناءنا ، فأنزل الله عز وجل : (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) رواه أبو داود والنسائى جميعا عن بندار به ، ومن وجوه آخر عن شعبة به نحوه ، ورواه ابن أبي حاتم وابن حبان فى صحيحه . وهكذا ذكر مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصرى وغيرهم . وبسند آخر روى ابن إسحاق عن ابن عباس نفسه أنها نزلت فى رجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف يقال له: الحصينى كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو رجلا مسلما ، فقال للنبى « ص » ألا أستكرههما . فانهما قد أبيا إلا النصرانية ، وقيل غير ذلك . ويقول ابن كثير فى تفسير الآية « لا تكرهوا أحداً على الدخول فى دين الإسلام ، فانه بين واضح جلى دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه » . . . وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية فى قوم من الأنصار ، وإن كان حكمها عاما ،

. . . .

وروى : مُشَاقة بالقاف ، وهى مُشَاقة الـكَتّان ، وجُفِّ طَلْعَةٍ[1] ذكرٍ ، هى فُحَّالُ النخل، وهو ذُكَّارُه. والجُفُّ : غلاف للطَّلْعَة ، ويكون لغيرها ، ويقال للجُفِّ القِيقَاء وتُصْنَع منه آنيةٌ يقال لها : التَّلَاتِل [جمع : تَلْتَلَةٍ] قاله أبو حنيفة ودفنه فى بئرِ ذِى أَرْوَانَ ، وأكثرُ أهْلِ الحديث يقولون : ذَرْوَانَ تحت رَاعُوفة البئر [أو أُرْعُوفَتها] ، وهى صخرة فى أسفله يقف عليها المائِح[2] ، وهذا الحديثُ مشهورٌ عند الناس ، ثابت عند أهل الحديث ، غير أنى لم أجد فى الـكتب المشهورةِ : كم لَبِث ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بذلك السحر، حتى شُفِى منه ، ثم وقعت على البيان فى جامع مَعْمَر بنِ راشِد . رَوَى مَعْمَرٌ عن الزُّهْرِىِّ ، قال : سُحِر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سنةً يُخَيَّل إليه أنه يفعل الفعلَ ، وهو لا يفعله[3] ، وقد طَعَنَت المعتزلةُ فى هذا الحديث وطوائفُ من أهلِ البِدَع، وقالوا لا يجوز على الأنبياء أن يُسْحَروا، ولو جاز أن يُسْحَرُوا، لجاز أن يُجَنُّوا . ونَزَع بعضهُم بقوله عز وجل : ﴿ واللهُ يَعْصِمُكَ من الناسِ ﴾ والحديثُ ثابتٌ خرَّجه أهلُ الصحيح ، ولا مَطْعن فيه من جِهَةِ النقل ، ولا من جهة العقل ، لأن العِصمة إنما وَجَبَتْ لهم فى عقولهم وأديانِهم ، وأما أبدانُهم ، فإنهمُ يُبْتَلَوْنَ فيها ، ويخلص إليهم بالجراحة والضرب والسموم والقتل ،

(١) الطلعة : القطعة من طلع النخل ، والطلع : غلاف يشق الكوز ينفتح عن حب منضود ، فيه مادة إخصاب النخلة

(٢) الراعوفة أيضا صخرة تكون على رأس البئر يقـــوم عليها المستقى ، والمائح : المستقى .

(٣) أليس التخيل تخليطا أو اختلاطا عقليا ؟

. . . .

والأُخْذَةُ التى أُخِذَها رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من هذا الفن ، إنما كانت فى بعض جوَارِحِه دون بعض(١) .

وأما قوله سبحانه : ﴿ واللهُ يَعْصِمُكَ من الناس ﴾ فإنه قد روى أنه كان

(١) نعرض هنا بعض روايات الحديث . روى الإمام أحمد بسنده عن زيد ابن أرقم قال : سحر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل من اليهود ، فاشتكى لذلك أياما ، قال : فجاءه جبريل فقال : إن رجلا من اليهود سحرك ، وعقد لك عقدا فى بئر كذ وكذا ، فأرسل إليها من يجيء بها ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستخرجها ، فجاءه بها ، فحللها ، قال : فقام رسول الله « ص » كأنما نشط من عقال ، فما ذكر ذلك اليهودى ، ولا رآه فى وجهه حتى مات . ورواه النسائى عن هناد عن أبى معاوية محمد بن حازم الضرير . ويثبت الحديث أن رسول الله « ص » اشتكى أياما لكن لم يذكر مااشتكى منه ، ولا تحدث عن المشط والمشاطة ولا شيء مما ورد . ويقول ابن الأثير عن التعبير بكأنما نشط من عقال أن التعبير بنشط ليس بصحيح ، والصواب : أنشط يقال : نشطت العقدة إذا عقدتها ، وأنشطتها وانتشطتها : إذا حللتها . . أقول : وهذا التعبير يؤكد أن ما أصاب النبي « ص » كان يشمل كل جسده .

أما البخارى فيروى بسنده عن عائشة قالت : كان رسول الله « ص » سحر حتى كان يرى أنه يأتى النساء ، ولا يأتيهن . قال سفيان : وهذا أشد مايكون من السحر ، إذا كان كذا . فقال يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتانى فيما استفتيته فيه . أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى ، والآخر عند رجلى ، فقال الذى عند رأسى للآخر . ما بال الرجل ؟ قال مطبوب « المطبوب : المسحور » قال : ومن طبه ؟ قال لبيد بن أعصم ، رجل من بنى زريق حليف اليهود ، وكان منافقا ، قال : وفيم ؟ قال : فى مشط ومشاطة . قال : وأين ؟ قال : فى جف طلعة ذكر تحت رعوفة فى بئر ذروان . قالت : فأتى البئر ، حتى استخرجه . فقال : هذه البئر التى أريتها ، وكأن ماءها نقاعة الحناء ، وكأن نخلها رءوس الشياطين ، قال فاستخرج ، فقلت : =

. . . .

= أفلا تنشرت ، فقال : أما الله فقد شفاني ، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا » . وأسنده من حديث عيسى بن يونس وأبى ضمرة أنس بن عياض ، وأبى أسامة ، ويحيى القطان ، وفيه قالت : حتى يخيل إليه أنه فعل الشيء ، ولم يفعله ، وعنده ، فأمر بالبئر ، فدفنت ، وذكر رواية عن هشام أيضا ابن أبى الزناد ، والليث بن سعد ، وقد رواه مسلم من حديث أبى أسامة حماد بن أسامة ، وعبدالله ابن نمير ، ورواه أحمد عن عفان عن وهب عن هشام به . ورواه الإمام أحمد أيضا عن إبراهيم بن خالد عن معمر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لبث النبي « ص » ستة أشهر يرى أنه يأتى ولا يأتى ، فاتاه ملكان ، فجلس أحدهما عند رأسه ، والآخر عند رجليه ، فقال أحدهما للآخر : ما باله ؟ قال : مطبوب ، قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، وذكر تمام الحديث .

وفى بعض الروايات ورد أن الرسول « ص » أرسل عليا والزبير وعمار ابن ياسر . وأنهم وجدوا فيه وترا معقودا فيه اثنا عشر عقدة مغروزة بالإبرة ، فأنزل الله السورتين ، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة .

ورواية البخارى ومسلم . لم تتحدث عن جبريل ، وإنما عن رجلين . ، ثم هى تؤكد أنه « ص » كان مطبوبا ، أى مسحورا . وأنه كان يرى أنه يأتى النساء ، ولا يأتيهن ، وأنه أبى الرقية . ورواية أحمد عن إبراهيم بن خالد تثبت أنه ظل ستة أشهر يرى أنه يأتى ، ولا يأتى .

كما نجد فى بعض روايات الحديث ما يفيد أن الرسول « ص » أرسل من يجىء بالسحر ، وفى غيرها ضده .

هذا والسحر — كما يقول الراغب — يقال على معان ، الأول : الخداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعبذ بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يد ، وما يفعله النمام بقول مزخرف عائق للأسماع . وعلى ذاك : (سحروا أعين الناس) (يخيل إليه من سحرهم) . . الثانى استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه كقوله : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك أثيم) وعلى ذلك قوله : (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) . والثالث : ما يذهب إليه الأغتام ، وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قوته يغير =

. . . .

= الصور والطبائع ، فيجعل الإنسان حمارا ، ولا حقيقة لذلك عند المحصلين .

وقد تصور من السحر تارة حسنه ، فقيل : إن من البيان لسحرا ، وتارة : دقة فعله ، حتى قالت الأطباء : الطبيعة ساحرة ، وسموا الغذاء سحرا من حيث إنه يدق ويلطف تأثيره ، وعند ابن فارس فى مقاييسه : « السين والحاء والراء : أصول ثلاثة متباينة ، أحدها : عضو من الأعضاء ، والآخر : خدع وشبهة ، والثالث : وقت من الأوقات » . . ثم يقول عن السحر : « قال قوم هو إخراج الباطل فى صور الحق ، ويقال : هو الخديعة » هذا معنى السحر فى اللغة التى شرفها الله ، فنزل بها القرآن .

ولنتدبر معا بعض ماورد فى القرآن مما لهذا الأمر صلة وثيقة به . يقص ربنا سبحانه قول موسى للسحرة فى قوله جل شأنه : (فلما ألقوا قال موسى : ما جئتم به السحر ، إن الله سيبطله إن الله لايصلح عمل المفسدين) يونس : ٨١. والمعنى واضح وضوح الحق فى القرآن . هو أن الله سبحانه يبطل السحر الذى يجيء به السحرة ضد النبوة . وتدبر ختام الآية الكريمة. ويقص الله سبحانه ماقاله المشركون عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (يقول الظالمون : إن تتبعون إلا رجلا مسحورا . انظر كيف ضربوا لك الأمثال ، فضلوا ، فلا يستطيعون سبيلا) الإسراء : ٤٧ ، ٤٨ فبهت الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه رجل مسحور هو قول الظالمين الذين ضلوا ، فلا يستطيعون سبيلا ! وقد ورد هذا المعنى أيضا فى سورة الفرقان : (وقال الظالمون : إن تتبعون إلا رجلا مسحورا. انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا ، فلا يستطيعون سبيلا) الفرقان : ٨ ، ٩ .

كما يقص الله سبحانه أن فرعون قد بهت موسى (إنى لأظنك يا موسى مسحورا) الإسراء : ١٠١ والعجب هنا أن فرعون على حقده وجحوده وتوحش الظلم فى أعماقه وأعماله قال أظنك ، ونسمع من يؤكد أن النبى صلى الله عليه وسلم يسحره يهودى ، ويظل النبى « ص » مسحورا ستة أشهر ، وهو يرى الشيء عين نقيضه ، وإحساسه بما يوقظ الإحساس الخامد بقوة إحساس مختلط . ماذا يدل عليه الزعم بأنه كان يرى أنه يأتى النساء ، ولا يأتيهن ؟ يدل على أنه قد تجرد من كل تمييز ولهذا قال سفيان : وهذا أشد ما يكون من السحر . إذا كان =

. . . .

= مثل هذا اليهودى القذر اليد والدين واللؤم يهيمن بدجله على خير نبى ، هو خير ولى ، وخير صديق ، فماذا بقى من نبوة تقاوم ؟ وإذا كان الله سبحانه قد قال لإبليس (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ، إلا من اتبعك من الغاوين) الحجرات : ٤٢ أفيكون لجنده عليهم سلطان ؟ إن الشيخ السهيلى يزعم أن الأمر كان يتعلق بجسد النبى « ص » لا بعقله ! ! كيف يزعم هـــذا ، وهو يروى عمن رووا أنه كان يرى أنه يأتى النساء ، ولا يأتيهن ؟ وإذا كان هذا ليس تخليطا عقليا، وغمة فكرية وشعورية ، فماذا يكون التخليط ، وكيف تكون الغمة الفكرية الشعورية ، وكيف نقلد فرعون والظالمين فى بهت صفوة الخلق أجمعين ؟ وإذا كان قد ورد فى رواية متفق عليها أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشىء ، وما فعله ؟ وستة أشهر ؟ ؟

إن أجل ما يمتاز به الرسل — صلوات الله وسلامه عليهم — تلك اليقظة العقلية التى لا تغفل عن عوار فى الكفر أو الخلق أو الشعور ، والتى لا يتصور مطلقا فيها التسوية بين الشىء ونقيضه ، فكيف استطاع يهودى بمشط ومشاطة أن يجعل هذه اليقظة العقلية الملهمة الرائعة خرفا ؟ ثم إننا لم نسمع مطلقا فيما روى — أن الرسول « ص » قد احتبس عن أصحـــابه ستة أشهر بسبب هذا الخرف ، أو يمكن أن نظن أنه يلتقى بالناس ويخاطبهم . ، ويعلمهم ويهديهم ، وهو بهذا الخرف ، أو بهذا الوسواس ، أو بهذا الشعور النفسى المحطم ، أو بهذا الحطام من بقايا رجل يختاره الله لختم النبوة ، ثم يدعه ليهودى قذر يسيطر على فكره وعاطفته وتمييزه ، فيرى الشىء عين نقيضه ؟ .

إننا حين نفترض صحة الحديث ، فانى أتصور الأمر كما يأتى : أصيب عليه الصلاة والسلام بمرض ما لم يمسس به نباهة عقل ، ولا تألق فكر ، ولا إشراق روح ، ولا تسامى وعى إلى أعلى الذرى التى تكون لأفق الوعى الإنسانى ، فما بالك إذا كانت تهديه أضواء النبوة ، وتحلق به هدايتها ؟ وأتصور أن اليهودى قام بهذا السحر ، وأن الذى كان بالرسول — صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن نتصور أنه أثر =

. . . .

يُحْرس فى الغَزْو ، حتى نزلت هذه الآيةُ ، فأمر حُرَّاسَه أن ينصرفوا عنه ، وقال : لاحاجة لى بكم ، فقد عَصَمَنِي اللهُ من الناسِ (١) ، أو كما قال .

فقه حديث السحر :

وأما مافيه من الفقه ، فإن عائشةَ قالت له : هَلاَّ تَنَشَّرتَ ، فقال : أما أنا فقد شفانى الله ، وأكره أن أُثِيرَ على الناسِ شرًّا ، وهو حديث مُشْكِل فى ظاهره ، وإنما جاء الإشكال فيه من قِبَلِ الرُّواة ، فإنهم جملوا جوابين

= من سحر اليهودى القذر ، وإنما عائشة ـ رضى الله عنها ـ هى التى ربطت بين سحر اليهودى حين علمت بما فعله ، وبين ما أصيب به النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا سيما وقد كان الأمر بالمدينة ، وفيها اليهود الذين كانوا يصورون للناس أن لسحرهم القدرة التى لا تقاومها قدرة .

أريد أن أقول شيئا آخر . ليس من الخير أن نقول سندا فيه محاولة لهدم أقوى سند فى الوجود . سند النبوة الخاتمة لخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم . وليست العصمة التامة لأحد . والله وحده هو الذى يعصمنا .

(١) الذى فى الصحيحين وأحمد أن عائشة ـ رضى الله عنها كانت تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سهر ذات ليلة ، وهى إلى جنبه ، قالت : فقلت : ما شأنك يارسول الله ؟ قال ليت رجلا صالحا من أصحابى يحرسنى الليلة . قالت : فبينا أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح ، فقـــال من هذا ، فقال : أنا سعد ابن مالك ، فقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت لأحرسك يا رسول الله ، قالت : فسمعت غطيط رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نومه . وفى بعض الروايات أن أن هذا حدث ذات ليلة مقدمه المدينة على أثر هجرته إليه ، وبعد أن بنى بعائشة فى السنة الثانية . أما ما رواه السهيلى فقد ورد فيما روى ابن أبى حاتم والترمذى ثم قال : وهذا حديث غريب .

. . . .

لـكلامين كلاما واحداً ، وذلك أن عائشة قالت له أيضا : هَلاَّ اسْتَخْرَجْتَه ، أى : هلا استخرجتَ السحَر من الجُفِّ والمُشَاطة ، حتى ينظر إليه ، فلذلك قال : وأكره أن أثير على الناس شراً ، قال ابن بطال : كَرِه أن يخرجَه ، فيتعلمَ منه بعضُ الناس ، فذلك هو الشر الذى كَرِهه .

قال المؤلف : ويجوز أن يكون الشرُّ غيرَ هذا ، وذلك أن الساحرَ كان من بنى زُرَيْقٍ ، فلو أظهر سَحرَه للناس ، وأراهم إياه لأوْشَك أن يُريدَ طائفةٌ من المسلمين قتلَه ، ويتعصبَ له آخرون من عَشيرته فَيَثُورَ شرٌّ كما ثار فى حديثِ الإفكِ من الشَّرِّ ماسيأتى بيانُه .

وقول عائشة : هلا استخرجتَه هو فى حديثين رواهما البُخارى جميعاً ، وأما جوابه لها فى حديث : هَلاَّ تَنَشَّرت : بقوله أما أنا فقد شفانى الله ، وجوابه لها حين قالت : هلا استخرجته : بأن قال : أكره أن أُثير على الناس شرًّا ، فلما جمع الراوى بين الجوابين فى حديث واحد اسْتَغْلَق الـكلامُ ، وإذا نُظِرت الأحاديثُ متفرقة تُبُيِّنتْ ، وعلى هذا النحو شَرَحَ هذا الحديثَ ابنُ بطال .

وأما الفِقه الذى أشرنا إليه فهو إباحة النُّشْرة[1] من قول عائشة : هلا تَنَشَّرت ، ولم ينكِر عليها قولها .

---

(١) النشرة : ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يظن أن به مسا من الجن ، سميت نشرة ، لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء . وقال الحسن : نشرة من السحر ، وقد نشرت عنه تنشيرا .

. . . .

وذكر البخارى عن سعيد بن الْمُسَيِّب أنه سئل عن النُّشْرة للذى يُؤْخَذ عن أهلِه ، فقال : لا بَأْسَ لم ينه عن الصلاح ، إنما نهى عن الفساد ، ومن استطاع أن يَنْفَعَ أخاهُ فَلْيفعل . ومن الناس من كره النُّشْرة على العموم ، ونَزَع بحديث خرَّجه أبو داود مَرْفوعاً : أن النُّشْرَةَ من عمَل الشيطان ، وهذا ـ والله أعلم ـ فى النُّشْرة التى فيها الخواتِم والْعَزائم ، ومالا يُفْهَم من الأسماء العَجمية[1] ، ولولا الإطالة المخرجة لنا عن غَرَضنا لقدرنا الرُّخْصَة بالآثار ، وهذا القدر كافٍ ، والله المستعان . وكانتْ عُقَدُ السِّحْرِ أحدَ عشَرَ عُقْدَةً ، فأنزل الله تعالى المعوذتين أحدَ عَشَر آية ، فانحلت بكل آية عُقْدة[2] ، قال تعالى : ﴿ ومِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فى الْعُقَدِ ﴾ ولم يقل النَّفَّاثين ، وإنما كان الذى سحره رجلا[3] والجوابُ : أن الحديث قد رواه إسماعيل القاضى ،

---

(١) من يتأمل فيما قيل عنه إنه رقى شرعية يجد دعاء إلى الله سبحانه ، فلم نسمى هذه الدعوات الطيبات نشرات أو رقى ؟ وللاسمين مالهما من إيحاء غير طيب بل إيحاء يغلب أن يكون خبيثا ، بل إن الكثير من الرقى هو عين الشرك . فلنقل: إن المفروض هو الدعاء ، بدلا من القول : إن الرقى أو النشرات مباحة ، فننزع بالناس إلى اتخاذ أحط وسائل الشرك قربا إلى الله ! !

(٢) هذا مما روى بلا إسناد ، وفى حديثه نكارة وغرابة ، ورغم هذا ففى الحديث أنها اثنتا عشرة عقدة !! أما الآيات ، فإحدى عشرة ! ! .

(٣) يقول بعض المفسرين قولا طيبا : المراد بالنفث فى العقد : إبطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حله . ويقول الشيخ حامد الفقى رحمه الله تعليقا على تفسير ابن القيم للمعوذتين « النفث الذى يليق بعظمة بلاغة القرآن ، وفخامة أسلوبه : هو نفث المفسدين سمومهم بالكذب والغيبة والنميمة وقالة السوء ، فى عقد الصلات بين الناس ، حتى يفكوا عرى =

. . . .

وزاد فى روايته أن زينب اليهودية أعانَتْ لَبِيدَ بن الأعصم على ذلك السحرِ ، مع أن الأخذَةَ فى الغالب من عمل النساء وكيدهن .

إسلام عبد الله بن سلام

سَلَام هو بتخفيف اللام ، ولا يوجد من اسمه سَلَام بالتخفيف فى المسلمين لأن السَّلَامَ من أسماء الله ، فيقال عبد السَّلَام ، ويقال سَلَّام بالتشديد ، وهو كثير ، وإنما سَلَامٌ بالتخفيف فى اليهود ، وهو والد عبد الله بن سَلَام منهم .

ذكر فيه قول عمته خالدة أهو النبى لذى كنا نخبر أنه يُبْعَثُ مع نَفَسِ الساعة ، وهذا الكلام فى معنى قوله عليه السلام : إنى لأجد نَفَسَ الساعة بين كتفى ، وفى معنى قوله : ﴿ نَذِيرٌ لكم بينَ يَدَى عذابٍ شديدٍ ﴾ ومن كان بين يدىْ طالبه ، فنفَسُ الطالب بين كتفيه[1] ، وكأن النَّفَسَ فى هذا الحديث

= الزوجية والمودة والرحمة وغيرها ، وشر وضرر هذا فى الناس أكثر جدا من شر من يقولون : إنهم سحرة » ص ٥٧١ التفسير القيم ط ١ . وقيل عن تأنيث النفاثات أن المراد : النفوس . أقول : وهذا هو الأوفق ، وليعم كل نافث ونافثـــة .

(١) فسر ابن الأثير القول بقوله : أى بعثت وقد حان قيام الساعة وقرب . فأطلق النفس على القرب ، وقيل معناه أنه جعل للساعة نفسا كنفس الإنسان ، أراد : أنى بعثت فى وقت قريب منها أحس فيه بنفسها كما يحس بنفس الإنسان إذا قرب منه ، يعنى : بعثت فى وقت بانت أشراطها فيه ، وظهرت علاماتها ، ويروى فى نسم الساعة . وفى الترمذى « بعثت فى نفس الساعة ، فسبقتها ، كما سبقت هذه ، وأشار بأصبعه السبابة والوسطى » .

. . . .

عبارةٌ عن الفتنِ المؤذِنَةِ بقيام الساعة ، وكان بَدْؤُها حين ولى أمتَه ظهرَه. خارجا من بين ظَهْرَانَيهِمْ إلى الله تعالى ، ألا تراه يقول فى حديث آخر : وأنا أمانٌ لأُمَّتى ، فإذا ذهبتُ أتى أمتى ما يُوعَدون ، فكانت بعده الفتنةُ ثم الْهَرْجُ(١) المتصل بيوم القيامة ، ونحو من هذا قوله عليه السلام : بُعِثْت أنا والساعة كهَاتَيْن(٢) ، يعنى السَّبَّابَةَ والْوُسطى ، وهو حديث يَرْويه أَنسُ بنُ مالكٍ ، وابنُ بُرَيْدَةَ عن أبيه ، وجُبَيْرِ بن مُطْعِم ، وجابر بن سَمُرَة وأبو هُرَيْرَة. وسَهْل بن سعد كلُّهم عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى حديث سهلٍ سَبَقْتُها بما سَبَقَتْ هذه هذه ، يعنى : الْوُسْطَى والسَّبَّابَةَ ، وفى بعض ألفاظِ الحديث : إن كادَتْ لَتَسْبِقنى . ورواه أيضاً : أبو جُبَيْرَةَ فقال :قال رسولُ الله. صلى الله عليه وسلم : جئتُ أنا والساعة كهاتين سبقتُها كما سبقتْ هَذه هذه فى نَفَسِ من الساعة ، أوفى نَفَسِ الساعة ، خرجها الطبرى بجميع أسانيدها ، وبعضها فى الصحيحين ، وفى بعضها زيادة على بعض .

وخالدة بنت الحارث قد ذكر إسلامَها ، وهى مما أغفله أبو عُمَر فى كتاب. الصحابة ، وقد استدركناها عليه فى جملة الاستدراكات التى ألحقناها بكتابه .

وذكر حديث مُخَيْريق ، وقال فيه : مُخَيْريقٌ خيرُ يهودَ ، ومُخَيْرِيقٌ مسلم ، ولا يجوز أن يقال فى مسلم : هو خير النصارى ، ولا خيرُ اليهود ، لأن أفعل من كذ إذا أضيف فهو بعض ماأضيف إليه. فإن قيل : وكيف جاز هذا ؟ قلنا:

---

(١) الهرج : القتل .
(٢) متفق عليه .

. . . .

لأنه قال خير يهود ، ولم يقل خير اليهود ، ويَهُود اسم علم كَثَمُود ، يقال : إنهم نسبوا إلى يَهُوذ بن يَعْقُوب ، ثم عُرِّبت الذال دالا ، فإذا قلت : اليهود بالألف واللام ، احتمل وجهين النسبَ والدِّين الذى هو اليهودية[1] ، أما النسب فعلى حد قولهم التَّيْم فى التَّيْمِيِّين وأما الدين فعلى حَدِّ قولك : النصارى والمجوسُ أعنى : أنها صِفَة ، لا أنها نَسَبٌ إلى أب . وفى القرآن لفظٌ ثالث ، لا يتصور فيه إلا معنى واحد ، وهو للدِّين دون النسب ، وهو قوله سبحانه : ﴿ وقالوا : كونوا هُوداً أو نَصَارى ﴾ البقرة : ١٣٥ . بحذف الياء ، ولم يقل : كونوا يهودَ لأنه أراد التَّهَوُّد ، وهو التَّدَيُّن بدينهم ، ولو قال : كونوا يَهُوداً بالتدين ، لجاز أيضاً على أحد الوجهين المتقدمين ، ولو قيل لقوم من العرب : كونوا يَهُودَ بغير تَنْوِينٍ ، لكان محالا ، لأن تبديلَ النَّسَبِ حقيقة محال ، وقد قيل فى هود : جمع هائد[2] ، وهو فى معنى ماقلناه ، فلتعرف الفرقَ بين قولك هوداً بغير ياء ، ويهوداً بالياء والتنوين ، ويهودَ بغير تنوين ، فإنها تفرقة حسنة صحيحة والله أعلم . ولم يُسْلِم من أحبار يهودَ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اثنان . وقد جاء فى الحديث : لو اتبعنى عَشَرَةٌ من اليهود لم يبق فى الأرض يهودى إلا اتبعنى[3] . رواه أبو هريرة . وسمع كعبُ الأحبار

---

(١) ليس دينا إلهيا ، إنما هو من افتراء شهوات حاخاميم اليهود وأحبارهم .

(٢) تاب ورجع إلى الحق ، وقد مثلوها فى الجمع بحائل وعائط من النوق مفرد حول وعوط .

(٣) فى الجامع الصغير للسيوطى « لو آمن بى عشرة من اليهود ، لآمن بى اليهود » وذكر أن البخارى خرجه .

. . . .

أبا هريرة يحدِّث ، فقال له : إنما الحديث : اثنا عَشَرَ من اليهود ، ومِصْداقُ ذلك فى القرآن (وبعثنا منهم اثْنَىْ عشر نقيبا) فسكت أبو هريرة . قال ابن سيرين :أبو هُرَيْرَة أصدقُ من كعب قال يحيى بن سَلَام كلاهما : (صدَق) ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أراد : لو اتبعنى عَشَرَةٌ من اليهود بعد هذين اللذين قد أسلما .

ذكر المنافقين

فصل : وذكر نَبْتَلاً من المنافقين ، قال : وكان أَدْلَم ، والأَدْلَمُ الأسودُ الطويلُ من كل شيء . وقيل لجماعة النمل : دَيْلَم ، لسوادهم من كتاب العين .

وذكر الحارث بن سُوَيْد ، وقتلَه للمُجَذَّر بن ذِيادٍ. واسم المُجَذَّرِ : عبدُ الله ، والمُجَذَّرُ : الغليظُ الخَلْق(١) .

وذكر أن الله تعالى أنزل فى الحارث بن سُوَيد وارتداده : ﴿ كيف يَهْدِى اللهُ قوما كَفَروا بعد إيمانهم ﴾ آل عمران: ٨٦ فقيل: إن هذه الآية مقصورةٌ على سببها مخصوصةٌ بمن سبَق فى علم الله أنه لا يَهديه من كُفْره ، ولا يتوب عليه مِنْ ظلمه ، وإلا فالتوبة مفروضة ، وقد تاب قوم بعد ارتدادِهم ، فقُبِلت توبتُهم . وقيل ليس فيها نَفْيٌ لقبول التوبة ، فإنه قال : كيف يهدى الله ، ولم يقُل لا يَهدى الله ، على أنه قد قال فى آخرها : (والله لا يهدى القوم الظالمين) وذلك يرجع إلى الخصوص ، كما قدمنا أو إلى معنى الهداية فى الظلمة التى عند الصراط بالنور

---

(١) فى الاشتقاق لابن دريد : رجل مجذر : قصير متقارب الخلق .

. . . .

التام يوم القيامة ، فإن ذلكُ مُنتفٍ عمّن مات غير تائب من كفره وظلمه .
والله أعلم(١) .

ذكر حديث بشير(٢) بن أبيرق سارق الدرعين

وذكر أن الله أنزل فيه : ﴿ ولا تُجادِلْ عن الذين يَخْتانُونَ أنفسَهم ﴾ النساء : ١٠٧ الآية : وكان من قصة الدِّرعين ، وقصة بشير أن بنى أُبَيْرِق ، وهم ثلاثة بَشِيرٌ ومُبَشِّر وبِشْرٌ(٣) نقبوا مَشْرُبةً(٤) أو نقبها بَشيرٌ وحده على ماقال ابن إسحاق ، وكانت المَشْرُبة لرِفَاعة بن زَيْدٍ ، وسَرقوا أدراعا له ، وطعاما فعثر على ذلك ، فجاء ابن أخيه قَتَادَة بن النُّعمان يشكو بهم إلى رسولِ

---

(١) روى النسائى والحاكم وابن حبان وابن جرير عن ابن عباس قال : كان رجل من الأنصار أسلم ، ثم ارتد ، ولحق بالشرك ، ثم ندم ، فأرسل إلى قومه : أن سلوا لى رسول الله : هل لى من توبة ، فنزلت : (كيف يهدى الله) . . الآية ، فأرسل إليه قومه ، فأسلم . وأخرج عبد الرزاق أنها نزلت فى حق الحارث ابن سويد ، وأنه حسن إسلامه بعد ارتداده.

وأذكر هنا معانى بعض ما تركه السهيلى من شرح السيرة للخشنى . الشمردلات : الإبل الطوال . والوهج : شدة الحر . بجاد بن عثمان : بالنون والباء ، وقيده الدارقطنى بالباء . . ثائر شعر الرأس : مرتفعه . أسفع : السفعة : حمرة تضرب إلى سواد .

(٢) قيده الدارقطنى بضم الباء . وفى السيرة بفتحها .

(٣) فى الأصل بشير وهو خطأ . وفى تفسير الطبرى ضبط بشير بضم الباء ويقول الخشنى : وقع هنا بشير ، بفتح الباء ، وقال الدارقطنى : إنما هو بشير بضم الباء .

(٤) بضم الراء وفتحها : الغرفة .

. . . .

الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجاء أُسَيدُ بن عُرْوَةَ بن أُبَيْرِق إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسولَ الله ، إن هؤلاء عَمَدُوا إلى أهل بيتٍ هم أهل صلاحٍ ودين ، فأَبَنُوهُم بالسرقة ، ورَمَوْهم بها من غير بَيِّنة ، وجعل يجادل عنهم حتى غضِب رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على قَتَادَةَ ورِفاعة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تُجادِل عن الذين يَختانُونَ أنفسَهم ﴾ النساء ١٠٧ الآية ، وأنزل الله عز وجل : ﴿ ومَن يَكْسِب خَطِيئةً أو إثماً ثم يَرْم به بَرِيئاً ﴾ النساء ١١٢ وكان البرىء الذى رَمَوْه بالسرقة لَبِيدَ بن سَهْلٍ : قالوا : ماسرقناه ، وإنما سرقه لَبِيدُ ابن سَهْلٍ ، فبرأه الله ، فلما أنزل الله تعالى فيهم ماأنزل ، هَرَبَ ابنُ أبيرق السارقُ إلى مكة ، ونزل على سُلافَة بنت سعد بن شُهَيْد(١) ، فقال فيها حسَّان بن ثابت بيتا ، يعرِّض فيه بها ، فقالت : إنما أهْديت لى شعرَ حسَّان ، وأخذت رَحْلَه ، فطرحتَه خارج المنزل (٢) ، وقالت : حَلَقْتُ وسَلَقْتُ وخَرَقْتُ (٣) إن بتَّ فى منزلى ليلةً سَوْداء ، فهرَبَ إلى خَيْبَر ، ثم إنه نَقَب بيتا ذات ليلة ، فسقط الحائطُ عليه فمات . ذكر هذا الحديثَ بكثير من ألفاظه التِّرْمِذيُّ ، وذكره

---

(١) فى تفسير الطبرى : بنت سعد بن سهيل ، وفى تفسير ابن كثير : بنت سعد بن سمية .

(٢) فى تفسير الطبرى ، فوضعته على رأسها ، ثم خرجت فرمته بالأبطح .

(٣) الحالقة : التى تحلق شعرها عند المصيبة . وهى فى الأصل : حلفت وفيها ورد من حديث أنه لعن من النساء الحالقة والسالقة والخارقة . وفى اللسان فى مادة حلق : وفى حديث ليس منا من سلق أو حلق أو خرق ، أى ليس من سنتنا رفع الصوت فى المصائب ولا حلق الشعر ، ولا خرق الثياب . . وسلافة تدعو على نفسها بهذه الأشياء .

. . . .

الكَشِّيّ والطبرى بألفاظ مختلفة ، وذكر قصة موته يحيى بن سَلَّام فى تفسيره ووقع اسمه فى أكثر التفاسير : طُعْمَة بن أُبَيْرِق[1] وفى كتب الحديث : بَشِير بن أُبَيْرِق ، وقال ابن إسحاق فى رواية يونس بن بكير عنه : بَشِير أبو طُعْمَة فليس طعمة إذاً اسماً له ، وإنما هو أبو طُعْمَة ، كما ذكر ابن إسحاق فى هذه الرواية والله أعلم . وفى رواية يونس أيضاً أن الحائط الذى سقط عليه كان بالطائف لا بخيبر ، كما قال ابن سَلاَّم ، وأن أهل الطائف قالوا حينئذ : مافارق محمداً مِن أصحابه مَن فيه خير . والأبيات التى رمى بها حسَّان المرأة ، وهى من بنى عمرو بن عوف ، وقد تقدم اسمها :

وماسارقُ الدِّرْعَيْن إذ كنتَ ذاكرا   بذى كَرَم من الرجال أُوادِعُهْ

وقد أنزلته بنتُ سعدٍ فأصبحتْ   ينازعها جَارَاسْتِها وتُنازِعُه

ظننتمُ بأن يَخْفَى الذى قد صنعتم   وفيكم نَبِيٌّ عنده الوحى واضعه

وقع هذا البيتُ فى كتاب سِيبَوَيْه[2] . وذكر الشعر والخبر بطوله ابن إسحاق فى رواية يونس عنه .

---

(١) هو كذلك فى تفسير الطبرى .

(٢) فى سيبويه ص ٢٤٢ ج ١ ط ١ « وفينا نبى » ويقول شارح شواهده : الشاهد فيه جرى قوله واضعه على النبى « ص » مع إعادة الضمير على الوحى ، وهو لا يحتمل القلب كما تقدم فى الباب ، وقد رد عليه هذا التقدير وجعل الضمير عائدا على الذى قد صنعتم على تقدير : وفينا نبى واضع ماقد صنعتم ، لا على الوحى كما قدره والحجة لسيبويه أن رده على الوحى أولى لأنه يريد : يضع فينا مايوحى إليه ، فينبئنا بصنيعكم على الحقيقة ، وإذا رد الضمير على الذى كان التقدير . واضع الذى صنعتم =

. . . .

فصل : وأنشد ابنُ هشام :

لَدَمَ الْوَلِيد وراء الغَيْبِ بالحجَر

والبيت لتميم بن أبى ابن مُقْبل ، واللَّدْمُ : الضربُ ، والغيب : الغائر من الأرض .

باب إخراج المنافقين :

وذكر ابن إسحاق فى باب إخراج المنافقين من المسجد أبا محمد ، وقال : هو رجل من بنى النجار ، ولم يُعَرِّفه بأ كثَرَ من هذا ، وهو : أبو محمد مسعود ابن أوْس بن زيد بن أصْرم بن زيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار(١) ، يعدُّ فى الشاميين ، وهو الذى زعم أن الوِتْرَ واجب ، فقال عُبادة : كذب أبو محمد ، وهو معدود فى البَدْرِيِّين عند الواقدى وطائفة ، ولم يذكره ابنُ إسحاق فيهم .

— مطلقا دون ربطه بالوحى الذى هو أكشف لحقيقته ، والوضع هنا النشر والبث» أقول : وما أظن حسانا ينطق بالبيت الثانى ، فهو لا يتفق مع أدب الصحابة وهو قذف لم تقم عليه بينة .

(١) فى الإصابة : مسعود بن أوس بن أصرم بن زيد الخ . وقال ابن عبدالبر أدخل الواقدى وابن عمارة بين أوس وأصرم زيدا آخر . وفى جمهرة ابن حزم ص ٢٢٩ كما فى الروض . ويقول جعفر المستغفرى : أبو محمد الذى كذبه عبادة فى وجوب الوتر اسمه : مسعود بن زيد بن سبيع . هذا وقد وهم ابن عبد البر فزعم أن ابن إسحاق لم يذكره فى البدريين ، وهو قد ذكره فيمن شهدها من بنى زيد بن ثعلبة

. . . .

ذكر ما أنزل الله فى المنافقين :

فصل : وذكر ما أنزل اللهُ فى المنافقين والأحبار ومن يَهُودَ من صَدْر سورة البقرة ، واستشهد ابنُ هشام على الرَّيب بمعنى الرِّيبة بقول خالد بن زُهَير ابن أخت أبى ذُؤيْب ، واسمُ أبى ذؤيب : خُوَيْلِدُ بنُ خالدٍ ، والرجز الذى استشهد ببيت منه :

ياقوم مالى وأبا ذُؤَيْب كنتُ إذا أتيته مِنْ غَيْبِ
يَشُم عَطْفِى وَيَمسُّ ثَوْبِى كأننى أرَبْتُه بِرَيْبِ

وكان أبو ذؤيب قد اتهمه بامرأته ، فلذلك ، قال هذا .

وذكر ابن إسحاق : والذين يقيمون الصلاة ، وأغفل التلاوةَ : وإنما هو : ﴿الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة﴾ البقرة : ٣ . وكذلك وجدته مُنبَّها عليه فى حاشية الشيخ : وفى الإيمان بالغيب أقوال ، منها أن الغيبَ هٰهنا مابعد الموت من أمور الآخرة ، ومنها : أن الغيب : القدَر ، ومنها قول من قال : إن الغيب القلبُ ، أى يؤمنون بقلوبهم ، وقيل : يؤمنون بالغيب ، أى بالله عز وجل ، وأحسن مافى هذه الأقوال قول الربيع بن أَنَس ، أى : يؤمنون بظَهْر الغيب ، أى : ليسوا كالمنافقين الذين يؤمنون إذا لقوا الذين آمنوا ويكفرون إذا غابوا عنهم ، ويُدَلُّ على صحةِ هذا التأويلِ : بسياقةِ الكلام ، مع قوله عز وجل ﴿يخشون ربّهم بالغيب﴾ ولا يحتمل قولُه : يخشَوْن ربَّهم بالغيب إلا تأويلا واحداً ، فاليه يرَدُّ ما اختلف فيه . وقوله سبحانه : لارَيْبَ فيه ، وقد ارتاب فيه كثير

. . . .

من الناس ، قيل : هو على الخصوص فى المؤمنين ، أى لاريب فيه عنده . قال المؤلف : رَضى اللهُ عنه : وهذا ضعيفٌ لأن التبرئةَ تعطى العمومَ ، وأصح منه : أن الكلامَ ظاهرُه الخبَر ، ومعناه : النهى ، أى : لاتَرْتابوا ، وهذا النهى عامٌّ لا يُخصَّص ، وأدق من هذا أن يكون خبراً محْضاً عن القرآن ، أى : ليس فيه مايُريب ، تقول : رابَنِى منك كذا وكذا ، إذا رأيتَ ماتُنكِر ، وليس فى القرآن ماتُنكِره العقولُ. والرَّيبُ ، وإن كان مَصْدراً فقد يُعبَّر به عن الشىء الذى يُريب ، كما يُعبَّر بالضيف عن الضائف ، وبالطَّيْف عن الخيالِ الطائف ، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى : ﴿ ليوم لاريبَ فيه ﴾ فهذا خبر ، لأن النهى لايكون فى موضع الصفة .

وقوله : لارَيْبَ فيه فى موضع الصفة ليوم ، والحياةُ بعد الموت ليس فيه مايُريبك ، لأن من قدر على البَدْءَة ، فهو على الإعادة أقدر ، وليس الريب بمعنى الشَّكِّ على الإطلاق ، لأنك تقول: رابنى منك رائب ، ولاتقول شَكَّنى ، بل تقول : ارتبت كما تقول شككت ، فالأرتياب : قريب من الشَّكِّ[1].

وذكر قول الله سبحانه ﴿ فى قُلوبهم مَرَضٌ ﴾ وأصلُ المرض : الضعفُ

---

(١) يقول الراغب فى مفرداته : الشك : اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما. والريب : أن تتوهم بالشىء أمرا ، فينكشف عما تتوهمه ويقول الإمام ابن تيمية فى كتابه مقدمة فى أصول التفسير ص ١٦ « ومن قال لاريب : لاشك، فهذا تقريب ، وإلا فالريب فيه اضطراب وحركة كما قال :دع مايريبك إلى مالايريبك فكما أن اليقين ضمن السكون والطمأنينة ، فالريب ضده » ط السلفية

. . . .

وفُتور الأعضاء، وهو هاهنا ضَعْف اليقين ، وفُتور القلب عن كَدِّ النظر ، وعطف: فزادهم الله ، وإن كان الفعلُ لا يُعطَف على الاسم ، ولا على مثل هذه الجملة ، لو قلت : في الدار زيد ، فأعطيته دِرْهمًا لم يجز ، ولكن لما كان في معنى قوله: في قلوبهم مرض كمَعنى مَرِضَت ، قلوبهمُ صح عطفُ الفعل عليه .

وذكر قولَه سبحانه : يا بَني إسرائيلَ ، ووهم في التلاوة ، فقال : ياأهلَ الكتابِ ، كما وهم في أول السورة. وبنو إسرائيل : هم بنو يَعْقُوب ، وكان يسمى : إسرائيل ، أي سَرِيُّ اللهِ [1] لكن لم يُذْكروا في القراءة إلاَّ أضيفوا إلى إسرائيل ، ولم يُسَمَّوا فيه : بنو يَعْقُوبَ ، ومتى ، ذُكر إبراهيمُ وإسحاق ويعقوبُ لم يُسَمَّ إسرائيل ، وذلك لحكمة فُرقانيَّة ، وهو أن القومَ لما خُوطبوا بعبادة الله ، وذُكِّروا بدين أسلافهم مَوْعِظةً لهم، وتَنْبيها من غفلتهم سُمُّوا بالاسم الذى فيه تَذْكِرَةٌ بالله ، فإن إسرائيلَ اسمٌ مُضاف إلى

---

(١) في قاموس الدكتور بوست أن معنى إسرائيل هو : الأمير المجاهد مع الله ، ثم أطلق هذا اللقب على جميع ذرية يعقوب إلى حين انفصال عشرة الأسباط عن بيت داود وتحيزهم بملكة وحدها ، فأطلق عليها مملكة إسرائيل تمييزا لها عن مملكة يهوذا . والعجيب الغريب أن الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التكوين يقص أن الله لقب يعقوب بإسرائيل بعد أن صارع الله — وهو في صورة إنسان — يعقوب ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه ، وقال : أطلقني . لأنه قد طلع الفجر ، فقال : لا أطلقك إن لم تباركني ، فقال له :ما اسمك ؟ فقال : يعقوب ، فقال : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب. بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت » فقرات ٢٦ — ٢٩ أولا يعرف الله اسم يعقوب ؟ أو يبلغ العدوان على الله هذا الحد ؟ .

. . . .

الله تعالى فى التأويل . ألا ترَى : كيف نَبَّه على هذا المعنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ـ حين دعا إلى الإسلام قوما ، يقال لهم : بنو عبد الله ، فقال لهم : يابنى عبدِ الله ، إن الله قد حسَّن اسم أبيكم يحُرِّضهم بذلك على مايقتضيه اسمُهم من العُبوديَّة لله ، فـكذلك قولُه سبحانه : يابنى إسرائيلَ إنما ورد فى مَعْرِض التَّذْكِرَةِ لهم بدين أبيهم ، وعُبوديَّتِهِ لله ، فـكان ذكرُهم بهذا الاسم أليقَ بمقام التذكرة والتَّحْريض مِن أن يقول لهم : يابنى يعقوبَ ، ولما ذكر مَوْهِبَته لإبراهيم وتبشيره بإسحاق ، ثم يعقوبَ كان لفظُ يعقوب أولى بذلك المقام ، لأنها مَوْهِبة بعَقِب أخرى ، وبُشْرى عقب بها بُشرى وإن كان اسمُ يعقوب عِبْرانيًّا ،ولـكن لفظَه موافقٌ للعربى فى العقِب والتعقيب[1] ، فانظر مُشاكَلة الاسمين للمقامين ، فإنه من باب النظر فى إعجاز القرآن وبلاغة ألفاظه وتنزيل الـكلام فى منازله اللائقة به .

حديث أبى ياسر بن أخطب :

فصل : وذكر ابنُ إسحاق حديثَ أبى ياسر بن أخطب وأخيه حيى بن أخطب حين سمعا المص[2] ونحوها من الحروف ، وأنهم أخذوا تأويلها من حروف أبْجَد إلى قوله : لعله قد جمع لمحمد وأمته هذا كله : قال المؤلف : وهذا

---

(١) فى الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التـكوين عن عيسو بن إسحاق وأمهما تلدهما : « وبعد ذلك خرج أخوه ، ويده قابضة بعقب عيسو ، فدعى اسمه : يعقوب » .

(٢) تقرأ هكذا : ألف لام ميم صاد .

. . . .

القول من أحبار يهود، وما تأوّلوه من معانى هذه الحروف محتمل، حتى الآن أن يكون من بعض ما دلت عليه هذه الحروف المقطّعة، فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكذبهم فيما قالوا من ذلك، ولا صدقهم(١). وقال فى حديث آخر: لا تُصَدِّقوا أهلَ الكتاب، ولا تُكَذِّبوهم، وقولوا: آمنا بالله وبرسوله(٢)، وإذا كان فى حَدِّ الاحتمال وَجَب أن يُفْحَصَ عنه فى الشريعة هل يُشير إلى صحته كتابٌ أو سُنَّة، فوجدنا فى التنزيل ﴿ وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تَعُدُّون ﴾ ووجدنا فى حديث زَمْلٍ الْخُزَاعِى حين قص على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رُؤيا، وقال فيها: رأيتك يا رسول الله على منبرٍ له سبعُ درجات، وإلى جنبه ناقة عَجْفاء، كأنك تبعثها، ففسر له النبيُّ صلى الله عليه وسلم الناقةَ بقيام الساعةِ التى أنذر بها، وقال فى المِنبر: ودرجاته الدنيا: سبعةُ آلاف سنةٍ بعثت فى آخرِها ألفا، والحديث وإن كان ضَعيفَ الإسناد، فقد رُوِى موقوفا على ابنِ عباس من طُرق صِحَاحٍ، أنه قال: الدنيا سبعةُ أيام كل يوم ألف سنة، وبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى آخر يوم منها. وقد مضت منه سنون، أو قال: مِئُون، وصحح أبو جعفر الطبرى هذا الأصلَ، وعضده بآثار، وذكر قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بُعِثْتُ أنا والساعة

---

(١) كلام يهود خرف وشعبذة، فكيف يصدق. هذا والحروف المقطعة التى افتتحت بها السور أربعة عشر حرفا بحذف المكرر منها يجمعها قولك: « نص حكيم قاطع له سر » وهى نصف الحروف عددا، وتشتمل على أصناف أجناس الحروف.

(٢) هذا إذا كان لا يخالف نصا صحيحا أو عقلا صريحا.

. . . .

كهاتين(٢) ، وإنما سَبَقْتُهَا بما سبقت هذه هذه ، يعنى : الوسطى والسَّبَّابة ، وأورد هذا الحديثَ من طرق كثيرة صححها وأورد منها قوله عليه السلام : لن يُعْجِزَ اللهَ أنْ يؤخِّر هذه الأمةَ نصفَ يوم ، يعنى: خمسمائة عام ، وقد خرَّج ، هذا الحديث الأخير أبو داود أيضاً . قال الطبرى : وهذا فى معنى ماقبله يشهد له ويبينه فإن الوُسطى تزيد على السَّبَّابة بنصف سُبْعِ أصْبَع ، كما أن نصف يوم من سبعة نِصف سبع . قال المؤلف : وقد مضت الخمسمائة من وفاته إلى اليوم بنَيِّفٍ عليها، وليس فى قوله : لن يُعْجِزَ الله أن يؤخِّر هذه الأمة نصفَ يوم ماينفى الزيادة على النصف ، ولا فى قوله : بعثت أنا والساعة كهاتين ما يقطع به على صحة تأويله ، فقد قيل فى تأويله غير هذا ، وهو أن ليس بينه وبين الساعة نبى غيره ، ولا شرع غير شرعه مع التقريب لحينها ، كما قال سبحانه : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانشق القمر ﴾ ، ﴿ وأتى أمرُ الله فلا تَسْتَعْجِلوه ﴾ ولكن إذا قلنا : إنه ـ عليه السلام ـ بُعِث فى الألف الآخر بعد ما مضت منه سنون ، ونظرنا بعدُ إلى الحروف المقطَّعة فى أوائل السور ، وجدناها أربعةَ عَشَرَ حرفا يجمعها : قولك

ألم يسطع نص حق كره

ثم نأخذ العدد على حساب أبى جادٍ ، فنجد : ق مائة ، و : ر مائتين ، و : س ثلاثمائة ، فهذه ستمائة ، و : ع سبعين ، و : ص ستين ، فهذه سبعمائة

---

(١) متفق عليه .

. . . .

وثلاثون ، و : ن خمسين ، و : ك عشرين ، فهذه ثمانمائة ، و : م أربعين ، و : ل ثلاثين ، فهذه ثمانمائة وسبعون ، و : ى عشرة ، و : ط تسعة ، و : ا واحد ، فهذه ثمانمائة وتسعون ، و : ح ثمانية ، و : هـ خمسة ، فهذه تسعمائة وثلاثة ، ولم يُسَمِّ الله سبحانه فى أوائل السور إلا هذه الحروف ، فليس يبعد أن يكون من بعض مُقْتَضَياتها وبعض فوائدها الإشارةُ إلى هذا العدد من السنين لما قدمناه فى حديث الألف السابع الذى بعث فيه عليه السلام ، غير أن الحسابَ محتمل أن يكون من مبعثه ، أو من وفاته ، أو من هجرته ، وكُلٌّ قريبٌ بعضُه من بعض ، فقد جاء أشراطُها ، ولكن لا تأتيكم إلا بَغْتَةً[1] ، وقد روى أن المتوكل العباسى سأل جعفرَ بن عبدِ الواحد القاضى ، وهو عباسى أيضاً : عما بقى من الدنيا ، فحدثه بحديث يرفعه إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : إن أحسنتْ أمتى ، فبقاؤها يومٌ من أيام الآخرة ، وذلك ألف سنة ، وإن أساءت ، فنصفُ يوم ، ففى هذا الحديث تتميم للحديث المتقدم وبيان له ؛ إذ قد انقضت الخمسمائة ، والأمة باقية والحمد لله[2] .

معانى الحروف فى أوائل السور :

فصل : ولهذه الحروف فى أوائل السور معانٍ جَمَّةٌ وفوائد لطيفة ، وما كان الله تعالى ليُنَزِّل فى الكتابِ مالا فائدة فيه ، ولا ليخاطب نبيَّه وذوى ألبابٍ

---

(١) هذا من قول الله . وهى تضرب كل ما ذكر السهيلى عن دلالة الحروف العددية ، وتدمغه بأنه خرف يهودى وقد كذب الواقع ما خرفوا به :

(٢) كيف يجعل من حجته الأساطير والكيد المحموم من أحقاد اليهود ؟ !

. . . .

من صحبه بما لا يفهمون ، وقد أنزله بيانا للناس ، وشفاء لما في الصدور ، ففي تخصيصه هذه الحروف الأربعةَ عَشَرَ بالذكر دون غيرها حكمةٌ بل حِكَمٌ ، وفي إنزالها مُقطّعه على هيئة التَّهجِّي فوائدُ علمية وفقهية ، وفي تخصيصه إياها بأوائل السور ، وفي أن كانت في بعض السُّورِ ، دون بعضٍ فوائدُ أيضاً ، وفي اقتران الألف باللام ، وتقدمها عليها معانٍ وفوائدُ ، وفي إرداف الألف واللام بالميم تارةً ، وبالراء أخرى ، ولا توجد الألف ، واللام في أوائل السور ، إلا هكذا مع تكررها ثلاثَ عَشْرةَ مرة فوائدُ أيضاً ، وفي إنزال الكاف قبل الهاء ، والهاء قبل الياء ثم العين ثم الصاد من كهيعص(١) معانٍ أكثرُها تنبِّه عليها آياتٌ من الكتاب ، وتبين المرادَ بها لمن تدبّرها . والتدبُّرُ والتذكر واجبٌ على أولى الألباب ، والخوضُ في إيراد هذه المعاني ، والقَصدُ لإيضاح مالاح لي عند الفكر والنظر فيها ، مع إيراد الشواهد على ذلك من كتاب وأثرٍ وعربية ونظرٍ يُخرجنا عن مقصود الكتاب وينأى بنا عن موضوعِه والمراد به ، ويقتضى إفرادَ جزء أشرح ما أمكن من ذلك ، ولعله أن يكون ، إن ساعد القدر ؛ والله المستعان ، وهو ولي التوفيق ، لا شريك له .

ذكر تحويل القبلة :

فصل : وذكر تحويلَ القبلة ، وماقالته جماعةُ يَهُودَ حين قالوا : يا محمد ماوَلاّك عن قبلتك ، وهم السفهاء(٢) من الناس ، فيهم نزلت هذه الآية .

---

(١) تقرأ هكذا : كاف ها يا عين صاد .

(٢) يرى الزجاج أن السفهاء هم المشركون ، ويرى مجاهد أنهم أحبار اليهود ،

. . . .

وقال : سيقول بلفظ الاستقبال لتقدم العلم القديم بأنهم سيقولون ذلك ، أى : لم آمركم بتحويلها إلا وقد علمت أن سيقولون ما قالوه ، وقد ذكرنا فى حديث الهجرة ، قصة الْبَرَاء بن مَعْرور فوائدَ فى معنى تحويل القبلة ، فلتنظر هنالك(١)
وأنشد فى تفسير الشطر بيت ابن أحمر :

تَعْدو بنا شَطْرَ جَمْعٍ وهى عاقِدَةٌ   قد قارب الْعَقْدُ من إيفادِها الْحَقَبا

وألفيتُ فى حاشية الشيخ على هذا البيت ما هذا نصه . قال من إيفادها : من إشرافها ، كذا قال محمد بن عبد الله الْبَرْقِىُّ ، وقال كَارَبَ موضعَ قَارَبَ ، ووقع فى شعر ابن أحمر :

تَعْدو بنا عُرْضَ جَمْعٍ وهى مُوقِدَةٌ   قد قارب الْغَرْضُ من إيفادِها الْحَقَبا

تعدو : من الْعَدْو بنا وبرحلى : يعنى غلامه . عُرْضَ جَمْع : يعنى مكة ، وعَرْضَ أحب إلى ، وعُرْض : كثرة الناس ، عن الأصمعى ، ومُوفِدَةٌ ، أى:

= ويرى السدى أنهم المنافقون . ويقول ابن كثير قولة حق : والآية عامة فى هؤلاء كلهم .

وفى البخارى أنه صلى ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وكذلك فى مسلم وعند ابن أبى حاتم . ويحكى القرطبى فى تفسيره عن عكرمة وأبى العالية والحسن البصرى أن التوجه إلى بيت المقدس كان باجتهاده عليه السلام ، ويرى ابن عباس وغيره أن التوجه كان بأمر الله . وقد سبق ذكر شىء عن هذا .

(١) يقول البيضاوى : وفائدة تقديم الإخبار به : توطين النفس وإعداد الجواب .

. . . .

مشرفة.أوفد : إذا أشرف ، وروى غيره : وهي عاقدة ، يريدعنقها لاويتها(١) والغَرْضُ : البِطَانُ وهو حزام الرَّحْل. من إيفادها ، أي إشرافها،وقد اقتادت : نصبت عُنُقَها وعَصَرَت بذَنبها وتخامَصَت ببطنها فقرب كلٌّ واحدمن الغَرْضِ والحَقَبِ من صاحبه بذلك.هنا انتهى ما كتبه الشيخ على هذا البيت وأوردته وقبل البيت :

أنشأتُ أسأله عن حال رُفقَتِه فقال: حَيَّ فإن الركبَ قد نصبا(٢)

ما أنزل الله في بنى قينقاع

فصل : وذكر ما أنزل الله سُبحانه فى بنى قَيْنقاع ، وقولهم للنبى صلى الله عليه وسلم : لو حاربتَنا ، لعلمت أنا نحن الناس : ﴿ قل : للذين كفروا سَتُغْلبونَ ﴾ إلى قوله : ﴿تَرَوْنَهُم مِثْلَيْهِم رَأْيَ العين﴾ فمن قرأه : يَرَوْنَهم بالياء ، فمعناه أن الكفارَ يرون المؤمنين مثليهم ، وإن كانوا أقلَّ منهم لما كثرهم بالملائكة . فإن قيل : وكيف وهو يقول فى آية أخرى : ﴿ويُقَلِّلُكُمْ فى أعينهم﴾ قيل : كان هذا قبل القتال عندما حَزَرَ الكفار المؤمنين ، فرأوهم

---

(١) فى اللسان : ناقة عاقد : تعقد بذنبها عند اللقاح ، وظبي عاقد : واضع عنقه على عجزه قد عطفه للنوم . وفى شرح السيرة لأبى ذر الخشنى : ناقة عاقد : إذا عقدت ذنبها بين فخذيها فى أول ما تحمل .

(٢) فى اللسان :

أنشأت أسأله مابال رفقته حى الحمول ، فإن الركب قد ذهب

وحى : حث ودعاء .

. . . .

قليلا ، فتجاسروا عليهم ثم أمدهم الله بالملائكة ، فرأوهم ، كثيراً فانهزموا ، وقيل : إن الهاء في يَرَوْنَهُمْ عائدة على الكفار ، وإن المؤمنين رأَوْهُم مثليهم ، وكانوا ثلاثةَ أمثالِهم ، فقلَّلَهم في عيون المؤمنين ، وأما من قرأها بالتاء ، فيجوز أن يكونَ الخطابُ لليهود ، أي تَرَوْنَ المشركين يوم بدر مِثْلِي المؤمنين، وذلك أنهم كانوا ألفاً ، فانخذل عنهم الأَخْنَسُ بن شَرِيقٍ ببنى زُهْرَةَ ، فصاروا سبعمائة أو نحوها ، ويجوز أن يكون الخطاب المشركين ، أي : ترون أيها المشركون المؤمنين مثليهم ، حين أمدهم الله بالملائكة فيعود الكلام إلى المعنى الأول الذى قدمناه فى قراءة من قرأ بالياء. وفى الآية تخليط عن الفرّاء أضربنا عن ذكره[1] ، وجُلُّ ماذكرناه آنفاً مذكور فى التفاسير بألفاظ مختلفة .

وذكر ابنُ هشام فى الربانيين أنهم العلماء الفقهاء السادة وفى البخارى عن بعض أهل العلم قال: الربانيون الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره ، وقيل نسبوا إلى علم الرب والفقه فيما أنزل وزيدت فيه الألف والنون لتفخيم الاسم، وأنشد ابن هشام :

---

(١) ذكر الفراء هذا فى كتابه معانى القرآن ص ١٩٤ ج ١ طدار الكتب . وقد خطأ القرطبى الفراء فى قوله إن معنى أحتاج إلى مثله أنك محتاج إليه وإلى مثله . قال القرطبى عن هذا إنه بعيد غير معروف فى اللغة .

هذا وقد قرأ نافع ويعقوب: ترونهم. والباقون بالياء. وإذا كان الخطاب لليهود ، فيحتمل أن تكون الإشارة إلى وقائع أخرى حدثت لبنى إسرائيل مثل قصة طالوت مع جالوت . . وقيل : إن الرائين والمرئيين هم المقاتلون فى سبيل الله فالمعنى أنهم يرون أنفسهم مثلى ماهم عليه عددا .

لو كنتُ مُرْتَهِناً فى القُوسِ أفْتَنَنِى   منها الـكلامُ وَربّانِىٌّ أحْبارِ

وقال : القُوس : الصومعة ، ومن كلام العرب : أنا بالقُوسِ وأنت بالْقَرْقُوسِ[١] ، فـكيف نجتمع؟ وقال فى أفتننى : هى لغة تميم ، وفرّق سيبويه بينَ فَتَنْتُه وأفْتَنْتُه ، وجعله من قول الخليل ،قال أفتنْـته : صيَّرتهُ مُفْتَتِناً أو نحو هذا ، وفَتَنْتهُ ، جعلت فيه فِتْنَةً[٢] ، كما تقول : كَحَلْتُه جعلت فى عينيه كُحْلاً ، ومآلُ هذا الفَرْق إلى أن فَتَنْتُه صَرَفْتُه ، فجاء على وزنه ، لأن المفتونَ مَصْروفٌ عن حَقٍّ ، وأفتنته بمعنى أَضْلَلْتهُ وأغْوَيْتهُ ، فجاء على وزن ماهو فى معناه ، وأما فتنت الحديدة فى النار ، فعلى وزن فعلت ، لاغير ؛ لأنها فى معنى : خَبَرْتها ، وبَلَوْتُها ونحو ذلك[٣] .

---

(١) القرقوس : القاع الأملس الغليظ الأجرد الذى ليس عليه شىء . . وقد سبق الـكلام عن هذا فى الجزء الأول . ويرى سيبويه أن العرب زادوا ألفا ونونا فى الربانى ، لأنهم أرادوا تخصيصه بعلم الرب دون غيره ، كأن معناه صاحب علم بالرب دون غيره من العلوم ، وهو كما يقال : رجل شعرانى ولحيانى ورقبانى إذا خص بكثرة الشعر وطول اللحية ، وغلظ الرقبة ، فاذا نسبوا إلى الشعر قالوا : شعرى ، وإلى الرقبة قالوا : رقبى ، وإلى اللحية : لحي . أقول : وأحسن ما قيل فى تعريفه . العالم العامل المعلم.

(٢) وفى اللسان أيضاً : فتن الرجل بالمرأة ، وافتتن ، وأهل الحجاز يقولون : فتنته المرأة إذا ولهته وأحبها وأهل نجد يقولون : أفتنته .وعند الخشنى: فتن لغة قيس ، وأفتن لغة تميم . ومرتهنا وتروى : مرتهبا .

(٣) فى مفردات الراغب الأصفهانى : أصل الفتن : إدخال الذهب فى النار لتظهر جودته من رداءته . وفى معجم ابن فارس عن مادة الكلمة أنها تدل على ابتلاء واختبار . . وفتنت الذهب بالنار : إذا امتحنته . . وأنكر الأصمعى :=

. . . .

تفسير آناء الليل:

فصل وذكر ابنُ هشام فى تفسير آناء الليل ، قال : واحد الآناء إنْىٌ ، واستشهد عليه بقول الهذلى(١) ، ثم أغرب بما حدثه به يونس ، فقال : ويقال إنى فيما حدثنى يونس بن حبيب ، وهذا الذى قاله آخراً هو لغةُ القرآنِ ، قال الله تعالى : (غير ناظر بن إناه).

ذكر جمل من الآيات المنزلة فى قصص الأحبار :

فصل : وذكر ابن إسحاق جُمَلاً من الآيات المنزلة فى قَصَص الأحبار ومسائلهم كلها واضحة ، والتكلم عليها يخرج عن غرض الكتاب إلى تفسير القرآن ، وفى جملتها قوله تعالى ﴿ أيَّان مُرْسَاها ﴾ وقال الفراء فى أيَّان : هى كلمتان ، جعلت واحدة ، والأصل : أى آن ، والآن والأوان بمعنى واحد ، كما يقال : رَاح ورَيَاح ، وأنشد :

= أفتن . هذا وبيت جرير الذى فى السيرة هو هكذ فى اللسان :

لا وصل إذ صرفت هند ولو وقفت لاستفتنتنى وذا المسحين فى القوس

وبعده :

قد كنت تربا لنا يا هند فاعتبرى ماذا يريبك من شيبى وتقويسى

(١) لبيت المتنخل رواية أخرى فى اللسان هى :

السالك الثغر مخشيا موارده بكل إنى قضاه الليل ينتعل

ورواية السيرة وردت فى اللسان ، وفيها مرته بدلا من شيمته ، ومبق بيان إنى وشيمته : طبيعته .

. . . .

نَشَاوَى تَسَاقَوْا بِالرِّيَاحِ الْمُفَلْفَلِ (١)

وقد ذكر المروى فى أيان وجهاً آخر ، قال يجوز أن يكون أصلُه : أيْوَان فاندغمت الياء فى الواو مثل قُيَّام .

وذكر آية التِّيهِ وحبس بنى إسرائيل فيه أربعين سنةً عقوبةً من اللهِ تعالى لمخالفتهم أمرَه حين فزِعوا من الجبارين لِعظم أجسامهم ، وقال لهم رجلان وهما يُوشَعُ بن نُون من سِبْطِ يوسفٍ ، وكالبُ بن يوفيا من سِبْط يامين (٢) ﴿ ادْخُلوا

(١) البيت فى اللسان لامرىء القيس فى مادة ريح وفى مادة أين قال : أنشد أبو القمقام ، وشطرته الأولى :

ورواية الشطرة الثانية فى المقامات بشرح الزوزنى : كأن مكالى الجواء عدية صبحن سلافا من رحيق مفلفل

والراح والرياح بفتح الراء : الخمر ، وقد أنشد اللسان البيت فى ريح ، وأين . وبقية كلام الفراء أن الآن حرف بنى على الألف واللام ، ولم يخلعا منه . وترك على مذهب الصفة ، لأنه صفة فى المعنى واللفظ . ويرى أن الآن أصلها الأوان ، لحذفت منها الألف ، وغيرت واوها إلى الألف .

(٢) بين القرآن القصة بجلاء لكن لم يرد فيه اسم يوشع وكالب لكن ورد ذكرهما فى أسفار العهد القديم . ويقول الدكتور بوست عن يوشع إنه خليفة موسى ، وهو ابن نون من سبط أفرايم ولد فى مصر ، وكان أولا خادم موسى ، واسمه فى الأصل : هوشع . وكان هـــو وكالب الرجلين اللذين تكلما بالحق بخصوص البلاد التى تجسسوها . وانظر سفر الخروج والعدد . وكالب عندهم هو ابن يفنة — بفتح الياء وضم الفاء وتضعيف النون مع فتح القنزى أحد الجواسيس الإثنى عشر الذين أرسلهم موسى إلى أرض كنعان . ويجب أن نأخذ ما يقصه علينا بنو إسرائيل بحذر بالغ ، ونقد بصير . وحسبنا قصص القرآن الكريم .

. . . .

عليهم البابَ فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ﴾ فلما عَصَوْهما دعا عليهم موسى ، فتاهوا ، أى تحيروا ، وكانوا ستمائة ألف مقاتل ، فتاهوا فى سِتَّةِ فراسِخَ من من الأرض ، يمشون النهار كلَّه ، ثم يُمْسون حيث أصبحوا ، ويُصْبحون حيثُ أمْسَوْا . وفى تلك السنين أنزل عليهم المنُّ والسَّلْوَى ، لأنهم شُغِلوا عن المعاشِ بالتِّيه فى الأرضِ ، وأُبقيت عليهم ثيابُهم لا تَخْلَق ، ولا تَتَّسخ ، وتطول مع الصغير ، إذا طال ، وفيها استسقى لهم موسى ، فأمِرَ أن يأخذَ حجراً من الطُّور ، فيضرب به بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا عَشْرةَ عيناً ، وفيها ظَلَّل عليهم الغَمامُ لأنهم كانوا فى البَرِّيَّة ، فُظلِّلوا من الشمسِ ، وذلك أن موسى كان نَدم حين دعا عليهم لما رأى من جهدهم وحيرتهم فى التيه ، فكان يدعو الله لهم فى هذه الأمور ؛ لئلا يَهلكوا فى التيه جوعا أو عُرْياً أو عَطَشاً ، فلما آسى عليهم قال الله له : ﴿ لا تَأْسَ على القوم الفاسقين ﴾ أى : الذين فَسَقُوا أى : خرجوا عن أمرك . ومات فى أيام التيه جميعُ كبارهم إلا يُوشَعَ وكالبَ فما دَخل الأرضَ على الجبارين إلا خُلُوفُهم وأبناؤهم ، وقيل : إن موسى مات فى تلك السنين أيضاً ولم يشهد الفتحَ مع يُوشَعَ ، وقيل : بل كان مع يُوشَع حين افتتحها(١) .

---

(١) أصل قصة التيه فى القرآن . أما هــذه التفصيلات ، فمن أسفار بنى إسرائيل .

. . . .

ذكر المرجومة من اليهود

فصل : وذكر المرجومة من اليهود ، وأن صاحبها الذى رُجم معها حَنَا عليها بنفسه(١) ليقيَها الحجارةَ. حَنَا بالحاء تقيد فى إحدى الروايتين عن أبى الوليد،

(١) يقول الدكتور بوست فى قاموسه عن الرجم فى العهد القديم « نوع من أنواع العقاب كان كثير الاستعمال لمقاصة المجرمين الأشقياء حتى إذا لم يذكر نوع القصاص فالغالب أنه الرجم ، فكان يرجم المجرمون وعبدة الأصنام ومدنسو البيت ومرتكبو الفحشاء والمتمردون من البنين ، فيخرج بالمجرم إلى خارج المدينة ، وحسب زعم البعض كان يربط ، وأول من يبدأ برجمه الشهود ، والأرجح أنهم كانوا ينزعون ثيابهم لكى يتمكنوا من إجراء العمل بقوة ونشاط » بلدة رجم وقد ورد فى سفر التثنية من العهد القديم ما يأتى : « إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل ، فوجدها رجل فى المدينة واضطجع معها ، فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة ، وارجموهما بالحجارة حتى يموتا الفتاة من أجل أنها لم تصرخ فى المدينة ، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه » إصحاح ٢٢ فقرة ٣٢ - ٣٤ . كما ورد فى الإصحاح المتمم للعشرين من سفر اللاويين من العهد القديم ما يأتى : « وإذا زنى رجل مع امرأة ، فإذا زنى مع امرأة قريبة ، فانه يقتل الزانى والزانية ، وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه ، فقد كشف عورة أبيه ، إنهما يقتلان كلاهما ، دمهما عليهما ، وإذا اضطجع رجل مع كنته - والكنة امرأة الإبن أو الأخ — فانهما يقتلان كلاهما ، قد فعلا فاحشة دمهما عليهما ، وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا إنهما يقتلان دمهما عليهما ، وإذا اتخذ رجل امرأة وأمها ، فذلك رذيلة بالنار يحرقونه وإياهما لكيلا يكون رذيلة بينكم » وفيه أيضاً أن المرأة التى تزعم أن فيها جانا يجب أن ترجم بالحجارة وكذلك الرجل . . أما الرجم فحكمه لم يرد فى القرآن والزعم بأنه كان ثم نسخ لفظه وبقى حكمه دعوى بلا بينة ، والقرآن حين ذكر حد الزنى فى سورة النور لم يفرق بين محصن وغير محصن بل جاء بالوصف ، ورتب =

. . . .

وكذلك فى الموطأ من رواية يحيى ، فجعل يحنى عليها ، وفى الرواية الأخرى عن أبى الوليد : جَنَأَ بالجيم والهمز ، وعلى هذه الرواية فسره أبو عبيد ، والجناء : الانحناء[1] ، قال الشاعر عَوْفُ بن مُحَلِّم :

وَبدلتنى بالشَّطَاطِ الجْنَا ... وكُنتُ كالصَّعْدَة تحت السِّنَانِ[2]

وفى حُنُوِّه عليها من الفقه : أنهما لم يكونا فى حُفْرتين ، كما ذهب إليه كثير من الفقهاء فى سُنَّة الرَّجْم ، وكذلك رُوِى عن على رحمه الله ، أنه

= عليه العقوبة ، (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ولكن ورد فى بعض الأحاديث أنه حدث رجم .

(١) فى القاموس : جنأ عليه كجعل وخرج جنوءا ، وجنأ : أكب كأجنأ ، وجانأ ، وتجانأ . وفى النهاية لابن الأثير : أجنأ بمعنى إجناء . وفى رواية أخرى: فلقد رأيته : يجانىء عليها مفاعلة من جانأ يجانىء .

(٢) أول القصيدة :

يا ابن الذى دان له المشرقان ... طرا ، وقد دان له المغربان

إن الثمانـــين وبلغتها ... قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

وبدلتنى بالشطاط الجنا ... وكنت كالصعدة تحت السنان

وعدة القصيدة فى أمالى القالى : عشرة أبيات ، وسببها أن عوفا دخل على عبد الله بن طاهر ، فسلم عليه عبد الله ، فلم يسمع ، فأعلم بذلك . فزعموا أنه ارتجل هذه القصيدة . . وعوف يكنى أبا محلم أو أبا المنهال ، وهو شاعر مجيد من من شعراء الدولة الهاشمية . والشطاط : حسن القوام والاعتدال . والصعد : القناة المستوية انظر ص ٥٠ ج ١ الأمالى ط ٢ و ١٩٨ سمط اللالى للبكرى .

. . . .

حفر لشُراحَةَ بنتِ مالكٍ الهَمْدَانية حين رَجَمها . وأما الأحاديث فأكثرُها على ترك الحَفْرِ المرجوم ، واسم هذه المرجومة : بُسْرَةُ فيما ذكر بعض أهل العلم ، وفى قصتهما أنزل الله : ﴿ وكيف يُحَكِّمونك وعِنْدَهم التَّوْرَاةُ ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا ﴾ ، يعنى محمداً ، ومَنْ حكم بالرَّجم قبله ، لأنه حكم بالرَّجم لأولئك اليهود الذين تحاكموا إليه ، والرَّبَّانِيُّون . يعنى : عبدَ الله بن سَلَامٍ وابن صُورِى من الأحبار بما استُحْفِظُوا من كتاب الله ، لأنهم حفِظوا أن الرَّجْمَ فى التوراة ، لكنهم بدَّلوا وغيروا ، وكانوا عليه شُهداءَ ؛ لأنهم شَهِدوا بذلك على اليهود إلى قوله : ﴿ ومن لم يَحْكُمْ بما أنزل الله ﴾ فحكم بالرَّجْم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا يبين لك أن الرَّجْمَ فى القرآن ، وعلى هذا فسره مالكٌ فيما بلغنى ، ولذلك قال عليه السلام للرجلين : لأحْكُمَنَّ بينكما بكتاب الله ، فحكَمَ بالرجم ، كما فى الكتاب المنزَّل على موسى وعلى مُحَمَّد صلى الله عليهما ، وقد قيل فى معنى الحديث أقوالٌ غير هذا ، والصحيح ما ذكرنا(١) .

---

(١) روى البخارى ومسلم ومالك وغيرهم أن اليهود جاءوا إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم ؟ فقالوا : نفضحهم ، ويجلدون ، قال عبد الله بن سلام : كذبتم ، إن فيها الرجم ، فأتوا بالتوراة ، فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، فقرأ ماقبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع فاذا آية الرجم ، فقالوا صدق يا محمد ، فيها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فرجما ، فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة ، هذا لفظ البخارى . ونستطيع أن نفهم من هذا أن رسول الله « ص » إنما رجع إلى حكم التوراة ، لأنه لم يكن قد نزل حكم =

. . . .

واستشهد ابنُ هشام فى تفسير الجهرة بقول أبى الأخزر الحِمَّانِى ، واسمه : قتيبة ، وحِمَّانُ هو ابنُ كَعْب(١) بن سَعْدِ بن زَيْدِ مَنَاةِ بنِ تَمِيم ، فقال :

يجهر أفواه المياه السُّدُم

يقال : ماء سِدَامٌ إذا غطاه الرمل ، وجمعه : سُدُم ، وجمعه على سَدُم غريب ، ويقال أيضا سِدَامٌ وأسْدَام(٢) ونحو من قوله يَجْهر قولُ عائشة رضى الله عنها فى أبيها . واجْتَهرَ لهم عَيْن الرَّوَاء(٣) ، وأنشد فى تفسير الفوم وأنه الْبُرُّ :

= الزنا ، وإلا لبادرهم ببيان حكم الله الذى فى القرآن قبل أن يسألهم عن حكم الله الذى فى التوراة التى يهيمن عليها القرآن . وكل روايات الحديث توحى بهذا المعنى وقصر وصف الربانيين على ابن سلام وابن صورى ، وقصر وصف المسلمين على ما قصره عليه . كل هذا لادليل عليه . فلم لايعمم معنى الآية ، فيتناول كل أنبياء بنى إسرائيل الذين حكموا بالتوراة من بعد موسى ، وكل الربانيين ؟ ! ثم أين آية الرجم فى القرآن حتى يصدق ماذهب إليه السهيلى ؟

(١) فى اللباب لابن الأثير : حمان ، وهى قبيلة من تميم ، وهو حمان ابن عبد العزيز بن كعب الخ بزيادة عبد العزيز عما فى الروض .

(٢) فى اللسان : ماء سدم ـ بفتح السين والدال ـ وسدم ـ بفتح فكسر ـ وسدم ـ بضم فضم ـ وسدوم ـ بضم السين والدال ـ مندفق ، والجمع : أسدام وسدام بكسر السين فى هذه ، وقد قيل الواحد والجمع فى ذلك سواء . والرجز فى السيرة : يجهر أجواف .

(٣) فى النهاية لابن الأثير « اجتهر دفن الرواء هو بالفتح والمد : الماء الكثير ، وقيل : العذب الذى فيه للواردين رى » .

. . . .

فَوْق شِيزَى مثل الجَوَابى عليها قِطَعٌ كالوَذِيلِ فى نِقْىِ فُوم

الشِّيزَى : خشب أسود تُصنع منه الجفان [مفردها : جَفْنَة ، وهى القصعة ، والجوابى : جمع جابية : الحوض يُجبى فيه الماء للإبل] ، والوَذيل : جمع وذيلة وهى السبيكة من الفضة . قال الشاعر :

وتُريكَ وَجْهاً كالوَذِيـــلَة لا ريَّان ممتلىء ولا جَهْم

ومنه قول عمرو بن العاص لمعاوية : أما والله لقد أَلْفَيْتُ أمرَكَ ، وهو أَشَدُّ انْفِضَاحاً من حُقِّ الـكَهُول . كذلك رواه الْهَرَوِىُّ ، وقال ابن قتيبة : الْـكَهْدَل ، فما زلتُ أَرُمُّه بوذائِله ، وأصِله ، بوَصائِله ، حتى تركْته على مثل فَلْـكَة الْمدر. حُقُّ الـكَهُول : بيت العنكبوت ، وكما قاله الهروى ، قاله أبو عُمَر الزاهد فى كتاب الياقوت ، كما وقع فى غريب الحديث للقُتَـبِىِّ قاله أبو عبد الله بن القزاز فى الـكتاب الـكبير ، قال : الْـكَهْدَلُ: العنكبوت،وقيل فى الْـكَهُول إنه ثَدْى العجوز ، وفى العين: الوذيلة: المِرآة(١) ،وقيل فى الفُوم: إنه الثُّوْمُ ، واختاره ابن قتيبة ، واحتج بأنه فى مُصْحَف عبد الله بن مَسْعود : وثومها ، ولا حجة فى هذا لما ذكره أبو حنيفة فى النبات : أن الثُّومَ ، هو البُرُّ

---

(١) فى النهاية لابن الأثير عن الـكهول : رواها الأزهرى بفتح الـكاف وضم الهاء ، وقال : هى العنكبوت ، ورواها الخطابى والزمخشرى بسكون الهاء وفتح الـكاف والواو ، وقالا : هى العنكبوت . . وقال القتيبى : أما حق الـكهدل، فلم أسمع فيه شيئا ممن يوثق بعلمه ، بلغنى أنه بيت العنكبوت ، ويقال : إنه ثدى العجوز ، وقيل : العجوز نفسها ، وحقها : ثديها .

. . . .

وأنه يقال بالفاء وبالثاء ، ومن الشاهد على الفُوم وأنه البرُّ قول أبى أُحَيْحَةَ ابن الجُلَاح ، وقيل هو لأبى مِحْجَنٍ الثقفىِّ :

قد كنت أغنى الناس شخصا واحــــدا
سكن المدينة عن زراعة فُوم(١)

وأنشد فى بعض ما فَسَّر بيت الأخطل ، قال : وهو الغَوْثُ بن هُبَيْرَةَ ابن الصَّلْت(٢) ، يُكْنَى أبا مالكٍ ، والمعروف : غِيَاثُ بن الغَوْثِ بن هُبَيْرَة ابن الصَّلْت ، وسُمِّى : الأخطل لقوله :

لَعَمْرُكَ إننى وابنى جُعَيْل وأُمَّهُمَا لَاسْتَارٌ لَئِــيمُ

كل أربعة إستارٌ(٣) قيل : إن كعبَ بنَ جُعَيل قال له فى خبر جرى بينهما ،

---

(١) نسبه الأخفش إلى أبى محجن ، وروايته فى اللسان هكذا :
قد كنت أحسبنى كأغنى واحد نزل المدينة عن زراعة فوم

(٢) الأخطل فى سمط اللآلى : غياث بن غوث ، وفى ديوانه برواية السكرى : غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو بن سيحان بن العذولس بن عمرو بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وفى الأغانى ابن الطارقة ، ويقال : ابن السحيان بن عمرو بن العذولس . وعن المدائنى : غوث بن مسلمة بن طارقة انظر ص ٤٤ من السمط .

(٣) وقيل الإستار : رابع أربعة . وقيل هو معرب عن الفارسية ، وأصله جهار ، ويجمع أساتير ، وقال أبو حاتم : ثلاثة أساتر . . ويقول ابن قتيبة عن الأخطل : وسمى الأخطل ، من الخطل ، وهو استرخاء الأذنين . . قال شارحه ابن السيد : لا أعلم أحدا ذكر أن الأخطل كان طويل الأذنين مسترخيهما ، والمعروف أنه لقب الأخطل لبذاءته وسلاطة لسانه ، وذلك أن ابنى

. . . .

والأخطل يومئذ غُلامٌ يقرْزِمُ ، أى : كما يَبْتَدِى[1] يقول :

قُبِّحَ ذاكَ الْوَجْهُ غِبَّ الْحُمَّه[2]

فقالَ الأخطَلُ ، ولم يَكُنِ

وفَعَلَ كعبُ بن جُعَيلٍ أُمَّه[3]

فقال جُعَيلٌ : إنك لأخْطَلُ[4]

جعيل احتكما إليه مع أمهما ، فقال البيت الذى ذكره السهيلى ، فقيل: إنه لاخطل فلزمه هذا اللقب .

(١) القرزمة : أن يقول الشعر فى أول أمره قبل أن يستحكم طبعه ، وتقوى قريحته .

(٢) فى الاغانى : شاهد هذا الوجه الخ ، وفى خزانة الادب ويل لهذا الوجه

(٣) فى الاغانى : بدل « وفعل » كلمة يقبح ذكرها وقد استبدلها السهيلى ، ولهذا قال : ولم يكن يعنى أن الاخطل ذكرها صريحة .

(٤) الخبر بطوله فى الاغانى ص ٢٨ حـ ٨ ط لبنان ، وانظر خزانة البغدادى ص ٣٠٨ وما بعدها حـ ١ طبع دار المصور .

تم بحمد الله

الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس

ان شاء الله

وأوله : ﴿ ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم ﴾

فهـــرس

الجزء الرابع من الروض الأنف

س = سيرة . وما ليس أمامه شيء فهو من الروض .